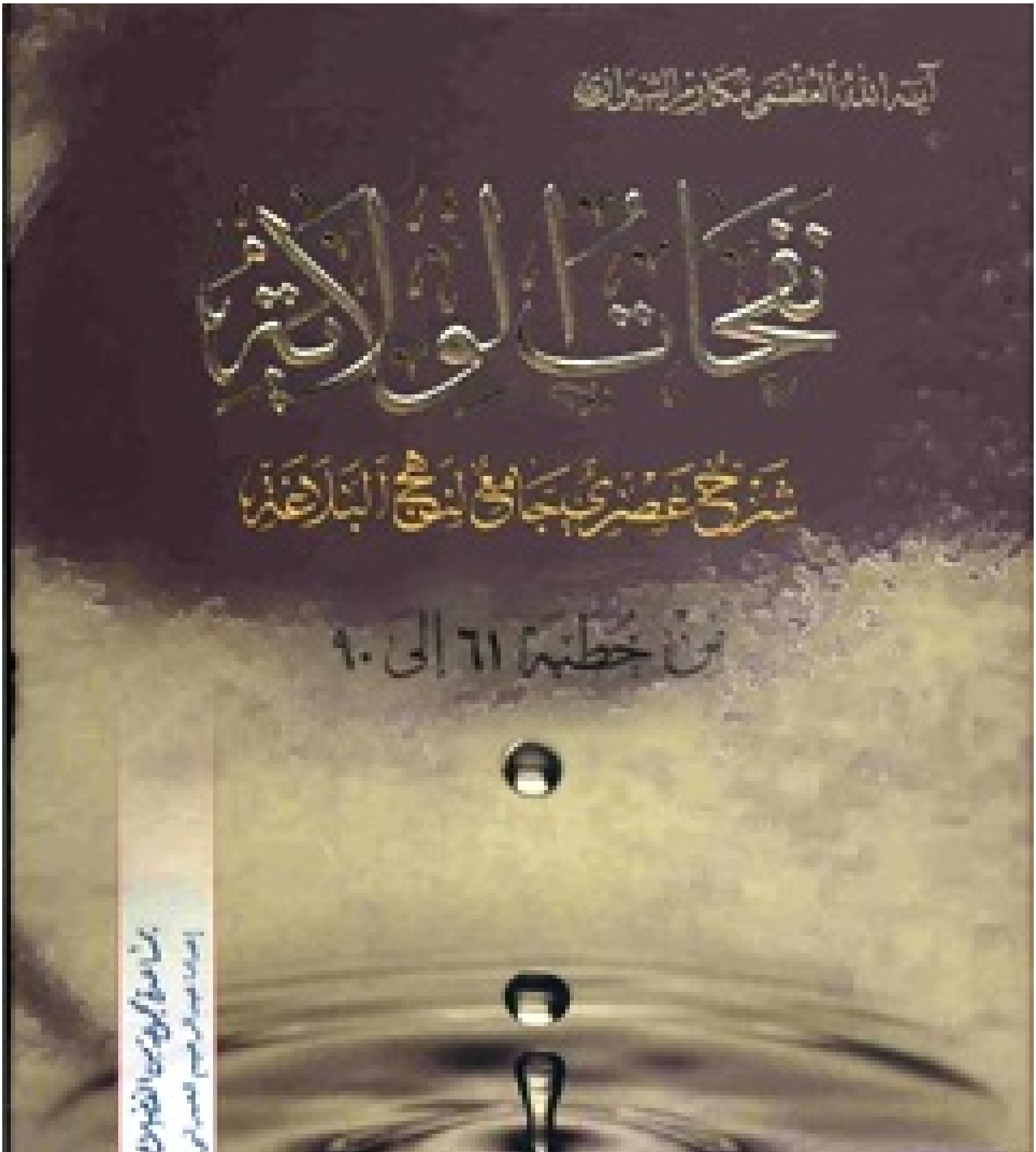

آية الله العظمى مكارم الشيرازي
نفحات الولاية
شرح عصري جامع لنهج البلاغة
من خطبة ٦١ الى ٩٠
الجزء الثالث

بسم الله الرحمن الرحیم

نفحات الولایه: شرح عصری جامع لنهج البلاغه

کاتب:

ناصرمکارم شیرازی

نشرت فی الطباعهٔ:

مدرسه الامام علی بن ابی طالب (علیه السلام)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

نفحات الولاية المجلد ۳

اشارة

عنوان و نام پديدآور : نفحات الولايه: شرح عصرى جامع لنهج‌البلاغه/ ناصرمكارم شيرازى، بمساعده مجموعه من‌الفضلاء؛ اعداد عبدالرحيم الحمدانى.

مشخصات نشر : قم : مدرسه‌الامام على‌ابن‌ابى‌طالب (ع) ، ۱۴۲۶ق.-= ۱۳۸۴.

مشخصات ظاهرى : ج.

شابک : ۳۰۰۰۰ ريال : دوره ۹۶۴-۸۱۳-۹۵۸-X: ؛ ج. ۱ ۹۶۴-۸۱۳-۹۰۷-۵ : ؛ ج. ۲ ۹۶۴-۸۱۳-۹۰۸-۳ : ؛ ج. ۳ ۹۶۴-۸۱۳-۹۱۷-۲ : ؛ ج. ۴ ۹۶۴-۸۱۳-۹۱۸-۰ : ؛ ج.۵ : ۹۶۴-۸۱۳-۹۴۱-۵ ؛ ۷۰۰۰۰ ريال: ج. ۶۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۰-۵ : ؛ ۷۰۰۰۰ ريال: ج. ۷۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۱-۲ : ؛ ۷۰۰۰۰ ريال: ج. ۸۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۲-۹ : ؛ ۷۰۰۰۰ ريال: ج. ۹۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۳-۶ : ؛ ۷۰۰۰۰ ريال: ج. ۱۰۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۴-۳ :

يادداشت : عربى.

يادداشت : ج ۱- ۵ (چاپ دوم: ۱۳۸۴).

يادداشت : ج. ۶- ۱۰ (چاپ اول: ۱۴۳۲ ق.= ۱۳۹۰).

يادداشت : كتابنامه.

مندرجات : .- ج. ۶. من خطبة ۱۵۱ الى ۱۸۰.- ج. ۷. من خطبة ۱۸۱ الى ۲۰۰.- ج. ۸. من خطبة ۲۰۱ الى ۲۴۱.- ج. ۹. من رسالة ۱ الى ۳۱.- ج. ۱۰. من رسالة ۳۲ الى ۵۳

موضوع : على‌بن ابى‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق -- خطبه‌ها

موضوع : على‌بن ابى‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- كلمات قصار

موضوع : على‌بن ابى‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- نامه‌ها

موضوع : على‌بن ابى‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج‌البلاغه -- نقد و تفسير

شناسه افزوده : حمرانى، عبدالرحيم

شناسه افزوده : على‌بن ابى‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج‌البلاغه. شرح

شناسه افزوده : مدرسة الامام على بن ابى طالب (ع)

رده بندى كنگره : BP۳۸/۰۲ /م۷ ۱۳۸۴

رده بندى ديويى : ۲۹۷/۹۵۱۵

شماره كتابشناسى ملى : م۸۴-۴۰۳۴۷

الخطبة[1] الحادية والستون

اشارة

وقال عليه‌السلام

«لا تُقاتِلُوا الْخَوارِجَ بَعْدِى فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقّ فَأَخْطَأَهُ كَمَنْ طَلَبَ الْباطِلَ فَأَدْرَكَهُ».

الشرح والتفسير

الفارق بين الخوارج وأهل الشام

تعرضت بعض الخطب السابقة للخوارج، فقد أشارت بعضها إلى الأمور المهمة فى سيرتهم ومواقفهم وما آل إليه مصيرهم. ويتضمن كلامه عليه السلام هنا الإشارة إلى الاسلوب الذى يتم من خلاله التعامل مع الخوارج بعده عليه السلام فيقول

«لاتقاتلوا الخوارج بعدى»

. استناداً إلى صراعه المرير عليه السلام الذى خاضه ضد الخوارج، ولا سيما فى النهروان التى وجه فيها ضرباته الماحقة إلى فلولهم، وكونهم يشكلون أعدى أعداء الإسلام حتى قتل على يدهم، فانّ مثل هذا الكلام يبدو مستغرباً فى عدم التعرض لهم ومقاتلتهم، إلا أنّ الإمام عليه السلام يقدم دليله بهذا لاشأن فيقول

«فليس من طلب الحقّ فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه»

وقد صرح السيد الرضى (ره) بأنّ مراد الإمام عليه السلام

«يعنى معاوية وأصحابه»

. فالواقع هو أنّ الإمام عليه السلام أراد أن يجنب أصحابه فتح جبهتين وأن يكرسوا قوتهم تجاه عدو واحد كان يتمثل أنذاک بمعاوية وحزب بنى‌أمية المقيت ورهطهم وأعوانهم من أهل الشام. فمما لاشک فيه أنّ أصحاب الإمام عليه السلام لن

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۶

يصبحوا بعده كما لو كان عليه السلام بينهم، أضف إلى ذلک، ليس لديهم القدرة على التحرک ضمن جبهتين، ومن هنا أوصاهم بلم الشمل وتعبئة قواهم وطاقاتهم ضد عدو واحد. ولا سيما أنّ الخوارج كانوا من الناقمين على حكومة معاوية، ولعلهم يقفون إلى جانب المؤمنين فى قتالهم لأهل الشام. وناهيک عما سبق فانّ الخوارج كانوا فى مركز حكومة أميرالمؤمنين عليه السلام ويشكلون جزءا من الجبهة الداخلية، وعليه فقد كا يسعهم زعزعة هذه الجبهة وتصديع الحالة الأمنية دون أدنى عناء؛ الأمر الذى دفع بالإمام عليه السلام لأنّ يوصى بالكف عن مقاتلتهم بعده. وهكذا يتّضح الرد على ذلک التساؤل المعروف الذى عجز البعض من شرّاح نهج البلاغة عن الرد عليه. فقد أثاروا هذا السؤال: لم قاتل الإمام عليه السلام الخوارج بنفسه بينما نهى أصحابه عن مقاتلتهم بعده؟ لم شهر سيفه بوجوههم بينما نصح أصحابه بغمد السيوف وعدم التعرض لهم؟

ونقول فى الجواب على هذا السؤال أنّ الظروف التى كانت سائدة على عهد الإمام عليه السلام تختلف كلياً عنها بعده عليه السلام، والقائد الحكيم ينبغى أن يأخذ بنظر الاعتبار هذه الظروف كل يوم، بل كل ساعة فلا- يعيش الجمود ويكتفى باسلوب واحد فى المجابهة والصراع.

وبغض النظر عما تقدم فانّ الإمام عليه السلام ينكر السبب الذى يقف وراء هذا الاسلوب فى المجابهة فيقول «فانّ من طلب الحق فأخطأه ليس كمن طلب الباطل فأدركه». فهنالک فارق واضح بين الفريقين؛ فالخوارج حفنة من الجهال ظنت أنّها خرجت من أجل الحقّ، الا- أنّ تعصبها وجهلها إنتهى بها إلى الحيرة والضلال، أمّا معاوية ورهطه فانّهم يتجهون عن علم نحو الباطل. وبناءاً على هذا فماذا يسع الإنسان أن يقاتل من هذين الفريقين إذا كان لابدّ له من القتال ويتعذر عليه عملياً مواجهة الفريقين؟

قطعا سيرجح قتال الفريق الثانى، فاذا فرغ منه وتمكن من دحره، آنذاک سيقف بوجه الفريق الأول. ولعل الحديث الذى نقله المبرد فى الكامل يشير إلى هذا المعنى من أنّ قتال معاوية وأهل الشام كان أولى من قتال الخوارج، فقد جاء فى الحديث أنّ الخوارج قاموا على معاوية بعد شهادة أميرالمؤمنين على عليه السلام حين كان فى الكوفة، فبعث معاوية برسوله إلى الإمام الحسن عليه السلام فى الكوفة- وهم بالخروج إلى المدينة- لأن يتصدى للخوارج، فأجابه عليه السلام بانّه كف عن قتاله حقناً لدماء المسلمين، فهل يقاتل

الخوارج نيابة عنه وهو يرى أنّه أحق منهم بالقتل.[٢]

نفحات الولايهٔ، ج٣، ص: ٧

الجدير بالذكر أن الخوارج قد إرتكبوا أعظم جنايهٔ عرفها العالم الإسلامى والتى تمثلت بقتلهم لعلى عليه السلام؛ الأمر ألذى أخبر عنه الإمام عليه السلام فى عصره، مع ذلك لم يفكر الإمام عليه السلام فى الثأر منهم، بل نهى من بعده حتى عن قتالهم، وهذا نموذج آخر من نماذج ذروهٔ عدالته التى لا يرى مثيلها فى تأريخ القادهٔ والزعماء. وأخيراً نقول أنّ وصيهٔ الإمام عليه السلام نافذهٔ مادام الخوارج لم يمارسوا علياتهم الإجراميهٔ فى البلاد الإسلاميهٔ؛ وإلّا فاذا إرتكبوا مثل هذه الأعمال كان لابدّ من معاملتهم على أنّهم محاربون مفسدون فى الأرض.

تأمّلان

١- أضّل من الخوارج

لاشك أنّ الخوارج- وبالاستناد إلى ممارستهم وصفاتهم آنفهٔ الذكر وما ذكره المؤرخون عن عقائدهم وآرائهم- فرقهٔ ضاله ومنحرفهٔ تشكل خطراً جدياً على الإسلام، إلّا أنّ الإمام عليه السلام وعلى ضوء هذه الخطبهٔ يرى فى معاويهٔ ورهطه أنهم أضل من تلك الفرقهٔ سبيلًا، ثم يوصى أصحابه بانّ الأولويهٔ فى القتال إنّما تتجه صوب معاويهٔ وأهل الشام لا الخوارج. وقد علق ابن أبى الحديد على هذا الأمر فقال: وقد طَعن كثير من أصحابنا فى دين معاويهٔ، ولم يقتصروا على تفسيقه، وقالوا عنه إنّه كان ملحِداً لا يعتقد النبوهٔ، ونقلوا عنه فى فلتات كلامه وسقطات ألفاظه ما يدلّ على ذلك.

و روى الزبير بن بكار فى "الموفقيات- "وهو غير متّهم على معاويهٔ، ولا منسوب إلى اعتقاد الشيعهٔ، لما هو معلوم من حاله من مجانَبهٔ على عليه السلام، والانحراف عنه-:

قال المطرف بن المغيرهٔ بن شعبهٔ: دخلت مع أبى عَلَى معاويهٔ، وكان أبى يأتيه، فيتحدّث معه، ثم ينصرف إلىّ فيذكر معاويهٔ وعقلَه، ويعجَبُ بما يرى منه، إذ جاء ذاتَ ليلهٔ، فأمسك عن العَشاء، ورأيته مغتًّما فانتظرته ساعهٔ، وظننت أنّه لأمرٍ حدث فينا، فقلت: ما لى أراك مغتّماً منذ الليلهٔ؟ فقال يا بُنىّ، جئت من عند أكفر الناس وأخبثهم، قلت: وما ذاك؟ قال: قلت له وقد خلوتُ به: إنّك قد بلغتَ سنًّا يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلًا، وبسطت خيراً فإنَّك قد

نفحات الولايهٔ، ج٣، ص: ٨

كبرت؛ ولو نظرت إلى إخوتك من بنى هاشم، فوصلْت أرحامَهم فو الله ما عندهم اليومَ شىء تخافه، وإنّ ذلك ممّا يَبْقى لك ذكره وثوابه؛ فقال: هيهات هيهات! أىذِكْر أرجو بقاءه! مَلَك أخو تَيْم فعدَل، وفعل مافعل، فما عدا أن هَلَك حتى هلك ذكُره؛ إلا أن يقول قائل: أبوبكر؛ ثم ملك أخو عدىّ، فاجتهد وشمرَّ عشر سنين؛ فما عدا أن هلك حتى هلَك ذكُره؛ إلا أن يقول قائل: عمر؛ وإن ابنَ أبى كبشهَٔ[٣] ليُصاح به كلَّ يوم خمس مرات: «أشهد أنّ محمّداً رسول الله»، فأىّ عملى يبقى؟ وأىّ ذكر يدوم بعد هذا لا أبا لك! لا والله إلّادَفْناً دفناً.[۴]

«فقد أثر هذا الكلام حتى فى المغيرهٔ بن شعبهٔ المعروف بفساده وانحرافه، فلم يذهب إلى تكفير معاويهٔ فحسب، بل رآه من أكفر الناس وأخبثهم» ثم خاض ابن أبىالحديد فى أفعال معاويهٔ وحياته الطاغوتيهٔ وتصرفاته المجانبهٔ للعدل والمروءهٔ؛ الأمر الذى يؤكد عمق ما أورده الإمام عليه السلام فى الخطبهٔ المذكورهٔ. فقال ابن أبىالحديد:

و أما أفعاله المجانِبهٔ للعدالهٔ الظاهرهٔ من لُبْسه الحرير، وشربه فى آنيهٔ الذهب والفضهٔ؛ حتى أنكر عليه ذلك أبو الدَّرْداء، فقال له: إنّى سمعت رسول الله ص يقول؛ «إنّ الشّارب فيها ليُجرْجِر فى جوفه نار جهنم»، وقال معاويهٔ: أما أنا فلا أرى بذلك بأساً، فقال أبو الدرداء:

مَنْ عذيری من معاويهٔ! أنا أخبره عن الرسول صلی الله عليه و آله؛ وهو يخبرنی عن رأيه! لا أساكنك بأرضٍ أبداً.
نقل هذا الخبرَ المحدّثون والفقهاء فی كُتبهم فی باب الاحتجاج علی أنّ خبر الواحد معمول به فی الشرع؛ وهذا الخبر يقدَح فی عدالته، كما يقدح أيضاً فی عقيدته، لأنّ مَنْ قال فی مقابلهٔ خَبَرٍ قد روی عن رسول الله صلی الله عليه و آله: أمّا أنا فلا أری بأساً فيما حرّمه رسول الله صلی الله عليه و آله، ليس بصحيح العقيدهٔ ومن المعلوم أيضاً من حالهٔ استئثاره بمال الفیء، وضربه مَنْ لا حدّ عليه، وإسقاط الحدّ عمّن يستحقّ إقامهَٔ الحدّ عليه، وحكمه برأيه فی الرَّعيّهٔ وفی دين الله، واستلحاقه زياداً؛ وهو يعلم قول رسول الله صلی الله عليه و آله: «الولَد للفراش وللعاهر ألحجَر»، وقتله حُجْر بنَ عدیّ أصحابه ولم
نفحات الولايهٔ، ج٣، ص: ٩
يجب عليهم القتل، ومهانته لأبی‌ذرّ الغِفاری وَجبْهُه وشتمه إشخاصه إلی المدينهٔ علی قَتَب بعير وطاء لإنكاره عليه، ولعنه عليّاً وحسناً وحسينا وعبد الله بن عباس علی منابر الإسلام، وعهده بالخلافهٔ إلی ابنه يزيد، مع ظهور فسقه وشُرْبِه المسكر جهاراً، ولعبه بالنَّرد، ونومه بين القيان المغنّيات، اصطباحه معهنّ، ولعبه بالطنبور بينهنّ، وتطريقه بنِی أميهٔ للوثوب علی مقام رسول الله صلی الله عليه و آله وخلافته، حتی أفْضَت إلی يزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد، المفتضحْين الفاسقين: صاحب حَبَابهٔ وسلّامهٔ؛ والآخر رامی المصحف بالسّهام وصاحب الأشعار فی الزندقهٔ والإلحاد.
و لا ـ ريب أنّ الخوارج إنّما بریء أهلُ الدين والحقِّ منهم، لأنّهم فارقوا عليّاً برئوا منه، وما عدا ذلك من عقائدهم، نحو القول بتخليد الفاسق فی النار، القول بالخروج علی أمراء الجوْر؛ وغير ذلك من أقاويلهم؛ فإنّ أصحابنا يقولون بها، ويذهبون إليها، فلم يبق ما يقتضی البراءهٔ منهم إلا براءتهم من علیّ؛ قد كان معاويهٔ يلعنُه علی رؤوس الأشهاد وعلی المنابر فی الجمع والأعياد، فی المدينهٔ ومكهٔ وفی سائر مدن الإسلام؛ فقد شارك الخوارج فی الأمر المكروه منهم؛ وامتازوا عليه باظهار الدين والتلزّم بقوانين الشريعهٔ، والاجتهاد فی العبادهٔ، وإنكار المنكَرات، وكانوا أحقَّ بأن يُنْصَرُوا عليه مِنْ أن يُنصَر عليهم، فوضح بذلك قولُ أمير المؤمنين:
«لا تقاتلوا الخوارج بعدی»
، يعنی فی مُلْك معاويهٔ.

٢- جهل اتباع الحق وعلم اتباع الباطل

إتّضح من كلام الإمام عليه السلام أنّه رجح الخوارج علی أهل الشام من أتباع معاويهٔ واستدل علی ذلك بقوله:
«فليس من طلب الحق فاخطأه كمن طلب الباطل فأدركه»
ولا ـ تقتصر هذه المقارنهٔ علی عصر الإمام عليه السلام؛ بل لا يخلو عصر ومصر من هاتين الفرقتين، فمازلنا نری اليوم بعض الفئات المعاديهٔ للإسلام التی تحث الخطی نحو الباطل وقد شمرت عن سواعدها للقضاء علی الإسلام والمسلمين؛ فی حين هنالك الفئات الاخری التی تنشد الحق إلّاأنّها لن تبلغه، وهی الاخری معاديهٔ للإسلام والمسلمين. ولا ينبغی للمسلمين أن ينظروا ذات النظرهٔ لهاتين الفئتين، بل عليهم أن يمنحوا الأولويهٔ فی الصراع للفئهٔ الاولی وذلك لعدم وجود سبيل إزاء الفئهٔ الاولی التی تنهج الفساد والباطل عن علم- سوی الصراع المسلح، بينما تحتاج الفئهٔ
نفحات الولايهٔ، ج٣، ص: ١٠
الثانيهٔ إلی قدر من الوعظ والإرشاد والانفتاح علی التعاليم الإسلاميهٔ الحقهٔ.
وقد أثبت هذا الاسلوب جدواه فی موقعهٔ النهروان بتوبهٔ أغلب الخوارج وانابتهم إلی الحق بعد سماعهم لمواعظ أميرالمؤمنين علی بن أبی‌طالب عليه السلام، فقد جاء فی الأخبار أنّ ثمانيهٔ آلاف منهم قد رجعوا عن ضلالتهم ولم يبق سوی أربعهٔ آلاف منهم.
نفحات الولايهٔ، ج٣، ص: ١١

الخطبة[۵] الثانيه و الستون

اشارة

ومن كلام له عليه السلام

لما خوف من الغيلة[۶]

«وَإِنَّ عَلَيَّ مِنَ اللَّهِ جُنَّةً حَصِينَةً فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي انْفَرَجَتْ عَنِّي أَسْلَمَتْنِي فَحِينَئِذٍ لا يَطِيشُ السَّهْمُ ولا يَبْرَأُ الْكَلْمُ».

الشرح والتفسير

لماذا أخشى الموت؟

قيل فى سبب هذا الكلام أنّ أصحاب الإمام عليه السلام كانوا يخبرونه عن سوء نية ابن ملجم، وقد قامت عدة قرائن واضحة تكشف عن سوء نيته، حتى ذكروا أنّ الإمام عليه السلام كان يخطب الناس يوما فجلس ابن‌ملجم أمام المنبر وهو يقول:

«و اللّه لَأريحَنّهم منكَ»

فلما إنتهى الإمام عليه السلام من خطبته. أمسكه البعض ممن سمعه وأتوا به إلى الإمام عليه السلام. فقال عليه السلام: دعوه، ثم قال، وإنّ عليَّ من

اللَّه ...[٧] نعم قال الإمام عليه السلام:

«و إن على من اللّه جنة حصينة، فإذا جاء يومى انفرجت عنّى وأسلمتنى؛ فحينئذٍ لايطيش ٨] السّهم ٩] ولايبرأ[١٠] الكلم ١١]»

. والعبارة إشارة إلى سنة كونية ثابتة، وهى أنّ الإنسان لايغادر هذه الدنيا ما لم يحن أجله، وعليه فأجل الإنسان بيد اللّه، ومفهوم ذلك أنّ إرادته هى التى إقتضت أن يبقى فلان إلى الوقت الفلانى، وممّا لا شك فيه أنّ أحداً لا يسعه الوقوف بوجه هذه الإرادة، ومن هنا يمكن إعتبار الأجل الإلهى جنة حصينة إزاء بعض الحوادث؛ المعنى الذى ورد كراراً فى نهج‌البلاغة، ومن ذلك قوله عليه السلام:

«إنّ الأجل جنّةٌ حصينةٌ».[١٢]

كما قال فى موضع آخر

«كفى بالْأجل حارساً»[١٣]

بل يمكن القول بأنّ هذا المعنى قد ورد فى الآية الحادية عشرة من سورة الرعد: «لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ» وجاء فى تفسير الأية أن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«يقول: بأمر اللّه من أن يقع فى ركيٍّ أو يقع عليه حائطٌ أو يصيبه شىءٌ حتّى إذا جاء الْقدر خلّوا بيْنه وبيْنه يدْفعونه إلى المقادير وهما ملكان يحفظانه باللّيل وملكان بالنّهار يتعاقبانه»[١۴]

. وهنا يبرز هذه السؤال وهو لو كان الأمر كذلك، فليس هنالك من ضرورة فى حفظنا لأنفسنا من المخاطر ونسعى لأن نقيها بعض الحوادث من قبيل الزلازل والأعاصير والأمراض وحوادث الدهس

والاصطدام، بل يجب علينا أن نندفع بكل قوة وعدم مبالاة واكتراث وخشية من هذه الحوادث؟! وللإجابة على هذا السؤال ينبغى الألتفات إلى أنّ أجل الإنسان على نوعين: أجل حتمى وأجل غير حتمى، والأجل الحتمى هو الأجل الذى لارجعة فيه، من قبيل مقدار نبض قلب الإنسان الذى قدر له العمل إلى اللحظة الفلانية، بالضبط كالساعة التى تعمل إلى أجل معين يتعلق بوجود البطارية فيها،

فمتى ما نفدت قوة البطارية توقفت الساعة عن العمل.

أما الأجل غير الحتمى فهو الأجل الذى يمكن إجتنابه؛ وهو على قسمين: قسم تحت تصرف الإنسان بحيث يسعه إجتنابه من خلال رعاية الموازين العقلائية من قبيل التترس والتدرع وإرتداء الخوذة فى ساحة القتال التى تحول عادة دون اغلب حالات القتل، فقد وكل للإنسان التعامل بحذر مع مثل هذه الامور، وهو المسؤول عن هذه الحوادث، أمّا القسم الآخر فهو الأجل غير القطعى الخارج عن إرادة الإنسان من قبيل بعض حوادث المرور أو عدم التحسب من الوقوع فى البئر أو إنهيار الجبل وما إلى ذلك من الامور التى لا يمكن التكهن بوقوعها. وهنا يأتى دور الملائكة الحفظة الذين يحفظون الإنسان من هذه الحوادث ما لم يصل أجله الحتمى، فاذا بلغ أجله تركوه وتلك الحوادث. وبالطبع فانّ هذا القسم الأخير هو الأخر يمكن تقسيمه إلى نوعين: مشروط وغير مشروط والمشروط ما تتولى فيه الملائكة حفظ الإنسان شريطة قيامه ببعض الاعمال من قبيل التصدق والدعاء وصلة الرحم وما إلى ذلك من المندوبات، بينما لايشترط مثل هذه الأعمال فى غير المشروط. والخلاصة ليس هنالك من تخلف فى الأجل المحتوم بينما يمكن تغيير الأجل المشروط أو المعلق من خلال التدبير والاحتياط أحياناً، والقيام ببعض الاعمال المندوبة من قبيل التصدق والدعاء وصلة الرحم أحيانا أخرى، كما يمكن ذلك من خلال الملائكة الموكلة بحفظ الإنسان من الأخطار غير المحتومة. ومن هنا يتبين عدم التعارض بين الّايات القرآنية من قبيل: «فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لايَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ»[۱۵] والآية الشريفة «وَلَنْ يُؤَخِرَّ اللَّهُ نَفْساً إِذا جاءَ أَجَلُها»[۱۶] مع الآية المباركة: «لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ...»، ولا مع الروايات التى

نفحات الولايه، ج۳، ص: ۱۴

صرحت بتأخير أجل الإنسان إثر التصدق والدعاء، وهكذا يتضح الجمع بين كافة هذهالايات والروايات على ضوء التقسيم الثلاثى أو الرباعى الذى ذكرنا للأجل.[۱۷]

نفحات الولايه، ج۳، ص: ۱۵

الخطبة[۱۸] الثالثة والستون

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

يحذر من فتنة الدنيا

نظرة إلى الخطبة

الخطبة كما يفهم من عنوانها تحذير للجميع من فتنة الدنيا، حيث يشير الإمام عليه السلام فيها إلى موضوعين مهمين: الأول أنّ الدنيا قد تكون مصدر شقاء الإنسان أو سعادته؛ الأمر الذى يتوقف على طبيعة النظرة إلى الدنيا والتعامل معهما. فالدنيا مذمومة وهى مصدر بؤس وشقاء إن كانت هدفا وإنشدت الأنظار إلى زخارفها وأموالها وثرواتها، فى حين ممدوحة هى الدنيا ومصدر سعادة الإنسان وفلاحه إذا كانت وسيلة ومزرعة الآخرة وأداة للوصول إلى القيم والمثل الإنسانية. الموضوع الاخر الذى أشار إليه الإمام عليه السلام هو فناء الدنيا وتقلب أحوالها، وتشبيهها بفىء الظل الذى يلجأ إليه الإنسان للراحة وسرعان ما يزول.

نفحات الولايه، ج۳، ص: ۱۷

«أَلا إِنَّ الدُّنْيا دارٌ لا يُسْلَمُ مِنْها، إِلَّا فِيها وَلا يُنْجى بِشَىْءٍ كانَ لَها: ابْتُلِىَ النَّاسُ بِها فِتْنَةً، فَما أَخَذُوهُ مِنْها لَها أُخْرِجُوا مِنْهُ وَحُوسِبُوا، عَلَيْهِ وَما أَخَذُوهُ مِنْها لِغَيْرِها قَدِمُوا عَلَيْهِ وَأَقامُوا فِيهِ؛ فَإِنَّهَا عِنْدَ ذَوِى الْعُقُولِ كَفَىْءِ الظِّلِّ، بَيْنا تَراهُ سابِغاً حَتَّى قَلَصَ، وَزائِداً حَتَّى نَقَصَ».

الشرح والتفسير

الدنیا ظل زائل

لما کانت زخارف الـدنیا وزینتها تـدعوا إلی المبالغۀ فی التعلق بها؛ الأمر الذی یفضـی إلی مقارفۀ الذنوب والمعاصـی والانحراف عن الصراط المستقیم والسقوط فی هاویۀ الضلال فانّ القادۀ الربانیین لا ینفکون عن تحذیر أتباعهم منها، وهذا ما نلمسه بوضوح فی معظم نهجالبلاغۀ الذی أورد التحذیر تلو التحذیر علی لسان خطبه ورسائله وقصار کلماته.

والخطبۀ التی نحن بصددها هی نموذج من هذا التحذیر الذی ضمنه الإمام علیه السلام ستۀ امور مهمۀ، فقد إستهل ذلک قائلًا:

«ألا وإنّ الدّنیا دار لایسلم منها إلّافیها»

والـدلیل واضـح لانقاش فیه؛ لأنّ من أهم أسـباب السـلامۀ هو کسب الفضائل الأخلاقیـۀ والتحلی بالقیم والمثل المعنویـۀ وعبودیـۀ اللَّه وطاعته، والتی لا تتسـنی إلّافی هـذه الـدنیا، ولیس للإنسان من فرصۀ سوی فی هذا العالم دون العوالم الاخری ومن هنا قال الإمام علیه السلام لاتنال السلامۀ من الدنیا إلّافیها. ثم قال علیه السلام:

«و لاینجی بشیءٍ کان لها»

أی إن کـانت الـدنیا هی دافع نشاطات الإنسان وغایـۀ أعماله وأفعاله وحتی إتیانه بالعبادات إذا کان ینطوی علی هـدف دنیوی ویشوبه الریاء والسمعۀ فانّها لن تکن سببا لنجاته، بل ستفضی إلی هلاکه وشقائه. ثم أشار فی الأمر الثالث إلی کونها میدان إمتحان:

«ابتلی النّاس بها فتنۀً»؛

فالدنیا ملیئۀ بالنعم إلی جانب المشاکل

نفحات الولایۀ، ج۳، ص: ۱۸

والمصائب؛ فالنعمۀ وسـیلۀ للإمتحان، کما المصـیبۀ إمتحان من نوع آخر. فهل تطغی النعمۀ الإنسان أم تشده إلی اللَّه، وهل یؤدی شکر النعم عملًا فضـلًا عن شـکرها لساناً؟ وهل یستشـعر قلبه الیأس حین المصیبۀ ویشکو ربه، أم یصبر عند المصاب ویشکر؟ فالإنسان یعیش الإمتحان فی هذین الأمرین کل یوم طیلۀ حیاته فی الدنیا، وهذا قانون خالد انبثق منذ خلق آدم علیه السـلام وسیسـتمر إلی یوم القیامۀ، فقـد قـال القرآن الکریم بهـذا الشـأن: «أَحَسِبَ النّاسُ أَنْ یُتْرَکُوا أَنْ یَقُولُوا آمَنّا وَهُمْ لا یُفْتَنُونَ* وَلَقَدْ فَتَنّا الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَیَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِینَ صَدَقُوا وَلَیَعْلَمَنَّ الکاذِبِینَ».[۱۹] ثم قال علیه السلام فی الأمر الرابع:

«فما أخذوه منها لها أخرجوا منه وحوسبوا علیه».

ثم واصل کلمه قائلًا:

«و ما أخذوه منها لغیرها قدموا علیه، وأقاموا فیه»

والعبـارۀ إشـارۀ إلی النظرتین المعروفتین فی نهجالبلاغـۀ، النظرۀ إلی الـدنیا کوسـیلۀ والاخری کغایـۀ؛ فان کانت إمکانات هـذه الـدنیا والأموال والثروات والنعم والمقام والجاه وسـیلۀ لنیل السعادۀ والحیاۀ الاخرویۀ الهنیئۀ فلیس هناک أفضل منها، وإن کانت صنماً یسجد له الإنسـان فلیس هنـاک أسوأ منهـا. فـالنظرۀ الاـولی تسوق الإنسـان إلی الورع والتقی والطهر والعفاف بینما تـدعوه النظرۀ الثانیـۀ إلی الحرص والطمع والظلم والذلـۀ والهوان. والنظرۀ الاولی تحیل النعم الـدنیوۀ الفانیـۀ إلی نعم اخرویـۀ باقیـۀ، فی حین تکون النظرۀ الثانیۀ سبباً لزوال النعم وبقاء التبعات. ومن هنا تتضـح علیـۀ مـدح الـدنیا فی أغلب الآیات والروایات، إلی جانب ذمها فی البعض الآخر. فلعل البعض یفسر ذلک بالتناقض للوهلۀ الاولی بینما کل واحدۀ منها صحیحۀ فی مکانها وکأنّ الواحدۀ منها مکملۀ للُاخری، فالمدح یرتبط بالدنیا الوسیلۀ، والذم بالدنیا الهدف والغایۀ. وسنعرض لهذا الموضوع بالتفصیل فی الأبحاث القادمۀ ذات الصلۀ.

وأخیراً یکشف الأمام علیه السلام اللثام عن حقیقۀ الدنیا لیشبهها بفی الظل الذی یمر سریعاً فقال:

«فإنّها عند ذوی العقول کفیء الظّلّ، بینا تراه سابغاً[۲۰] حتّی قلص،[۲۱] وزائداً حتّی نقص»

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۱۹

فقد ورد ا لظل بمعناه المطلق سواء ظل الأشیاء قبل الزوال أو بعده، وبطلق أحیاناً علی ما قبل الظهر خاصة الذی تزیله الشمس تدریجیاً، أما

«فی»

فهی تعنی الظل بعد الزوال (لأن مفهوم هذه المفردة یتضمن الرجوع والعودة) الذی یتسع کلما إقتربت الشمس من أفق المغرب ویزول إثر غروب الشمس وحلول الظلمة. وکأنّ الإمام علیه السلام أشار إلی حقیقة مهمة وهی أن أصحاب الدنیا یجمعون الأموال والثروات کل یوم بحیث تزداد کلما إقترب عمرهم من نهایته، إلّاأنّها تزول وتنعدم من الوجود بغروب شمس العمر، وتنتهی کل هذه الثروات بحلول ظلمة الموت.

ونختتم تفسیر هذه الخطبة بالقول أنّ الإمام علیه السلام دائم التحذیر من مغبة التعلق بالدنیا والاغترار بها وفضحها بمختلف الطرائف والأمثال وذلک للاسباب التالیة: أولًا: أنّ حبّ الدنیا والاغترار بها یمثل مادة الذنوب والمعاصی؛ الأمر الذی یجعل القائد الربانی محذراً أتباعه وملفتا إنتباههم إلی عظم هذا الخطر علی الدوام، وثانیاً: شهد عصر الإمام علیه السلام وما سبقه بعض الفتوحات الإسلامیة التی درت علی المجتمع الإسلامی ما لا یحصی من الغنائم والثروات والإمکانات؛ الأمر الذی جعل أفراد الامّة تعیش حالة من السباق للتکالب علی هذا الحطام، وهذا ما أفرز حالة من الانحراف والاختلاف والتشتت والابتعاد عن التواضع فی الحیاة والاقبال علی الراحة والدعة والضعف أمام العدو من خلال التقاعس عن الجهاد، ومن هنا کان الإمام علیه السلام لایری أدنی فرصة إلّاواغتنمها من أجل إعادة الامّة إلی مسارها الإسلامی الصحیح. وقد وعظهم بسیرته وحیاته قبل وعظهم بلسانه.

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۲۱

الخطبة[۲۲] الرابعة و الستون

اشارة

ومن خطبة له علیه السلام

فی المبادرة إلی صالح الاعمال

نظرة إلی الخطبة

جری الحدیث فی هذه الخطبة- کما فی الخطبة السابقة- عن تقلب أحوال الدنیا وضرورة الزهد فیها، داعیاً الناس إلی الاستعداد والتأهب للآخرة. ثم صور الدنیا بهذه الصورة

«وما بین احدکم وبین الجّنة أو النار الا الموت أن ینزل به، وإن غایة تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة، لجدیرة بقصرا لمدة، وأنّ غائباً یحدوه ۲۳] الجدیدان: اللیل والنهار، لحری بسرعة الأوبة».

ثم یختتم علیه السلام خطبته بدعوة الناس إلی التوبة والإنابة إلی اللّه ویحذر من الغفلة عن الموت والاغترار بالأمل الذی یصد عن الآخرة، فاذا باغت الإنسان الموت وکان غارقا فی شهواته ومعاصیه صعب علیه مفارقة الدنیا.

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۲۳

القسم الأول: الموت یلقی بظلاله علی الجمیع

«فـاتَّقُوا اللَّهَ عِبادَ اللَّهِ، وَبادِرُوا آجالَكُمْ بِأَعْمالِكُمْ، وَابْتاعُوا ما يَبْقى لَكُمْ بِما يَزُولُ عَنْكُمْ، وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جُدَّ بِكُمْ، وَاسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظَلَّكُمْ، وَكُونُوا قَوْماً صِيحَ بِهِمْ فـانْتَبَهُوا، وَعَلِمُوا أَنَّ الـدُّنْيا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدارٍ فاسْتَبْدَلُوا؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى».

الشرح والتفسير

يستهل الإمام عليه السـلام خطبته بتحذير الجميع من الدنيا والالتفات إلى سـرعة زوالها والهدف من خلق الإنسان فيها، والاستغراق في الغاية التي ينبغي أن ينشدها في هذه الحياة. فقد قال عليه السلام:

«فاتّقوا اللّه عباد اللّه»

كل مالـديكم من اللَّه وقد أمطركم بوابل نعمه وآلائه فانتم عباده ولا يصح لكم الخروج على أوامره وعصيانه. أما التأكيد على التقوى في هـذه الخطبـة وسائر الخطب مما لايحتاج إلى أدنى إيضاح كون التقوى تشـكل اللبنـة الأساس للمؤمن والعمل الصالـح، الأمر الذي ورد التأكيد عليه كراراً في القرآن حتى عد الوسيلة للتفاضل «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ»[٢٤] وهي خير الزاد «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوى [٢٥]. ثم قال عليه السلام:

«و بادروا آجالكم بأع مالكم»

، وكأنّ السباق قد بلغ ذروته بين الإنسان والموت، فلو طبع حياته بالعمل الصالح فانّه سيصل غايته قبل أن يحل به الموت فيحول دون بلوغ تلك الغاية.

والواقع أن غاية الإنسان تتمثل بالعسادة والسمو والتكامل والقرب الإلهي؛ الامور التي يمكن

نفحات الولايه، ج٣، ص: ٢۴

للإنسان بلوغها إذا تحلى بالورع والتقوى والعمل الصالـح قبل حلول أجله وانتهاء عمره، وإلّا سيفاجئه الموت دون الظفر بغايته وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم: «وَأَنْفِقُوا مِمّا رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصّالِحِينَ»[٢٦] ثم اتبع ذلك بالقول: «و لن يؤخّر اللّه نفساً إذا جاء أجلها» أي ليست هناك من استجابة لمثل هذه الطلبات هناك.

ثم قال عليه السلام:

«و ابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم»

فالـدنيا ومتاعها ونعمها إلى زوال وتبـدل وعـدم إسـتقرار، بينما تتصف نعم الآخرة بالـدوام والخلود، فهل من عاقل يتردد في مثل هـذه الصفقة وذلك بان يشترى ذلك المتاع الخالد بهذا المتاع الفاني؟ ابتاعوا من مادة ابتياع بمعنى الشراء، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم في عدة آيات، منها «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْراةِ وَالإِنْجِيلِ وَالقُرآنِ وَمَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بايَعْتُمْ بِهِ وَذلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ»[٢٧]، فهذه الآيـة- التي شرحت المقايضـة المعنويـة والإلهيـة للناس مع اللّه باروع بيان وضـمن عشـرة تأكيـدات- إنّما تشـمل كافـة ميادين الحياة البشـرية وإن وردت بشأن الجهاد؛ لأنّ الجهاد جزء من مفردات هـذه الحياة، وقـد جاء شبيه هـذا المعنى في الآيـة العاشـرة من سورة الصف «يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ ...» فهل هناك أعظم وأربح من هذه التجارة التي يمثل طرف الإنسان فيها اللّه سبحانه الكريم الغفور الرحيم من جانب، ومن جانب آخر يرضـى اللّه بهـذه المعاملـة لأن يبادل الإنسان بهذا المتاع الفاني والزائل الذي يفقده الإنسان شاء أم أبى بذلك المتاع الخالد الذي يأبى الزوال والفناء؟! ثم قال عليه السلام:

«و ترحّلوا[٢٨] فقد جدّ[٢٩] بكم»

في إشـارة إلى أنّ الرحيـل من الـدنيا ليس بـالهزل ولاـ السـهل اليسير، بـل أمر جـدى بـالغ الصـعوبة فلسان حال كافـة أعضائنا الباطنية والظاهرية هو الرحيل، ويعاضد ذلك

نفحات الولايهٔ، ج٣، ص: ٢٥

إستزاف القوى الجسمانيهٔ، إلى جانب الآفات والأحداث والبلاءات وأنواع الأمراض التى تدفع بالإنسان إلى الرحيل.

ثم أمر الإمام عليه السلام واستناد لما مر بالتجهز والتأهب فقال:

«واستعدّوا للموت فقد أظلّكم»

وبالطبع ليس المراد بالتأهب والاستعداد للموت أن يكف الإنسان عن السعى والعمل ويقاطع الدنيا ويقبع فى زاويهٔ من داره ينتظر الموت، بل المراد الاكثار من الأعمال الصالحهٔ وتهذيب النفس وتزكيتها والتحلى بالفضائل ومكارم الأخلاق والمسارعهٔ فى

«الباقيات الصالحات»

، وبعبارهٔ اخرى التزود للدار الآخرهٔ والقدوم عليها بما ينجى الإنسان من عقباتها. أمّا العبارهٔ

«فقد أظلّكم»

فهى تفيد قرب الموت؛ لأنّ الأشياء القريبهٔ فقط هى التى تظل الإنسان. والواقع ليست هنالك من مسافهٔ بين الإنسان والموت، فقد يستسلم للموت أقوى الأقوياء إثر حادثهٔ بسيطهٔ تحيل كيانه عظاماً ولحماً خاوياً، كما قد يموت رغم عنفوان شبابه بفعل سكتهٔ قلبيهٔ، بل قد تخنقه اللقمهٔ الصغيرهٔ فتميته، وزبدهٔ القول لولا الغفلهٔ التى طغت على الناس بتناسى الموت لما استطاع البشر ممارسهٔ الحياهٔ بهدوء وسكينهٔ ولو للحظات. ثم قال عليه السلام:

«و كونوا قوماً صيح بهم فانتبهوا، وعلموا أنّ الدّنيا ليست لهم بدارٍ فاستبدلوا».[٣٠]

ولعل المراد بمن يصيح فى الناس ويوقظهم من نوم الغفلهٔ، هو ذلك الملك الذى أشار إليه الإمام الباقر عليه السلام مروياً عن أميرالمؤمنين عليه السلام:

«له ملکٌ ينادى كلّ يومٍ!لدوا للموت وابنوا للخراب!»[٣١]

أو المراد به العناصر الداخليهٔ فى جسم الإنسان والتى تؤدى بالتدريج إلى ضعف الجسم وكأنّها تهتف به إلى الرحيل. وقد وردت عدهٔ أشعار فى الديوان المنسوب للإمام عليه السلام بهذا

نفحات الولايهٔ، ج٣، ص: ٢۶

الشأن، نرى من الجفاء عدم التعرض لها، فقد قال:

إلى م تجّر أذيال التّصابىو شيبک قد نضا برد الشّباب

بلَال الشّيب فى فَودَيکَ نَادَىبأَعلَى الصّوت حَىَّ عَلَى الذّهَاب

خلقت من التّراب وعن قريبتغيب تحت أطباق التّراب

طمعت إقامهً فى دار ظعنٍفلَا تَطمَع فَرجلکَ فى الرّکَاب

و أرخيت الحجاب فسوف يأتىرسولٌ ليس يحجب بالحجاب

أعامر قصرك المرفوع؟ أقصر!فإنّك ساكن القبر الخراب![٣٢]

وأخيرا إختتم كلامه الذى أشار فيه إلى الدنيا وتقلب أحوالها وضرورهٔ الاستعداد فيها إلى سفر الآخرهٔ بعبارهٔ أوردها بمنزلهٔ الدليل والبرهان على ما قال:

«فإنّ اللّه سبحانه لم يخلقكم عبثاً، ولم يترككم سدًى»[٣٣]

والعبارهٔ فى الواقع إشارهٔ إلى برهان المعاد المعروف (برهان الحكمهٔ) الذى يصرح بأنّ هدف خلق الإنسان إذا إقتصر على هذه الحياهٔ

القصيرة وما يكتنفها من أيام المطعم والملبس والنوم فانما هو العبث بعينه، فلا يمكن أن يكون هذا هو الهدف من هذا الخلق العظيم وهذه السموات والأرضيين وما يكتنفهما من العجائب والغرائب وهذه البنية العجيبة لخلقة الإنسان بهذا التعقيد والدقة والنظام، فجميع القرائن الموجودة فى عالم خلقة الإنسان والأكوان تشير إلى عظم الهدف الذى قام من أجله الخلق، وهو الهدف العظيم الذى خلق الحكيم من أجله الإنسان والعالم، والذى يكمن فى تكامل الإنسان وقربه من اللّه ونيله سعادة الدارين.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۷

القسم الثانى: التزود قدر المستطاع

«وَمَا بَيْنَ أَحدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ، وَإِنَّ غايَةً تَنْقُصُها اللَّحْظَةُ، وَتَهْدِمُها السَّاعَةُ، لَجَدِيرَةٌ بِقِصَرِ الْمُدَّةِ، وَإِنَّ غائِباً يَحْدُوهُ الْجَدِيدانِ: اللَّيْلُ وَالنَّهارُ، لَحرِيٌّ بِسُرْعَةِ الْأَوْبَةِ، وَإِنَّ قادِماً يَقْدُمُ بِالْفَوْزِ أَوِ الشِّقْوَةِ لَمُسْتَحِقٌّ لِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ، فَتَزَوَّدُوا فِى الدُّنْيا مِنَ الدُّنْيا ما تَحْرُزُونَ تحرزون بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَداً».

الشرح والتفسير

واصل الإمام عليه السلام خطبته بالإشارة إلى ثلاثة امور مهمّة: الأول

«و ما بين أحدكم وبينالجنّة أو النّار إلّاالموت أن ينزل به»

أى إن كنت حذرتكم من الدنيا ودعوتكم إلى التزود للآخرة بالتقوى والعمل الصالح ومبادرة الأجل، فذلك لقصر المسافة بينكم وبين الجنّة أو النار، فما أسرع أن تروا أنفسكم فى الجنّة أو النار إذا حلّ الموت بناديكم. فالمؤمن الفطن ليقف على مدى قصر هذه المسافة ويراها على ضوء الآية القرآنية: «إِقْتَرَبَتِ السّاعَةُ وَانْشَقَّ القَمَرُ»،[۳۴] خاطفة من حيث الزمان، كما يراها كذلك على مستوى المكان على ضوء الآية الشريفة: «إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً* وَنَراهُ قَرِيباً»[۳۵] وبالطبع فالآية إشارة إلى القيامة الصغرى لا الكبرى وتفسير ذلك أنّ للإنسان قيامتان: ۱- القيامة الكبرى التى يحشر فيها جميع الأولين والآخرين ليحاسبوا على أعمالهم. فالمحسنون إلى الجنّة والآثمون إلى النار. ۲- القيامة الصغرى

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۸

التى تحل بالفرد عند موته فتنقطع علاقته بالدنيا وتغلق صحيفة أعماله فتكون حفرة قبره روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النار. فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال

«إنّ للقبر كلاماً فى كلّ يوم يقول: أنا بيت الغربة ... أنا روضةٌ من رياض الجنّة أو حفرةٌ من حفر النّار»[۳۶]

. طبعاً يراد بهذه الجنّة والنار الجنة والنار البرزخية لا جنّة القيامة ونارها. على كل حال فانّ الإمام عليه السلام تحدث عن قرب القيامة وسرعة ثوابها وعقابها وإن رآها عبيد الدنيا بعيدة ثم قال عليه السلام:

«و إنّ غايةً تنقصها اللّحظة، وتهدمها السّاعة، لجديرةٌ بقصر المدّة»

والمراد بالغاية هنا عمر الإنسان أو إختتام هذا العمر حيث يأخذ بالتناقص كل يوم، ويتحطم ركن منه بمرور كل ساعة ولحظة، فالعمر ليس سوى هذه الساعات واللحظات وهى الحقيقة التى أشار إليها القرآن الكريم بقوله: «وَالعَصْرِ* إِنَّ الإِنْسانَ لَفِى خُسْرٍ»، كما أشار إليها الإمام عليه السلام بقوله: «إنّ الْإنْسان لفى خسْرٍ»[۳۷]. ومن العجب العجاب أن تسأل أحدهم عن قيمة عمره فلا تراه مستعداً لاستبداله بأى شى بينما يقضى أغلب أوقاته لاهياً عابثاً دون أن يحترم الوقت، والحال ليس العمر سوى هذه الأوقات. ولا بأس هنا بذكر هذه الطريفة التى أوردها المحقق النراقى أحد كبار الفقهاء فى كتابه الفكاهى الواعظ طاقديس الذى ذكر فيه تلك المواعظ على هيئة الشعر. فقال أن طراراً ذهب إلى بقال وسأله ما ثمن الجوز؟ قال: كل ألف جوزة بعشرة دراهم. سأل: فما ثمن المئة؟ قال: درهم واحد. سأل: ما ثمن العشرة؟ قال: عشر الدرهم. حتى سأله عن ثمن الجوزة الواحدة. فقال: لا قيمة لها. قال الطرار: فان كان

كـذلك فاعطنى واحـدة. فأعطاه. ثم عاد وطلب واحـدة. فاعطاه ثم عاد ثالثة وسأله واحدة. وهنا إلتفت إليه البقال وسأله: من أين أنت؟ أجاب: من بلـدة فلان. فقال: أيها الماكر، إذهب واخدع غيرى (أتريد أن تقتنى متاعى بالمكر والخداع) وهكذا يقوم بعض الجهال من أهل الغفلـة بهـدم ساعات عمرهم ولحظاته بالمكر والخـداع وبالطبع فهم لايخدعون سوى أنفسـهم فيضـيعون هذا العمر الذى لا تعدله قيمة. ثم قال عليه السلام:

«و إنّ غائباً يحدوه‌الجديدان: اللّيل والنّهار،

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢٩

لحرىٌّ بسرعة الْأوْبة»[٣٨]

والمراد بالغـائب هنا الأجل، وكأنّه الناقـة السـريعة الجادة فى الحركـة حيث يجـدبها الجديـدان الليل والنهار وهما بمثابـة الراعى الـذى يحـدوها إلى الحركـة، ومن الطبيعى أن هـذه الناقـة- الأجل- سـتصل بسـرعة إلى هـذا الإنسان، أمّا التعبير بالجديدين عن الليل والنهار وذلك لتجددهما على الدوام واسـتبدال أحدهما بألآخر، والتعبير بالاوبة التى تعنى الرجوع، واستنادا إلى القرآن الكريم والأدلة الحسية واليقينية فى أن الإنسان كان فى البداية مادة خالية من الحياة، ثم دبت فيه هذه الحياة، وأخيراً سيعود إلى ما كان حين الموت، ثم يبعث وتدب فيه الحياة من جديد باذن اللّه: «كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَكُنْتُمْ أمْواتاً فَأَحْياكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إلَيْهِ تُرْجَعُونَ»[٣٩] وقد ورد هذا المعنى فى قصار حكم نهج‌البلاغة

«إذا كنت فى إدبارٍ والموت فى إقبالٍ فما أسرع الملتقى»[٤٠]

. هذا وقد فسر بعض شرّاح نهج‌البلاغة الغائب فى العبارة بالإنسان لأنّه غاب عن وطنه ومنزله الأصلى الآخرة والتى يجب عليه الرجوع إليها، والليل والنهار يسوقانه سريعاً إلى ذلك المنزل. ويبدو أنّ هذا التفسير ينسجم والقول: «إِنّا لِلَّهِ وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ»[٤١] وما ورد فى وصية أميرالمؤمنين عليه السلام لولده الحسن:

«و اعلم يا بنىّ أنّ من كانت مطيّته اللّيل والنّهار، فإنّه يساربه وإن كان واقفاً، ويقطع المسافة وإن كان مقيماً وادعاً»[٤٢]

. الّا أنّ الـذى يبعـد هـذا التفسير هو عدم خلوه من التكلف فى تفسـير الغائب بالإنسان، أمّا تفسيره بالأجل يبدوا أقرب وأنسب ثم قال عليه السلام:

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٣٠

«و إنّ قادماً يقدم بالفوز أو الشّقوة لمستحقٌّ لِأفضلِ العدّةِ»

ومن الواضـح أنّ المراد بالقادم هنا الإنسان الذى ينطلق فى حركته من الدنيا إلى الآخرة ولا يحمل سوى السـعادة أو الشـقاء، فما أحراه أن يتزود بخير العـدة وأفضل الزاد ليفوز بسـعادة تلك الدار. وذهب بعض الشـرّاح إلى أنّ المراد بالقادم هنا الموت وأجل الإنسان وانّه يرد بالسـعادة أو الشقاء، فعليه أن يتأهب كأفضل ما ينبغى له ليفوز بالسعادة. ويرجح هذا التفسير على سابقه لأنّه ينسجم ومفهوم العبارة السابقة

«و إنّ غائباً ...»

والمراد بأفضل العدّة التقوى، التى أشار إليها القرآن بفضـلها خير الزاد «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوى [٤٣]. ومن هنا خلص الإمام عليه السلام إلى هذه النتيجة

«فتزوّدوا فى الدّنيا من الدّنيا ما تحرزون به أنفسكم غداً»

فى إشارة إلى أنّ ما فى الـدنيا يمكنه أن يكون تلك المعنويـة فى الآخرة، وهل المعنويات هناك سوى الاعمال الصالحـة هنا والتقوى والورع الـتى عـدت خير الزاد، فكمـا أنّ الزاد الـدنيوى يقى المسـافر من خطرات الموت والجوع وآفـات السـفر، فكـذلك زاد التقوى بالنسبة للاخرة وهذا ما ورد التأكيد عليه فى الروايات، فقد جاء فى الحديث أنّ علياً عليه السلام قال:

«التّقوى حرزٌ لمن عمل بها»[۴۴]

وقال فى موضع آخر:

«التّقوى حصنٌ حصينٌ لمن لجأ إليها»[۴۵]

وقال:

«إلجأوا إلى التّقوى فإنّه جنّةٌ منيعةٌ»[۴۶].

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٣١

القسم الثالث: الإنسان والغفلة

اشارة

«فاتَّقى عَبْدٌ رَبَّهُ، نَصِحَ نَفْسَهُ، وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ، وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ، فَإِنَّ أَجَلَهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ، وَأَمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ، وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ، يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبها، وَيُمَنِّيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَها، إذا هَجَمَتْ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ ما يَكُونُ عَنْها؛ فَيا لَها حَسْرَةً عَلَى كُلِّ ذِى غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً وَأَنْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى الشِّقْوَةِ! نَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحانَهُ أَنْ يَجْعَلَنا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ وَلا تُقَصِّرُ تقتصروا بِهِ عَنْ طاعَةِ رَبِّهِ غايَةٌ وَلا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدامَةٌ وَلا كَآبَةٌ».

الشرح والتفسير

قال الإمام عليه السلام مستهلا قوله بفاء التفريع كنتيجة لما سبق:

«فاتّقى عبدٌ ربّه، نصح نفسه، وقدّم توبته، وغلب شهوته»[۴۷]

فقد أوصى عليه السلام بالتقوى كتوضيح لقوله عليه السلام:

«فتزوّدوا فى الدّنيا»؛

لأنّها خير الزاد إلى المعاد، ثم خاض فى التفاصيل بثلاث عبارات: الاولى نصح النفس ومن ثم التوبة وأخيرا غلبة الشهوة والتى تمثل بمجموعها وصفة كاملة لسعادة البشرية؛ البشرية التى قد تغفل عن نصح نفسها ولا تفكر فى التوبة وتدارك ما فرط منها؛ الأمر الذى يجعلها أسيرة أهوائها وشهواتها. ثم تطرق عليه السلام إلى موضوع يمثل الدليل على ما ورد سابقاً

«فإنّ أجله مستورٌ عنه، وأمله خادعٌ له، والشّيطان موكّلٌ به، يزيّن له المعصية ليركبها، يمنّيه

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٣٢

التّوبة ليسوّفها[۴۸] إذا هجمت منيّته عليه أغفل ما يكون عنها»

واستناد إلى أنّ جملة

«أغفل ما يكون عنها»

حالية فمفهوم العبارة هو أنّ مثل هذا الإنسان الأسير للشهوات والوساوس الشيطانية يكون فى أشد مراحل الغفلة إذا هجم عليه الموت، فان فتح عينه وأفاق إلى نفسه لايرى أمامه إلّاالأجل وقد سبق السيف العذل. كما يحتمل إلّاتكون إذا شرطية فى العبارة وتفيد المفاجئة والمباغتة، فيكون مفهوم العبارة

«يباغته الموت، وهو فى أشد حالات الغفلة»

وبالطبع فانّ نتيجة كلا التعبيرين واحدة وهى حلول الموت دون الاستعداد له. ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه قائلًا:

«فيالها حسرةً على كلّ ذى غفلةٍ أن يكون عمره عليه حجّةً، وأن تؤدّيه أيّامه إلى الشّقوة!»

. أجل ليس هناك رأس مال أعظم من ساعات عمر الإنسان وأيامه، فلعل ساعة من الساعات تقود الإنسان إلى ذروة الكمال والعظمة والمجد فيخرج الإنسان فيها على غرار الحربن يزيد الرياحى من زمرة الأشقياء ليلتحق بصفوف الصالحين والشهداء. أو يغتنم لحظة فيسدد ضربة موجعة لجسد الكفر بحيث يكون ثوابها أفضل من عبادة الثقلين، (كما صرح بذلك رسولاللّه صلى الله عليه و آله بشأن ضربة على عليه السلام يوم الخندق)، أو يبيت ليلة على فراش ليكسب تجارة عظيمة الربح والفائدة، كالليلة التى بات فيها أميرالمؤمنين على عليه السلام على فراش رسولاللّه صلى الله عليه و آله ليلة الهجرة. فلو غفل الإنسان عن قيمة هذه الساعات وا للحظات فى حياته ولم يستشمرها بما يعادلها، أفلا يدعو ذلك إلى الاسى والحزن، ومن هنا أعرب الإمام عليه السلام عن أسفه وعمق حسرته على مثل هذا الإنسان وأخيراً يختتم الإمام عليه السلام خطبته بهذا الدعاء العظيم:

«نسأل اللّه سبحانه أن يجعلنا وإيّاكم ممّن لَاتبطره ۴۹] نعمَةٌ وَلَا تقَصّر به عن طاعة ربّه غايةٌ، ولَاتَحلّ به بَعدَ المَوت نَدَامَةٌ وَلَا كَآبَةٌ[۵۰]».

فالإمام عليه السلام يعلم الجميع ثلاثة دروس بهذه العبارت التى أوردها بصيغة الدعاء: الأول

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۳

الحذر من الغرور والسكر عند النعمة، الثانى الحذر من الأهداف المادية التى تصد عن طاعة اللّه والثالث التحذير من عدم التزود للآخرة والشعور بالندم والخيبة والخسران حين حلول الأجل.

تأمّلات

۱- فلسفة خفاء الموت

لقد أشارت الخطبة إلى أحد الأسرار المهمّة للخلق والذى يكمن فى خفاء الموت

«فإنّ أجله مستورٌ عنه»؛

فلا أحد يعلم هل سيبقى حياً إلى ساعة أخرى أم سيموت؟ فهو اليوم مخبر وغدا يخبر عنه، وهو اليوم فى مجلس عزاء صاحبه، وغدا صحبه فى مجلس العزاء الذى يقام على روحه. وممّا لاشك فيه أنّ عمر الإنسان إذا إتضح لصاحبه جرماً لايخفى من المفاسد؛ الأمر الذى أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام فى توحيد مفضل المعروف: تأمل الان يا مفضل ماسترى الإنسان علمه عن مدة حياته فانّه لو عرف مقدار عمره وكان قصير العمر لم يتهنأ بالعيش مع ترقب الموت وتوقعه لوقت قد عرفه، بل كان يكون بمنزلة من قد فنى ماله أو قارب الفناء فقد استشعر الفقر والوجل من فناء ماله وخوف الفقر، على أنّ الذى يدخل على الإنسان من فناء العمر أعظم مما يدخل عليه من فناء المال لأنّ من يقل ماله يأمل أن يستخلف منه فيسكن إلى ذلك، ومن أيقن بفناء العمر إستحكم عليه اليأس وإن كان طويل العمر ثم عرف ذلك وثق بالبقاء وانهمك فى اللذات والمعاصى وعل على أنّه يبلغ من ذلك شهوته ثم يتوب فى آخر عمره، وهذا مذهب لا يرضاه اللّه من عباده ولا يقبله (ومن هنا حجب الإنسان عن معرفة العمر ليعيش دائما بين الخوف والرجاء).[۵۱]

۲- الاغترار بالامانى

أشار الإمام عليه السلام فى الخطبة إلى الآمال والاغترار بها فقال عليه السلام:

«و أمله خادعٌ له».

والسؤال

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۴

الذى يطرح نفسه هنا: لماذا وكيف تخدع المال الإنسان فيعيش أفضل ساعات عمره فى الوهم والخيال الفارغ؟ ونقول فى الجواب أنّ

دائرة الآمال لیست محدودة قط، فالکثیر یعتقد أنّه سینام مطمئن البال من ناحیة السکن علی الدوام إذا ما حصل علی دار متواضعة، فلا تمر علیه مدّة حتی یراها صغیرة ضیقة، فاذا إنتقل إلی دار أوسع رآها هی الاخری لا تتناسب وشأنه، بل هنالک الکثیر من الأفراد الذین یمتلکون القصور ولم تظمأ جذوة عطشهم المتقدة دائما فما زالوا یطمحون إلی قصر أفخم وأعظم. وزبدة الکلام فلو اعطی الإنسان جبلین من ذهب لابتغی لهما ثالثاً. وبالطبع لا تقتصر هذه الامال علی مجال دون آخر، بل هی عامة وشاملة لا تدع صاحبها یستریح ولو لبرهة فتهدر جمیع طاقاته وتبدد قواه وتشدها إلیه، والحال لیست هذه الآمال سوی خیالات موهومة کاذبة والتی وصفها الإمام علیه السلام بالخادعة.

۳- تزیین الشیطان

من النقاط المهمة التی أشارت إلیها الخطبة تزیین الشیطان للذنوب والمعاصی، وهذا ما نوه إلیه القرآن الکریم فی الآیة الثالثة والاربعین من سورة الانعام بشأن الامم السابقة: «وَلکِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَیَّنَ لَهُمُ الشَّیْطانُ ما کانُوا یَعْمَلُونَ»[۵۲]. کما ورد فی سورة الحجر علی لسان الشیطان حین لعنه اللّه وطرده من رحمته وتصدی لمعاداة بنی آدم وإغوائهم: «لَأُزَیِّنَنَّ لَهُم فِی الأَرضِ وَلَأُغْوِیَنَّهُمْ أَجْمَعِینَ* إِلّا عِبادَکَ مِنْهُمُ الُمخْلَصِینَ»[۵۳]. ویحصل هذا التزیین الشیطانی الباطل والوسوسة لمقارفة اللذات واضفاء طابع الحلاوة علی بعض الخطایا وهنا یبدأ إمتحان الإنسان فی کیفیة التعامل مع هذه الملذات العابرة التی تنتهی لذتها وتبقی تبعتها.

وهنا یبرز هذا السؤال وهو أنّ بعض الآیات القرآنیة نسبت إلی اللّه تزیین هذه الأعمال، فکیف التوفیق بین هذه الآیات وتلک التی ذکرت سابقا؟ یتضح الجواب علی هذا السؤال من الآیة الرابعة من سورة النمل التی قالت: «إنّ الّذین لایؤمنون بالآخرة زیّنا لهم أعمالهم فهمیع مهون». فالآیة تشیر إلی أنّ هذا التزیین الإلهی یمثل نوعاً من العقاب لُاولئک الأفراد

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۳۵

المنحرفین المجانبین للإیمان، وبعبارة أخری فان أعمالهم کانت مدعاة لأن یترکهم اللّه لیقعوا فی مخالب الشیطان فلایولیهم دعمه وإسناده. وبناءاً علی ذلک فانّ الطائفتین من الآیات تشیران إلی حقیقة واحدة، ولعل هذا هو المعنی الذی أشار إلیه الإمام علیه السلام بقوله:

«و الشّیطان موکّلٌ به، یزیّن له المعصیة لیرکبها».

۴- عمر الإنسان حجّة علیه

حجّیة العمر واحدة من الامور التی أشارت إلیها خطبة الإمام علیه السلام. فکیف یکون عمر الإنسان حجّة علیه؟ یبدو أنّ اللّه سبحانه وتعالی یلقن الإنسان طیلة عمره مجموعة کافیة من العبر والدروس والحوادث التی تثیر لدیه حس الوعی والیقظة، إلی جانب الوصایا والتعالیم التی یحملها إلیه أنبیاء اللّه وأوصیائهم. ومن هنا صرح القرآن الکریم بأنّ أصحاب النار حین یصطرخون إلی اللّه بأخراجهم من النار لیعملوا صالحاً:

«وهم یصطرخون فیها ربّنا أخرجنا نعمل صالحاً غیر الذی کنّا نعمل»

یخاطبون: «أَوَ لَمْ نُعَمِّرْکُمْ ما یَتَذَکَّرُ فِیهِ مَنْ تَذَکَّرَ وَجاءَکُمُ النَّذِیرُ».[۵۴]

۵- سکر النعم

المسألة الأخیرة التی تعرضت لها الخطبة، هی تلک الظاهرة التی تعتری بعض الأفراد الضحلین من جراء وفور النعمة والتی عبرت عنها

الخطبة بالبطر؛ الأمر الذى أشار إليه القرآن فى الآية السابعة والأربعين من سورة الانفال: «وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَراً وَرِئاءَ النّاسِ» وكما ذكرنا آنفا فان المراد بالبطر هنا طغيان الإنسان إثر وفور النعم بما يجعله يهتك حجاب الورع والتقوى وطاعة الحق سبحانه، وهى الحالة التى غالباً ما يعيشها الأفراد من أصحاب النعمة البعيدين عن معانى الإيمان والاتزان فى الشخصية؛ فيعيش حالة من الغرور والسكر بما يجعل من المتعذر عليه السيطرة على نفسه والحد من طغيانها وجماحها،

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۶

وهذا ما يؤدى به فى خاتمة المطاف إلى الذلة والهوان، ومن هنا جاء فى الحديث عن الإمام على عليه السلام انّه قال:

«ينبغى للعاقل أن يحترز من سكر المال وسكر القدرة وسكر العلم وسكر المدح وسكر الشّباب»

ثم يختتم هذا الحديث بقوله:

«فإنّ لكلّ ذلك رياحاً خبيثةً تسلب العقل وتستخّف الوقار»[۵۵]

. نعم سكر هذه الامور أثقل من سكر الخمرة وأصعب إفاقة منه، فسكر الخمرة قد لايستغرق أكثر من ليلة، بينما قد يمتد سكر الامور الآنفة الذكر طيلة عمر الإنسان.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۷

الخطبة[۵۶] الخامسة و الستون

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

وفيها مباحث لطيفة من العلم الإلهى

نظرة إلى الخطبة

لما كان ذكر اللّه والتوجه إلى اللّه بأسمائه وصفاته يلهم الإنسان القوة والصمود ويدعوه إلى ممارسة مسؤوليته فى جهاد العدو، فأنّ الإمام عليه السلام لاينفك قبل القتال وخلاله من توجيه الامّة نحو اللّه وصفاته الجلالية والجمالية، ومن ذلك هذه الخطبة التى خطبها الإمام عليه السلام على أعتاب قتاله لمعاوية ورهطه من أهل الشام، والتى يذكر فيها صفات اللّه عامة ولا سيما بشأن العلم والقدرة بهدف تفعيل قوة الامّة وتعبئة طاقاتها فى ظل الالتفات إلى هذه الصفات.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۹

القسم الأول: الحمد والثناء

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَمْ تَسْبِقْ لَهُ حالٌ حالًا، فَيَكُونَ أَوَّلًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ آخِراً، يَكُونَ ظاهِراً قَبْلَ أَنْ يَكُونَ باطِناً، كُلُّ مُسَمًّى بِالْوَحْدَةِ غَيْرَهُ قَلِيلٌ، وَكُلُّ عَزِيزٍ غَيْرَهُ ذَلِيلٌ، وَكُلُّ قَوِيٍّ غَيْرَهُ ضَعِيفٌ، وَكُلُّ مالِكٍ غَيْرَهُ مَمْلُوكٌ، وَكُلُّ عالِمٍ غَيْرَهُ مُتَعَلِّمٌ، وَكُلُّ قادِرٍ غَيْرَهُ يَقْدِرُ وَيَعْجَزُ، وَكُلُّ سَمِيعٍ غَيْرَهُ يَصَمُّ عَنْ لَطِيفِ الْأَصْواتِ، وَيُصِمُّهُ كَبِيرُها، وَيَذْهَبُ عَنْهُ ما بَعُدَ مِنْها، وَكُلُّ بَصِيرٍ غَيْرَهُ يَعْمَى عَنْ خَفِيِّ الْأَلْوانِ وَلَطِيفِ الْأَجْسامِ، وَكُلُّ ظاهِرٍ غَيْرَهُ باطِنٌ، وَكُلُّ باطِنٍ غَيْرَهُ غَيْرُ ظاهِرٍ».

الشرح والتفسير

لابدّ من الالتفات إلى مسألة فى بحث الصفات حيث تقود الغفلة عنها إلى الغواية والضلال وهى أنّ صفات جمال اللّه وجلاله ليست

لها أى شبه بصفات المخلوقات. فمن صفاته العلم والقدرة إلّاأنها ليست من قبيل علمنا وقدرتنا، إنّه سميع وبصير ولكن ليس كسمعنا وبصرنا، وذلك لأنّ ذاته لامتناهية من جميع الجهات وهى تفوق الجسم والعوارض الجسمانية، ومن هنا تطالعنا الاعاجيب حين نرد بحث الصفات الربوبية، ومن ذلك على سبيل المثال أنّ الصفات المتضادة فى عالم المخلوقات، تكون إلى جانب بعضها البعض الاخر فى العالم الربوبى. فالأول فى عالم المخلوقات مثلًا ليس آخر، والآخر ليس أول، والظاهر ليس باطن، والباطن ليس ظاهر، بينما تتصف الذات الإلهية المقدسة بأنّها ظاهرة وباطنة وأولى وآخرة. أضف إلى ذلك فالصفات فى عالم المخلوقات تظهر الواحدة بعد الاخرى بالتدريج ثم تتبلور وتتكامل، أمّا الصفات

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۴۰

الإلهية فلا تعرف المسيرة التدريجية ولا التقدم والتأخر. فقد إستهل عليه السلام الخطبة بالإشارة إلى هذا الأمر

«الحمدللّه الّذى لم تسبق له حالٌ حالًا، فيكون أوّلًا قبل أن يكون آخراً، ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً»

ومن هنا فليس هنا لك من وجود قبله ولا بعده، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم: «هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظّاهِرُ وَالباطِنُ»،[۵۷] كما قال: «لا إِلهَ إِلّا هُوَ كُلُّ شَىءٍ هالِكٌ إِلّا وَجْهَهُ»[۵۸]. فالحق أنّ الوجود الأزلى والأبدى ليس له من أول ولا آخر، ولا يعنى نعته بالأول والآخر سوى أنّ جميع المخلوقات متوقفة فى وجودها عليه سواء فى بداية ظهورها أو فى إستمرار حياتها. أمّا وصفه بالظاهر والباطن فيعنى أنّ أصل وجوده وصفاته أظهر من كل شيئ، وذلك لأنّ الأدلة على وجوده وصفاته تصل إلى عدد النجوم والكواكب والكائنات الحية وأوراق الأشجار وحصى الصحارى، بل بعدد ذرات العالم التى يعجز عن علمها وتصورها أحد غيره؛ ولكن لما كانت الذات الإلهية لامتناهية ولا يسع أحد تصورها كما هى:

«لاستحالة احاطة المحدود باللامحدود»

فانّ هذه الذات خفية على جميع الناس بما فيهم الأنبياء والأوصياء والأولياء، وحيث إنّ الناس يتعرفون بادئ ذى بدء على آثاره فى دائرة الوجود ثم يلتفتون إلى ذاته المقدسة فانّه يمكن القول: إنّه ظاهر قبل أن يكون باطن، وحسب تعبير بعض الفلاسفة المسلمين:

«خفاؤه لشدّة ظهوره»

. أوليست الشمس التى تمثل إحدى مخلوقاته خفية لشدّة ظهورها؟ وهل من السهل على الإنسان النظر إلى قرص الشمس. ثم إنتقل الإمام عليه السلام إلى المقارنة بين عشر من صفات الكمال والجمال مع شبيهاتها لدى المخلوقات ليثبت عمق الفارق بينها وأنّ حقيقة الكمال مقتصرة على ذاته، وكل ما سواه رصيده العيب والنقص فقال عليه السلام:

«كل مسمى بالوحدة غير قليل»

فالعبارة اشارة إلى نقطة مهمّة وظريفة فى باب توحيد الصفات والذات، لأنّ وحدته تفيد كون ذاته وصفاته لامتناهية، وتعنى عدم وجود الند والشبيه، أمّا الوحدة فى المخلوقات فهى وحدة عددية وتطلق فى مقابل الكثرة، وبالطبع فانّ هذه الوحدة تفيد القلة، بينما تشير وحدته إلى عظم وجوده الذى يتجاوز حدود الزمان والمكان وفى تفس الوقت هو فى كل زمان ومكان، وهذا ما

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۴۱

أشارت إليه الخطبة من أنّ أوصافه غير أوصاف مخلوقاته، فاذا كانت الوحدة بالنسبة للمخلوقات تفيد القلة، فهى تفيد الكثرة والعظمة بالنسبة للّه. فقد جاء فى توحيد الصدوق:

إنّ إعرابياً قام يوم الجمل إلى أميرالمؤمنين عليه السلام فقال: يا أميرالمؤمنين أتقول إنّ اللّه واحد؟ قال فحمل الناس عليه وقالوا: يا أعرابى أما ترى ما فيه أميرالمؤمنين من تقسم القلب؟ فقال أميرالمؤمنين عليه السلام دعوه فانّ الذى يريده الأعرابى هو الذى نريده من القوم، ثم قال:

يا أعرابى إن القول فى أنّ اللّه واحد على أربعة أقسام، فوجهان منها لا يجوزان على اللّه عزوجل، ووجهان يثبتان فيه، فأمّا اللذان

لایجوزان علیه فقول القائل: واحد یقصد به باب الاعداد فهذا ما لایجوز، لأنّ مالا ثانی له لایدخل فی باب الأعدد أمّا تری أنّه کفر من قال ثالث ثلاثـة، وقول القائل هو واحد من الناس یرید به النوع من الجنس فهذا ما لا یجوز لأنّه تشبیه وجلّ ربّنا وتعالی عن ذلک وأما الوجهان اللذان یثبتان فیه فقول القائل: هو واحد لیس له فی الأشیاء شبه کذلک ربّنا،[۵۹]

وقول القائـل: إنّه عزّوجلّ أحـدی المعنی یعنی به أنّه لاینقسم فی وجود ولا عقل ولاوهم کـذلک ربّنا عزّوجلّ ثم قال علیه السـلام فی بیان الصفة الثانیة:

«وکل عزیز غیره ذلیل»

فالعزّة سواء کانت بمعنی القـدرة القاهرة أو الحرمـة والعظمـة فهی لا تلیق سوی بذاته المقدسة، ولأنّ غیره من الملوک وإن کان عزیزاً فهو ذلیل فی قبضـة قوانین عالم الخلقـة والقضاء والقـدر، أضف إلی ذلک فالجمیع محتاج إلی الذات الإلهیة، کما أنّ عزته ذاتیة وعزة من سواه عرضـیة متوقفـة علی تلک الـذات، ومن هنا فلیس لأحـد من الموجودات إمکانیة الوقوف أمام هذه العزة، ولکل عزته بمقدار قربه من تلـک العزة المطلقـة؛ الأـمر الـذی أشـار إلیه القرآن الکریم بـالقول: «أَیَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ العِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِیعـاً»[۶۰]، والآیة العاشرة من سورة فاطر: «مَنْ کانَ یُرِیدُ العِزَّةَ فَلِلّهِ العِزَّةُ جَمِیعاً». ثم قال فی الصفة الثالثة:

«وکل قوی غیره ضعیف»

لأنّ القوة فی عالم المخلوقات نسبیـة؛ فکل کائن قوی إذا ما قورن بمن دونه وضـعیف بالنسـبة لمن فوقه، وهکذا الأمر حتی ننتهی إلی الذات المقدسة، فهناک القوة اللامتناهیة التی

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۴۲

لایتصور قوة أعظم منهـا لتقـارن بهـا. ومن هنا فان أقوی الأفراد قـد یهزم أمام أضـعف ا لمخلوقات من قبیل الذبابـة أو النملـة أو حتی المکروب الـذی تصـعب مشاهـدته بـالعین المجردة بحیث یمرض الإنسان بمرض یعیی الأطباء عن علاجه، وعلیه فوصف ما سوی اللّه بالقوة إنّما هو وصف مجازی والقوی بالمعنی الحقیقی هو اللّه. وهذا ما أکدته الآیة ۱۶۵ من سورة البقرة:

«أَنَّ القُوَّةَ لِلّهِ جَمِیعاً» وقال فی الصفة الرابعة:

«وکل مالک غیره مملوک»

لأنّ الملکیـة الحقیقـة تنبع من الخلقـة؛ فالمالک الحقیقی من خلق کافة الکائنات التی لا تحتاج إلیه فی بدایة خلقها فحسب، بل تحتاج إلیه فی بقائها واستمرار حیاتها. ومن هنا فان ملکیـة غیر اللّه اعتباریـة ومجازیة، وبعبارة اخری: إذا ملکنا شـیئاً فأنّ اللّه هو الذی ملکناه، وإلّا فلا یملک أحد حتی النبی الأکرم صـلی الله علیه و آله شیئاً، ومن هنا قال: «لا أَمْلِکُ لِنَفْسِی ضَرّاً وَلا نَفْعاً إلّا ما شاءَ اللّهُ»[۶۱]، کما صرحت الآیة ۶، من سورة آلعمران: «قُلِ اللّهُمَّ مالِکَ المُلْکِ تُؤْتِی المُلْکَ مَنْ تَشاءُ وَتَنْزِعُ المُلْکَ مِمَّنْ تَشاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ بِیَدِکَ الخَیْرُ إِنَّکَ عَلی کُلِّ شَیءٍ قَدِیرٌ».

وقال فی الصفة الخامسة

«وکل عالم غیره متعلم»

لأنّ علمه سـبحانه ذاتی وهو الـذی یفیض العلوم علی النفوس، وعلیه فلم یسـبق بجهل لیعلم ولیس لعمله من حدود، بل علمه عین ذاته لامتنـاهی؛ بینما لکل ما سواه علم مبسوق بجهل. فلم یکن للإنسان علم حین لم یکن موجودا، فلم وجـد أودع اللّه فطرته بعض العلوم، کما حصل علی بعض العلوم أیضاً عن طریق الحس والتجربة، کما تعلم علی ید الآخرین، والأنواع الثلاثة تشکل نوعا من أنواع التعلم، وعلیه فجمیع العلماء- سوی اللّه- متعلمون، والذات الإلهیة فقط الموصوفة بالعلم الازلی اللامتناهی. القرآن الکریم من جنبه قال: «وَاللّهُ أَخْرَجَکُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِکُمْ لا تَعْلَمُونَ شَیْئاً وَجَعَلَ لَکُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ»[۶۲] وقال فی الصفة السادسة:

«وکل قادر غیره یقدر ویعجز»

ودليل ذلك عدم تناهي ذاته ومحدودية ماسواه، فلما كانت قدرته عين ذاته فهي مطلقة لامتناهية، أمّا غيره فقدرته محدودة مهما كان، وعليه فهو يقدر على بعض الأشياء ويعجز من غيرها، بل قد يقوى على القيام بأمر في ظروف ويعجز عن

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۴۳

القيام به في اخرى ومن هنا نقف على زيف المغالطة التي تتساءل إذا كانت قدرة اللَّه مطلقة إلى هذا الحد فهل يسعه أن يحصر هذا العالم في بيضة دون أن يصغر شئ من العالم أو تكبر البيضة، فالسؤال خاطئ، لأنّ مفهومه هل يستطيع اللَّه أن يكبر الدنيا وتكون البيضة بهذا الحجم ويكبرها لتسع الدنيا، بعبارة اخرى كأن السؤال هل أنّ اللَّه قادر على أن يصغر الدنيا ولا يصغرها في نفس الوقت ويجعل البيضة بقدر الدنيا وفي نفس الوقت لايجعلها كذلك؟ ومن الطبيعي ألا يكون هناك جواباً للسؤال الخاطئ. ويبدو أنّ مثل هذا السؤال قد طرح على أميرالمؤمنين عليه السلام:

«هل يقدر ربّك أن يدخل الدّنيا في بيضةٍ من غير أن تصغر الدّنيا أو تكبر البيضة؟ فقال عليه السلام: إنّ اللّه تبارك وتعالى لا ينسب إلى العجز والّذي ذكرت لايكون»[۶۳]

وزبدة الكلام فانّ قدرة اللَّه ذاتية وغير محدودة وأزلية وأبدية، وكل مالغيره منه، وليس له من قدرة سوى ما يفيضها عليه.

وقال في الصفة السابعة:

«و كلّ سميعٍ غيره، يصّمّ عن لطيف الْأصْوات ويصمّه كبيرها، ويذهب عنه ما بعد منها»

فالسمع لدى الإنسان إنّما يحصل عن طريق إنتقال الأمواج والذبذبات بواسطة الاذن الخارجية والداخلية والصيوان وطبلة الاذان وسائر أعضائها، ولما كانت هذه الأعضاء محدودة، فانّ سمعه هو الآخر محدود لايسعه إلتقاط كافة الأصوات، وكما صرح بعض العلماء من ذوي الاختصاص بان الاذن لايسعها سماع سوى الاصوات التي تتراوح أطوالها الموجية بي ستة عشر إلى عشرين ألف ذبذبة في الثانية، أي لايسع الإنسان إدراك ما قلّ عن ست عشرة ذبذبة في الثانية، كما لا يسعه إدراك ما تجاوز العشرين الف ذبذبة في الثانية. طبعاً هذه الذبذبات ليست واحدة لدى جميع الكائنات، فهناك بعض الحيوانات التي لها سمع يفوق نيره لدى الإنسان، فهي تسمع حتى الأصوات ذات الأطوال الموجية الأقصر، مع ذلك لايسعها سماع جميع الأصوات. أضف إلى ما تقدم فانّ الأطوال الموجبة إذا بلغت حدا فانّها قد تشق غشاء الاذان وتقضي على حس السمع لديه،

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۴۴

ومن هنا نرى بعض العسكريين يضعون أصابعهم في آذنهم ويبتعدون عن الأماكن التي يفجرون فيها الأسلحة حذراً على سمعهم. وأخيراً فانّ سمع الإنسان يضعف كلما إبتعد عن مصدر الصوت مهما كان عظيماً، ومن هنا يوصف السمع بالعجز، فالواقع هنالك ما لايحصى من الاصوات التي تحيط بنا إلّاأنا نعجز عن سماعها. أمّا سمع الحق سبحانه فلايحتاج إلى واسطة ووسيلة، وسمعه جزء من علمه، أي أنّه عليم بجميع الأصوات، فلا يحجزه سمع صوت عن آخر، ولا يؤذيه صوت ولايبتعد عنه آخر، وكلها لديه على السواء: «قالَ رَبِّى يَعْلَمُ القَوْلَ فِى السَّماءِ وَالأَرضِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ»[۶۴]. وقال في الصفة الثامنة:

«و كلّ بصيرٍ غيره يعمى عن خفّي الالوان ولطيف الاجسام»

فالباصرة لدى الإنسان وسائر الكائنات تحصل بواسطة العين التي تتشكل من عدّة طبقات لكل منها وظيفة خاصة من قبيل الشبكية والقزحية والبؤبوء التي تتعاضد جميعاً لرؤية الصور في الخارج، مع ذلك فهناك أنواع من الاشعة التي يتعذر على العين رؤيتها، ناهيك عن إنعدام الرؤية لديها في الظلام، في حين لايخفى على اللَّه شئ وهو محيط بجميع الأشياء «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ»[۶۵] فالسمع والبصر الحقيقي إنّما يختص بالذات الإلهية المقدسة وقال في الصفتين الأخيرتين:

«و كلّ ظاهرٍ غيره باطنٌ، وكلّ باطنٍ غيره غير ظاهرٍ»

وهذه الصفات تستند في الواقع إلى ذاته اللامتناهية ومحدودية ذوات ما سواه، فلما كانت ذاته القدسية لامتناهية فان آثاره شملت

جمیع عـالم الوجود وسـاد ظهوره المطلق كـل زمـان ومكان، أمّا سائر الكائنات فمهما كان لها من ظهور فهو محـدود، ومن هنا يمكن القول بأنّهـا توصف بـالظهور والخفاء، فهناك الكواكب والمجرات التى تفوق بحجمها الشـمس وتفوقها نوراً وضوءاً، إلا أنا لانرى لها أى أثر، والعكس صـحيح فاذا تجاوزنا قليلًا دائرة المنظومـة الشمسـية لبـدت لنا الشـمس باهتة حتى تنعدم بالمرة إضافة إلى ذلك، فانّ كل هناك من ظهور لشـىء- مهما كان نسبياً ومحـدوداً- فان ذلك ببركـة وجود اللّه، وإلّا فجميع الممكنات مظلمـة وقاتمـة فى ذاتها، ونور اللّه هو الذى يمنحها هذا الظهور، هو بالضبط كذرات الغبار المعلقة فى الهواء المعدومة الرؤية إلّاأنّها تبدو للعيان وتظهر إذا ما

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۴۵

إخترقت أشعة الشمس ادنى ثقب فى الغرفة. أمّا ما قاله الإمام عليه السلام:

«وكل باطن غيره غير ظاهر»

إشارة إلى هـذه الحقيقـة وهى أنّ الذات الإلهية الخافية على جميع الكائنات بما فيها الأنبياء والأولياء والخارجة حتى عن حدود العقل، إلّاأنّ آثارها قـد سادت جميع الوجود بما جعلها ظاهرة، بينما تفتقر سائر الوجودات للظهور إذا كانت خافية باطنة، ولو كانت ظاهرة لما كانت باطنة، فالإنسان مثلًا ليس عارياً إذا كان مسـتوراً، كما أنّ العارى ليس مسـتوراً، والذات الإلهية فقط المسـتورة فى عريها والعارية فى سترها.[۶۶] وقد قال القرآن الكريم فى الآية الثالثة من سورة الحديد «هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظّاهِرُ وَالباطِنُ».

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۴۷

القسم الثانى: تجليات جلال اللّه وجماله

اشارة

«لَمْ يَخْلُقْ ما خَلَقَهُ لِتَشْدِيـدِ سُـلْطانٍ، وَلا تَخَوُّفٍ مِنْ عَواقِبِ زَمانٍ، وَلا اسْـتِعانَةٍ عَلَى نِدٍّ مُثاوِرٍ، وَلا شَـرِيكٍ مُكاثِرٍ، وَلا ضِدٍّ مُنافِرٍ، وَلَكِنْ خَلائِقُ مَرْبُوبُونَ، وَعِبادٌ داخِرُونَ، لَمْ يَحْلُلْ فِى الْأَشْياءِ فَيُقالَ: هُوَ كائِنٌ، وَلَمْ يَنْأَ عَنْها فَيُقالَ: هُوَ مِنْها بائِنٌ، لَمْ يَؤُدْهُ خَلْقُ ما ابْتَدَأَ، وَلا تَدْبِيرُ مَا ذَرَأَ وَلاـ وَقَفَ بِهِ عَجْزٌ عَمَّا خَلَقَ، وَلا وَلَجَتْ عَلَيْهِ شُبْهَةٌ فِيما قَضَـى وَقَـدَّرَ، بَلْ قَضاءٌ مُتْقَنٌ، عِلْمٌ مُحْكَمٌ، وَأَمْرٌ مُبْرَمٌ، الْمَأْمُولُ مَعَ النِّقَمِ الْمَرْهُوبُ مَعَ النِّعَمِ».

الشرح والتفسير

يواصل الإمام عليه السلام حديثه عن الصفات الإلهية ذات الأثر التربوى فى حياة الإنسان فقال عليه السلام

«لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطانٍ، ولا تخوّفٍ من عواقب زمانٍ، ولا استعانةٍ على ندٍّ[۶۷] مثاورٍ،[۶۸] ولا شريكٍ مكاثرٍ،[۶۹] ولا ضدٍّ منافرٍ[۷۰]»

، إننا غالباً ما نرتكب بعض الاخطاء بحق صـفات الجلال والكمال من جراء مقارنتنا للأشـياء بوجودنا وصـفاتنا وأفعالنا، فنعتقـد مثلًا بأنّ أفعال اللّه على غرار أفعالنا تهدف النفع وقضاء الحاجة، والحال أنّ وجوده مطلق

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۴۸

غنى من جميع الجهات ومن هنا كان جامعاً لجميع الكمالات وليس للنقص والحاجـة من سبيل إلى ذاته المقدسـة. وبناءاً على ما تقـدم فانّ أفعاله ليست من قبيل أفعالنا، ولما كان اللّه فاعلًا حكيماً، فانّ أفعاله منزهـة من العبث ولابـدّ من تحرى أهداف أفعاله خارج وجوده وبـالنظر إلى عباده. والوصف الـذى تضـمنته العبارة قـد أشار إلى هـذا الأمر، حيث ينفى عن أفعال الحق سـبحانه كافـة الأهـداف التى تسـتبطن رفع الحاجـة وا لنقص. فهـدفنا من أغلب أفعالنـا هو مضاعفـة قـدراتنا واستزادة قوتنـا، وأحيانا هـدفنا التحسب لبعض المساوئ والعقبات التى قـد تلوح فى آفاق مسـتقبلنا، وقـد يكون للهم بالغلبـة على من ينشدون ضـعفناً أو يهبون لمواجهتنا من نظرائنا، وقد يكن

الوقوف بوجه من ينافسنا من الأفراد الذين يعيشون من حولنا، وأخيراً فقد نهدف إلى ازالة بعض العقبات التى تعترض طريقنا، ومن هنا فان كافة أفعالنا إنّما تفرزها طبيعة مثل هذه الأهداف. أما الوصف الذى أورده الإمام عليه السلام بشأن اللَّه سبحانه إنّما يشير إلى أنّ أفعاله لا تستند لأى‌من هذه الأهداف. فليس هنالك من ضعف فى قدرة اللَّه ولا يخشى من أحداث المستقبل، وليس له من شبيه أو نظير يسعه منافسته، وليس له من يطمع فيه من شريك وأخيراً ليس هنالك من موانع أو عقبات تعترض طريقه، وليس لهذه الامور من سبيل إلى ذاته، بل وجودنا الناقص بالذات إنّما يصاب بهذه الامور. وهنا يبرز هذا السؤال وهو إذا كانت جميع هذه الامور منتفية على اللَّه سبحانه، فماهدفه من الخلقة؟ ورد الرد على هذا السؤال فى العبارة اللاحقة من الخطبة

«و لكن خلائق مربوبون، وعبادٌ داخرون»[٧١]

نعم فليس هدف اللَّه من الخلق تحقيق نفع، بل هدفه الجود على العباد؛ الأمر الذى أكده التعبير

«مربوبون»

فى العبارة الذى يعطى معنى التربية والتكامل، كما أشير إلى المعنى المذكور أيضاً بقوله

«عباد داخرون»

، وذلك لأنّ تكامل الإنسان إنّما يمر عبر عبوديته. وبناءا على هذا فان العباد والمخلوقات ليست شبيهة ومضادة للَّه فقط، بل هى تستفيض من رحمة اللَّه ولطفه وفضله. ثم قال عليه السلام:

«لم يحلل فى الأشياء فيقال: هو كائنٌ،[٧٢] ولمْ ينأ[٧٣] عنها فيقال: هو منها

نفحات الولاية، ج٣، ص: ۴٩

بائنٌ»،

وبالنظر إلى أنّ الذات اللهية منزهة عن المكان والزمان فان هذين الوصفين يعدان من النتائج الحتمية. فليس هنالك من موضع يحتاج إليه ويحل فيه من تنزهت ذاته وفاقت الزمان والمكان، ومن هنا يتعذر تصور البعد والقرب عليه سبحانه، فكل هذه الامور إنما تصدق على الأشياء المحدودة، فاذا حلت فى مكان قربت من شئ وبعدت عن آخر، أما الذات الإلهية المقدسة فهى مطلقة لامتناهية حاضرة فى كل مكان وهى قريبة من كل شئ ولا- يحويها مكان؛ الأمر الذى ورد فى القرآن: «وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ»[٧۴] وجاء فيه أيضاً (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ»[٧۵] وكذلك «وَلِلَّهِ المَشْرِقُ وَالمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ واسِعٌ عَلِيمٌ»[٧۶]. ومن الواضح أن لهذه الصفات الكمالية أثرها البالغ فى تربية الإنسان، حيث يرى اللَّه سبحانه معه أينما كان فيتحرج من مقارفة الذنب والمجاهرة بالمعصية. ثم قال عليه السلام:

«لم يؤده خلق ما ابتدأ، ولا تدبير ماذرأ، ولا وقف به عجزٌ عمّا خلق»

فقد أشارت العبارة إلى بعض الامور المهمة التى تعود جميعاً الى قدرته الازلية. الأول أنّ الخلق الأول الذى يتطلب قدرة أكثر لم يشق عليه سبحانه (لم يؤده من مادة أود على وزن عود بالفتح يعنى الثقل)، والاخر أن ربوبية الخلق وتدبير شؤونه لم يخلق له أية صعوبة أو مشكلة، وأخيرا أن قدرته لم تنفد من جراء خلقه لكل هذا الخلق، بل له أن يخلق مالا نهاية من العوالم بقوله:

«كن» «إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»[٧٧]. ويمكن أن يكون للعبارة الأخيرة معنى آخر وهو أن خلق هذه المخلوقات لم يعجزه عن إدارتها؛ وتكون العبارة فى هذه الحالة تأكيد لما ورد فى العبارة السابقة. وهذه الصفات هى الاخرى نابعة من ذاته اللامتناهية؛ لأنّ العجز والتعب والثقل إنّما يصدق على الذات المحدودة القدرة التى تسعى للقيام بما يفوق

نفحات الولاية، ج٣، ص: ۵٠

قدرتها؛ وليس هنالك من مفهوم للصغير والكبير والثقيل والخفيف والسهل والصعب على الذات اللامتناهية القدرة- ثم قال عليه السلام:

«ولا ولجت عليه شبهة فيما قضى وقدر، بل قضاء متقن، وعلم محكم، وأمر مبرم»

فالإنسان وبعلمه المحدود قد يتخذ قرارا مهما وحاسما إلّاأنّ تكشف بعض الحقائق قد تثنيه عن ذلك القرار، كما يقف أحياناً على عمق خطأه فلا يواصل الطريق الذى إبتدأه. أمّا من كان علمه أزلى ولا يخفى عليه شئ فى عالم الوجود ولا تتكشف له حقائق جديدة، وله إحاطة تامة وكل زمان ومكان حاضر عنده، فليس من سبيل للشبهة والشك إلى تدبيره وعزمه وتقديره. ونقول مرة أخرى أنّ هذه الصفة تستند إلى كون الذات والصفات الإلهية لامتناهية. ثم يختتم الإمام عليه السلام الخطبة بالقول:

«المأمول مع النّقم، المرهوب مع النّعم»

وهذا ما أشار إليه القرآن مرارا وكرارا ومن ذلك قوله: «فَإِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً* إِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً»[٧٨] وقوله «أَفَأَمِنَ أَهْلُ القُرى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا بَياتاً وَهُمْ نائِمُونَ* أَوَ أَمِنَ أَهْلُ القُرى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا ضُحىً وَهُمْ يَلْعَبُونَ»[٧٩]. نعم فان المشاكل مهما بدت معقدة أمكن حلها بلطف اللّه وفضله، والنعم مهما كانت واسعة شاملة فان قبضها ليس صعب على الإرادة الإلهية. وعليه فلا يمكن اليأس عند البلاء والشدة، ولا الغفلة عند الرفاه والنعمة ومن هنا فان المؤمن يعيش الخوف والرجاء على الدوام فى حياته. والصفتان الأخيرتان تستندان أيضاً إلى الذات والصفات اللامتناهية، فلما كانت قدرته لامتناهية فانّ حل الصعاب سهل يسير عليه سبحانه كما يسهل عليه سلب النعم ممن يكفرها. فأدنى زلزال يمكنه أن يقضى على منطقة برمتها، كما أن مرضاً خطيراً يمكنه أن يودى بحياة الالاف بل الملايين من الأفراد، أو أنّ برودة أو حرارة يمكنها أن تميت الاف الأشخاص.

نقطة مهمة: الآثار التربوية لمعرفة الله

مما لا ريب فيه ان معرفة الله سبحانه وتعالى، والاحاطة باسمائه وصفاته، لها أهمية كبيرة،

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٥١

وكل أحد يجب أن يستفيد أتم الفائدة من هذه المعرفة، وبتعبير آخر «إن نفس المعرفة تمثل الطريق إلى التكامل والقرب من الله سبحانه وتعالى»، ولكن، وفى هذه الحالة يجب أن لا ـ ننسى بأن الاهتمام بصفات الجمال والكمال لها تأثير مهم فى تربية النفوس الانسانية والاتجاه إلى الكمال المطلق، وتسوق الانسان إلى مرحلة الوصول إلى المِثل، ولو كان بدرجات متدنية جداً.

وبعبارة أوضح: عندما نقول بان الله عالم وقادر ومهيمن ونحده لقدرته ونثنى عليه لهيمنة وملكوته، فكيف نرتضى لانفسنا ان نعيش فى جهل مطلق وضعف وعدم مقدرة كاملة؟

ان حمدنا وتقديرنا لله من شأنه أن يزيد فى عزتنا وكمالنا واقتدارنا، ويدعونا إلى الرفعة والمنزلة العالية، وهذا كله فى باب «صفات الذات».

أما عن «صفات الافعال»، فعندما نحمد الله لرحمانيته ورحيميته، ونقول «رَحْمَتُهُ وسِعَت كل شيءٍ»، بل لقول: ان رحمته الخاصة بالرغم من كونها تختص بعباده من أهل التقوى والايمان، الا أن رحمته العامه، تشمل العدو والصديق وان مائدة رحمته ونعمته اللامتناهية وسعت كل شيء.

فكيف يمكننا ان نستفيد من هذه الصفة الرفيعة والسامية، لكننا لا نرحم صديقنا ولا عدونا، بل ان قلوبنا فى بعض الاحيان خالية من أى نوع من الرحمة؟

ومن هنا فان الاهتمام بكافة الصفات الكمالية، سواءً صفات الذات أو صفات الافعال، وهى «الجود والسخاء والمغفرة والعزة والعفو والاحسان، وامثالها» والتى بامكانها ان تكون شعاعاً ينعكس فى وجودنا فيجذبنا اليه.

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٥٣

الخطبة[۸۰] السادسة و الستون

اشارة

ومن کلام له علیه السلام

فی تعلیم الحرب والمقاتلة

والمشهور أنه قاله لأصحابه لیلة الهریر،[۸۱] أو أول اللقاء بصفین

نظرة إلی الخطبة

بین الإمام علیه السلام فی هذه الخطبة أسالیب الحرب وفنون القتال بعبارات جزلة واضحة إلی جانب التأکید علی القیم الروحیة والمثل المعنویة التی تشکل الدافع للقتال وتسوق المقاتل إلی التضحیة فی سبیل اللَّه، کما أشار ضمنیاً إلی أحداث معرکة صفین والوظائف التی ینبغی أن یمارسها المؤمنون فی تلک الواقعة وقد إختلفت أقوال الشراح بشأن زمان الخطبة، فذهب ابن أبی الحدید إلی أنّ الإمام علیه السلام خطبها- حسب أغلب الروایات- لیلة الهریر، بینما ذکر نصربن مزاحم أنّه خطبها أول صفین فی شهر صفر عام ۳۷ ه وروی مؤلف کتاب مصادر نهج‌البلاغة عن الطبری صاحب کتاب بشارة المصطفی- من علماء القرن السادس للهجرة- أنّ ابن عباس قال: عقم النساء أن یأتین بمثل أمیرالمؤمنین علی بن أبی‌طالب علیه السلام، ما کشفت النساء ذیولهن

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۵۴

عن مثله، لا واللَّه ما رأیت فارساً یوزن به لرأیته یوما ونحن معه بصفین، وعلی رأسه عمامة سوداء، وکأن عینیه سراجا سلیط. تتوقدان من تحتها، یقف علی شرذمة شرذمة یخطبهم، حتی إنتهی إلی نفرأنا فیهم، وطلعت خیل لمعاویة تدعی بالکتیبة الشهباء، عشرة الاف دارع علی عشرة آلاف أشهب، فاقشعر لها الناس لما رأوها، وانحاز بعضهم إلی بعض، فقال أمیرالمؤمنین علیه السلام: فیما الخنع والنخع- یا أهل العراق- هل هی إلّاأشخاص ماثلة فیها قلوب طائرة لو مستها سیوف أهل الحق لرأیتموها کجراد بقیعة سفته الریح فی یوم عاصف، ألا فاستعشروا الخشیة، وتجلببوا السکینة، ادرعوا الصبر، وغضوا الأصوات، وقلقلوا الأسیاف فی الأغماد قبل السلة ....[۸۲]

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۵۵

القسم الأول: طائفة من الفنون القتالیة

اشارة

«مَعاشِرَ الْمُسْلِمِینَ اسْتَشْعِرُوا الْخَشْیَةَ، وَتَجَلْبَبُوا السَّکِینَةَ، وَعَضُّوا عَلَی النَّواجِذِ، فَإِنَّهُ أَنْبَی لِلسُّیُوفِ عَنِ الْهَامِ. وَأَکْمِلُوا اللَّأْمَةَ، وَقَلْقِلُوا السُّیُوفَ فِی أَغْمادِها قَبْلَ سَلِّها، وَالْحَظُوا الْخَزْرَ، وَاطْعُنُوا الشَّزْرَ، وَنافِحُوا بِالظُّبی، وَصِلُوا السُّیُوفَ بِالْخُطا».

الشرح والتفسیر

أشار الإمام علیه السلام فی هذه الخطبة إلی تسعة من أسالیب وفنون القتال العملیة فی ساحة المعرکة فقال علیه السلام:

«معاشر المسلمین استشعروا الخشیة، وتجلببوا السّکینة»

إستشعروا من مادة شعار من الثیاب ما یکون دون الدثار وهو یلی الجلد، أی اجعلوا الخوف من اللَّه تعالی شعارکم، وتجلببا من مادة جلباب الثوب المشتمل علی البدن وعادة ما یطلق علی الثوب الذی تستر به المرأة رأسها وعنقها وبعض صدرها وظهرها، وهو أطول من الخمار وأقصر من الرداء. فالأمر الأول الذی یؤکد الإمام علیه السلام وجوب اختلاطه بروح المقاتل وقلبه هو خوف اللَّه وخشیته

والشعور بالمسؤولية تجاه أوامر اللّه فى طاعتها وإمتثالها، ولعل هذا أهم الدوافع التى ينبغى أن يتحلى به المقاتل المؤمن فيمنحه الثبات والصمود تجاه العدو. الأمر الثانى الذى أكده الإمام عليه السلام هو أن يتحلى المقاتل بالسكينة والحلم والوقار، وذلك لأنّ أدنى إضطراب فى ميدان القتال أمام العدو إنّما يكشف عن الضعف والعجز، وهذا ما يجعل العدو فى مطمع من إقتحام الميدان واللجوء إلى الهجوم. والواقع أنّ الأفراد الأقوياء والشجعان يتصفون دائما بالتماسك وضبط النفس، بينما يعيش الضعفاء والجبناء حالة من الاضطراب والقلق على الدوام. وقد قال

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۵۶

القرآن الكريم بشأن السكينة وأهميتها: «هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدادُوا إِيْماناً مَعَ إِيمانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمواتِ وَالأَرْضِ وَكانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً»[۸۳] وهذه السكينة كانت هى العامل الذى وقف وراء إنتصار المسلمين فى كافة الغزوات التى خاضوها ضد معسكر الكفر والشرك، وهى التى شدت أزر النبى صلى الله عليه و آله أثناء تلك الشدائد كدخوله صلى الله عليه و آله إلى غار جبل ثور وكان العدو يقف على باب الغار بحثاً عنه. ثم قال عليه السلام:

«وعضّوا على النّواجذ، فإنّه أنبى ۸۴] للسّيوف عن الهام ۸۵]»

قوله عليه السلام

«عضوا على التواجذ»

جمع ناجذ وهو أقصى الاضراس، وللإنسان أربعة نواجذ فى كل شق، ويسمى الناجذ ضرس الحلم، لأنّه ينبت بعد لبلوغ وكمال العقل، ويقال إنّ العاض على نواجذه ينبو السيف عن هامته نبواماً، وهذا ممّا يساعد التعليل الطبيعى عليه، وذلك أنّه إذا عض على ناجذه تصلبت الأعصاب والعضلات المتصلة بدماغه، وزال عنها الاسترخاء، فكانت على مقاومة السيف أقدر، وكان تأثير السيف فيها أقل وصرح بعض شرّاح البلاغة قائلًا: هذا كلام ليس على حقيقته، بل هو كناية عن الأمر بتسكين القلب وترك اضطرابه واستيلاء الرعدة عليه. ثم قال عليه السلام:

«و أكملوا اللّأمة»[۸۶]

، اللأمة بالهمزة الدرع، وإكمالها أن يزاد عليها البيضة والسواعد ونحوها، ويجوز أن يعبر باللأمة عن جميع أداة الحرب، كالدرع والرمح والسيف، وأراد الإمام عليه السلام بهذه العبارة:

أكمل السلاح الذى تحاربون العدو به. ثم قال عليه السلام:

«وقلقلوا[۸۷] السّيوف فى أغمادها[۸۸] قبل سلّها»

فالعبارة تنطوى على أهمية قصوى وان بدت صغيرة للوهلة الاولى وذلك لئلا يدوم

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۵۷

مكثها فى الا جفان فيصعب سلها وقت الحاجة إليها، الأمر الذى قد يؤدى إلى بعض الأخطار التى لا يمكن معالجتها فى ساحة الحرب. ثم قال عليه السلام:

«و الحظوا الخزر، واطعنوا الشّزر»

الخزر أن ينظر الإنسان بعينه، وكأنّه ينظر بمؤخرها وهى أمارة الغضب، كما تستعمل أحياناً حين عدم الإكتراث، وفائدة مثل هذا الاسلوب فى ميدان القتال أولًا: إشعال وتأجيج نيران الغضب فى الباطن بحيث تشحذ كافة القوى الداخلية وتتضاعف طاقة الإنسان وقدرته، والآخر أن النظر بكامل العين يدل على الخوف والوهن والعجز، الأمر الذى يجعل العدو أكثر جرأة وجسارة. وشزر على وزن نذر بمعنى الشتت وأكثر ما تستعمل لفظة الشزر فى الطعن عن اليمين والشمال، ولعل الإمام عليه السلام أراد سلب إحساس العدو بالأمن فيما إذا تركزت ضربات المجاهدين على جانب واحد، كما يتأهبوا لتسديد الضربات الاجهاضية. فالواقع إنّ مثل هذه العبارات

تكشف مدى خبرة الإمام عليه السلام بفنون القتال وخطط الحرب. ثم إختتم وصاياه بالقول:

«ونافحوا بالظّبا، وصلوا السّيوف بالخطا»

نافحوا من النفح على وزن الفتح بمعنى النفخ كناية عن شدة الاقتراب من العدو، والظبا طرف السيف وحده، والمراد كافحوا وضاربوا.

والمراد بقوله عليه السلام:

«صلوا السّيوف بالخطا»

أنّ اليد قد لاتكفى أحياناً لضرب العدو بالسيف ولابدّ من التقدم بضع خطوات والضرب بالسيف.

تأمّل: الفنون القتالية فى الماضى والحاضر

تمثل الفنون القتالية فى الوقت الراهن علماً من العلوم المهمّة التى ينبغى تدريسها فى الكليات العسكرية وتعلمها على مدى سنوات وممارستها فى ساحات التدريب، فالواقع أنّ تجاهل مثل هذه الفنون لا يجعل أعظم الجيوش أن تتقدم فى ميادين القتال وإن جهز بأحدث الاسلحة المتطورة. ومن هنا كان أتباع المدرسة الإسلامية مطالبين بتعلم كافة هذه الفنون من أجل الدفاع عن مبادئ الدين ومصالح البلاد، ولعل ذلک يمثل واجباً كفائياً، بل واجباً عينياً.

فمما لاشك فيه أن الأسلحة لم تكن بهذا التعقيد كما لم تكن الفنون والخطط الحربية بهذه الدقة

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۵۸

التى هى عليها اليوم، مع ذلک فقد كانت لتلك الحروب أساليبها وقوانينها التى عرض الإمام عليه السلام بالشرح إليها، والتى تكشف عن مدى خبرة الإمام عليه السلام ومراسه للحرب. ولعل هنالک من يقول أن تعلم فنون القتال إنّما يؤدى إلى سفک المزيد من الدماء، الأمر الذى أكد عكسه فى الوصايا والتعاليم الإسلامية ولا سيما الاوامر الحربية، حيث تحرص هذه التعاليم على الدماء وتدعو إلى الحد قدر المستطاع من سفک الدماء. والجواب إنّ ماورد فى هذه الخطبة أمّا يمثل الامتداد الطبيعى لتلك التعاليم، لأنّ المقاتل إذا ألم باساليب القتال وفنونه أمكنه تحقيق النصر الخاطف السريع على العدو بأقل التضحيات. أضف إلى ذلک فان العدو إذا وقف على قدرة الخصم ومهارته فى فنون القتال واستماتته من أجل الأهداف الإسلامية قد يركع ويستسلم فيرجح السلام على الحرب، الأمر الذى يحسم المعركة ويقلل من سفک الدماء.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۵۹

القسم الثانى: الثبات والمقاومة

وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِعَيْنِ اللَّهِ، وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه و آله فَعاوِدُوا الْكَرَّ، واسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ، فَإِنَّهُ عَارٌ فِى الْأَعْقَابِ، وَنارٌ يَوْمَ الْحِسابِ وَطِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْساً، وَامْشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشْياً سُجُحاً، وَعَلَيْكُمْ بِهَذا السَّوادِ الْأَعْظَمِ، وَالرِّواقِ الْمُطَنَّبِ، فاضْرِبُوا ثَبَجَهُ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِى كِسْرِهِ، قَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَداً، وَأَخَّرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلًا. فَصَمْداً صَمْداً! حَتَّى يَنْجَلِىَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ «وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمالَكُمْ».

الشرح والتفسير

خاض الإمام عليه السلام فى هذا القسم من الخطبة برفع معنويات جنده وأوصاهم بالثبات فى القتال بغية إستئصال شأفة العدو فقال لهم:

«و اعلموا أنّكم بعين اللّه»

فاذا علم الإنسان أنّه بعين سيده القادر على كل شئ والمحيط به فانه يستلهم منه العزم والقوة وعدم الشعور بالوحدة من جانب، ومن

جانب آخر يلفت نظره إلى عظم المسؤولية والوظيفة التى ينبغى أن ينهض بعبئها. وقد ورد هذا المعنى فى قصة نوح عليه السلام حين أمر بصنع السفينة «وَاصْنَعِ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَوَحْيِنا»[۸۹] فى إشارة إلى أنّ العدو قد يحاول أن يعيقك عن القيام بهذا العمل من خلال السخرية والاستهزاء، أو من خلال ممارسة الحرب الدعائية والضغوط النفسية، فلا تكترث لهذه الامور ولا تخف فانّك تعمل وفق المشيئة الإلهية الغالبة. وهو ذات المعنى الذى ألمحت إليه

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۶۰

الآية الشريفة: «وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا»[۹۰] فى إطار رباطة جأش النبى الأكرام صلى الله عليه و آله حيال تكالب الأعداء. ثم قال عليه السلام:

«و مع ابن عمّ رسول اللّه»

ابن عمه الموصوف باخوته ووصيه ومن كان يتبعه اتباع الفصيل إثر امه. وعليه فلا ينبغى أن تشعروا بأدنى شك وترديد فى مسيرتكم فاندفعوا بكل ما أوتيتم من قوة لقتال عدوكم، هذا فى الوقت الذى يمثل فيه عدوكم سلالة أعداء رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله، فوالد معاوية هو أبو سفيان الذى كان أعدى أعداء رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله وعليه فهو غاصب للخلافة لابدّ من مقاتلته وإعادته إلى الحق. أمّا تأكيد الإمام عليه السلام على قرابته من النبى صلى الله عليه و آله ورغم كونه أمراً متعارفاً لدى العقلاء- الذين يرون قرابة الشخص أعلمهم بما جاء مالم يقم الدليل على خلافه- إلّا أنّه يمكن أن يكون إشارة إلى حديث الثقلين الذى جعل فيه رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله أهل بيته فى مصاف القرآن ودعا الامّة إلى وصيتين هما فى الواقع بمثابة اللازم والملزوم، فقال:

«فعاودوا الكرّ، واستحيوا من الفرّ، فإنّه عارٌ فى الْأعْقاب، ونارٌ يوم الحساب»

فالعدو قد لاينهار من كرة واحدة ولابدّ من الكرة تلو الكرة لاضعاف العدو والقضاء عليه من جانب، من جانب آخر لا تحدثوا أنفسكم أبداً بالفرار من جبهات القتال، فانّ ذلك عار يوصم به جبينكم كما تجروه على أعقابكم من بعدكم فان الابناء يعيرون بفرار آبائهم ۹۱]، وبغض النظر عن ذلك فان هذا الفرار سيكون وبالًا عليكم يوم الحساب فتردون النار، لأنّ الفرار من الزحف يعد من الكبائر، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الأمر بقوله: «يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبارَ* وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إلّا مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَةٍ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْواهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيرُ»[۹۲]. ثم يؤكد عليه السلام الجهاد بأمرين من قبيل اللازم والملزوم أيضاً فيقول:

«و طيبوا عن أنفسكم نفساً[۹۳] وامشوا إلى الموت مشياً سجحاً»

سجح على وزن صحف

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۶۱

تعنى المستقيم وهى تستعمل بشأن الطرق المستوية والمستقيمة، ولما كان المشى سهلًا فى مثل هذه الطرق فانّها تطلق على السهل أيضاً. ومن هنا ورد فى المثل العربى المعروف

«ملكت فاسجح».

فالإمام عليه السلام يرى أنّ الشهادة فى سبيل اللّه ضالة أهل الإيمان، فيؤكد عليهم عدم الاكتفاء برفض الخشية والخوف من الشهادة، بل لابدّ من إستقبالها بكل رحابة صدر، فطريقها سهل يسير ولابدّ من ركوبه لمعانقتها. وقد كان الإمام عليه السلام نموذجاً بارزاً لهذا الكلام حتى أقسم قائلًا:

«واللّه لابن ابى‌طالب آنس بالموت من الطفل بثدى أمه»[۹۴]

وهو الذى صرح عند ما ضربه ابن ملجم:

«فزت وربّ الكعبة».

ثم قال علیه السلام فی إشارة إلی مرکز تجمع جیش الشام والخیمة التی تربع داخلها معاویة:

«وعلیکم بهذا السّواد الْأعْظم، والرّواق الْمطنّب، فاضْربوا ثبجه»

فقد یطمع العدو وتشتد شوکته لو حمل علیه من هنا هناک مع مراعاة الحذر والاحتیاط، وعلی العکس من ذلک لو کانت الحملة مصوبة إلی قلب عسکر العدو لانهارت روحیة العدو وتحطمت معنویاته، فانّ الهجوم علی المرکز یکشف عن مدی القوة والاقتدار، ومن هنا إستفاد الإمام علیه السلام هذه القضیة النفیة لیأمر جیشه بالهجوم علی قلب العدو ومرکز قیادته. والسواد الأعظم کنایة عن التجمع الکبیر الذی یبدو أسوداً من بعید، والمراد به هنا عسکر الشام. الرواق علی وزن کتاب غراب الفسطاط، وهو هنا إشارة إلی الخیمة الکبیرة المضروبة لمعاویة، المطنب المشدود بالأطناب جمع طنب بضمتین وهو حبل یشد به سرادق البیت والثبج بالتحریک الوسط وقوله علیه السلام:

«فاضربوا ثبجه»

تعنی الهجوم علی قلب جیش الشام وخیمة معاویة. ثم أورد الإمام علیه السلام الدلیل علی ما قال:

«فإنّ الشّیطان کامنٌ فی کسره ۹۵] وقد قدّم للوثبة[۹۶] یداً، وأخّر للنّکوص ۹۷] رجلًا»

، والمراد بالشیطان هنا معاویة حیث جمع الأفکار والأعمال الشیطانیة بینما ذهب بعض شرّاح نهج‌البلاغة إلی أنّه أراد بالشیطان عمروبن العاص، کما قیل قد یراد به الشیطان الحقیقی

«ابلیس»

الذی کان یتلاعب بمعاویة وعسکره آنذاک. وقد صور الإمام علیه السلام بهذه العبارة روحیة معاویة الذی کان یعد نفسه للهجوم من جهة وهو یهم بالنکوص والفرار من جهة

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۶۲

اخری؛ ولا غرو فهذه هو الاسلوب المتبع لدی الساسة المادیین، فلیس لهم من هدف مقدس یقاتلون من أجله، ومن هنا یهربون هروب الشاة من الذئب إذا ما جابهتهم ثلة من المؤمنین.

فقد صرح القرآن الکریم بشأن أعوان الشیطان فی مجابهتهم للمؤمنین وکیفیة تخلی الشیطان عنهم قائلًا: «وَإِذ زَیَّنَ لَهُمُ الشَّیْطانُ أَعْمالَهُمْ وَقالَ لا غالِبَ لَکُمُ الیَوْمَ مِنَ النّاسِ وَإِنّی جارٌ لَکُمْ فَلَمّا تَراءَتِ الفِئَتانِ نَکَصَ عَلی عَقِبَیْهِ وَقالَ إِنِّی بَرِیءٌ مِنْکُمْ إِنِّی أری ما لا تَرَوْنَ إِنِّی أَخافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِیدُ العِقابِ»[۹۸] ولا یقتصر هذا الأمر علی الشیطان- ابلیس- فهذا هو دیدن شیاطین الانس الذین یزجون باتباعهم فی الأحداث الساخنة ثم یخذلونهم فی الظروف الحرجة. ثم إختتم الإمام علیه السلام خطبته قائلًا:

«فصمداً صمداً![۹۹] حتّی ینجلی لکم عمود الحقّ «وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَکُمْ وَلَنْ یَتِرَکُمْ أَعْمالَکُمْ»»

فالواقع إنّ هذه العبارة تمثل نتیجة لما أورده الإمام علیه السلام ودعا إلیه صحبه؛ أی أنکم قد وقفتم الآن علی التعلیمات الکافیة والفنون القتالیة وکیفیة الهجوم علی مرکز تجمع العدو، فما علیکم إلّاالثبات والصمود والمقاومة لانحدار الباطل وانتصار الحق. ثم یعدهم بالنصر استنادا إلی البشارة التی تضمنتها الآیة ۳۵ من سورة محمد صلی الله علیه و آله: «وَاللَّهُ مَعَکُمْ وَلَنْ یَتِرَکُمْ أَعْمالَکُمْ». وعلیه فالخطبة تمثل دروساً عظیمة فی التعرف علی أسالیب القتال وعناصر النصر دون أن تقتصر علی زمان الإمام علیه السلام. ویشیر التأریخ إلی مدی التأثیر الذی لعبته کلمات الإمام علیه السلام حتی ورد فی کتاب صفین لنصربن مزاحم أنّ الإمام علیه السلام حین أورد هذه الکلمات ودعا صحبه أثناء صفین للهجوم علی أهل الشام انطلق أکثر من عشرة الاف خلف الإمام علیه السلام ووثبوا إلی رماحهم وسیوفهم ونبالهم فانقضوا علی جند معاویة حتی إقتربوا من خیمته فکاد یقضی علیه لو لاتلک الخدعة التی عمد إلیها ابن العاص فی رفع المصاحف علی أسنة الرماح.[۱۰۰]

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۶۳

الخطبة[۱۰۱] السابعه و الستون

اشارهٔ

ومن كلام له عليه السلام

قالوا: لما إنتهت إلى أميرالمؤمنين عليه السلام أنباء السقيفهٔ بعد وفاهٔ رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله قال عليه السلام: ما قالت الانصار؟

قالوا: قالت: منا أمير، ومنكم أمير؛ قال عليه السلام:

نظرهٔ إلى الخطبهٔ

الخطبهٔ تمثل ردّاً حاسماً على زعمين بشأن خلافهٔ رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله. الأول وهو اجتماع طائفهٔ من الناس فى سقيفهٔ بنى ساعدهٔ لتعيين الخلافهٔ دون الالتفات إلى وصيهٔ النبى صلى الله عليه و آله بهذا الشأن فطالبت الأنصار بالشورى وأن ينتخب منهم أمير وأخر من المهاجرين. ففند الإمام عليه السلام هذا الزعم بحديث عن رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله. والثانى إستدلال المهاجرين على الأنصار بأحقيتهم بالخلافهٔ. فاستدل عليهم الإمام عليه السلام بنفس إستدلالهم فى أحقيهٔ أهل البيت عليه السلام بالخلافهٔ إن كان إستدلالهم صحيحاً.

نفحات الولايهٔ، ج۳، ص: ۶۵

«فَهَلَّا احْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى اللَّه عليه وآله وسلم وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ وَيُتَجاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ؟ قالُوا: وَما فِى هَذا مِنَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ؟ فَقالَ عليه السلام: لَوْ كانَ الْإِمامَهُٔ الامارهٔ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّهُٔ بِهِمْ، ثُمَّ قالَ عليه السلام: فَماذا قالَتْ قُرَيْشٌ قالُوا احْتَجَّتْ بِأَنَّها شَجَرَهُٔ الرَّسُولِ صلى الله عليه و آله:

فَقالَ عليه السلام: احْتَجُّوا بِالشَّجَرَهِٔ وَأَضاعُوا الثَّمَرَهَٔ».

الشرح والتفسير

الاستدلال المنطقى على الخلافهٔ

أوردنا سابقا أنّ الإمام خطب بهذه الخطبهٔ لما إنتهت إليه أنباء السقيفهٔ وأنّ الأنصار قالت للمهاجرين منا أمير ومنكم أمير، فقال عليه السلام:

«فهلَّا احتججتم عليهم بأنَّ رسول اللّه صلَّى اللّه عليه وآله وسلّم وصّى بأن يحسن إلى محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم؟»[۱۰۲]

فاستفسره الحاضرون

«قالوا: وما فى هذا من الحجّهٔ عليهم؟»

فردّ عليهم الإمام عليه السلام:

«فقال:

لوكانت الإمامهٔ فيهم لم تكن الوصيّهٔ بهم»

فمن الواضح أنّ وصيهٔ أحد بآخر تفيد أنّ تصريف الامور بيد الموصى إليه، لابيد ذلك الذى أوصى به. بالضبط كالأب الذى يسافر فيوصى ولده الأكبر قائلًا: اوصيك باخوانك خيراً. فمفهوم ذلك أنى فوضتك القيام بالأعمال وأودعتك إخواتك. وعليه فالذى يستفاد من حديث النبى صلى الله عليه و آله أنّ الحكومهٔ ليست للأنصار، إلّا أن أصحاب السقيفهٔ لم يلتفتوا لهذا الأمر وانحوا الأنصار بالقوهٔ عن الخلافهٔ. وقد استدل

نفحات الولايهٔ، ج۳، ص: ۶۶

المتأخرون بمثل هذا الكلام على إثبات صحهٔ دعواهم، ومن ذلک ما رواه ابن أبی الحدید قائلًا:

حین توفی سعید بن العاص، دخل إبنه عمرو بن سعید علی معاویهٔ، فسأله معاویهٔ: إلی من أوصی بک أبوک؟ فقال عمرو. لقد أوصی إلیّ ولم یوص بی. فتعجب معاویهٔ من جوابه وقال:

«إنّ هذا الغلام لاشدق»

فعرف منذ ذلک الحین بین الناس بالاشدق أی الخطیب البلیغ. ثم طرح الإمام علیه السلام سؤالًا آخر بهذا الشأن:

«ثمّ قال: فماذا قالت قریشٌ؟»

فردوا علیه:

«قالوا:

احتجّت بأنّها شجرهٔ الرسول صلّی اللّه علیه وآله وسلّم»

فذهب الإمام علیه السلام إلی أنّ ذلک حجهٔ علیهم

«فقال: احتجّوا بالشّجرهٔ، وأضاعوا الثّمرهٔ».

فاذا كانت الشجرهٔ ذات أثر كان ثمرها أعظم أثراً. والعجیب ما أورده الشارح البحرانی الذی أورد احتمالین بشأن المراد بالثمرهٔ فی هذه العبارهٔ: أحدهما علی وأولاده، والاخر السنهٔ النبویهٔ التی توجب استحقاق علی علیه السلام للخلافهٔ والولایهٔ. فمن الواضح أنّ الاحتمال الثانی مستبعد رغم موافقته للاحتمال الأول، فاذا كانت الشجرهٔ ترمز للقرب فان ثمرها یکون أکثر قربا، وعلیه فلیس المراد بهذه الثمرهٔ سوی أهل البیت علیه السلام.

تأمّل: الخلافهٔ وقصهٔ سقیفهٔ بنی‌ساعدهٔ

روی أنّ النبی صلی الله علیه و آله لما قُبِض، اجتمعت الأنصار فی سَقِیفهٔ بنی ساعدهٔ، فقالوا: إنّ رسول‌الله صلی الله علیه و آله قد قبِض، فقال سعد بن عبادهٔ لابنه قیس- أو لبعض بنیه: إنّی لا أستطیعُ أن أُسمِعَ الناسَ کلامی لمرضِی؛ ولکن تلقّ منی قولِی فأسْمِعهم. فکان سعد یتکلّم، ویستمع ابنه ویرفع به صوته لیُسمِع قومَه.

قال الطبری ثم خاطب سعد الانصار وذکرهم بسبقهم إلی الاسلام حین عادته العرب وقد لبث رسول الله صلی الله علیه و آله ثلاث عشرهٔ سنهٔ فی مکهٔ فلم یجبه إلا القلیل، حتی انبریتم للدفاع عن الاسلام ونصرهٔ النبی صلی الله علیه و آله ووقفتم إلی جانب الحق، إلی أن قبض النبی صلی الله علیه و آله وهو راض عنکم فانتم أولی بالخلافهٔ من غیرکم.

فحدثه الحدیث، ففزِع أبو بکر أشدَّ الفزع، وخرجا مسرعیْن إلی سقیفهٔ بنی ساعدهٔ؛ وفیها

نفحات الولایهٔ، ج۳، ص: ۶۷

رجالٌ من أشراف الأنصار؛ ومعهم سعد بن عبادهٔ فقام أبو بکر فقال: إنّ رسول الله صلی الله علیه و آله لما بُعث عظم علی العرب أن یترکُوا دینَ آبائهم، فخالفوه وشاقّوه، وخصّ الله المهاجرین الأولین من قومِه بتصدیقه‌الإیمان به والمواساهٔ له، والصَّبْر معه علی شِدّهٔ أذی قومه، ولم یستوحشوا لکثرهَ عَدوّهم؛ فهمْ أول مَنْ عَبَد الله فی الأرض، وهم أوّلُ مَنْ آمن برسول الله، وهم أولیاؤه‌عِتْرته، وأحقّ الناس بالأمر بعده، لا ینازعهم فیه إلّاظالم؛ ولیس أحدٌ بعد المهاجرین فضلًا وقَدَماً فی الإسلام مثلکم؛ فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا نمتاز دونَکم بمشورهٔ، ولا نقضی دونکم الامور.

فقامَ الحُباب، وقال:

یا معشر الأنصار، لا تسمعوا مقالهٔ هذا وأصحابه، فیذهبوا بنصیبکم من الأمر، فإن أبوْا علیکم ما أعطیتموهم فأجلُوهم عن بلادکم،

وتولَّوْا هذا الأمر عليهم، فأنتم أوْلَى الناس بهذا الأمر، إنّه دانَ لهذا الأمر بأسيافكم مَنْ لم يكن يدين له. أنا جُذَيْلُها المحكّك، وعُذَيْقُها المرجَّب، إن شئتم لنعيدنَّها جَذعة، والله لا يرّد أحدٌ عليّ ما أقول إلّاحطّمتُ أنفه بالسَّيْف.

فقال عمر: هيهات! لا يجتمع سَيْفان فى غِمْد؛ إنّ العرب لا ترضى أن تؤمِّرَكم ونبيُّها من غيركم.

قال: فلما رأى بشير بن سعد الخزرجىّ ما اجتمعت عليه الأنصار من تأمِير سعد بن عبادة- وكان حاسداً له وكان من سادة الخْزرج- قام فقال:

أيّها الأنصار، إنّا وإنْ كُنّا ذوى سابقة، فإنّا لم نُرِدْ بجهادنا واسلامنا إلّارضاً رَبِّنا وطاعة نبينا، ولا ينبغى لنا أن نستطِيل بذلك على الناس، ولا نبتغِى به عِوَضاً من الدّنيا، إن محمداً صلى الله عليه و آله رجلٌ من قريش؛ وقومه أحقُّ بميراثِ أمره، وايمُ الله لا يرانى الله أنازعهم هذا الأمر؛ فاتّقوا اللهَ ولا تنازعوهم ولا تخالفوهم.

فقام أبو بكر، وقال: هذا عمر وأبو عُبيدة، بايعوا أيَّهما شئتم؛ فقالا: والله لا نتولّى هذا الأمر عليك.

و لما رأت الأوس أنّ رئيساً من رؤساء الخزرج قد بايع، قام اسَيد بن حُضَير- وهو رئيس الأوس- فبايَع حسداً لسعد أيضاً، ومنافَسةً له أن يلىَ الأمرَ، فبايعت الأوس كلّها لمّا بايع

نفحات الولاية، ج٣، ص: ۶۸

اسيَد، وأراد عمر ان يقتل سعدا إن لم يبايع، إلا أنه خشى من تهديد سعد بعد أن نصحه ابوبكر بالكف عنه.

و فسد الأمر فتركوه، فكانَ لا يصلِّى بصلاتِهم، ولا يجمع بجماعتهم، ولا يقضِى بقضائهم؛[١٠٣] ولو وجد أعوانا لضارَبهم، فلم يزلْ كذلك حَتى مات أبوبكر، ثم لِقَى عمرَ فى خلافته؛ وهو على فرس، وعمر على بعير، فقال له عمر: هيهات يا سعد! فقال سعد: هيهات يا عمر! فقال: أنت صاحب مَنْ أنت صاحبه؟ قال: نعم أنا ذاك؛ ثم قال لعمر: والله ما جاوَرنى أحدٌ هو أبغضُ إلىّ جواراً منك، قال عمر: فإنه مَنْ كَرِه جوار رجل انتقل عنه؛ فقال سعد: إنّى لأرجو أن أخلِّيَها لك عاجلًا إلى جوار مَنْ هو أحبُّ إلىّ جواراً منك ومن أصحابك؛ فلم يلبث سعدٌ بعد ذلك إلّا قليلًا حتى خرج إلى الشام، فمات بحُوران ولم يبايع لأحدٍ؛ لا- لأبى بكر ولا- لعمر ولا لغيرهما.[١٠۴] والمعروف ان سعد قد قتل بيد خالد بن الوليد بأمر عمر حيث كمن له فى الليل ورماه بسهمين ثم القى جسده فى بئر وشاع بين الناس ان الجن قتلت سعد بن عبادة. والطريف ما نقل عن مؤمن الطاق (محمد بن النعمان الاحول) المعروف بدفاعه عن أهل البيت حيث سئل لم لم ينازع على ابابكر على الخلافة قال: خشى ان تقتله الجن.[١٠۵]

وقال المرحوم العلامة الامينى بهذا الخصوص «وكان من حشدهم اللهام رجال من الجن رموا سعد بن عبادة أمير الخزرج».[١٠۶]

وحين حج عمر سمع من يقول «إن مات عمر بايع فلانا»[١٠٧] فغضب عمر وصعد المنبر ثم قال: لا يقول أحد ذلك انما كانت بيعة أبى بكر فتنة وتمت ... ولكن الله وقى شرها.

أضواء على السقيفة

١- يتبيّن مما مر معنا سابقا أن الشورى التى عقدت فى السقيفة لم تكن شرعية منتخبة من

نفحات الولاية ؛ ج٣ ؛ ص۶۸

نفحات الولاية، ج٣، ص: ۶۹

قبل الامّة كما أراد أن يصورها البعض، بل حضرها بعض الأنصار على أمل تحقيق أهدافهم، ثم التحق بهم بعض المهاجرين لينافسونهم على الخلافة، حتى آلت الامور إلى تنصيب أبى بكر.

٢- تفتقر السقيفة إلى الشرعية من الناحية الدينية، كما تفتقر إليها من الناحية السياسية على ضوء الاعراف والقوانين الحاكمة فى

الأنظمـة السیاسـیة، وذلـک لأنّها لو کانت ممثلـة لجمیع الامّـة لوجب أن یحضـر ممثلًا عن الأنصار وآخر عن المهاجرین، بینما نعلم أنّ قرابة رسول‌اللّه صلی الله علیه و آله المتمثلة بأهل بیته لم تحضر ذلک الاجتماع.

۳- تفید أحداث السـقیفة أنّ انتخاب الأصـلح لم یکن هو المعیار المعمول به فی الخلافة، وکأنّهم اعتمدوا المیراث أسـلوباً فی التعامل معها بحیث کان کل یدعی سهم معیناً فیها، ومن الواضح أنّ من لدیه هکذا نظرة إلی الخلافة، لا یسعه أن ینتخب الأصلح لابناء الامّة.

۴- لم تتطرق السـقیفة من قریب أو بعید إلی وصایا النبی صـلی الله علیه و آله بالخلافة، رغم علم الجمیع بأنّ النبی صلی الله علیه و آله أوصی الامّة قائلًا:

«إنّی تارک فیکم الثقلین: کتاب اللّه وعترتی؛ ما أن تمسکتم بهما لن تضلوا بعدی أبداً».

أفلم یکن یدعو هذا الحدیث الشـریف الذی روته أغلب مصادر الفریقین حتی عدّ متواتراً والذی صـرح به الرسول صلی الله علیه و آله فی عدة مناسبات، من حضر السقیفة إلی الرجوع إلی القرآن وأهل البیت علیه السلام قبل أن یفرضوا أهدافهم علی الامّة ویتحکموا فی مصیرها؟[۱۰۸] أولم یکن حـدیث الغدیر المتواتر عن النبی صـلی الله علیه و آله مانعاً لأهل السـقیفة مما أقدموا علیه بشأن الخلافة؟ أو لم یسـمعوا بحـدیث یوم الـدار حین نص رسول‌اللّه صـلی الله علیه و آله منذ أوائل دعوته علی خلافة علی علیه السـلام ووصایته، أو ما أورده آخر ساعات عمره الشریف وقوله إتونی بقلم ودواة؟!

طبعـا قـد یبـدو ذلـک عجیبا منـذ الوهلـة الاولی إلّاأنّه سـرعان ما یزول، حیث النبی صـلی الله علیه و آله علی فراش الموت ودعی بقلم ودواة فمنعوا من ذلک وتفوهوا باشـنع الکلمات ضد أطهر الکائنات من بنی‌آدم رسول‌اللَّه صلی الله علیه و آله؛ الأمر الذی یکشف عن وجـود خطـة مسبقة بشأن الخلافـة، بحیث لم یکن لیحول دونهـا حـتی أحـادیث رسول‌اللَّه صـلی الله علیه و آله ووصایـاه. ومـا ذلک إلّاالطمع فی الخلافة

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۷۰

وحب الجاه والمنصب التی تجعل الإنسان یتجاهل کل القیم والحقائق التی لا یشوبها أدنی شک أو ریب.[۱۰۹] وهنا یتضح عمق کلام أمیرالمؤمنین علیه السلام

«احتجّوا بالشّجرة، وأضاعوا الثّمرة».

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۷۱

الخطبة الثامنة و الستون

اشارة

ومن کلام له علیه السلام

لما قلد محمد بن أبی‌بکر مصر، فملکت علیه وقتل

نظرة إلی الخطبة

کان علیه السـلام قـد ولی محمـدبن أبی بکر مصـر، فلما إضـطرب الأمر علیه بعـد صـفین وقوی أمر معاویـة طمع فی مصـر. وقـد کان عمروبن العاص بایعه علی أن یکون معه فی قتال علی، وتکون مصـر له طعمـة، فبعثه إلیها بعد صـفین فی سـتة آلاف فارس، وقد کان فیها جماعـة عظیمـة ممن یطلب بدم عثمان وکانوا یزعمون أن محمداً قتله فانضافوا إلی عمرو، وکان معاویـة کتب إلی وجوه مصـر، أما إلی شـیعته فبـالترغیب، وأمّـا إلی أعـدائه فبالترهیب، وکتب محمـدبن أبی‌بکر إلی علی علیه السـلام بالقصـة یستمده بالمال والرجال،

فكتب إليه يثبته ويعده بـذلك بأسرع ما يمكن، فجعل محمـد يدعو أهل مصر إلى قتال عمرو، فانتدب معه أربعة آلاف رجل، فوجه ألفين مع كنانة ابن بشر لاستقبال عمرو، وبقى هو فى ألفين، فابلى كنانة فى ذلك اليوم بلاءاً حسناً وقتل من عسكر عمرو خلقاً كثيراً، ولم يزل يقاتل حتى قتل، فلما قتل تفرق الناس عن محمـد. وأقبل عمرو يطلب محمداً فهرب منه مختفياً، فدخل عمرو فسطاطه. وخرج معاوية بن خديج الكندى، وكان من امراء جيش عمرو، فى طلب محمد فظفر به، وقد كاد يموت عطشاً، فقدمه فضرب عنقه، ثم أخذ جثته فحشاها فى جوف حمار ميت وأحرقه. وقد كان على عليه السلام وجه لنصرته مع مالك بن كعب إلى مصر نحو ألفى رجل، فسار بهم خمس ليال، ورود الخبر إلى

نفحات الولايه، ج٣، ص: ٧٢

على عليه السلام بقتله وأخذ مصر فجزع عليه السلام جزعاً ظهر أثره فى وجهه ثم قال: رحم اللّه محمدا كان غلاما حدثاً وقد أردت ...[١١٠].

نفحات الولايه، ج٣، ص: ٧٣

«وَ قَدْ أَرَدْتُ تَوْلِيَةَ مِصْرَ هاشِمَ بْنَ عُتْبَةَ، وَلَوْ وَلَّيْتُهُ إِيَّاها لَمَّا خَلَّى لَهُمُ الْعَرْصَةَ، وَلا أَنْهَزَهُمُ الْفُرْصَةَ، بِلا ذَمٍّ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِى بَكْرٍ، فَلَقَدْ كانَ إِلَيَّ حَبِيباً، وَكانَ لِى رَبِيباً».

الشرح والتفسير

محمد بن أبى بكر وحكومة مصر

كما ورد فى شأن الخطبة فانّها ناظرة إلى حملة جيش معاوية على مصر وقتل عامل أميرالمؤمنين على عليه السلام محمد بن أبى بكر. فقد استهل الإمام عليه السلام ببعض الكلمات التى تشم منها رائحة الذم لبعض أصحابه فقال:

«و قد أردت تولية مصر هاشم بن عتبة، ولو ولّيته إيّاها لمّا خلّى لهم العرصة،[١١١] ولا أنهزهم ١١٢] الفرصة»

فالعبارة تفيد أنّ الإمام عليه السلام ورغم محبته لمحمد بن أبى بكر وثقته به وما يتصف به من إيمان وصدق، إلّاأنه كان يرجح توليه هاشم بن عتبة المعروف بالمرقال الذى كان أشجع من محمد وأقوى وأعظم تجربة، ويبدو أن طائفة من أصحاب الإمام عليه السلام كانت ترى ضرورة ولاية مصر من قبل محمد كونه ابن أبى بكر وأكثر معرفة بمصر وأهلها، ومن هنا كان له نحو هيمنة على الرأى العام المصرى وقبولًا لديه. أمّا الإمام عليه السلام فلم يكن يرى فيه مقومات الصمود المتوفرة فى هاشم بفعل صغر سنه وقلّة تجربته، رغم إتصافه بما لا يخفى من الصفات بيد أنّ تلك الطائفة مارست ضغوطها كتلك التى مارستها بشأن التحكيم فلم يكن من الإمام عليه السلام سوى الاستجابة. فالإمام عليه السلام وبخ بهذه الكلمات تلك

نفحات الولايه، ج٣، ص: ٧٤

الطائفة، ولو فسحوا المجال ليتصرف كما أراد لما ضاعت مصر بهذه السهولة. ولكن وبغية الحيلولة لما قد يقتدح إلى الأذهان من أنّ كلامه عليه السلام يستبطن ذم محمد بن أبى‌بكر، فقد أردف كلامه بالقول:

«بلا ذمٍّ لمحمّد بن أبى بكرٍ، فلقد كان إلىّ حبيباً، وكان لى ربيباً»

فالواقع أنّ محمداً لم يقصر فى وظيفته وقد بذل كل ما بوسعه ولكن كان هذا أقصى طاقته. جدير بالذكر أنّ الإمام عليه السلام لما أخبر بقتل محمد بن أبى بكر قال

«رحم اللّه محمدا! كان غلاماً حدثاً، لقد كنت أردت أن اولى المرقال هاشم بن عتبة مصر، فانّه لو ولاها لما خلا لابن العاص وأعانه العرصة، ولا قتل الا وسيفه فى يده بلاذم لمحمد، فلقد أجهد نفسه فقضى ما عليه»[١١٣]

. أمّا قوله:

«فقد کان لی حبیباً، وکان لی ربیباً»
فلأنّ الإمام علیه السلام تزوج من أسماء ام محد بن أبی‌بکر بعد وفاة أبیه فتربی محمد فی أحضان الإمام علیه السلام فسار علی هدیه حتی أنّه کان یری الإمام علیه السلام أبیه، وهکذا کان یری الإمام علیه السلام فیه إبنه الحبیب.

تأمّلان

١- من هو هاشم المرقال؟

«هاشم» ابن «عتبة ابن أبی وقاص»، وکان أبوه عتبة من ألد أعداء الرسول الاکرم صلی الله علیه و آله ولکن ابنه هاشم کان من المسلمین الغیاری ومن أصحاب النبی صلی الله علیه و آله وأصحاب أمیرالمؤمنین علیه السلام وله حدیث مشهور یخاطب به أمیرالمؤمنین علیه السلام فیقول: والله، لو أعطونی کل ما علی الارض وتحت السماء علی أن أحب أحداً من اعدائک، أو أبعض أحداً من مجیک لما فعلتُ.
کان فی حرب «صفین» مع علی علیه السلام وکان یرجو أن ینال وسام الشهادة فی طریق الله ومع علی بن أبی طالب علیه السلام فحارب بشجاعة منقطعة النظیر، وکان یدعی «المرقال»، بمعنی سریع الحرکة، واخیراً، نال ما یرید، فبعد حرب طاحنه خاضها فی میدان صفین تقلد وسام الشهادة، وقد حَزّن لشهادته الإمام علی علیه السلام وجیشه باجمعهم.
نفحات الولایة، ج٣، ص: ٧٥
وبعد ذلک حمل الرایة ابنه وهاجم جیش معاویة، وحارب بشجاعة منقطعة النظیر، وبعدها وقع فی الأسر، وعندما أخذوه أسیراً إلی معاویة، فکان له حدیث مع معاویة وعمرو بن العاص، دافع فیه بعنف عن علی بن أبی طالب علیه السلام مما حدی بمعاویة إلی أن یسجنه فی احدی سجونه.[١١٤]
ورد عن أحوال هاشم عندما کان یحارب فی صفین، حیث قاتل قتالًا شدیداً فبینا هو فی أصحابه اذ خرج علیهم فتیً شاب وشد یضرب بسیفه ویلعن ویشتم، فقال له هاشم: ان هذا الکلام بعده الخصام، وان هذا القتال بعده الحساب، فاتق الله فانک راجع إلی ربک فسائلک عن هذا الموقف وما أردت به، قال: فانی اقاتلکم لان صاحبکم لا یصلی کما ذکر لی وأنکم لا تصلون، وأقاتلکم لان صاحبکم قتل خلیفتنا وانتم وازرتموه علی قتله، فقال له هاشم: وما أنت وابن عفان؟ إنما قتله أصحاب النبی صلی الله علیه و آله وقُراء الناس حین أحدث إحداثاً وخالف حکم الکتاب، وأصحاب محمد صلی الله علیه و آله هم أصحاب الدین و أولی بالنظر فی أمور المسلمین، وأما قولک صاحبنا لا یصلی فهو أول من صلی لله مع رسول الله وأفقه فی دین الله، وأما من تری معه فکلهم قاریء الکتاب لا ینام اللیل تهجداً، فلا یغروک عن دینک الاشقیاء المغرورون، قال الفتی یا عبدالله أنی لا ظنک أمرءاً صالحاً أخبرنی هل تجد لی من توبة؟
قال: نعم، تُب إلی الله یتب علیک.
قال الراوی: فذهب الفتی راجعاً.
فقال رجل من أهل الشام: خدعک العراقی.
قال: لا ولکن نصحنی.
أجل، کان أصحاب علی علیه السلام مثل الإمام علی علیه السلام فی میدان الوغی یحاربون ویتصحون ویهدون اهل الضلالة من اعدائهم، ولم یکن همهم قتال الاعداء بل کان سعیهم هدایتهم وارشادهم. و علی أی حال فان «هاشم» و «عمار» قاتلا فی صفین بشجاعة وبسالة منقطعة النظیر و نالا وسام الشهادة وقد حزن لشهادتهما الإمام علی علیه السلام واصحابه.[١١٥]

نفحات الولايه، ج٣، ص: ٧۶

٢- محمد بن أبى‌بكر

أم محمـد بن أبى‌بكر أسـماء بنت عميس، كـانت تحت جعفر بن أبى‌طالب، وهاجرت معه إلى الحبشـة، فولـدت له هناك عبـداللَّه بن جعفر الجواد، ثم قتـل عنهـا يوم مؤتـة، فخلف عليها أبوبكر الصـديق، فأولـدها محمـدا، ثم مات عنها، فخلف عليها على بن أبى‌طالب، وكان محمد ربيبه وخريجه، وجاريا عنده مجرى أولاده، رضع الولاء والتشيع منذ الصبا، فنشأ عليه، فلم يكن يعرف له أبا غير على، ولا يعتقد لأحد فضـيلة غيره، حتى قال عليه السلام: محمد إبنى من صلب أبى‌بكر. ومن الامور المهمة فى حياة محمد بن أبى‌بكر أنّه كتب إلى الإمـام عليه السـلام حين ولاـه مصـر أنّه لاـعلم لى بالسـنة، فكتب إليه كتابـاً، كـان ينظر فيه ويتـأدب بأدبه، فلما ظهر عليه عمرو بن العاص وقتله، أخـذ كتبه أجمع، فبعث بها إلى معاويـة، فكان معاويـة ينظر فى هـذا الكتاب ويتعجب منه، فقال الوليد بن عقبة وهو عند معاويـة وقـد رأى إعجابه به: مر بهـذه الأحاديث أن تحرق، فقال معاويـة: مه، لا رأى لك! فقال الوليـد: أفمن الرأى أن يعلم الناس أن أحـاديث أبى تراب عنـدك تتعلم منها! قال معاويـة: ويحك! أتأمرنى أن أحرق علماً مثل هـذا! واللَّه ما سـمعت بعلم هو أجمع منه ولا أحكم. فقال الوليد: إن كنت تعجب من علمه وقضائه فعلام تقاتله؟ فقال: لو لا أن أبا تراب قتل عثمان ثم أفتانا لأخذنا عنه. ثم سـكت هنيهـة، ثم نظر إلى جلسائه فقال: إنا لانقول إنّ هـذه من كتب على بن أبى‌طالب، ولكن نقول: هـذه من كتب أبى بكر كانت عنـد إبنه محمد، فنحن ننظر فيها، ونأخذ منها.[١١۶]

نفحات الولايه، ج٣، ص: ٧٧

الخطبة[١١٧] التاسعة و الستون

اشارة

ومن كلام له عليه السلام

فى توبيخ بعض أصحابه

نظرة إلى الخطبة

تعتبر هـذه الخطبـة من الخطب التى تعبر عن لوعـة الإمـام عليه السـلام بعـد الغـارات والحملات التى كان يشـنها أهل الشام على البلاد الإسـلامية وتجابه بكل برود من قبل أتباعه. فقد تضمنت أشد الذم لتلك الجماعة من الكوفة الموسومة بالضعف والهوان والتى جعلت الإمام عليه السـلام يشـعر بيأسـها من عـدوها، ويبـدو أن الإمام عليه السـلام لجأ إلى هـذه العبارات أملًا فى إثارتهم وتعبئتهم ضـد أهل الشام.

نفحات الولايه، ج٣، ص: ٧٩

«كَمْ أُدارِيكُمْ كَمـا تُـدارَى الْبِكـارُ الْعَمِـدَةُ، وَالثِّيـابُ الْمُتَداعِيَـةُ، كُلَّما حِيصَتْ مِنْ جانِبٍ تَهَتَّكَتْ مِنْ آخَرَ، كُلَّما أَطَلَّ عَلَيْكُمْ مَنْسِـرٌ مِنْ مَناسِرِ أَهْلِ الشَّام أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بابَهُ، وَانْجَحَرَ انْجِحارَ الضَّبَّةِ فِى جُحْرِها وَالضَّبُعِ فِى وِجارِها، الذَّلِيلُ وَاللَّهِ مَنْ نَصَرْتُمُوهُ وَمَنْ رُمِىَ بِكُمْ فَقَدْ رُمِىَ بِأَفْوَقَ ناصِلٍ، إِنَّكُمْ وَاللَّهِ لَكَثِيرٌ فِى الْباحاتِ، قَلِيلٌ تَحْتَ الرَّاياتِ. وَإِنِّى لَعالِمٌ بِما يُصْلِحُكُمْ، وَ يُقِيمُ أَوَدَكُمْ وَلَكِنِّى لا أَرى إِصْـلاحَكُمْ بِإِفْسـادِ نَفْسِـى أَضْـرَعَ اللَّهُ خُـدُودَكُمْ، أَتْعَسَ جُـدُودَكُمْ! لاـ تَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ الْباطِـلَ وَلا تُبْطِلُونَ الْباطِلَ، كَإِبْطَالِكُمُ الْحَقَّ».

الشرح والتفسير

عظم الشكوى من الاصحاب الضعفاء

يفهم من مضمون الخطبة مدى معاناة الإمام عليه السلام بصفته قائداً لتلك العصابة التى طبعت على العصيان والتمرد والتى مهدت السبيل أمام العدو لتسديد ضرباته الماحقة إليهم، فيعرض لها بالتوبيخ والذم، علها تعود إلى رشدها وتفيق إلى نفسها فتوحد صفوفها وتهب للوقوف بوجه عدوها. وتكشف عبارات الخطبة– وخلافاً لما يظنه بعض الجهال– مدى مداراة الإمام عليه السلام لهذه الجماعة الضعيفة المشتتة حتى سئم من مداراتهم وشعر بالتعب فقال عليه السلام:

«كم أداريكم كما

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٨٠

تدارى البكار[١١٨] العمدة،[١١٩] والثّياب المتداعية،[١٢٠] كلّما حيصت ١٢١] من جانبٍ تهتّكت من آخر»

فالتشبيهات التى أوردها من قبيل التشبيهات الغاية فى الروعة والدقة التى تكشف النقاب عن طبيعة أهل الكوفة، فالتأريخ يشير إلى مدى الضعف والوهن الذى ساد عسكر الإمام عليه السلام بعيد موقعة صفين بفعل ما كانوا عليه من جهل وذل وهوان. فقد كان جلهم من الأفراد الذين خلدوا إلى الدعة والرحة وعدم التمتع بالآفاق والأفكار التى تجعلهم يتعرفون على ما حولهم من الأحداث. فلم تكن تهتز لهم قصبة رغم الحملات والغارات المباغتة التى كان يشنها أهل الشام على هذه المنطقة أو تلك من مناطق البلاد الإسلامية، وهم يرتكبون أفضع الجنايات وأبشع الجرائم إلى جانب سلبهم الأموال واخرابهم للدور. فقد شبههم الإمام عليه السلام بادئ ذى بدء بالنوق الفتية التى اعدت حديثاً للركوب وقد يجرح أحياناً سنامها. ومن الواضح أنّ هذا هو حال النوق فى بداية عهدها وأنّ عليها أن تتحمل حتى يشد ظهرها ويستحكم سنامها. أمّا تلك الجماعة فلم تتعرض إلى ذلك الحمل الخفيف فى موقعة صفين حتى جثت على ركبتيها، مع ذلك فانّ الإمام عليه السلام عاملها بمنتهى المدارة علها تنهض وتستعيد قوتها وشجاعتها. وفى التشبيه الثانى شبههم بالاسمال الخلقة البالية التى تشق بأدنى حركة، فاذا خيطت من جانب شقت وتمزقت من آخر. نعم فهؤلاء قد فقدوا كل عناصر الصمود والثبات إثر ضعفهم وخلودهم إلى الراحة والنكوص عن القتال، فكانوا كلما جمعوا من جانب تفرقوا من آخر، فما أعظمها من مشكلة أن يبتلى قائد شجاع وحكيم بمثل هذا الجيش المهزوم. حقا كان الإمام عليه السلام يعيش حالة

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٨١

مذهلة من الألم والمعاناة والاحباط، وهذه قمة المظلومية التى شهدها الإمام عليه السلام. ثم أشار عليه السلام إلى مدى ضعفهم وذلتهم علهم يصلحون أنفسهم:

«كلّما أطلّ ١٢٢] عليكم منسرٌ[١٢٣] من مناسر أهل‌الشّام أغلق كلّ رجلٍ منكم بابه، وانجحر[١٢٤] انجحار الضّبّة[١٢٥] فى جحرها، والضّبع ١٢٦] فى وجارها[١٢٧]»

والتشبيه بالضبة ينطوى على عدة أمور منها أنّ الضبة تعرف بالحماقة إلى درجة أنها قد تضل حتى جحرها فتعمد إلى جعل جحرها قرب صخرة بغية الاهتداء إليه، أضف إلى ذلك فهى تتصف بانعدام العاطفة بحيث تأكل أحياناً صغارها، وأخيراً شبههم بانثى الضباب الضبة مبالغة فى وصفهم بالجبن والفرار، لأن الانثى أجبن وأذل من الذكر. كما شبههم بالضبع لحماقتهم وسائر الصفات التى أوردناها فى الخطبة السادسة ومنها أنّها تنام رغم تهديدها من العدو الذى يمكن فى كهفها فيجعلها تخلد إلى النوم حتى يمسك بها دون أن تبدى أدنى مقاومة والواقع أنّ أحداث صفين تعد شاهداً حياً على ما اورده الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة بشأن أهل الكوفة وكيف كانت حماقته تجعله يفقد الفرصة وزمام المبادرة بماجر الويلات عليهم وعلى إمامهم عليه السلام وعلى كافة المسلمين. ثم أماط الإمام عليه السلام اللثام عن مدى ضعفهم فقال:

«الذّليل واللّه من نصرتموه! ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصلٍ ١٢٨]»

والسهم الافوق الناصل المكسور الفوق، المنزوع الفصل، والفوق موضع الوتر من السهم، وهذا مثل يضرب لمن استنجد بمن لاينجده.

ثم قال عليه السلام:

«إنّكم واللّه لكثيرٌ فى الباحات ١٢٩] قليلٌ تحت الرّايات»

فقد

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٨٢

إعتادوا على الراحة والرفاه ولذة العيش، وهذا هو سبب ذلهم وهوانهم وجرأة العدو عليهم. ثم قال عليه السلام

«وإنّى لعالمٌ بما يصلحكم، ويقيم أودكم،[١٣٠] ولكنّى لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسى»

. فقد ذكر الشرّاح تفسيرين لهذه العبارة لايتنافيان مع بعضهما، ولعل كلاهما صادق:

الأول أنّه أستطيع أن أفعل مايفعله معاوية ويستيمل زعماء القبائل والناس بأموال بيت مال المسلمين، الا أنى لا أفعل ما يسخط اللّه، ولا اقيم دعائم حكومتى على حساب الفقراء والضعفاء وهضمهم حقوقهم، والثانى يمكننى أن أفعل ما يفعله الآخرون من حملكم بالقوة على قتال العدو. فقد جاء فى كتاب الغارات أن الإمام عليه السلام خاطب أهل الكوفة قائلًا:

«و اللّه لقد ضربتكم بالدّرة الّتى أعظ بها السّفهاء فما أراكم تنتهون، ولقد ضربتكم بالسّياط الّتى أقيم بها الحدود فما أراكم ترعوون، فما بقى إلّا سيفى! وإنّى لاعلم الّذى يقوّمكم بإذن اللّه و لكنّى لا أحبّ أن آتى تلك منكم»[١٣١]

. ونموذج ذلك قد تمثل بالحجاج حين هجم جيش المهلب (أحد زعماء الخوارج) وسدد ضرباته القاصمة لحكومة بنى أمية، فبعث الحجاج من نادى بالكوفة من تخلف عن قتال جيش المهلب اخربت داره على رأسه وضربت عنقه بالسيف، ولم يستثن من ذلك حتى الكهول والمرضى. وبالطبع فقد عمل بذلك عدد من المستبدين من قبل الحجاج وبعده. فالإمام عليه السلام يشير إلى سهولة اللجوء إلى هذا الاسلوب، إلّاأنّه لايليق بشأنه وعلو منزلته، وانّه لايفعل ذلك لأنّه يفسد دينه. وهنا يطرح هذا السؤال: أو ليس الدفاع عن الحكومة الإسلامية وقتال أعدائها واجباً؟ فلم لايحمل الناس قهراً على القتال؟ والجواب على هذا السؤال يتضح من خلال ذكر هذه المسألة، وهى أنّ أصل هذا العمل صحيح، وللحكومة الإسلامية أن تلجا إلى القوة فى مثل هذه الحالة، إلّاأنّ هذا الأمر يستلزم عدّة تبعات قد تكون فى نهاية الأمر مخالفة لأحكام الشرع، ونموذج ذلك واضح فى قضية الحجاج الذى كان يضرب بالسيف البرى والمذنب على حد سواء. أضف إلى ذلك فانّ هذا العمل قد يستبطن بعض ردود الفعل السلبية من البعض واساءتها لفهم القوانين الإسلامية، وذلك لعدم قبول هذا العمل من قبل الجميع، ولعل بعض الضغوط تدعو البعض إلى الردة والتمرد على أحكام الدين والقرآن.

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٨٣

ومن هنا لم يلجأ النبى صلى الله عليه و آله قط إلى مثل هذا الاسلوب، بل لم يعمل به أى من الخلفاء بعد النبى صلى الله عليه و آله. وعليه فقد درج الإمام عليه السلام وعلى غرار ما كان يفعله رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله من اعتماد الترغيب والترهيب فى تعبئة الامّة لخوض غمار الجهاد. ثم إختتم الإمام عليه السلام خطبته بالدعاء عليهم جزاءاً لأعمالهم:

«أضرع ١٣٢] اللّه خدودكم، وأتعس ١٣٣] جدودكم![١٣۴] لا تعرفون الحقّ كمعرفتكم الباطل، ولا تبطلون الباطل كإبطالكم الحقّ!»

فالواقع أنّ دعاء الإمام عليه السلام لم يكن سوى نتيجة أعمالهم، فمن ترك الجهاد لايذيق سوى الذل والهوان، وما ذلك إلّالجهلهم بالحق وعدم نهوضهم به واقبالهم على الباطل. وهذا هو البؤس والشقاء الذى يحتاج اليوم مجتمعاتنا الإسلامية. فهذه المجتمعات تعرف الباطل، مع ذلك تقلده وتقتفى آثاره، بينما تجهل الحق واتباعه، والأنكى من ذلك هناك من هم للوقوف بوجه الحق رافعا راية الباطل والضلال.

والحال إنّ هذه الطاقات والإمكانات لابدّ أن تجند فى سبيل اللّه وإحقاق الحق وإبطال الباطل.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۸۵

الخطبة[۱۳۵] السبعون

اشارة

وقال عليه‌السلام

فى سحرة اليوم الذى ضرب فيه

«مَلَکَتْنِی عَیْنِی وأَنا جالِسٌ فَسَنَحَ لِی رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه و آله فَقُلْتُ یا رَسُولَ اللَّهِ ما ذا لَقِیتُ مِنْ أُمَّتِکَ مِنَ الْأَوَدِ واللَّدَدِ فَقالَ ادْعُ عَلَیْهِمْ فَقُلْتُ أَبْدَلَنِی اللَّهُ بِهِمْ خَیْراً مِنْهُمْ وأَبْدَلَهُمْ بِی شَرّاً لَهُمْ مِنِّی».

الشرح والتفسير

رؤية رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله

روى محمد بن حبيب البغدادى فى كتاب المغتالين عن أبى عبدالرحمن السلمى أنّه قال:

عدت أميرالمؤمنين على عليه السلام فقال: ادن منى (كأنه لم يرد إسماع الآخرين)، بينما كانت النسوة تبكى. فقال عليه السلام:

«ملكتنى عينى وأنا جالسٌ فسنح ۱۳۶] لى رسول اللّه صلى الله عليه و آله ...».

على كل حال

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۸۶

فانّ هـذا الكلام يعبر عن مدى الاذى الذى تعرض له عليه السـلام من تلك الجماعة. وبالطبع فهذه ليست المرة الاولى التى يشـكو فيها الإمام عليه السـلام بل ورد ذلك فى أكثر من خطبـة من خطب نهج‌البلاغـة والتى تفيـد بأجمعها عدم معرفة مقامه عليه السـلام ورعاية حرمته إلى جانب الآذى والألم الذى جرعوه إيّاه. فقد إستهل كلامه عليه السلام بالقول:

«ملكتنى عينى وأنا جالسٌ»

فالعبارة «ملكتنى عينى» من فصيح الكلام الذى أراد به عليه السلام غلبنى النوم، لأنّ العين هى العضو الأول الذى تظهر عليه آثار النوم، ومن هنا استعملت كناية عن مفهوم النوم. ثم قال عليه السلام:

«فسنح لى رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم، فقلت: يا رسول اللّه! ماذا لقيت من أمّتك من الاود واللّدد؟».

لعلنـا لا نرى نظيراً للإمام عليه السـلام من أولياء اللَّه طليـة التأريـخ ممن جوبهوا بمثل هـذا العـداء والتمرد العصـيان والاذى ولم يقتصـر ذلك على تلك المدة التى حكم فيها، بل إمتد ليشـمل حتى تلك الفترة التى أصـبح فيها جليس الدار مدة خمس وعشـرين سنة، فقد تعرض لمثل ذلك الاذى طيلـة الخلافة الراشدة ولا سـيما إبان خلافة عثمان حين ضاق ذرعاً بالممارسات الخطيرة التى طالت بيت مال المسـلمين فحاول الإصـلاح لإعادة الامور إلى مجاريها، فجوبه بسـخط واسع ونقمة عامة، الأمر الذى بلغ ذروته حين آلت إليه الخلافة. وعليه فلايبدو من العجيب أن يشـكو الإمام عليه السـلام الامّة إلى النبى صـلى الله عليه و آله رغم ما وصف به من الصبر والتحمل، فهو الذى صبر وفى العين قذى وفى الحلق شجى. ولنرى جواب النبى صلى الله عليه و آله لعلى عليه السلام:

«فقال: «ادع عليهم»

، فقال الإمام عليه السلام:

«فقلت: أبدلنی اللّه بهم خیراً منهم، وأبدلهم بی شرّاً لهم منّی»

. والسؤال الذی یقتدح إلی الذهن: لم أمر الرسول صلی الله علیه و آله بالدعاء علیهم وهو الموصوف بأنّه

«رحمهٔ للعالمین»؟

ونقول فی الجواب أنّ طغیان طائفهٔ من الناس وتمردها قد یصل درجهٔ تغلق معها کافهٔ منافذ الرحمهٔ بوجهها فلا تبقی لنفسها سوی العذاب وسلب النعمهٔ، وهکذا نری الأنبیاء الذین یمثلون ذروهٔ الصبر والتحمل والحکمهٔ واللطف والرحمهٔ یرون هذه المفردات إنّما تتجسد فی الدعاء علی أقوامهم بعد وصولهم إلی مرحلهٔ لایرجی بعدها هدایتهم. فهذا نبی اللّه نوح علیه السلام قد جهد تسعمائهٔ وخمسین سنهٔ فی تبلیغ رسالهٔ ربه وتحمل ذلک الاذی فی سبیل هدایهٔ قومه، ولما لم یر

نفحات الولایهٔ، ج۳، ص: ۸۷

من سبیل سوی الدعاء علیهم تضرع إلی اللّه سبحانه قائلًا: «وَقالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلی الْأَرْضِ مِنَ الکافِرِینَ دَیّاراً»[۱۳۷] فاغرقوا جمیعاً بالطوفان. علی کل حال فان سیرهٔ الإمام علیه السلام تجسدت فی مداراهٔ الأعداء فضلًا عن الأصدقاء، حتی أوصی مالکاً حین ولاه مصر باستشعار قلبه الرحمهٔ لکافهٔ الناس بغض النظر عن أدیانهم ومعتقداتهم:

«فالناس صنفان اما أخ لک فی الدین أو نظیر لک فی الخلق»

ومن هنا کان لابدّ من تصور مدی الاذی والتمرد الذی واجهه الإمام علیه السلام حتی إضطر إلی الدعاء علیهم. جدیر بالذکر الادب الذی تحلی به الإمام علیه السلام حیال رسول‌اللّه صلی الله علیه و آله حیث لم یقدم علی الدعاء علیهم إلا بعد أن أذن له النبی صلی الله علیه و آله. مضمون الدعاء هو الآخر جدیر بالتأمل حیث سأله أولًا النجاهٔ من هؤلاء المردهٔ ثم سأل اللّه أن یسلبهم نعمهٔ وجوده ویسلط علیهم حاکماً ظالماً لیجرعهم مرارهٔ أعمالهم. امّا العبارهٔ

«أبدلهم بی شرّاً لهم منّی»

لاتعنی أنّ الإمام علیه السلام کان والعیاذ باللّه سیئاً وقد سأل اللّه أن یسلط علیهم أسوأ منه، لأنّ مفردتی الخیر والشر فی الاداب العربیهٔ لا تقتضی جزماً معانی صیغهٔ التفضیل، وهکذا العبارهٔ

«ابدلنی اللّه بهم خیراً منهم»

فاولئک کانوا نفاقاً وشراً ولم یکونوا من الاخیار. والشاهد علی ذلک عدهٔ آیات قرآنیهٔ کالآیهٔ الخامسهٔ عشرهٔ من سورهٔ الفرقان: «قُلْ أَذلِکَ خَیْرٌ أَمْ جَنَّهُٔ الخُلْدِ» والآیهٔ السادسهٔ والعشرون من سورهٔ الصافات: «أَذلِکَ خَیْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَهُٔ الزَّقُّومِ».

علی کل حال استجیب دعاء الإمام علیه السلام لیستشهد الإمام علیه السلام بعد أن ضرب فی محرابه ففاز بلقاء اللّه وجوار رسوله صلی الله علیه و آله، بینما تسلط من بعده معاویهٔ ویزید والحجاج علی أهل العراق لیجرعوهم الموت غصهٔ بعد غصهٔ.

وقال السید الرضی (ره) آخر الخطبهٔ

«یعنی بالْأود: الْإعْوجاج، وباللّدد: الْخصام. وهذا من أفصح الکلام».

تأمّلان

۱- أصحاب علی علیه السلام

لاشبههٔ ولاریب أنّ أتباع الإمام علی علیه السلام علی ثلاث طوائف: الطائفهٔ الاولی الخلص

نفحات الولایهٔ، ج۳، ص: ۸۸

الأوفیاء الذین کانوا یدورون حول الإمام علیه السلام کیفما دار ویضحون من أجله بالغالی والنفیس من قبیل مالک الأشتر وعمار بن

یاسر ورشید الهجری ومیثم التمار وکمیل بن زیاد وأمثالهم.

الطائفهٔ الثانیهٔ الجهال الذین لم یعرفوا مقام الإمام علیه السلام ولم یدرکوا شرائط الزمان والمکان، ولم یقفوا علی أخطار معاویهٔ وحکومته فی الشام، کما لم یکونوا یحضرون فی میدان القتال، وهم أفراد سذج متلونون لا یعتمد علیهم فی أی عمل من الأعمال والطائفهٔ الثالثهٔ هی الزمرهٔ الحاقدهٔ التی إعتادت العبث بأموال المسلمین علی عهد عثمان، الأمر الذی طالبوا به علیاً علیه السلام ولم یکونوا یفکرون سوی فی الأموال والمناصب- بغض النظر عن الطرق المؤدیهٔ إلیها- إلی جانب کون أکثر یشکلون جواسیس معاویهٔ عیونه فی الکوفهٔ. مع ذلک کان الإمام علیه السلام یعامل الجمیع بالرفق والمداراهٔ حفظاً علی مصالح المجتمع الإسلامی، بینما یضطر أحیاناً لذمهم وتوبیخهم علهم یفیقون إلی أنفسهم أما شکاواه وأنینه منهم فیمکن الوقوف علیه فی هذه الخطب:

۱- قال فی الخطبهٔ الخامسهٔ والعشرین:

«و إنّی واللّه لَأَظنّ أنّ هؤلَاء القَومَ سَیدَالونَ منکم باجتماعهم علی باطلهم وتفرّقکم عن حقّکم ... اللّهمّ إنّی قد مللتهم وملّونی وسئمتهم وسئمونی».

۲- قال فی الخطبهٔ السابعهٔ والعشرین:

«فیا عجباً عجباً!- واللّه- یمیت القلب ویجلب الهمّ من اجتماع هؤلاء القوم علی باطلهم وتفرّقکم عن حقّکم! فقبحاً لکم وترحاً ... یا أشباه الرّجال ولا رجال! حلوم الْأطْفال وعقول ربّات الْحجال، لوددت أنّی لم أرکم ولم أعرفکم».

۳- قال فی الخطبهٔ التاسعهٔ والعشرین:

«أیّها النّاس! المجتمعهٔ أبدانهم، المختلفهٔ أهواؤهم، کلامکم یوهی الصّمّ الصّلاب، وفعلکم یطمع فیکم الْأعداء! تقولون فی المجالس: کیت وکیت، فإذا جاء القتال قلتم: حیدی حیاد».

۴- قال فی الخطبهٔ التاسعهٔ والستون:

«کم أداریکم کما تداری البکار العمدهٔ، والثّیاب الم تداعیهٔ! کلّما حیصت من جانبٍ تهتّکت من آخر».

۵- قال فی الخطبهٔ السابعهٔ والتسعین:

«أیّها القوم الشّاهدهٔ أبدانهم، الغائبهٔ عنهم عقولهم، المختلفهٔ أهواؤهم المبتلی بهم أمراؤهم ... یا أهل الکوفهٔ! منیت منکم بثلاثٍ واثنتین: صمٌّ ذوو أسماعٍ وبکمٌ ذوو کلامٍ وعمیٌ ذوو أبصارٍ، لا أحرار صدقٍ عند اللّقاء، ولا إخوان ثقهٍ عند البلاء».

نفحات الولایهٔ، ج۳، ص: ۸۹

۶- قال فی الخطبهٔ المئهٔ وتسعهٔ عشر:

«ما بالکم أمخرسون أنتم؟! ... ما بالکم لا سدّدتم لرشدٍ ولا هدیتم لقصدٍ».

۷- قال فی الخطبهٔ المئهٔ والحادیهٔ والعشرین:

«أرید أن أداویَ بکم وَأَنتم دَائی کناقش الشّوکهٔ بالشّوکهٔ وهو یعلم أنّ ضلعها معها! اللّهمّ قد ملّت أطبّاء هذا الدّاء الدّویِّ».

۸- قال فی الخطبهٔ المئهٔ والثالثهٔ والعشرین:

«و کأنّی أنظر إلیکم تکشّون کشیش الضّب لا تأخذون حقّاً ولا تمنعون ضیماً».

۹- قال فی الخطبهٔ المئهٔ والخامسهٔ والعشرین

«أفٍّ لکم! لقد لقیت منکم برحاً، یوماً أنادیکم ویوماً أناجیکم، فلا أحرار صدقٍ عند النّداء ولا إخوان ثقهٍ عند النّجاء».

۱۰- قال فی الخطبهٔ المئهٔ والحادیهٔ والثلاثین:

«أیّتها النّفوس المختلفهٔ والقلوب المتشتّتهٔ، الشّاهدهٔ أبدانهم، والغائبهٔ عنهم عقولهم، أظأرکم علی الحقّ وأنتم تنفرون عنه نفور المعزی من وعوعهٔ الْأسد».

٢- الأفراد الملعونون

كما مر معنا فى شرح الخطبة فانّ الأنبياء والأوصياء قد إجتهدوا فى إصلاح أقوامهم ودعوتهم إلى الحق بالحكمة والمواعظة الحسنة وتحملوا كافة المشاق والصعاب بكل صبر وجلد، إلّاأنّهم كانوا يرون أحياناً كافة أبواب الأمل قد أغلقتها تلك الأقوام بوجهها بحيث لم يعد هنالك من أمل فى هدايتها، فلم يكن أمامهم من سبيل سوى الدعاء عليها؛ أملًا فى إجتثاث أولئك الفسدة واستبدالهم بآخرين. وإننا لنلمس نماذج من ذلك الدعاء فى السيرة المفعمة بالعفو والرحمة لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله ومنها:

١- جاء فى الأخبار أن الحكم بن العاص عم عثمان كان كثيراً ما يسخر من رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله ويؤذيه من خلال مشيه خلفه وإتيانه ببعض الحركات حيث كان يحرك كتفيه ويكسر يديه خلف رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله إستهزاءاً منه بمشيته النبى صلى الله عليه و آله حتى إلتفت إليه النبى صلى الله عليه و آله وقال له: هكذا كن

نفحات الولايئ، ج٣، ص: ٩٠

فبقى الحكم على تلك الحال من تحريك أكتافه وتكسر يديه، ثم نفاه رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله من المدينة ولعنه.[١٣٨]

٢- روى أنّ ابن مسعود قال: كنّا مع النبى صلى الله عليه و آله فصلى فى ظل الكعبة وناس من قريش وأبوجهل نحروا جزوراً فى ناحية مكة فبعثوا وجاؤوا بسلاها فطرحه بين كتفيه، فجاءت فاطمه عليها السلام فطرحته عنه، فلما انصرف قال:

«أللّهمّ اشدد وطأتك على مضرٍ واجعلها عليهم كسنى يوسف»

قال: عبداللَّه: ولقد رأيتهم قتلى فى قليب بدر.[١٣٩]

٣- ومن ذلك أنّه دعا على مضر فقال: اللّهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم كسنى يوسف، فاصابهم سنون، فاتاه رجل فقال: فو اللَّه ما أتيتك حتى لا يخطر لنا فحل ولا يتردد رائح ١٤٠]، فقال رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله:

«اللّهمّ العنهما واركسهما فى الفتنة ركساً ودعّهما فى النّار دعّاً»

فما قام حتى ملأ كل شئ، ودام عليهم جمعة، فأتوه فقالوا: يا رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله إنقطعت سبلنا وأسواقنا، فقال النبى صلى الله عليه و آله: حوالينا ولاعلينا، فانجابت السحابة عن المدينة وصار فيما حولها وأمطروا أشهراً.[١٤١]

٤- وورد فى الحديث أنّ رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله لما مر بعمرو بن العاص والوليد بن عقبة بن أبى معيط وهما فى حائط يشربان ويغنيان بهذا البيت فى حمزة بن عبدالمطلب حين قتل:

كم من حوارى تلوح عظامهورآء الحرب عندنا يجر فيقبرا

فقال النبى صلى الله عليه و آله: أللّهمّ العنهما واركسهما فى الفتنة ركساً ودعهما فى النار دعاً.[١٤٢]

٥- وجاء فى الخبر أنّ رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله أخذ يوم بدر كفاً من حصى فرمى به فى وجوه قريش وقال:

«شاهت الوجوه»

فبعث اللَّه رياحاً تضرب وجوه قريش فكانت الهزيمة، فقال رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله: اللهم لايفلتن فرعون هذه الأمة أبوجهل بن هشام. فقتل منهم سبعون، وأسر

نفحات الولايئ، ج٣، ص: ٩١

منهم سبعون ١٤٣]. وبالطبع فان دعاء النبى صلى الله عليه و آله ولعنه لم يقتصر على هؤلاء؛ الأمر الذى يشير إلى أنّ أولياء اللَّه ورغم تحملهم كل عناء المواجهة مع الاعداء، الا أنهم كانوا لايرون من أمل فى المقابل فيضطرون للدعاء عليه، وهذا ما ورد فى خطبة الإمام عليه السلام اقتداءاً برسول اللَّه صلى الله عليه و آله.

نفحات الولايئ، ج٣، ص: ٩٣

الخطبة[۱۴۴] الحادية و السبعون

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

فی ذم أهل العراق

وفيها يوبخهم على ترک القتال والنصر يكاد يتم، ثم تكذيبهم له

نظرة إلى الخطبة

ورد فی بعض الروايات خطب علی عليه السلام فقال:

«لو كُسِرتْ لی الوِسادة لحكمتُ بين أهل التوراة بتوراتِهم، وبين أهلِ الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهْلِ الفرقان بفرقانهم، وما مِنْ آية فی كتاب الله أنزلتْ فی سهلٍ أو جبل إلا وأنا عالم مَتَى أنزلت، وفيمن أنزلت».

فقال رجل من القُعود تحت مِنْبره: يالله وللدّعوى الكاذبة! وقال آخر إلى جانبه: أشهد أنّک أنت الله ربّ العالمين! (فقد كان احدهما مفرطا والاخر مفرّطا).

و روى المدائنی أيضاً قال: خطب علی عليه السلام، فذكر الملاحم، فقال:

«سلونی قبل أن تفقِدونی، أما والله لَتَشْغَرَنَّ الفتنة الصّماء برجِلها، وتطأ فی خِطامها».

يا لها من فِتنة شُبّت نارها بالحطب الجزْل، مقبلة من شرق الأرض رافعة ذيلها، داعية

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۹۴

ويلَها، بدجلة أو حولها. ذاک إذا استدارَ الفَلک، وقلتم: مات أو هلک، بأیّ واد سلک!

فقال قوم تحت منبره: لله أبوه! ما أفصحه كاذباً!

على كل حال فانّ الخطبة قد وردت بعد واقعة صفين حيث يعرض بالذم لجيشه الذی أوشک على تحقيق النصر النهائی والقضاء على فتنة بنی أمية. ومن هنا شبههم الإمام عليه السلام بالمرأة الحامل التی أوشكت على وضع ا لحمل أسقطت جنينها، فمات قيمها وطال تأيمها وورثها أبعدها، فأصبحت بائسة شقية. ثم إختتم الخطبة بالرد على من كذب حديثه وتجاهل ما أخبر به الإمام عليه السلام من حقائق بسبب الجهل والحمق. فالخطبة هی الاخرى تكشف عن مدى مظلومية الإمام عليه السلام.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۹۵

«أَمَّا بَعْدُ يا أَهْلَ الْعِراقِ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ، حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ وَماتَ قَيِّمُها، وَطالَ تَأَيُّمُهَا، وَوَرِثَهَا أَبْعَدُهَا. أَمَا وَاللَّهِ! مَا أَتَيْتُكُمْ اخْتِياراً، وَلَكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ (اتيتكم) سَوْقاً. وَلَقَدْ بَلَغَنِی أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عَلِیٌّ يَكْذِبُ، قاتَلَكُمُ اللَّهُ تَعالَى فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ؟ أ عَلَى اللَّهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ، أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ! كَلَّا وَاللَّهِ. لَكِنَّهَا لَهْجَةٌ غِبْتُمْ عَنْهَا، وَلَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِها. وَيْلُ أُمِّهِ كَيْلًا بِغَيْرِ ثَمَنٍ! لَوْ كانَ لَهُ وِعاءٌ «وَ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ»».

الشرح والتفسير

الشكوى من الاتباع الجهلاء

كما أشرنا سابقا فانّ الإمام عليه السلام خطب هذه الخطبة بعد موقعة صفين، حيث بات النصر الحاسم وشيكاً، بينما إنشقت طائفة من جيش الإمام عليه السلام إثر حيلة معاوية وعمرو بن العاص ففقدت فرصة النصر، وأنكى من ذلک أحدثت شقاقاً وخلافاً فی جيش

الإمام عليه السلام، الخلاف الذى بلغ ذروته حتى أدى إلى وقوع تلك الحرب الأهلية. فالإمام عليه السلام وبفعل هذه الحادثة المروعة الأليمة يذم أهل العراق ويقول:

«أمّا بعد يا أهل العراق، فإنّما أنتم كالمرأة الحامل، حملت فلمّا أتمّت أملصت ۱۴۵] ومات قيّمها، وطال تأيّمها،[۱۴۶] وورثها أبعدها»

فالعبارة تتضمن عدّة تشبيهات: الاولى شبه أهل العراق بالمرأة حيث لم يدافعوا برجولة عن عزتهم وشرفهم، ثم لم يكتف بهذا التشبيه ليضيف إليه الحمل حيث كان باستطاعتهم وبطاعتهم للإمام عليه السلام أن

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۹۶

يلدوا ذلك النصر المبارك الذى يضع حدا لغارت أهل الشام وتطاولهم على حرمة الإسلام والمسلمين، إلّاأنّهم أسقطوا ذلك النصر فى آخر اللحظات بفعل جهلهم. فقد خدع القوم بحيلة عمرو بن العاص حين رفع المصاحف على أسنة الرماح، فتعالت الأصوات بالرجوع إلى القرآن، حتى هدد الإمام عليه السلام بالقتل إذا لم يرجع مالك الأشتر ويكف عن القتال ولم يكن سوى بضع خطوات بينه وبين معاوية. فمثل هذه المرأة إذا فقدت زوجها ولم تحظ بزوج مناسب وماتت غصة فى هذه الدنيا، فمن الطبيعى أن يرثها الأبعد، فليس لها من ولد يكون لها إمتداداً، وليس لها زوج يبكيها (على فرض أنّ ليس لها أب وأم). وذهب البعض إلّاأن هذا الكلام إشارة إلى نبوءات على ما سيصيب أهل العراق من جراء سوء تدبيرهم فى صفين، حيث سيفقدون إمامهم لجهلهم وتمردهم فيسلط عليهم البعداء فيسومونهم سوء العذاب، وهذا ما وقع بالفعل، ثم يتطرق الإمام عليه السلام إلى هجرته من المدينة إلى الكوفة التى إستندت إلى الاضطرار وليس فيهم ما يجعل الإمام عليه السلام يهاجر إليهم، على العكس من أهل المدينة الذين إندفع إليهم رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله، وقد كانوا أهلًا لحب رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله وإقباله عليهم. فقال:

«أما واللَّه ما أتيتكم اختياراً؛ ولكن جئت إليكم سوقاً».

والتأريخ يشير إلى هذه الحقيقة وهى لولا موقعة الجمل لما إنطلق الإمام عليه السلام إلى البصرة، ولو كان لأهل الحجاز أن يقضوا على فتنة الناكثين لما إستنجد بأهل الكوفة، ولولا خطر معاوية الذى كان يهدد البلاد الإسلامية لما إستقر الإمام عليه السلام فى الكوفة وهجر المدينة وغادر قبر رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله وسيدة النساء. والواقع أنّ العبارة رداً على إشكال فى علة قدوم الإمام عليه السلام إلى الكوفة وهى بهذه الصفات الذميمة، فقد أجيب عن هذا الإشكال بأنّ الإمام عليه السلام أتى مجبراً لا مختاراً. ثم قال عليه السلام

«و لقد بلغنى أنّكم تقولون: علىٌّ يكذب، قاتلكم اللَّه تعالى! فعلى من أكذب؟ أعلى اللَّه؟ فأنا أوّل من آمن به! أم على نبيّه؟ فأنا أوّل من صدّقه»

فالحقيقة التى لاغبار عليها هى أنّ الإمام عليه السلام أول من آمن من الرجال باللَّه، كما تشير حياته إلى أنّه لم يسجد لصنم ولم يعبد سوى اللَّه وأنّه أول من صدق برسول اللَّه صلى الله عليه و آله ووقف إلى جانبه طيلة الدعوة. ولعل الكلام يشير إلى بعض إخباره بالمغيبات والحوا دث التى كانت خافية على أولئك الناس، وقد انطلق ذلك التكذيب من قبل تلك الفرقة المنافقة التى كانت متغلغلة فى صفوف أهل الكوفة والتى كانت تنسب الإمام عليه السلام إلى الكذب كلما أخبر عن

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۹۷

وقوع بعض الحوادث بصفته

«تعلّم من ذى علم».

كما يمكن أن تكون العبارة إشارة إلى الأحكام والمعارف الإسلامية التى تعلمها الإمام عليه السلام من القرآن الكريم أو من النبى صلى الله عليه و آله وعجزت أفكار المنافقين عن إدراكها وفهمها. وقد صرح ابن أبى الحديد قائلًا: وإذا تأملت أحواله فى خلافته كلها وجدتها هى مختصرة من أحوال رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله فى حياته، كأنّها نسخة منتسخة منها فى حربه وسلمه وسيرته وأخلاقه

وكثرة شكايته من المنافقين من أصحابه والمخالفين لأمره، وإذا أردت أن تعلم ذلك علماً واضحاً فاقرأ سورة

«براءة»

ففيها الجم الغفير من المعنى الذى أشرنا إليه ۱۴۷]. ومن الواضح أنّ أول موحد ومؤمن باللَّه ومصدق بالنبى صلى الله عليه و آله لايكذب قط ولايتكلم بما لايعلم إنما يفترى الكذب من لا يؤمن باللَّه ولايعرف للورع والتقوى من معنى. بعبارة أخرى: فان كافة معارف الإمام عليه السلام حتى الأخبار الغيبة التى كان يحدث عنها إنّما كانت دروساً تعلمها من النبى صلى الله عليه و آله، فهل من سبيل إلى الكذب لهذه الأخبار من قبل تلميذ النبى صلى الله عليه و آله وربيبه الوفى على عليه السلام؟ إلّاأنّ المنافقين عمى الابصار والبصائر لايرون سوى منافعهم، من هنا كانوا حريصين على تشويه سمعة الإمام عليه السلام. ثم يختتم الإمام عليه السلام خطبته قائلًا:

«كلَّا واللَّه! لكنَّها لهجةٌ[۱۴۸] غبتم عنها، ولم تكونوا من أهلها ويل امّه ۱۴۹] كيلًا بغير ثمنٍ! لو كان له وعاءٌ، ولتعلمنّ نبأه بعد حينٍ»

والمراد بالعبارة

«لكنّها لهجةٌ غبت م عنها»

- وبالالتفات إلى أنّ اللهجة هنا تعنى الحقائق الغائبة عنهم- أنّ تكذيبكم وإنكاركم إنّما يستند إلى جهلكم وضحالة أفكاركم وعدم علمكم بالأسرار التى تعلمتها من رسولاللَّه صلى الله عليه و آله والقرآن، ولاعجب ف

«النّاس أعداء ما جهلوا».

أمّا العبارة

«ويل امه»

- التى تفيد الترحم والتعجب كما ترد أحياناً للدعاء بالشر- فلها

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۹۸

معنيان لدى الشرّاح؛ المعنى الأول: تأسفه عليه السلام من الجهود التى بذلها بحق اولئك المردة، والثانى: لعن المنافقين الذين دأبوا على الفساد والانحراف أبان حكومته عليه السلام، ويبدو المعنى الثانى أنسب.

تأمّلان

۱- على عليه السلام أول من أسلم

لقد صرحت هذه الخطبة وعلى غرار سائر خطب نهجالبلاغة أنّ علياً عليه السلام هو أول من آمن بالنبى صلى الله عليه و آله من الرجال (لأنّ خديجة هى الصديقة الاولى بالنبى صلى الله عليه و آله من النساء). وبالطبع فقد سعى بعض المتعصبين من أبناء العامة كصاحب البداية والنهاية للمساس بهذه الحقيقة المسلمة تأريخيا وروائيا من خلال بعض الذرائع الواهية، ولكن كما أشرنا آنفا فانّ هذه الحقيقة ثابتة على متوى التأريخ والروايات. فقد نقل العلّامة الامينى فى المجلد الثالث من غديره حدود مئة حديث بهذا الشأن عن مصادر العامة، والتى ورود بعضها عن رسولاللَّه صلى الله عليه و آله والبعض الاخر عن الصحابة والتابعين، ومنها:

۱- عن النبى صلى الله عليه و آله أنّه قال

«أوّلكم وارداً علىّ الحوض أوّلكم إسلاماً علىُّ بن أبى طالبٍ».[۱۵۰]

۲- وقال على عليه السلام:

«أنا عبد اللّه وأخو رسول اللّه وأنا الصِّدّيق الْاكْبر، لا يقولها بعْدى إلّا كاذبٌ مفترٍ، ولقد صلّيت مع رسولاللّه صلى الله عليه و آله قبل النّاس بسبع سنين، وأنا أوّل من صلّى معه».[۱۵۱]

٣- وروى ابن عباس عن رسول‌اللَّه صلى الله علیه و آله:

«إنّ أوّل من صلّى معى علىٌّ».[١٥٢]

۴- كان من بين الاسئلة التى طرحها الحسن المجتبى عليه السلام فى مجلس معاوية:

«أنشدكم باللّه هل تعلمون أنّه أوّل النّاس إيماناً».[١٥٣]

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٩٩

۵- روت أغلب المصادر المعتبرة عن خادم النبى صلى الله علیه و آله أنس بن مالك قال

«نبىء النّبىّ يوم الإثنين وأسلم علىٌّ يوم الثّلاثاء»[١٥۴]

. ۶- قال ابن عباس كنت عند عمر فجرى الكلام عن السبق فى الإسلام، فقال عمر: ثلاث لعلى بن أبى‌طالب عليه السلام لو كانت لى واحدة منها لكانت خيراً لى ممّا طلعت عليه الشمس: فقد ربت رسول‌اللَّه صلى الله علیه و آله على كتف على عليه السلام وقال:

«يا علىّ! أنت أوّل المسلمين إسلاماً وَأنت أوّل المؤمنين إيماناً، وأنت منّى بمنزلة هارون من موسى».[١٥۵]

٧- روى أحمد بن حبل- أحد الائمة الأربعة- فى مسنده أنّ علياً عليه السلام قال:

«لقد صلّيت قبل أن يصلّى أحدٌ، سبعاً»[١۵۶]

فالأحاديث الواردة بهذا الشأن كثيرة لايسع المقام ذكرها. وقد صنف المرحوم العلّامة الامينى هذه الأحاديث (أحاديث رسول‌اللَّه صلى الله علیه و آله، أحاديث على عليه السلام، أحاديث الإمام الحسين عليه السلام وأحاديث الصحابة والتابعين والاشعار التى انشدت بهذا الخصوص) إلى جنب شهادة المؤرخين كالطبرى فى التأريخ وابن الأثير فى الكامل ونصر بن مزاحم فى صفين (ومن أراد المزيد فليراجع المجلد من كتاب الغدير ص ٢١٨ فصاعدا). كما نقل ابن أبى الحديد طائفة من هذه الأحاديث عن مصادر العامة فى شرحه لنهج البلاغة.[١۵٧]

٢- إجابة عن سؤال

الجدير بالذكر أنّ بعض المتعصبين الذين لم يسعهم التنكر لهذه الفضيلة من وجهة النظر التأريخية والروائية، تشبثوا ببعض الذرائع للحد من قيمتها، وأهم تلك الذرائع:

يزعمون أنّ علياً عليه السلام لما أسلم كان له من العمر عشر سنوات والإسلام لايقر إسلام الصبيان؛ وقد إتسعت حدة هذه الذريعة الجوفاء فى الاوساط المعادية للإمام عليه السلام لتظن بتعذر الاجابة على هذا الأشكال، والحال:

نفحات الولاية، ج٣، ص: ١٠٠

أولًا: من المناسب أن نذكر الحوار الذى دار بين المأمون الخليفة العباسى مع فقيه العامة اسحق. قال المأمون: يا إسحاق أى الأعمال كان أفضل يوم بعث رسول‌اللَّه صلى الله علیه و آله؟ قلت:

الاخلاص بالشهادة. قال: أليس السبق إلى الإسلام؟ قلت: نعم. قال: فهل علمت أحداً أسبق علياً عليه السلام إلى الإسلام؟ قلت: يا أميرَالمؤمنين، إن علياً أسلم وهو حديث السن لايجوز عليه الحكم. قال: فأخبرنى عن إسلام على حين أسلم؟ لايخلو من أن يكون رسول‌اللَّه صلى الله علیه و آله دعاه إلى الإسلام، أو يكون إلهاما من اللَّه. فاطرق اسحاق ولم يجب.[١۵٨]

وأضاف المرحوم العلّامة الأمينى بعد نقله لهذه المحاورة: وقال أبوجعفر الاسكافى المعتزلى المتوفى ٢۴٠ فى رسالته: قد روى الناس كافة إفتخار على عليه السلام بالسبق إلى الإسلام، وإن النبى صلى الله علیه و آله استنبئ يوم الاثنين وأسلم على عليه السلام يوم الثلاثاء. وإنّه كان يقول: صليت قبل الناس سبع سنين وإنه مازال يقول: أنا أول من أسلم. ويفتخر بذلك ويفتخر له به أولياؤه وما دحوه وشيعته فى عصره وبعد وفاته، والأمر فى ذلك أشهر من كل شهير، وقد قدمنا منه طرفاً وما علمنا أحداً من الناس فيما خلا إستخف

بإسلام علی علیه السلام ولا تهاون به، ولا زعم أنّه أسلم إسلام حدث نحریر وطفل صغیر، ومن العجب أن یکون مثل العباس وحمزة ینتظران أباطالب وفعله لیصدوا عن رأیه، ثم یخالفه علی إبنه لغیر رغبة ولا رهبة یؤثر القلة علی الکثرة، والذل علی العزة من غیر علم ولا معرفة بالعاقبة[۱۵۹]. وروی فی الخبر الصحیح أنّه لکفه فی مبدأ الدعوة قبل ظهور کلمة الإسلام وانتشارها بمکة أن یصنع له طعاما وأن یدعو له بنی عبدالمطلب، فصنع له الطعام ودعاهم ثلاثا، ثم کلمهم صلی الله علیه و آله فدعاهم إلی الدین ثم ضمن لم یوازره منهم وینصره علی قوله أن یجعله أخاه فی الدین ووصیه بعد موته وخلیفته من بعده فامسکوا کلهم وأجابه هو وحده وقال: أنا أنصرک علی ما جئت به واوازرک وأبایعک، فنصبه وصیه وخلیفته، فضحک القوم وقالوا لأبی طالب: أطع إبنک فقد أمره علیک.

وزبدة القول فانّ رسول‌اللَّه صلی الله علیه و آله قبل إسلام علی علیه السلام، فمن قال بعدم إعتبار إسلامه بسبب عمره، فی الواقع یشکل علی النبی صلی الله علیه و آله.

ثانیاً: جاء فی الروایات المشهورة لقصة یوم الدار إن النبی صلی الله علیه و آله أعدّ طعاما ودعا إلیه قرابته

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۱۰۱

من قریش فدعاهم إلی الإسلام وأنّ من یجب دعوته ویقف إلی جانبه فی الدفاع عن الإسلام سیکون وحیه وخلیفته، فلم یجبه إلّاعلی بن أبی‌طالب علیه السلام الذی قال: أنا یا رسول‌اللَّه صلی الله علیه و آله، فقال النبی صلی الله علیه و آله: أنت أخی ووصیی وخلیفتی.[۱۶۰] فهل هناک من یعقل أن النبی صلی الله علیه و آله جعل علیاً علیه السلام أخیه ووصیه وخلیفته ودعا الآخرین إلی طاعته بحیث یسخر منه زعماء الکفر والشکر ویقولون لأبی‌طالب علیک أن تسمع لولدک وتطیع، ولم یکن إسلامه مقبولًا؟! لا شک أنّ سن البلوغ لیس شرطاً لقبول الإسلام، فکل فتی له عقل وتمییز کاف ویعتنق الإسلام وعلی فرض أنّ أباه لیس مسلماً فانه یصبح فی زمرة المسلمین إذا إنفصل عنه.

ثالثاً: یستفاد من القرآن أنّ البلوغ لیس شرطاً حتی فی النبوة، حیث بلغ النبوة حتی من کان صبیاً، فقد صرح القرآن بشأن نبی اللَّه یحیی علیه السلام بقوله:

«وَآتَیْناهُ الحُکْمَ صَبِیّاً»[۱۶۱]

. کما ورد بشأن عیسی علیه السلام أنّه قال

«إنّی عبداللَّه آتانی الکتاب وجعلنی نبیّاً»[۱۶۲]

. وإلّا بعد من کل هذا فان النبی صلی الله علیه و آله قد قبل الإمام علی علیه السلام، کما ذکرنا ذلک وأنّ النبی صلی الله علیه و آله صرح یوم الدار بانه أخوه ووصیه وخلیفته.

علی کل حال فان الروایات التی صرحت بانّ علیاً علیه السلام هو أول من لبی دعوة النبی صلی الله علیه و آله وأسلم، إنّما تنطوی علی فضیلة لاتضاهیها فضیلة لعلی علیه السلام، فلا یرقی أحد لأن یکون فی مصافه علیه السلام، ومن هنا کان علیه السلام أنسب فرد من هذه الامة بخلافة رسول‌اللَّه صلی الله علیه و آله.

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۱۰۳

الخطبة[۱۶۳] الثانیة و السبعون

اشارة

ومن خطبة له علیه السلام

علم فیها الناس الصلاة علی النبی صلی الله علیه و آله وفیها بیان صفات اللَّه سبحانه

وصفة النبى والدعاء له

نظرة إلى الخطبة

تتالف هذه الخطبة فى الواقع من ثلاثة أقسام:

القسم الأول: قصير جداً يتحدث عن صفات اللّه سبحانه كمقدمة لاستنزال الرحمة والصلوات على النبى صلى الله عليه و آله.

القسم الثانى: تعليم كيفية الصلاة على النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، كما تطرق إلى ذكر العديد من صفاته وخدماته الجليلة إلى البشرية ومبادئ الحق، والتى تستلزم أشرف الصلوات.

القسم الثالث: يتضمن مجموعة من الأدعية العظيمة بشأن النبى صلى الله عليه و آله، كما ورد فيه سؤال البارئ سبحانه تعزيز رابطة الأفراد بالنبى صلى الله عليه و آله ومرافقته فى الجنّة.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۰۵

القسم الأول: ربّ السموات

«اللَّهُمَّ داحِیَ الْمَدْحُوَّاتِ، وَداعِمَ الْمَسْمُوكاتِ، وَجابِلَ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِها: شَقِيِّها وَسَعِيدِها».

الشرح والتفسير

يثنى الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة على اللّه سبحانه بثلاث من صفاته:

«اللّهمّ داحى ۱۶۴] المدحوّات، وداعم ۱۶۵] المسموكات،[۱۶۶] وجابل ۱۶۷] القلوب على فطرتها: شقيّها وسعيدها»

فالعبارة الاولى إشارة إلى بداية خلق السموات والأرض، حيث تشير النظريات إلى أنّ الكون والكرات والأجرام السماوية كانت كتلة واحدة ثم انفصلت عن بعضها لعدّة عوامل حتى إتسعت إلى ما هى عليه اليوم. كما كانت الأرض مطمورة تحت الماء، ثم ظهرت اليابسة شيئا فشيئا بعد أن نفذت المياه إلى المناطق العميقة والشقوق الأرضية، ثم إتسعت بمرور الزمان، حتى تكونت المناطق اليابسة والبحار، وأخيراً أصبحت الأرض أكثر إتساعاً بفعل جاذبية الأحجار السماوية، فقد صرح القرآن بهذا لاشأن قائلًا: «وَالسَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ وَإِنّا لَمُوسِعُونَ* وَالأَرْضَ فَرَشْناها فَنِعْمَ الماهِدُونَ»[۱۶۸]. والعبارة

«داعم المسموكات»

تعنى

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۰۶

حافظ السموات بما فيها السيارات والثوابت والمجرات بواسطة القوى الجاذبية اللامرئية؛ وهى القوى التى تحفظها بحيث لا تتغير المسافة بين كرات المنظومة الشمسية رغم مرور ملايين السنين؛ الأمر الذى أشار إليه القرآن الكريم: «وَإِنْ مِنْ شَىءٍ إِلّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً»[۱۶۹]. أما العبارة

«و جابل القلوب»

فهى إشارة إلى العلوم الفطرية والإلهية والغرائز والرغبات النافعة التى أودعها اللّه باطن الإنسان؛ العلوم والغرائز والرغبات التى تمثل الوسائل التى يوظفها الإنسان فى مسيرته نحو السمو والتكامل والسير إلى اللّه إلى جانب الرقى المادى والمعنوى. ولعل هنالك من يعتقد أن اللّه أودع الشقاء والسعادة ذات الإنسان، بحيث هناك السعداء ذاتاً والأشقياء ذاتاً، والحال لاتفيد العبارة الواردة فى الخطبة مثل هذا المعنى، بل تصرح العبارة بأنّ اللّه أودع هذه العلوم كافة أفراد البشر من آل أمره إلى السعادة أو الشقاء، وان إعتمدها البعض ووظفها من أجل السعادة وتجاهلها البعض الآخر ليزج بنفسه فى وادى البؤس والشقاء؛ ولعل الحديث المعروف

«كلّ مولودٍ يولد على الفطرة ...»[١٧٠]

يشير إلى هذا المعنى. فمن الواضح أنّ السعادة والشقاء لو كانا ذاتيين وكل فرد مجبر على سلوك السبيل الذى عين له سبقاً، أن يكون من العبث بعث الأنبياء وانزال الكتب السماوية والتكاليف والمسؤوليات والأحكام الشرعية والثواب والعقاب، وبكلمة واحدة كافة المسائل المرتبطة بالتربية والتعليم وآثارها ومعطياتها؛ الأمر الذى لايقره العقل ولا الشرع. قال القرآن: «إنّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ إمّا شاكِراً وَإمّا كَفُوراً»[١٧١]. كما قال فى موضع آخر: «وَنَفْسٍ وَما سَوّاها* فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها»[١٧٢]. فالواقع هو أن الحق سبحانه أرشد الإنسان إلى طرق السعادة والشقاء دون أنّ يجبره على شئ، فهو مختار فى أى سبيل سلكك، ومن هنا كان مسؤولا أمام اللَّه وضميره.

نفحات الولاية، ج٣، ص: ١٠٧

القسم الثانى: آلاف التحية و السلام على النبى صل الله عليه و آله

«اجْعَلْ شَرائِفَ صَلَواتِكَ، وَنَوامِىَ بَرَكاتِكَ، عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ الْخاتِمِ لِما سَبَقَ، وَالْفاتِحِ لِما انْغَلَقَ، وَالْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ، وَالدّافِعِ جَيْشاتِ الْأَباطِيلِ، وَالدّامِغِ صَوْلاتِ الْأَضالِيلِ، كَما حُمِّلَ فاضْطَلَعَ، قائِماً بِأَمْرِكَ، مُسْتَوْفِزاً فِى مَرْضاتِكَ، غَيْرَ ناكِلٍ عَنْ قُدُمٍ، وَلا واهٍ فِى عَزْمٍ، واعِياً لِوَحْيِكَ، حافِظاً لِعَهْدِكَ، ماضِياً عَلَى نَفاذِ أَمْرِكَ؛ حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ الْقابِسِ، أَضاءَ الطَّرِيقَ لِلْخابِطِ، وَهُدِيَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضاتِ الْفِتَنِ الْآثام، وَأَقامَ بِمُوضِحاتِ الْأَعْلامِ، وَنَيِّراتِ الْأَحْكامِ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ، وَخازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ، وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ، ورَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ».

الشرح والتفسير

يصلى الإمام عليه السلام أفضل الصلوات وأزكاها على النبى صلى الله عليه و آله ذاكراً أكثر من عشرين صفة من صفاته البارزة صلى الله عليه و آله التى تستلزم أطهرا الصلوات عليه

«اجعل شرائف ١٧٣] صلواتك ونوامى ١٧۴] بركاتك على محمّدٍ عبدك ورسولك»

فالصلوات هى رحمة اللَّه، والبركات نعمه سبحانه كما تطرق الإمام عليه السلام إلى صفتين بارزتين مهمتين من صفاته صلى الله عليه و آله: الاولى العبودية، والثانية الرسالة.

فالعبودية تشكل إحدى إفتخارات الإنسان المسلم للَّه سبحانه، فيرى كل شئ للَّه حتى امواله

نفحات الولاية، ج٣، ص: ١٠٨

التى يملكها بالظاهر فهى، فقد ورد عن أميرالمؤمنين على عليه السلام أنّه قال

«إلهى كفى بى عزّاً أن أكون لك عبداً وكفى بى فخراً أن تكون لى ربّاً»[١٧۵]

ثم أشار إلى ختمه للأنبياء فى الصفة الثالثة فقال:

«الخاتم لما سبق»

فان كانت ما تعود إلى العاقل فالعبارة تفيد الأنبياء السابقين وخاتمهم رسولاللَّه صلى الله عليه و آله. وان كانت لغير العاقل عنت اختتام الشرائع السابقة بشريعة نبى الإسلام صلى الله عليه و آله. ثم قال عليه السلام

«والفاتح لما انغلق، والمعلن الحقّ بالحقّ»

والمراد بالعبارة

«الفاتح لما انغلق»

أبواب العلوم والمعارف والمسائل الإنسانية الإخلاقية والاجتماعية المعقدة التى فتحها رسولاللَّه صلى الله عليه و آله بوجه البشرية بدينه ونوره وهدايته، والعبارة

«المعلن الحق بالحق»

يمكن أن تكون إشارة إلى المعجزات التى تبيّن أحقية النبى صلى الله عليه و آله، كما يمكن أن يراد بها منطقه الذى يكشف النقاب عن الحقائق، أو المعارك والغزوات التى أقصت خصوم الدعوة لترى الامّة الحقائق، أو توضيح الحقائق بقرائن بعضها البعض الآخر من قبيل تفسير بعض الآيات القرآنية ببعضها الآخر، وأخيراً يمكن أن تكون جميع هذه المعانى مرادة بالعبارة.

ثم قال عليه السلام

«والدّافع جيشات ١٧۶] الاباطيل، والدّامغ ١٧٧] صوْلات ١٧٨] الاضاليل»

والجدير بالذكر فى العبارة التعبير عن الباطل بالجيشات وعن عوامل الضلال بالصولات حيث تصور كل منهما عمق ما تختزنه هذه المفردات فالباطل ملىء بالصخب والضجيج، كما أنّ عناصر الضلال غالباً ماتهجم على العزل من الناس. ثم قال عليه السلام فى مقام بيان علة الدعوة لهذه الصلوات الوافرة

«كما حمّل فاضطلع»[١٧٩]

فكما هنا بمنزلة التعليل وتفيد معنى لأنّه، والواقع أنّ قبول هذه المسؤولية العظمى وتحمل كافة تبعاتها بعد من أهم خصائص النبى صلى الله عليه و آله التى تجعله يستحق

نفحات الولاية، ج٣، ص: ١٠٩

الشكر والثناء. وقال عليه السلام

«قائماً بأمرك، مستوفزاً[١٨٠] فى مرضاتك»

فالقيام بالأمر إشارة إلى جدية الأوامر الإلهية لأنّ الإنسان ينهض من أجل القيام بالأعمال الجادة. فالتعبيران لايشيران إلى مدى إمتثال النبى صلى الله عليه و آله لأحكام السماء فحسب، بل كان يسارع إلى الاتيان بكل ما يرضى اللّه سبحانه وان لم تصدر إليه الأوامر. ثم قال عليه السلام:

«غير ناكلٍ ١٨١] عن قدم،[١٨٢] ولاواهٍ فى عزم»

فكثير هم الجديون فى قرارتهم والانطلاق فى أعمالهم، إلّاأنّهم يضعفون فى الاستمرار والمواصلة، والمهم أن يواصل الإنسان نشاطه وعمله. ويفيد التأريخ أنّ النبى صلى الله عليه و آله لم ينكل أو يضعف أمام الوساس والضغوط، كما لم يكن يلين تجاه أى مبادرة منحرفة، ومن ذلك قوله

«واللّه لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على ان اترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره اللّه او أهلك دونه»[١٨٣]

. ثم قال عليه السلام:

«واعياً[١٨۴] لوحيك، حافظاً لعهدك، ماضياً على نفاذ أمرك».

ثم اشار الإمام عليه السلام إلى النتيجة التى تمخضت عنها جهود النبى صلى الله عليه و آله وتضحيته

«حتّى أورى ١٨۵] قبس ١٨۶] القابس، وأضاء الطّريق للخابط،[١٨٧] وهديت به القلوب بعد خوضات ١٨٨] الفتن والْآثام».

والعبارة تلمح إلى سرعة إنتشار الإسلام واشراقة شبه الجزيرة العربية التى كانت مهد الكفر والشرك ومركز الجهل والجريمة، ولا يشك فى هذه الحقيقة من كان له أدنى إلمام بالتأريخ الإسلامى؛ الأمر الذى إعترف به حتى خصوم الدعوة. ثم قال عليه السلام:

«و أقام بموضحاتالأعلام، و نيّرات الأحكام».

فالواقع وبغية الحيلولة دون تلكؤ أصحاب الحق فى

نفحات الولاية، ج٣، ص: ١١٠

مسيرتهم، لابدّ من نصب العلامات الدالة على الطريق واضاءت كافة ظلماته، وهذا ما فعله رسولاللّه صلى الله عليه و آله حين أضاء

كل معالم الطريق ونصب الأدلاء عليه. ومن ذلك الأحكام المتعلقة بالصلوات اليومية وصلاة الجمعة- وبمراسها الخاصة- وحج بيت‌اللّه الحرام التى من شأنها هداية أتباع الحق وصدهم عن الحيرة والضلال، إلى جانب بيانه للأحكام ذات الصلة بالقضايا الاجتماعية والتربوية والسياسية والاقتصادية. ثم يختتم عليه السلام هذا الفصل من الخطبة بخمس صفات أخرى للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله فقال:

«فهو أمينك المأمون، وخازن علمك المخزون، وشهيدك يوم الدّين، بعيثك بالحقّ، ورسولك إلى الخلق»

فبعض هذه الصفات مقدمة وبعضها الآخر نتيجة. فكونه أمين اللّه وخازن علمه إنّما هى مقدمة من أجل الرسالة إلى الخلق والبعث بالحق، كما أنّ شهادته يوم القيامة إنّما تمثل نتيجة هذه الرسالة. أمّا قوله عليه السلام:

«أمين مأمون»

هو تأكيد لمدى أمانته صلى الله عليه و آله واشارة إلى العصمة المشروطة فى النبوة. وأمّا قوله عليه السلام:

«خازن علمك المخزون»

، فالمراد به علمه صلى الله عليه و آله باسرار الغيب، وقد أشرنا إلى ذلك فى حينه إلى تعذر قيام الأنبياء والأئمة بوظيفتهم بصورة تامة دون العلم بتلك الاسرار والخفايا، وقد أشار القرآن بهذا الشأن:

«عالِمُ الغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً* إِلّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً* لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ»[١٨٩]

والعبارة

«شهيدك يوم الدين»

مستوحاة من الآية ١۴٣ من سورة البقرة: «وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً» والآية ٨٩ من سورة النحل: «وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنا بِكَ شَهِيداً عَلى هؤُلاءِ ...» التى تشير إلى شهادة النبى صلى الله عليه و آله على أعمال الامّة وشهادته على شهداء سائر الامم.

ولما كانت الشهادة من فروع العلم، فان هذه التعبيرات تشكل دليلًا آخر على علمه صلى الله عليه و آله بأسرار الغيب.

نفحات الولاية، ج٣، ص: ١١١

القسم الثالث: الحشر مع النبى صلى الله عليه و آله

اشارة

«اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ مَفْسَحاً فِي ظِلِّكَ؛ واجْزِهِ مُضاعَفاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ، اللَّهُمَّ وأَعْلِ عَلَى بِناءِ الْبانِينَ بِناءَهُ، وأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ، وأَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ، واجْزِهِ مِنِ ابْتِعاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهادَةِ، مَرْضِيَّ الْمَقالَةِ، ذا مَنْطِقٍ عَدْلٍ، خُطْبَةٍ فَصْلٍ. اللَّهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنا وبَيْنَهُ فِي بَرْدِ الْعَيْشِ وقَرارِ النِّعْمَةِ، ومُنَى الشَّهَواتِ، وأَهْواءِ اللَّذّاتِ، ورَخاءِ الدَّعَةِ، ومُنْتَهَى الطُّمَأْنِينَةِ، وتُحَفِ الْكَرَامَةِ».

الشرح والتفسير

يتضرع الإمام عليه السلام بدعاء جامع بحق النبى صلى الله عليه و آله، ليعلمنا فى الواقع كيفية الدعاء للنبى صلى الله عليه و آله، فقد سأل اللّه للنبى صلى الله عليه و آله ستة أشياء:

«اللّهمّ افسح ١٩٠] له مفسحاً فى ظلّك»

فالظل هنا قد يراد به المعنى الكنائى، كما يمكن أن يراد به ظل لطف اللّه وكرمه وجوده، أو أن يقصد به المعنى الحقيقى ليعنى ظلال

الجنان فی المحشر، فقد ورد فی الحدیث:

«أنّ فی الجنّة شجرة یسیر الراکب فی ظلها مائة سنة لا یقطعها»[۱۹۱]

. ثم قال علیه السلام:

«واجزه مضاعفات الخیر من فضلک»

ومن الواضح أنّ الثواب الإلهی هو الضعف علی الدوام، ولاغرو فذلک نابع من فضله وجوده وکرمه التی لاتری مکافئة الأعمال بمثلها دون زیادة، مع ذلک فقد سأل اللَّه المزید لنبیه صلی الله علیه و آله. ثم قال علیه السلام:

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۱۱۲

«اللّهمّ وأعل علی بناء البانین بناءه، وأکرم لدیک منزلته»

والمراد بالبناء هنا إمّا دین النبی صلی الله علیه و آله الذی سأل اللَّه إظهاره وعلوه علی سائر الأدیان، وإمّا مقامه صلی الله علیه و آله وعلوه علی من سواه.

وتضرع علیه السلام قائلًا:

«و أتمم له نوره، واجزه من ابتعاثک له مقبول الشّهادة، ومرضی المقالة، ذا منطقٍ عدلٍ، وخطبةٍ فصلٍ»

والجدیر بالذکر فی هذا الدعاء أنّه عدّ شفاعة النبی صلی الله علیه و آله للُامّة جزاء تبلیغه الرسالة؛ الأمر الذی تعود برکته علی الامّة وهذا ما یمثل قمة لطفه وکرمه علیه السلام.

کما أشارت العبارة إلی أنّ شهادته وشفاعته صلی الله علیه و آله لیست إعتباطیة فمنطقه العدل وحدیثه الفرقان بین الحق والباطل، فاذا شفع لشخص أو جماعة فقد توسم فیهم الشفاعة، وهذا ما أوردناه فی بحث الشفاعة، فی أنّها خاضعة لقانون ولیست عبثیة، بل للشفاعة مقدماتها التی تکمن فی الأهلیة والاستحقاق، وبعبارة اخری لابدّ أن تکون هنالک رابطة معنویة قائمة بین الشفیع والمشفع فیه، وإلّا فمن قطع هذه الرابطة فهو لایستحق الشفاعة، ولعل هذه الشفاعة هی المقام الذی أشارت إلیه الآیة القرآنیة: «وَمِنَ اللَّیْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَکَ عَسی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقاماً مَحْمُوداً».[۱۹۲]

ثم یختتم الإمام علیه السلام خطبته بالدعاء له وصحبه:

«اللّهمّ اجمع بیننا وبینه فی برد العیش‌قرار النّعمة، ومنی الشّهوات، وأهواء اللّذّات، ورخاء الدّعة،[۱۹۳] ومنتهی الطّمأنینة، وتحف الکرامة»

ویبدو أن هذه هی خصائص الجنّة من قبیل السکینة والکرامة الإلهیة والنعم الطیبة والمعنویة والمادیة إلی جانب البقاء والخلود.

تأمّل: معطیات الصلاة علی النبی صلی الله علیه و آله

اشارة

لقد تضمنت الخطبة أزکی الصلوات والتحیات علی النبی الأکرم صلی الله علیه و آله؛ الأمر الذی ینبهنا إلی عظم هذه المسألة التی صرحت بها التعالیم الإسلامیة. فالواقع هو أن الروایات الإسلامیة

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۱۱۳

أکدت الصلوات علی النبی صلی الله علیه و آله ومدی الأجر والثواب الذی أشارت إلیه مصادر الفریقین إزاء هذا العمل بما یفوق التصور ویدعو إلی الدهشة والذهول، ومن هنا فقد إقتطفنا بعض الروایات الواردة بهذا الشأن والتی نلفت إلیها إهتمام القراء الأعزاء ثم نسلط الضوء علی ما ورد فیها:

١- فقد جاء فی الحديث أنّ أميرالمؤمنين علی عليه السلام قال:

«ألصّلاة علی النّبیّ وآله أمحق للخطايا من الماء إلی النّار والسّلام علی النّبیّ أفضل من عتق رقابٍ».[١٩۴]

٢- وفی الخبر عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إذا ذكر النّبیّ فأكثروا الصّلاة عليه فإنّه من صلّی علی النّبیّ صلاةً واحدةً صلّی اللّه عليه ألف صلَاةٍ فی ألف صَفٍّ منَ المَلائكَة ولم يبق شیءٌ ممّا خلقه اللّه إلّاصلّی علی ذلك العبد لصلاة اللّه عليه وصلَاة مَلائكَته فمن لم يرغب فی هذا فهو جاهلٌ مغرورٌ قد بریٔ اللّه منه ورسوله وأهل بيته».[١٩۵]

٣- عن رسول‌اللّه صلی الله عليه و آله قال:

«كلّ دعاءٍ محجوبٌ حتّی يصلّی علی النّبیّ».[١٩۶]

۴- وعن رسول‌اللّه صلی الله عليه و آله أيضاً قال:

«الصّلَاة عَلَیّ نورٌ عَلَی الصّرَاط».[١٩٧]

۵- وروی عن الإمام الباقر أو الصادق عليهما السلام انه قال:

«ما فی الميزان شیءٌ أثقل من الصّلاة علی محمّدٍ وآل محمّدٍ وإنّ الرّجل لتوضع أعماله فی الميزان فتميل به فيخرج الصّلاة عليه فيضعها فی ميزانه فترجّح».[١٩٨]

۶- كما روی عنه صلی الله عليه و آله قال:

«إذا كان يوم الخميس بعث اللّه ملائكةً معهم صحفٌ من فضّةٍ و أقلامٌ من ذهبٍ يكتبون يوم الخميس وليلة الجمعة أكثر النّاس علیَّ صلاةً».[١٩٩]

٧- وعنه صلی الله عليه و آله قال:

«صلّوا علیّ فإنّ الصّلاة علیَّ زكاةٌ لكم».[٢٠٠]

٨- عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ رسول‌اللّه صلی الله عليه و آله قال لعلی عليه السلام:

«ألَا أبشّرك؟ قال: بلی بأبی

نفحات الولايه، ج٣، ص: ١١۴

أنت وأمّی فإنّك لم تزل مبشّراً بكلّ خير. فقال: أخبرنی جبرئيل آنفاً بالعجب. فقال أميرالمؤمنين: وما الّذی أخبرك يا رسول اللّه؟ قال: أخبرنی أنّ الرّجل من أمّتی إذا صلّی علیّ فأتبع بالصّلاة علی أهل بيتی فتحت لَه أبواب السماء وصلّت عليه الملائكة سبعين صلاةً وأنّه إن كان من المذنبين تحاتّ عنه الذّنوب كما تحاتّ الورق من الشّجر».[٢٠١]

٩- وروی عنه صلی الله عليه و آله قال:

«أكثروا الصّلاة علیّ فإنّ اللّه وكّل بی ملكاً عند قبری فإذا صلّی علیّ رجلٌ من أمّتی قال ذلك الملك يا محمّد: إنّ فلان بن فلانٍ صلّی عليك السّاعة».[٢٠٢]

١٠- وروی الإمام الباقر عليه السلام أنّ رسول‌اللّه صلی الله عليه و آله قال:

«من صلّی علیَّ إيماناً واحتساباً إستأنف العمل».[٢٠٣]

١١- ولم يقتصر وجوب الصلاة علی النبی صلی الله عليه و آله عند ذكر إسمه فحسب، بل تأكد ذلك حتی حين الكتابة، فقد روی عن رسول‌اللّه صلی الله عليه و آله أنّه قال:

«من صلّی علیَّ فی كتابٍ لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمی فی ذلك الكتاب».[٢٠۴]

١٢- روت عائشة عن النبی صلی الله عليه و آله أنّه قال:

«من سرّه أن يلقى اللّه غداً راضياً فليكثر الصّلاة، عليَّ».[۲۰۵]
وزبـدة الكلام قـد تظافرت الروايات بهـذا الشأن والتى تفيـد مـدى أهمية الصـلوات والسـلام على النبى وآله، بحيث تضـمنت مثل هذا الأجر والثواب لهذا العمل، وما أوردناه فى السابق هو غيض من فيض تلك الروايات.
نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۱۵

الاجابة على بعض الأسئلة

۱- ما سرّ هذه الاهمية للصلوات على النبى

قبل كل شـى يبرز هنا هذا السؤال وهو ما سـر كل هذه الأهمية للصـلوات؟ وما الأمر الذى تختزنه الصـلوات على النبى صلى الله عليه و آله؟ ويمكن القول فى الاجابة على هذا السؤال هو عدم نسيان مكانة النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله ومقامه الجليل، ويسـتلزم ذلك عـدم هجر الإسـلام وتعـاليم الحقـة، ومن هنـا كـانت الصـلوات على النبى رمزاً لبقاء الإسـلام وديمومـة مسيرته. أضف إلى ذلك فانّ الصـلوات تدعونا للتعرف بصورة أعمق على مقامه صلى الله عليه و آله والاقتداء باخلاقه وصفاته، ومن هنا وردت بعض التعبيرات التى تفيـد أنّ الصـلوات على النبى صـلى الله عليه و آله تؤدى إلى طهـارة الأخلاـق ونقـاء الاعمال وتساقط الـذنوب، ومن ذلك ما جاء فى الزيارة الجامعة:
«و جعل صلاتنا عليكم وما خصّنا به من ولايتكم طيباً لخلقنا وطهارةً لأنفسنا وتزكيةً لنا وكفّارةً لذنوبنا».[۲۰۶]
كما أشير فى عدة روايات إلى تحات الذنوب حين الصـلوات على النبى صـلى الله عليه و آله. من جانب آخر فان الصلوات على النبى صلى الله عليه و آله وآله إنّمـا تمطر أرواحهم الطـاهرة بوابـل من رحمـة اللَّه، ولمـا كانوا عليه السـلام وسائط الفيض فانّ تلك الرحمة وبركاتها إنّما تنحـدر منهم إلى الامّـة. وعليه فالصـلوات والرحمـة عليهم فى الواقع هى صـلوات علينا ورحمـة لنا. أضف إلى ذلك فانّ الصـلوات على النبى صـلى الله عليه و آله إنّما يمثل نوعا من الشكر والتقدير للجهود التى بذلها من أجل هدآيه الامّة، وممّا لاشك فيه أن هنالك أجر وثواب لهذا الشكر ومعرفة الجميل.

۲- آثار الصلاة على النبى صلى الله عليه و آله

السؤال الـذى يطرح نفسه هنـا هو أنّ الصـلاة على النبى صـلى الله عليه و آله هـل لهـا من دور على منزلته ومقـامه صـلى الله عليه و آله وآله؟ لعل هنالك من يقول بعدم وجود أى دور لهذه الصلاة فالنبى وآله قد بلغوا المقام الذى يريدون؟ إلّاأنّ خواء هذا الكلام يتضح من خلال الالتفات إلى أنّ المسيرة التكاملية للإنسان إنّما تنطلق من المتناهى إلى اللامتناهى، وعليه فهى مسيرة مفتوحة ليست
نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۱۶
محددة باطر وحدود، ومن هنا ورد فى بعض الأدعية وبضمنها التشهد القول بحق النبى صلى الله عليه و آله
«وارفع درجته»[۲۰۷]
وإلى ذلـك أشـار القرآن: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَـلُّونَ عَلى النَّبِىِّ ياأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا صَـلُّوا عَلَيْهِ وَسَـلِّمُوا تَسْلِيماً»[۲۰۸] والفعل المضارع (يصـلون) يفيد استـمرار هذه الرحمة، ومن الواضح أنّ كل مسـلم ينطق بالتوحيد والإسـلام إنّما يمثل رحمة متجددة لمشيد دعائم هذا الدين، وذلك لأنّه صلى الله عليه و آله صاحب الفضل فى سن هذه السنة الحسنة.

۳- الفاظ الصلوات علی النبی صلی الله علیه و آله

السؤال الآخر الـذی یطرح نفسه بهذا الشأن یکمن فی الصـیغة التی ترد بها الصـلاة علی النبی صـلی الله علیه و آله. فقد وردت روایات عن طریق الفریقین التی أکدت إقتران آل النبی صلی الله علیه و آله به حین الصلاة. ونکتفی هنا بالإشارة إلی بعض هذه الروایات:
روی فی الـدر المنثور عن صـحیح البخاری ومسـلم وأبوداود والترمـذی والنسائی وابن ماجة وابن مردویه عن کعب بن عجره انّ رجلًا قال للنبی صلی الله علیه و آله:
«أمّا السلام علیک فقد علمناه فکیف الصلاة علیک؟»
قال رسول‌اللَّه صلی الله علیه و آله:
«قل اللّهم صل علی محمـد وعلی آل محمـد کما صلیت علی آل ابراهیم إنّک حمید مجید. اللّهم بارک علی محمد وآل محمد کما بارکت علی ابراهیم إنّک حمید مجید»
. وإضافة إلی الحدیث المذکور فقد نقل صاحب تفسیر الدر المنثور ثمانیة عشـر حدیثاً صرحت جمیعها بوجوب ذکر آل محمد حین الصـلاة علیه، وقد نقلت هذه الأحادیث فی المصادر المشـهورة والمعروفة لدی العامة عن طریق الصـحابة ومنهم: ابن عباس وأبو سعید الخـدری وأبو هریرة وطلحـة وأبومسـعود الأنصاری وبریـدة وابن مسـعود وکعب بن عجرة وأمیرالمؤمنین علی علیه السـلام.[۲۰۹] وقد روی صحیح البخاری ۲۱۰]، عدة روایات بهذا الخصوص، کما
نفحات الولایة، ج۳، ص: ۱۱۷
جاءت روایتان فی صحیح مسلم ۲۱۱]، والغریب هو أنّ العنوان الذی ورد فی صحیح مسلم باب الصلاة علی النبی صلی اللَّه علیه وسلم (دون ذکر آله) رغم إقتران الآل بـالنبی صـلی الله علیه و آله فی الأحـادیث المـذکورة. والجـدیر بالـذکر هنـا أن بعض روایات العامة وأغلب روایات الشیعة لم تفصل بین محمد وآل محمد بحرف علی، والصیغة الواردة هی
«اللّهمّ صلّ علی محمّدٍ وآل محمّدٍ».
ونختتم البحث بهذا الحدیث الذی ورد فی صواعق ابن حجر[۲۱۲] ان النبی صلی الله علیه و آله قال:
«لاـ تصـلوا علی الصـلاة البتراء! فقالوا: وما الصّـلاة البتراء؟ قال: یقولون: أللّهمّ صلّ علی محمّـد، وتمسـکون؛ بل قولوا: اللّهمّ صلّ علی محمّد وآل محمّد»
أضف إلی ذلک فقد وردت عدة أحادیث بهذا المجال فی المجلد الأول من کنز العمال.

۴- الصلاة علی النبی واجبة أم مستحبة؟

هنا یبرز هـذا السؤال: هل الصـلاة علی النبی واجبـة أم مستحبة؟ ظاهر الآیـة السادسة والخمسون من سورة الأحزاب: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِکَتَهُ یُصَلُّونَ عَلَی النَّبِیِّ ...» هو الوجوب؛ لأ ننا نعلم أن صیغة الأمر تفید الوجوب، إلّاأن تکون هناک قرینة علی خلافه، وقد أمر اللَّه فی هذه الآیة بالصـلاة علی النبی، فأقلّ ما یلزم الصـلاة علیه ولو لمرة واحدة. أضف إلی ذلک فانّ مشـهور فقهاء الشـیعة وجمع من فقهاء العامة یعتقد بوجوب الصلاة علی النبی صلی الله علیه و آله فی التشهد.
فقد صرح فقیه العامة ابن قدامة فی کتاب المغنی بوجوب الصلاة علی النبی فی التشهد الأول وقال:
«أللّهمّ صلّ علی محمّدٍ وعلی آل محمّدٍ کما صلّیت علی إبراهیم ... وهی واجبةٌ فی صحیح المذهب وهو قول الشّافعی واسحاق ...»
ثم نقل عن ابن راهویه (أحد فقهاء العامة)

«لو أنّ رجلًا ترک الصّلاة علی النّبی صلی الله علیه و آله فی التشهّد بطلت صلاته».
وأضاف: (وظاهر مذهب أحمد أحد الائمة الأربعة لدی العامة) هو الوجوب أیضاً.[۲۱۳]
نفحات الولایة، ج۳، ص: ۱۱۸
وصرح الشیخ منصور علی ناصف صاحب کتاب الجامع للاصول ذیل الآیة السادسة والخمسین من سورة الأحزاب: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِکَتَهُ یُصَلُّونَ عَلی النَّبِیِّ ...» أنّ ظاهر الآیة هو وجوب الصلاة علی النبی وعلیه إتفاق العلماء.[۲۱۴]

۵- المفهوم الحقیقی للصلاة علی النبی صلی الله علیه و آله

السؤال الأخیر الذی یطرح نفسه هنا: ما مفهوم هذه الصلوات؟ یتفق العلماء علی أنّ صلاة اللَّه علی العبد تعنی الرحمة، وصلاة الملائکة والناس تعنی طلب العفو والرحمة، أو حسب الروایة الواردة عن الإمام الکاظم علیه السلام حین سئل عن معنی صلوات اللَّه والملائکة والمؤمنین فی الآیة الشریفة: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِکَتَهُ یُصَلُّونَ عَلی النَّبِیِّ» قال: صلاة اللَّه رحمته وصلاة المؤمنین تقدیسهم للنبی صلی الله علیه و آله وصلاة المؤمنین طلبهم الرحمة للنبی صلی الله علیه و آله.[۲۱۵] ویری البعض أن جمعی هذه ارسال الرحمة أو التقدیس وطلب المغفرة بحیث یردها کل أحد علی ضوء مقتضی حاله.[۲۱۶] ولما کان الأصل اللغوی لهذه المفردة صلی علی وزن سعی بمعنی القذف فی النار أو الاشتغال بهما، فانّ البعض یری أن الصلوات تعنی إبعاد نار العذاب الاخروی، ونتیجته الرحمة أو طلبها؛ إلّا أنّ البعض فرق بین الصلو الناقص الواوی والصلی الناقص الیائی، علی أنّ المعنی الأخیر یتعلق بصلی بینما ترتبط المعانی السابقة بالصلو (لابدّ من التأمل).
علی کل حال فان ما ورد یشیر إلی أنّ کل صلاة وسلام علی النبی صلی الله علیه و آله یمثل رحمة متجددة علی روحه الطاهرة، ولا یستبعد أن تطول تلک الرحة التی تستند لتلک العین الإلهیة الفیاضة الامّة وترفرف علیها، ومن هنا کانت الصلوات والسلام علی النبی صلی الله علیه و آله مصدر رحمة للإنسان وغفران ذنوبه. أما بشأن المراد بآل محمد صلی الله علیه و آله هل هم أهل البیت من ولده، فهذا ما سنعرض إلیه فی الخطبة ۲۳۹. وقد أشرنا فی الخطبة الثانیة من المجلد الأول لهذا الأمر.
نفحات الولایة، ج۳، ص: ۱۱۹

الخطبة[۲۱۷] الثالثة و السبعون

اشارة

ومن کلام له علیه السلام
قاله لمروان بن الحکم بالبصرة
قالُوا: أُخِذَ مَرْوانُ بْنُ الْحَکَم أَسِیراً یَوْمَ الْجَمَلِ، فاسْتَشْفَعَ الْحَسَنَ والْحُسَیْنَ علیه السلام إِلَی أَمِیرِ الْمُؤْمِنِینَ علیه السلام فَکَلَّماهُ فِیهِ، فَخَلَّی سَبِیلَهُ فَقالا لَهُ: یُبایِعُکَ یا أَمِیرَ الْمُؤْمِنِینَ؟ فقالَ علیه السلام:

نظرة إلی الخطبة

یشیر کلامه علیه السلام فی هذه الخطبة إلی عذر مروان وبنی مروان من جانب ویشبه خیانته بخیانة الیهود الذین وقفوا بوجه الدعوة منذ انبثاقها إلی یومنا هذا. کما یخبر علیه السلام عن حکومة بنی‌مروان وهذه الشجرة الخبیثة ومدی المصائب والویلات التی طالت

المسلمين من تلك الحكومة.

وتكشف هذه النبوءة عن إحاطته عليه السلام بالحوادث المستقبلية.

نفحات الولاية، ج٣، ص: ١٢١

«أوَ لَمْ يُبايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمانَ؟ لا حاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ إنَّها كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ، لَوْ بايَعَنِي بِكَفِّهِ لَغَدَرَ بِسَبَّتِهِ. أَما إنَّ لَهُ إمْرَةً كَلَعْقَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ، هُوَ أَبُو الْأَكْبُشِ الْأَرْبَعَةِ، وسَتَلْقَى الْأُمَّةُ مِنْهُ ومِنْ وَلَدِهِ يَوْماً موتا أَحْمَرَ».

الشرح والتفسير

الغنى عن بيعة مروان

كما أوردنا سابقاً أنّ الإمام عليه السلام قال هذا الكلام لما استشفع إليه الحسن والحسين عليه السلام فى العفو عن مروان بن الحكم لما أسر يوم الجمل، ثم إقترحا على الإمام عليه السلام بيعته، فقال

«أو لم يبايعنى بعد قتل عثمان؟ لَاحَاجَةَ لى فى بَيعَته! إنّهَا كَفٌّ يَهوديَّةٌ، لَو بَايَعَنى بكَفّه لَغَدَرَ بسبّته».[٢١٨]

وتشبيه يده باليد اليهودية تعد إشارة واضحة إلى خيانة مروان وغدره الذى ورثه فى الواقع من أبيه الحكم، عم عثمان بن عفان الذى كان يتجسس على رسولاللَّه صلى الله عليه و آله لصالح الكفار والمشركين والمنافقين إلى جانب سخريته واستهزائه بالنبى صلى الله عليه و آله فنفاه صلى الله عليه و آله إلى الطائف، ولم يشفع رسولاللَّه صلى الله عليه و آله عثمان فى رده إلى المدينة فلما ولى عثمان الخلافة كان أحد أسوأ أعماله التى دعت الناس للقيام عليه إعادة الحكم بن أبىالعاص إلى المدينة. ومن الطبيعى ألا يكون هناك من اعتبار لبيعة هذا الرجل الذى بايع علياً عليه السلام ثم نقض بيعته ولم يقم لها وزناً، رغم أنّ البيعة كانت محترمة حتى فى الجاهلية. فقد نقض بيعته وأجج نار الجمل، فلو بايع ثانية لنقض هذه البيعة

نفحات الولاية، ج٣، ص: ١٢٢

متى تسنح له الفرصة، فقد كان تبعا لهواه، ولم يك للعزة والشرف والالتزام الأخلاقى والشرعى من أهمية لديه. ثم أخبر الإمام عليه السلام عن ثلاثة أمور غيبية بشأن مروان، يكمن الأول فيها فى إستيلائه على الخلافة لمدة قصيرة:

نفحات الولاية ؛ ج٣ ؛ ص١٢٢

«أما إنّ له إمرةً كلعقة[٢١٩] الكلب أنفه»

فالكلب حين يزج برأسه فى جيفة ليتناول ممّا فيها، يعلق مقدارا من بقايا تلك الجيفة على أنفه فيمد لها لسانه بغية تناوله وتنظيف ما علق بأنفه. ويمثل هذا التعبير بشأن قصر حكومة مروان منتهى البلاغة والفصاحة، وهو من قبيل:

«المقال المطابق لمقتضى الحال».

نعم فهو كالكلب الذى إنقض على جيفة الحكومة اللامشروعة لآل أمية، ولمدة قصيرة رآها بعض المؤرخين أربعة أشهر وعشرة أيام وقيل ستة أشهر، وأكثر مدة صرح بها المؤرخون هى تسعة أشهر، وهكذا تحققت نبوءة الإمام عليه السلام بشأنه حتى قتل على يد زوجته كما سنعرض لذلك فى البحث القادم. الأمر الثانى الذى تنبأ به الإمام عليه السلام:

«و هو أبوالأكبش ٢٢٠] الأربعة»

والأكبش جمع كبش الحيوان الهائج المعروف حيث يشترك معه ولد مروان بهذه. وذهب بعض شرّاح نهجالبلاغة إلى أنّ المراد بالأكبش الأربعة من ولد مروان هم: عبدالملك الذى ولى الخلافة بعده وعبدالعزيز الذى ولى مصر وبشر فى العراق وأمّا محمد فولى الجزيرة، وقد ورث كل منهم الشر عن أبيه.

وبالطبع فانّ أولاد مروان كثيرون، إلّاأنّ هؤلاء الأربعة قد ولوا الحكومة واليهم أشار الإمام عليه السلام بكلامه. بينما ذهب البعض الآخر من الشرّاح إلى أنّ المراد بالأكبش الأربعة حفدة مروان من ولد عبدالملك وهم: الوليد وسليمان ويزيد وهشام، ولم يل الخلافة من بنى‌أمية ولا ـ من غيرهم أربعة إخوة إلّاهؤلاء. ومن هنا فقد رجح البعض القول الثانى لانسجامه والنبوءة الثالثة التى وردت فى كلام الإمام عليه السلام:

«وستلقى الأمّة منه ومن ولده يوماً أحمر»

وهذه النبوءة هى الاخرى تحققت، وقد ولى هؤلاء الأكبش الخلافة الواحد بعد الآخر فاراقوا الدماء وقتلوا طائفة عظيمة من الأبرياء، لتحقق نبوءة الإمام عليه السلام بقوله:

«يوماً احمر»

من خلال تلك الفضائع والجرائم التى ارتكبوها، وافضل شاهد على ذلك الجنايات التى اقترفها والى الكوفة على عهد عبدالملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفى.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۲۳

تأمّل: قصة غريبة من حياة مروان بن الحكم

كان مروان بن الحكم من أعدى أعداء أميرَالمؤمنين على عليه السلام، وقصته تمثل محور الخطبة والتى من شأنها توضيح أغلب الحقائق ذات الصلة بتأريخ صدر الإسلام. أبوه الحكم الذى نفاه رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله، إلى الطائف وخاطبه صلى الله عليه و آله قائلًا:

«لعنك اللّه ولعن ما فى صلبك»

وكان ذلك قبل ولادة مروان. وقيل نفى مع أبيه إلى الطائف وكان طفلًا لايعقل، وإنّه لم ير رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله، ولم يزل فى الطائف ولم يجرأ الخليفة الأول ولا الثانى على الشفاعة لدى رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله لردّه إلى المدينة، حتى ولى عثمان فردّه إلى المدينة، وكان ذلك من الأعمال التى نقمها عليه الناس، والأعجب من ذلك قربه إليه وأغدق عليه أموالًا طائلة من بيت‌المال؛ ومن هنا إمتنع بعض صحابة رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله من الصلاة خلف عثمان. بايع مروان علياً عليه السلام بعد قتل عثمان، ثم نقض بيعته وقدم البصرة وأجج نار الجمل، ثم أسر بعد أن قتل طلحة والزبير وهزم عسكر الجمل، وكما ورد فى الخطبة فقد إستشفع الحسن والحسين عليه السلام إلى أميرالمؤمنين على عليه السلام وقيل ابن عباس فخلى عليه السلام سبيله. الا أنه بايع معاوية والتحق بصفين. وجاء فى الخبر أنّ معاوية كان يخشى على حكومة يزيد من أربع من بينهم مروان، فعهد إلى ابنه بأن يصلى عليه، فاذا أتم الصلاة قتله، فلما اطلع مروان الخبر لم يكد يتمّ الصلاة حتى هرب.

و أمّا وفاة مروان، والسبب فيها أنّه كان قد استقرّ الأمر بعده لخالد بن يزيد بن معاوية على ما قَدّمنا ذكره، فلما استوثق له الأمرُ، أحبَّ أن يبايع لعبدالملك عبدالعزيز ابنَيه، فاستشار فى ذلک، فأشير عليه أن يتزوج أم خالد بن يزيد، وهى ابنة أبى‌هاشم بن عتبة بن ربيعة ليصغَر شأنه فلا يرشّح للخلافة، فتزوجها. ثم قال لخالد يوماً فى كلام دار بينهما والمجلس غاص بأهله:

اسكت يا ابن الرطبة، فقال خالد: أنت لعمرى مؤتمن وخبير.

ثم قام باكياً من مجلسه- وكان غلاماً حينئذ- فدخل على أمه، فأخبرها، فقالت له: لا يعرفنّ ذلك فيك، واسكت فأنا أكفيك أمرَه. فلما دخل عليها مروان، قال لها: ما قال لک خالد؟

قالت وما عساه يقول؟ قال: ألم يشكُنِى إليك؟ قالت: إنّ خالداً أشدّ إعظاماً لک من أن يشتكَيك، فصدّقها. ثم مكثت أياماً، فنام عندها وقد واعدت جواريَها، وقُمْنَ إليه، فجعلن الوسائد

نفحات الولایهٔ، ج۳، ص: ۱۲۴

والبراذع علیه، وجلسنَ علیه حتی خنَقهُ، وذلک بدمشق فی شهر رمضان. وهو ابن ثلاث وستین سنهٔ، فی قول الواقدیّ.

وممّا قیل فی مروان أنّ أمه کانت من أصحاب الرایات فی الجاهلیهٔ قبل أن تتزوج من الحکم، حیث نصبت الرایهٔ علناً علی باب بیتها وکانت تدعوا الرجال إلیها. وکما أشرنا سابقاً فانّ حکومهٔ مروان لم تدم أکثر من بضعهٔ شهور، وقدم جاء فی الخبر أنّه رأی فی المنام قد بال أربع مرات فی محراب رسول‌اللَّه صلی الله علیه و آله فلما سأل ابن سیرین عن رؤیاه، أخبره بأنّ أربعهٔ من بنیه یلون الحکومهٔ فیعملون علی هدم الإسلام وهذا ما وقع (طبعا أربعهٔ من أحفاده من ولد عبدالملک) فقد حکم الولید بن عبدالملک (۸۶- ۹۶) وسلیمان بن عبدالملک (۹۶- ۹۹) ویزید بن عبدالملک (۱۰۱- ۱۰۵) وهشام بن عبدالملک (۱۰۵- ۱۲۵)، وقد تخلل المدهٔ القصیرهٔ بین حکومهٔ الأولین والآخرین حکومهٔ عمر بن عبدالعزیز (۹۹- ۱۰۱) وهو من أحفاد مروان. ثم انتهت حکومهٔ آل‌مروان أسوأ خلفاء بنی‌أمیهٔ.[۲۲۱]

نفحات الولایهٔ، ج۳، ص: ۱۲۵

الخطبهٔ[۲۲۲] الرابعهٔ و السبعون

اشارهٔ

ومن خطبهٔ له علیه السلام

لما عزموا علی بیعهٔ عثمان

نظرهٔ إلی الخطبهٔ

و نحن نذکر فی هذا الموضع ما استفاض فی الروایات من مناشدتِه أصحاب الشوری، وتعدیده فضائله وخصائصه التی بأنّ بها منهم ومن غیرهم قد رَوَی الناس ذلک فأکثروا؛ والذی صحَّ عندنا أنّه لم یکن الأمرُ کما رُوی من تلک التعدیدات الطویلهٔ؛ ولکنه قال لهم بعد أن بایع عبدُالرحمن والحاضرون عثمانَ، وتلکّأ هو علیه‌السلام عن البیعهٔ: إنّ لنا حقًّا إن نعطَه نأخذه، وإن نَمنعه نرکب أعجاز الإبل وإن طال السُّری؛ فی کلام قد ذکره أهل السیرهٔ؛ وقد أوردنا بعضه فیما تقدم، ثم قال لهم: أنشدکم الله! أفیکم أحَدٌ آخَی رسولَ الله صلی الله علیه و آله بینه وبین نفسه؛ حیث آخی بینَ بعض المسلمین وبعضٍ غیری؟ فقالوا: لا؛ فقال أفیکم أحدٌ؟ قال له رسول الله صلی الله علیه و آله:

«مَنْ کنت مولاه فهذا مولاه»

غیری؟ فقالوا: لا، فقال: أفیکم أحد؟ قال له رسول الله صلی الله علیه و آله:

«أنتَ منی بمنزلهٔ هارون من موسی إلا أنه لا نبی بعدی»

غیری؟ قالوا: لا، قال: أفیکُم من اؤتمن علی سورهٔ براءهٔ، وقال له رسول الله صلی الله علیه و آله إنّه لا یؤدی عَنّی إلا أنا أو رجل

نفحات الولایهٔ، ج۳، ص: ۱۲۶

مِنی غیری؟ قالوا: لا، قال: ألا تعلمون أنّ أصحابَ رسول الله صلی الله علیه و آله فَرُّوا عنه فی مأقِط الحرب فی غیر موطن، وما فررت قَطّ؟ قالوا: بلی، قال: ألا تعلمون أنی أوّل الناس إسلاماً؟ قالوا: بلی.

قال: فأیُّنا أقرب إلی رسول الله صلی الله علیه و آله نسباً؟ قالوا: أنت. فقطع علیه عبدُالرحمن بن عوف کلامه، وقال: یا علی؛ قد أبَی الناس إلّاعلی عُثمان، فلا تجعَلنّ علی نفسک سبیلًا، ثم قال: یا أبا طلحهٔ، ما الذی أمرک به عمر؟ قال: أن أقْتُل مَنْ شقّ عصا الجماعهٔ،

فقال عبـد الرحمن لعليّ: بـايع إذن؛ وإلّـا كنت متَّبعـاً غير سبيـل المؤمنين، أنفـذْنا فيك ما أمِرْنا به. فقال: «لقـد علمتم أنى أحقُّ بها من غيرى، والله لأسْلِمن ...» الفصل إلى آخره، ثم مدّ يده فبايع.[٢٢٣]

نفحات الولايهْ، ج٣، ص: ١٢٧

«لَقَـدْ عَلِمْتُمْ أَنِّى أَحَقُّ النَّاسِ بِهـا مِنْ غَيْرِى ووَ اللَّهِ لَأُسْـلِمَنَّ مَـا سَـلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْـلِمِينَ ولَمْ يَكُنْ فِيهـا جَوْرٌ إِلَّا عَلَىَّ خاصَّةً الْتِماساً لِأَجْرِ ذَلِكَفَضْلِهِ وَزُهْداً فِيما تَنافَسْتُمُوهُ ٢٢٤] مِنْ زُخْرُفِهِ وزِبْرِجِهِ».

الشرح والتفسير

علم الجميع باحقيتى من غيرى

أورد الإمام عليه السـلام هـذا الكلام حين أمر عمر بتشـكيل الشورى من أجل إنتخاب عثمان، والشورى هم: على عليه السـلام وعثمان وعبدالرحمن بن عوف وطلحهْ والزبير وسعد بن أبى وقاص.

وقد أمر جماعهْ بامهالهم ثلاثهْ أيام لينتخبوا من بينهم خليفهْ، فاختاروا عثمان خليفهْ بعد أن رفض على عليه السلام ما اشترط عليه لقبول الخلافهْ، فرأى الإمام عليه السلام نفسه أمام عمل قد وقع، فاورد هذه الكلمات

«لقد علمتم أنّى أحقّ النّاس بها من غيرى»

فى إشارهْ إلى أنّ سـكوته عليه السـلام لايعنى أدنى شك وريب فى جدارته بالخلافهْ، فتطرق عليه السلام إلى الدافع الذى يكمن وراء ذلك السكوت فقال:

«و واللّه لأسلمنّ ما سلمت أمور المسلمين؛ ولم يكن فيها جورٌ إلّاعلىّ خاصّةً».

نعم مصالح المسـلمين هى الدافع لذلك السكوت، حذرا من شق صفوف المسلمين؛ الأمر الذى كان ينتظره أعداء الإسلام فى الداخل والخارج بفارغ الصبر بغيـهْ تنفيـذ مؤامراتهم التى تهـدف إطفاء نور الإسـلام، أو حرصاً على دماء المسـلمين والحيلولهْ دون إراقتها، ثم يصرح بأنّه مستعد للتنازل عن حقه إذا إقتصر الظلم عليه ولم تمارسه هذه الخلافهْ بحق الإسلام والمسلمين. ثم أتبعه عليه السلام بالدافع الثانى

«التماساً لأجر ذلك وفضله»

وإلى جانب ذلك

«وزهداً

نفحات الولايهْ، ج٣، ص: ١٢٨

فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه»[٢٢٥].

فقد أشار الإمام عليه السلام فى هذه العبارهْ القصيرهْ إلى ثلاث حقائق مهمهْ هى:

أولًا: أنّه أحق من كافـهْ الأفراد بخلافهْ رسولاللّه صـلى الله عليه و آله وأنّ اولئك الذين صدوه عن حقه بدافع من مصالحهم الشخصـيهْ أو حسداً وبغضاً إنّما ظلموه كما ظلموا الأمّهْ لأنّهم حرموها من هذا الزعيم الكفوء.

ثانياً: أنّ سـكوت الإمام عليه السـلام لم يكن إعتباطياً خالياً من القيود والشـروط، بل قيده عليه السـلام بانتظام أعمال المسلمين دون أن يتعرضوا لأىظلم وجور.

ثالثـاً: إنّ الإمام عليه السـلام طلب أجر اللّه وثوابه بهـذا السـكوت المرير والملى بالمعاناهْ، كما أراد أنّ يثبت عـدم قيمـهْ ما يتنافس عليه الآخرون من زبرج الدنيا وزخرفها ويحرقون من أجلها الأخضر واليابس، ولايقيم له الإمام عليه السلام من وزن.

الإجابة عن بعض الأسئلة

هنالك عدة أسئلة تطرح نفسها، الأول: ألايفهم من كلام الإمام عليه السلام أنّ سكوته فى عهد الخليفة الأول والثانى دليل على عدم خروجهما عن مسار الحق والعدل؟ وإلّا لقام الإمام عليه السلام واعترض عليهما.

والجواب على هذا السؤال هو أنّ الإمام عليه السلام لم يكن راضياً بذلك الوضع قطعاً؛ الأمر الذى نلمسه بوضوح بما ورد فى الخطبة الشقشقيقة وغيرها من الخطب التى صرح فيها برفضه لذلك الوضع ليعلمه الجميع، فقد قال كل ما كان يجب قوله من خلال إمتناعه عن بيعة الخليفة الأول واعتراضه على ما ورد فى السقيفة (كما مر علينا فى شرح الخطبة ٦٧) ولما استتبت لهم الامور وترسخت دعائم حكومتهم ولم يعد الاعتراض مجد يا سكت الإمام عليه السلام حذراً من خلخلة الأوضاع ونشوب النزاع داخل الحكومة الإسلامية ممّا يؤدى إلى إضعافها وإنهيارها. ومن

نفحات الولايه، ج٣، ص: ١٢٩

هنا تتضح الإجابة على هذا السؤال: لماذا لم يعترض الإمام عليه السلام على عثمان، والحال أن أخطائه فى التطاول على بيت مال المسلمين واغداقه أمواله على قرابته وبطانته وتسليطه لُاولئك الأفراد على رقاب المسلمين ليست بخافية على أحد، فهل يعنى ذلك السكوت رضاه عليه السلام بأعمال عثمان عليه السلام؟ فمما لاشك فيه أنّ الإمام عليه السلام لم يسكت على عثمان ولم يرض بأعماله، فاعتراضه على نفى أبىذر إلى الربذة وسائر أفعال عثمان تدل على أنّ الإمام عليه السلام كان شاجباً لأعمال عثمان، ومن الشواهد على ذلك ما روى عن الإمام عليه السلام أواخر عمر عثمان حيث نزل القوم يريدون قتل عثمان إن لم ينزع عما يكرهون، وعلم عثمان ذلك، جاء إلى منزل على عليه السلام فدخل وقال: يابن عم:

إنّ لك عند الناس قدر وهم يسمعون منك، وأحب أن تركب إليهم فتردهم عنى، فان فى دخولهم على وهنا لأمرى وجرأة على. فقال عليه السلام: على أى شئ أردهم؟ قال: على أن أصير إلى ما أشرت به، ورأيته لى. فقال عليه السلام: إنّى قد كلمتك مرة بعد أخرى، فكل ذلك تخرج وتقول وتعد ثم ترجع، وهذا من فعل مروان ومعاوية وابن عامر وعبداللَّه بن سعد، فانّك أطعتهم وعصيتنى. قال عثمان: فانّى أعصيهم وأطيعك. فأمر على عليه السلام الناس أن يركبوا معه، فركب ثلاثون رجلًا من المهاجرين والأنصار، فأتوا المصريين فكلموهم، فسمعوا منهم ورجعوا بأصحابهم يطلبون مصر[٢٢۶].

ثم قام عثمان بعدة أعمال شائنة مرت علينا فى شرحنا للخطبة الشقشقية تحت عنوان

«دوافع القيام ضد عثمان»

بحيث أدت تلك الأعمال إلى إحباط سعى الإمام عليه السلام من أجل إطفاء الفتنة. فالكلام يفيد بما لايقبل الشك مدى إعتراض الإمام عليه السلام على أعمال عثمان مرات وكرات وقد أخذ عهده على إصلاح وضعه، إلّاأنّه عجز عن ذلك الإصلاح حتى على مستوى الظاهر بفعل ضغوط مروان ومعاوية.

كما ورد فى الخطبة ١۶۴ من نهجالبلاغة شرح مفصل بهذا الشأن.

نفحات الولايه، ج٣، ص: ١٣١

الخطبة[٢٢٧] الخامسة و السبعون

اشارة

ومن كلام له عليه السلام

لما بلغه اتهام بنىأمية له بالمشاركة فى دم عثمان

نظرة إلى الخطبة

یعرض الإمام علیه السلام فی هذه الخطبة بالذم لخصومه البعیدین عن المنطق فی توجیه بعض التهم إلیه التی لایمکنها أن تطال ساحته المقدسة بفعل سوابقه المشرقة وأهدافه العظیمة التی لاتخفی علی أحد.

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۱۳۳

«أ ولَمْ یَنْهَ بَنِی أُمَیَّةَ عِلْمُها بِی عَنْ قَرْفِی أ وما وَزَعَ الْجُهَّالَ سابِقَتِی عَنْ تُهَمَتِی ولَما وَعَظَهُمُ اللَّهُ بِهِ أَبْلَغُ مِنْ لِسانِی أَنا حَجِیجُ الْمارِقِینَ خَصِیمُ النَّاکِثِینَ الْمُرْتابِینَ وعَلَی کِتابِ اللَّهِ تُعْرَضُ الْأَمْثالُ وبِما فِی الصُّدُورِ تُجازَی الْعِبادُ».

الشرح والتفسیر

العدو اللدود للمنحرفین

یعتبر قتل عثمان- إثر البذخ والتطاول علی بیت مال المسلمین والظلم والجور الذی تعرضت له الامّة منه ومن بطانته والذی أثار نقمة أغلب أفراد الامّة للقیام علیه- بؤرة أفضت إلی حوادث مریرة فی التأریخ الإسلامی، إلّاأنّ هنالک جماعة من الناس کانت تری عثمان مقصراً ولکن لیس إلی الحد الذی یجعله مستحقاً للموت، ومن هنا لم یرق لبعضهم قتله ولم یکونوا راضین بذلک، الأمر الذی مهد السبیل أما بعض الفئات المنحرفة لتستغل قتله لتحقیق أهدافها السیاسیة والقضاء علی خصومها، وهکذا أصبح قتل عثمان وسیلة لتصفیة الحسابات السیاسیة. فبنی أمیة وفی مقدمتهم معاویة کان ساکتاً لما هجم القوم علی دار عثمان، بینما کان یتمثل موقف علی علیه السلام بتوبیخ عثمان علی أعماله إلی جانب الحیلولة دون قتله، فقد ذب عنه حتی بعث بالحسن وبالحسین علیه السلام لیصدوا الناس عن الهجوم علی داره. مع ذلک ما أن قتل عثمان حتی هب بنی أمیة للطلب بثأره لیکون هذا الأمر مقدمة للوصول إلی الخلافة، ولا سیما معاویة الذی إستغل هذا الأمر إستغلالًا بشعاً فی الشام البعیدة عن المدینة لتحقیق أطماعه، حتی تمکن من خداع أهل الشام واقناعهم بانّه المدافع عن عثمان والطالب بدمه من علی علیه السلام.

وقصة قمیص عثمان معروفة، فقد علق معاویة قمیص عثمان (أو قمیصاً یشبهه) علی بوابة الشام

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۱۳۴

لیعبئ الامّة ضد علی علیه السلام، کما وظف طائفة من کهول الشام التی کانت تقیم مراسم العزاء وتبکی عثمان فی المسجد بما یثیر مشاعر الناس. فقد قال الإمام علیه السلام فی إطار ردّه لمزاعم بنی امیة:

«أولم ینه بنی أمیّة علمها بی عن قرفی؟[۲۲۸] أو ما وزع ۲۲۹] الجهّال سابقتی عن تهمتی![۲۳۰]»

فبنی أمیة وإن جانبوا الحق والانصاف، إلّاأنّهم کانوا ینبغی أن یعلموا صفات الإمام علیه السلام وأنّه لایظلم أحداً ولایلطخ یده بدماء الآخرین عبثاً، کما یعلمون جیداً سوابقه وفضائله ومنها أنّ النبی صلی الله علیه و آله خاطبه بأخیه وناداه أنت منّی بمنزلة هارون من موسی وفیه وفی أهل بیته نزلت آیة التطهیر وقد فوض إلیه النبی صلی الله علیه و آله أغلب أعماله سریة، فهذه التهم رخیصة، فالإمام علیه السلام لم یشترک فی قتله ولا قتل غیره، کما بالغ فی الدفاع عنه وإن کان یراه مقصراً، لکن دون حد القتل. فقد وعظه الإمام علیه السلام وحذره من مغبة أفعاله، کما دعی تلک الجماعة التی قامت ضده إلی التحلی بالصبر والحلم واعتماد الأسالیب السلمیة فی حل النزاع، بینما بقیت بنی أمیة ساکتة دون ان تحرک ساکناً. ثم واصل الإمام علیه السلام کلامه قائلًا:

«و لما وعظهم اللّه به أبلغ من لسانی»

أولم یقرأوا قوله سبحانه فی کتابه العزیز: «یا أَیُّها الَّذِینَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا کَثِیراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا یَغْتَبْ بَعْضُکُمْ بَعْضاً أَیُحِبُّ أَحَدُکُمْ أَنْ یَأْکُلَ لَحْمَ أَخِیهِ مَیْتاً فَکَرِهْتُمُوهُ»[۲۳۱] أو لم یسمعوا قوله سبحانه: «وَمَنْ یَکْسِبْ خَطِیئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ یَرْمِ بِهِ بَرِیئاً

فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتاناً وَإِثْما مُبِيناً»[٢٣٢]. ثم أشار عليه السلام إلى فضيلة اخرى من فضائله فقال:

«أنا حجيج ٢٣٣]

المارقين، وخصيمالنّاكثين المرتابين»،

وقـد إختلفت أقوال المفسّـرين فى محاجته عليه السـلام للمارقين فى الـدنيا أم الآخرة. أشار ابن أبى الحديد[٢٣٤] أنّه أراد يوم القيـامة حيث روى عنه عليه السلام أنّه

نفحات الولاية، ج٣، ص: ١٣٥

قال:

«أنا أوّل من يجثو للحكومة بين يدى اللّه تعالى»

، والحال لاينسـجم ظاهر الخطبة وهذا المعنى أو لايقتصر عليه، بل الظاهر أنّ الإمام عليه السلام أراد أن يقول بانّى كنت وما أزال أقف بوجه الناكثين الـذى ينقضون العهـد ولا يقيمون وزناً لتعاليم الـدين، والشاهد على ذلك قتاله عليه السـلام للناكثين (أصـحاب الجمل) والمـارقين (الخوارج) والقاسـطين (أهل الشام)، وبعبارة اخرى فانّ الإمام عليه السـلام يقول بمخالفته لمن يخالف حقه، فان رأوا ذلك عيبا، فليعيبوه به. ثم إختتم كلامه عليه السلام بقوله

«و على كتاب اللّه تعرض الأمثال،[٢٣٥] وبما فى الصّدور تجازى العباد»،

فقد ذهب أغلب شرّاح نهجالبلاغة إلى أنّ العبارة إشارة إلى الآية ١٩ من سورة الحج «هذانِ خَصْـمانِ اخْتَصَمُوا فِى رَبِّهِمْ» حيث روى النبى صلى الله عليه و آله إنها فى على عليه السلام وحمزة وعبيدة، وعتبة وشيبة والوليد، وكانت حادثتهم أول حادثة وقعت فيها مبارزة أهل الإيمان لأهل الشـرك وكان المقتول الأول بالمبارزة الوليد قتله على عليه السـلام، فتجذرت ضغينة بنىامية وكانت تستغل الفرص لـدرك ثأرها، فنزلت الآيـة لتكشف عن مصـير الفريقين، فليس لمشـركى بنىأميـة سوى الجحيم والعذاب الأليم. وأمّا المسـلمون ففى جنـات النعيم. والحق أنّ العبـارة لايمكن أن تقتصـر على الإشارة لهـذه الآيـة، بل ترشـد إلى عرض المسائل المبهمـة على شبيهاتها فى القرآن ليميز الحق من الباطل ولا سـيما هنا فى قضـية قتل عثمان وسـعى الآخرين لتوجيه أصابع الاتهام إلى هـذا وذاك بهـدف تحقيق الأغراض السياسـية، ولا سـيما من قبل اولئك الذين سكتوا لتقع تلك الحادثة، فاذا ما عرض هذا الأمر على القرآن، رأينا آياته تخالف ما قلتم، فهى تفند البهتان والتهمة وسوء الظن واشاعة الفاحشة.

والعبارة الأخيرة إشارة إلى هذه الحقيقة وهى أنّ اللّه عالم بنياتكم وأنّ هدفكم ليس الدفاع عن عثمان ولا إصلاح ذات بين المسلمين، بل تريدون إسـتغلال الصغيرة والكبيرة من أجل تحقيق أهدافكم وبكل وسيلة رخيصة من أجل الاستيلاء على الحكومة وممارسة الظلم والجور بحق المسلمين، فاللّه عالم وسيجاز يكم بذلك.

نفحات الولاية، ج٣، ص: ١٣٧

الخطبة[٢٣٦] السادسة و السبعون

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

فى الحث على العمل الصالح

نظرة إلى الخطبة

قال الكراجكى صاحب كنز الفوائد وهو من معاصرى السيد الرضى (ره) عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«تلكم أميرالمؤمنين صلوات اللّه عليه باربع وعشرين كلمة قيمة كل كلمة منها وزن السموات والأرض».

ثم روى هذه الخطبة[۲۳۷].

تشتمل هذه الخطبة حسب ما ورد فى نهج‌البلاغة على عشرين صفة من صفات المؤمنين المخلصين، والجملات الأربع التى وردت فى نقل المرحوم‌الكراجكى فى هذه الخطبة هى

«حذر أملًا» «ورتب عملًا» «يظهر دون ما يكتم» «ويكتفى بأقل ممّا يعلم»[۲۳۸]

وبالطبع هناك بعض الاختلاف الطفيف فى عبارات الخطبة. على كل حال فانّ هذه الخطبة ورغم قصرها إلّاانها عميقة المعانى ورصينة المضمون، والإمام عليه السلام يسأل اللّه الرحمة للمؤمن الذى يتحلى بهذه الصفات العشرين، ليحث الناس ويرغبهم فى هذه الصفات، وزبدة الكلام فانّ هذه الخطبة خلاصة للفضائل الأخلاقية ومجمعة كاملة للسير والسلوك إلى اللّه.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۳۹

«رَحِمَ اللّهُ امْرَأً عبـدا سَـمِعَ حُكْمـاً فَوَعَى، ودُعِيَ إِلَى رَشَادٍ فَدَنَا، وأَخَذَ بِحُجْزَةِ هادٍ فَنَجا. راقَبَ رَبَّهُ، وخافَ ذَنْبَهُ، قَدَّمَ خالِصاً، وعَمِلَ صالِحاً.

اكْتَسَبَ مَذْخُوراً، واجْتَنَبَ مَحْذُوراً، ورَمَى غَرَضاً، وأَحْرَزَ عِوَضاً. كابَرَ هَواهُ، وكَذَّبَ مُناهُ. جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجاتِهِ، والتَّقْوَى عُدَّةَ وَفاتِهِ. رَكِبَ الطَّرِيقَةَ الْغَرَّاءَ، ولَزِمَ الْمَحَجَّةَ الْبَيْضاءَ. اغْتَنَمَ الْمَهَلَ، وبادَرَ الْأَجَلَ، تَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ».

الشرح والتفسير

عشرون كلمة قيمة

إستهل الإمام عليه السلام الخطبة بقوله:

«رحم اللّه امرأ عبداً سمع حكماً[۲۳۹] فوعى ۲۴۰] ودعى إلى رشادٍ فدنا، وأخذ بحجزة[۲۴۱] هادٍ فنجا. راقب ربّه، وخاف ذنبه».

لقد بين الإمام عليه السلام فى هذه العبارة بهذه الصفات الخمس مقدمة طريقة رواد القرب إلى اللّه وسالكى مسيرة التقوى وتهذيب‌النفس، فأول الطريق ضرورة توفر الاذن السامعة التى تصغى إلى الحقائق وتستوعبها ومن ثم الاتجاه نحو الداعى الإلهى لمزيد من الفهم والإدراك، آنذاك اللجوء إلى الهادى وانتخاب القائد والدليل، وأخيراً الشعور بالحضور الدائم للّه سبحانه وشهوده للأعمال بغية الورع والتقوى من الذنب. فمن تحلى بهذه الفضائل الخمس يكون قد أعد زاده للسفر إلى اللّه والحركة نحوه. طبعاً صحيح أنّ اللّه قد خلق الإنسان على الفطرة وزوده بالعقل كمصباح يضيئ له الطريق، إلّاأنّ المفروغ منه هو أنّ إجتياز هذا الطريق

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۴۰

يتعذر بالاقتصار على العقل والفطرة، ولايتوج ذلك إلّابتوفر الداعى الإلهى والمرشد والدليل.

ومن الواضيح أنّ المراد بالدليل والمنقذ الذين اشير إليهما فى العبارة هم النبى وأئمة العصمة عليهم السلام ومن يتحدث عنهم ويهدى إليهم؛ لا الأفراد المبتدعين ممن تسموا بشيوخ التصوف الذين يغطون فى هالة من الظلمة الدامسة ويزعمون أنّهم يهدون إلى النور ولا يخفى على أحد مدى الدور الذى يلعبه الشعور بالمراقبة الإلهية والورع عن الذنب فى كبح جماع النفس وصمودها أمام الأهواء والشهوات. فاذا ما توفرت هذه المقدمة اللازمة لذلك السفر، آنذاك يأتى دور البرامج العلمية فقال عليه السلام:

«قدّم خالصاً، وعمل صالحاً. اكتسب مذخوراً، واجتنب محذوراً، ورمى غرضاً[۲۴۲] وأحرز عوضاً. كابر[۲۴۳] هواه، وكذّب مناه».

فقد أكد الإمام عليه السلام بادئ ذى بدء على العمل الخالص والصالح، كما ورد تعريفه عن الإمام الصادق عليه السلام:

«العمل الخالص الّذى لاتريد أن يمدحك عليه أحدٌ إلّااللّه»[۲۴۴]

وإليه أشارت الآية الكريمة: «وَما أَمِرُوا إِلّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ»[۲۴۵].

وهنالـك تفاسير اخرى للاخلاص تبـدو من قبيـل اللازم والملزوم، فقـالوا: الاخلاص إخفاء العمل عن الخلائق وتطهيره من العلائق، وقيـل: حقيقـة الاخلاص ألا ينتظر الإنسـان أجراً دنيويـاً أو أخرويـاً على عمله، بـل يقوم به حبّاً للَّه. وقيل: الاخلاص إخراج الخلق من معاملة الخالق. ولعلنا نلمس قمة الاخلاص فى الحديث الوارد عن أميرالمؤمنين على عليه السلام حين قال:

«إلهى ما عبدتك طمعاً فى جنّتك ولاخوفاً من نارك ولكن وجدتك أهلًا للعبادة فعبدتك»[۲۴۶]

. ثم اتبع الاخلاص والعمـل الصالـح بالحـديث عن المـذخور والـذخيرة ليوم القيامـة والواقع هو أنّ أعظم ذخيرة إنمـا تتمثل بالأعمال الخالصة والصالحة.

ولما كانت الأعمال الصالحة والخالصة للإنسان عرضة للاحباط بفعل الذنوب والمعاصى،

نفحات الولايه، ج۳، ص: ۱۴۱

فقـد ورد الحض على إجتناب هـذه الـذنوب والتورع عن ارتكابها ليقـدم الفرد على ربّه يوم القيامة بتلك الأعمال. وطالماً كان الاقبال على الـدنيا يصـد الإنسان عن ذخيرة الأعمال الصالحة، واتباع هوى النفس الذى يعد من أهم موانع الطريق وعقبته الكؤود طول الأمل، فقـد ورد الحـديث عن ترك زخارف الـدنيا وعـدم الاغترار بها ومقاومـة هوى النفس وتكـذيب طول الأمل وإجتنابه؛ الآفات المهلكة التى ورد الحديث عنها عن رسولاللَّه صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«يقول اللَّه تعالى: وعزّتى وجلالى ... لايؤثر عبدٌ هواه على هواى إلّااستحفظته ملائكتى و كفّلت السّموات والأرضين رزقه»[۲۴۷]

. ثم إختتم الإمام عليه السلام خطبته بسبع صفات للمؤمن الصالح فقال:

«جعل الصّبر مطيّة[۲۴۸] نجاته، والتّقوى عـدّة وفاته ۲۴۹] ركـب الطّريقـة الغرّاء، لزم المحجّة[۲۵۰] البيضـاء. اغتنم المهل،[۲۵۱] وبادر الأجل، وتزوّد من العمل».

فقد أشار الإمام عليه السـلام بهذه الصـفات السـبع- والتى تبدأ بالصـفة الرابعة عشـرة وانتهت بالعشـرين- إلى شرائط والوسائل المتعلقة بالسـالكين إلى اللَّه الـذين يحثون الخطى لنيل القرب من اللَّه. ويحتاج هؤلاء السالكون قبل كل شـىء إلى مركب يوصـلهم إلى شاطئ النجاة وشق عباب هذا الطريق المحفوف بالمخاطر والعقبات، وما أعظم الصبر بصفته المنقذ فى كل موضع ومهما كانت الظروف.

من جـانب آخر فـان كـل مسـافر لابـدّ أن يحمـل معه بعض الوسائل والأدوات التى تلبى حاجاته طيلـة هـذا الطريق، ويشـير الإمام عليه السـلام إلى أنّ هذه الوسائل تتمثل بالورع والتقوى بصـفتها الزاد إلى الوفاة. ثم تأتى المرحلة الضرورية الاخرى المتمثلة بمعرفة الطريق ومواصلة السير عليه فقال عليه السلام

«ركب الطّريقة الغرّاء ولزم المحجّة البيضاء»

فالعبارة الاولى تشير إلى انتخاب

نفحات الولايه، ج۳، ص: ۱۴۲

الطريق والثانية إلى السير عليه ومواصلته دون الانحراف عنه طيلة المسيرة. من جانب آخر ليس هنالك من منازل يمكن السالك التزود فيها لسفره الطويل، ومن هنا لفت الإمام عليه السلام إنتباه السالكين إلى إغتنام الفرص واحترام الوقت الذى قد يكون وبالاعلى صاحبه إذا لم يستفد منه:

«اغتنم المهل وبادر الأجل».

واخيرا اختتم كلامه بالحديث عن التزود للاخرة ومبادرة العمل الصالح خلال مدة العمر القصيرة.

تأمّل: الصبر واغتنام الفرصة

الصبر حالـة نفسانيـة يعتمـده الإنسان لمواجهة ما يعترض مسيرته من صـعاب ومشاكل، وتارة يكون هذا الصبر صبر الطاعة إذا تضـمن الوقوف بوجه الصعاب من أجل إمتثال الأوامر الشـرعية، وتارة اخرى يكون الصبر على المعصيـة إذا تضـمن كبح جماح النفس والحد من طغيانهـا وكسر شـهوتها، وأخيراً هنـاك الصبر على النوائب إثر مجابهـة المصـائب والويلاـت والأـمراض ومطبـات الحيـاة وعقباتها الكؤود. والواقع أنّ هذه الصفة تأخذ بيد الإنسان إلى التقوى حتى ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال:

«فان الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد»[٢٥٢]

وجاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال

«سيأتى على النّاس زمانٌ لاينال الملك فيه إلّابالقتل و التجبّر ولا الغنى إلّابالغصب والبخل، ولا المحبّة إلّاباستخراج الدّين واتّباع الهوى؛ فمن أدرك ذلك الزّمان وصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى، وصبر على البغضة وهو يقدر على المحبّة، وصبر على الذّلّ وهو يقدر على العزّ، آتاه اللّه ثواب خمسين صدّيقاً ممّن صدّق بى»[٢٥٣]

. وأخيرا فقد أكد الإمام عليه السـلام فى هذه الخطبة على إغتنام الفرصة والتأهب للأجل، وذلك لأنّ الفرص تمرّ مر السحاب، وهناك عدة أخطار تتهدد أعمال الخير، حيث

نفحات الولاية، ج٣، ص: ١۴٣

روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«إذا هممت بخيرٍ فبادر فإنّه ما تدرى ما يحدث»[٢٥۴]

وقال عليه السلام أيضاً:

«إذا همّ أحدكم بخيرٍ أو صلةٍ فإنّ عن يمينه وشماله شيطانين فليبادر

لايكفّاه عن ذلك».[٢٥۵]

نفحات الولاية، ج٣، ص: ١۴۵

الخطبة[٢۵۶] السابعة و السبعون

اشارة

ومن كلام له عليه السلام

وذلك حين منعه سعيد بن العاص حقه

نظرة إلى الخطبة

ورد هذا الكلام عن الإمام عليه السـلام حين ولى عثمان الخلافة واستولت بطانته على بيت مال المسلمين فعاثت به فسادا لتمارس أبشع أنواع الأسـرار إلى جانب تسـليطه لبنى أمية على رقاب الناس من خلال إغداق المناصب الحكومية الحساسة. ومن ذلك أنّه ولى سعيد بن العاص الكوفة فبعث مع ابن أبى عائشة مولاه إلى على بن أبى طالب عليه السـلام بصلة وأوصى مولاه (الحارث بن جيش) يبلغ عليا عليه السـلام أنّه لم يبعث لأحد أكثر من هذه الصـلة سوى لعثمان، وكأنّه أراد أن يمتن على الإمام عليه السـلام، فقال عليه السلام: واللَّه لاـ يزال غلاـم من غلمان بنىأميـة يبعث إلينا مما أفاء اللَّه على رسوله بمثل قوت الأرملـة؛ واللَّه لئن بقيت لأنفضـنها نفض اللحام الوذام التربة.

نفحات الولاية، ج٣، ص: ١۴٧

«إِنَّ بَنِی أَمَیَّةَ لَیُفَوِّقُونَنِی تُراثَ مُحَمَّدٍ صلی اللَّه علیه وآله تَفْوِیقاً، اللَّهِ لَئِنْ بَقِیتُ لَهُمْ لأَنْفُضَنَّهُمْ نَفْضَ اللَّحّامِ الْوِذَامَ التَّرِبَةَ!»

الشرح والتفسیر

غیض من فیض جنایات بنی‌أمیة

اشارة

لقد تسالم ساسة العالم ومنذ القدیم علی ممارسة الضغوط الاقتصادیة علی معارضیهم لینشغلوا بأوضاعهم دون الانتباه إلی ما یجری من حولهم، بـل لایتخلون عن هـذا الاسـلوب حتی فی حالـة جنوحهم إلی التعایش السـلمی معهم فلا یزودونهم إلّابادی العطاء. فقـد أشار الإمام علیه السلام إلی هذا الأمر بقوله:

«إنّ بنی أمیّة لیفوّقوننی ۲۵۷] تراث محمّدٍ صلی الله علیه و آله تفویقاً»

. تتضـمن المفردة لیفوقوننی- من مادة فواق الناقـة یعنی حلبها لمرة واحـدة- إشارة لطیفـة رائعـة إلی زهد العطاء، وکأن الخلافة بمثابة الناقة الحلوب التی تکالبت علیها بنی‌أمیة ولا تفیض منها علی الإمام علیه السلام سوی بهذا الفواق الزهید. أمّا قوله:

«تراث محمد»

فقـد یکون المراد به فـدک ومـا شـابه ذلـک، کمـا یمکن أن یکون المراد به الإسـلام بکـامله الـذی یشـمل التراث بمعناه الواسع؛ لأنّ إزدهار الاقتصاد الإسلامی إنّما حصل ببرکة دین النبی الأکرم صلی الله علیه و آله والجهود المضنیة التی بذلها صلی الله علیه و آله من أجل نشـره، وعلیه فکل ما فی أیـدیهم من تراث محمـد صـلی الله علیه و آله، ولعلی علیه السـلام السـهم الأوفی فی هـذا التراث، لیس لقرابته من النبی صـلی الله علیه و آله فحسب، بل لتضحیاته من أجل الإسلام. صحیح أنّ الإمام علیه السلام کان أسوة الزهد فی حیاته؛ إلّاأنّه کان یحصل علی عطائه من الغنائم علی عهد

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۱۴۸

رسول‌اللَّه صلی الله علیه و آله ویصل بها الفقراء والمحتاجین. ثم واصل علیه السلام کلامه قائلًا

«و اللّه لئن بقیت لهم‌لأن فضنّهم ۲۵۸] نفض اللّحّام الوذام التّربة!»

تشبیهه علیه السـلام لبنی‌أمیة بالوذام التربة التی تعنی الحزة من الکرش أو الکبد والمعدة وسائر ما فی بطن الحیوان التی تقع فی التراب إشارة إلی ذروة تلوث بنی‌أمیة وضـعتهم فهؤلاء- وبشـهادة أعمالهم علی عهد عثمان- بلغوا مرحلة من الدنس بما جعل عامة المسلمین تنقم علیهم وتفکر فی إجتثات جـذور هذه الشـجرة الخبیثة من أصولها وطرد هذه العناصـر الفاسدة من المجتمع الإسـلامی وانقاذ بیت المال من أیدیهم الآثمة.

قال المرحوم السید الرضی (ره) آخر هذه الخطبة: ویروی التراب الوذمة وهو علی القلب.

قال الشریف: وقوله علیه السلام:

«لیفوّقوننی»

أی یعطوننی من المال قلیلًا کفواق الناقـة. وهو الحلبـة الواحدة من لبنها. والواذم: جمع وذمة، وهی الحزة من الکرش، أو الکبد تقع فی التراب فتنفض. وجاء فی بعض الروایات

«التّراب الوذمة»

بدلًا من

«الوذام التّربة»،

والمفهوم واحد وكلاهما بمعنى الأشياء الزهيدة التى قد تتلوث أحياناً ويجب تطهيرها.

تأمّلان

۱– من هو سعيد بن العاص؟

كما أوردنا سابقاً فانّ الخطبة وردت بشأن سـعيد بن العاص لما بعث بغلامه وهو يومئذ أمير الكوفة من قبل عثمان وقد بعث بهدايا إلى المدينـة، ثم بعـدث بعديـة إلى على عليه السـلام وكتب إليه إنّى لم أبعث إلى أحـد أكثر مما بعثت به إليك إلّاعثمان، وكأنّه قد إمتن على الإمام عليه السـلام بـذلك المقدار فأجابه الإمام عليه السـلام بهذا الكلام. سـعيد من طائفة بنى أمية من قبيلة قريش، أدرك النبى صلى الله عليه و آله وكان من أمراء جيش المسـلمين، وقـد تربى فى حضن عمر بن الخطاب، وقـد ولاه عثمان الكوفة، فلما قدم الكوفة خطب أهلها واتهمهم بالتمرد والعصـيان. فشـكاه أهل الكوفـة إلى عثمان، فاعاده إلى المدينة فمكث فيها حتى خرج الناس على عثمان فجعل يدافع عنه ويواجه الثوار حتى قتل عثمان، فاضطر للذهاب إلى مكة وبقى فيها. فلما ولى معاوية الخلافة، جعله معاوية أميراً على
نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۴۹
المدينـة حتى توفى فيها. لم يلتحق بالجمل ولا صـفين، ويتصف بالكبر والعنف والفضاضة، كما كان خطيباً متكلماً. بنى له قصـراً كبيراً فى المدينة، وتوفى سنة ۵۳ أو ۵۹ ه فى المدينة.[۲۵۹]

۲– بنى‌أمية

اشارة

بنى‌أمية من قبيلة قريش وينسـبون إلى أمية بن عبد شـمس بن عبدمناف وقد بدأت حكومتهم منذ تولى معاوية بن أبى سـفيان الخلافة عام ۴۱ ه حتى عصر مروان الحمار أو مروان الثانى الخليفة الرابع عشر الذى توفى سنة ۱۳۲ ه والحكومة الأموية وإن إنقرضت عام ۱۳۲ ه إلّاأنّ أحد أفرادها حكم فيما بعد الأندلس، حيث فتحت الأندلس من قبل المسلمين عام ۹۱ حتى ۹۳ ه ومنذ ذلك الوقت وحتى عام ۱۳۸ ه كانت تحكم كسائر الممالك الإسـلامية من قبل الخلفاء المسـلمين. وفى عام ۱۳۸ ه حكمها عبدالرحمن الأول من أحفاد هشام بن عبـدالملك الحاكم الأموى العاشـر الـذى نجى من العباسـيين، وقـد حكمها ونسـله لمـدة قرنين، حتى قام الناس فى القرن الخامس لتسقط هذه الحكومة.[۲۶۰]

الف) بنى‌أمية فى القرآن الكريم

«وَإِذ قُلْنا لَکَ إِنَّ رَبَّکَ أَحاطَ بِالنّاسِ وَما جَعَلْنا الرُّؤْيا الَّتِی أَرَيْناکَ إِلّا فِتْنَةً لِلنّاسِ وَالشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِی القُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَما يَزِيدُهُمْ إِلّا طُغْياناً کَبِيراً».[۲۶۱]
. أجمع مفسـرو الفريقين أنّ هـذه الرؤيا حتى رأى النبى الاكرم صـلى الله عليه و آله بنى‌أميـة ينزوون على منبره إنزواء القردة فنزل عليه جبرئيل بالآية ليطلعه على حكومتهم، فلم ير رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله بعد ذلك ضاحكاً.
وقد نقل المفسر ا لمعروف الفخر الرازى فى تفسيره رواية بهذا المضمون عن ابن عباس. كما روى عن عائشة أنّها قالت لمروان:
«لعن اللّه أباك وأنت فى صلبه فأنت بعض من لعنة اللّه»[۲۶۲]

. إضافة إلى الآية المذكورة فقد فسرت الشجرة الخبيثة فى الآية ۲۶ من سورة إبراهيم على ضوء بعض الروايات ببنى أمية.[۲۶۳]

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۵۰

ب) بنى‌أمية فى أحاديث العامة

جاء فى كتاب كنزالعمال من مصادر العامة عن سعيد بن عامر قال: أغلظ أبوبكر يوماً لأبى‌سفيان فقال له: يا أبابكر لأبى‌سفيان تقول هذه المقاله. قال يا أبت إنّ اللّه رفع بالإسلام بيوتاً ووضع فكان بيتى فيما رفع وبيت أبى‌سفيان فيما وضع.[۲۶۴]

وعن رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله أنّه قال: إنّ أول من يبدل سنّتى رجل من بنى‌أمية.[۲۶۵] وقال صلى الله عليه و آله: إنّ أهل‌بيتى سيلقون من بعدى من أمتى قتلًا وتشريداً، وإنّ أشد قومنا لنا بغضاً بنوأمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم.[۲۶۶]

وعن على عليه السلام قال: لكل أُمّة آفة وآفة هذه الامّة بنوأمية.[۲۶۷]

ج) بنى‌أمية فى نهج‌البلاغة

تعرض أميرالمؤمنين على عليه السلام فى عدّة خطب من نهج‌البلاغة لبنى‌أمية والمفاسد التى كبدوها الإسلام والمسلمين، ومن ذلك ما أورده فى الخطبة ۷۷ و ۹۳ و ۹۸. فقد وصف عليه السلام حكومة بنى‌أمية باكبر وأبشع الفتن على الامّة الإسلامية فقال عليه السلام: «ألا وإنّ أخوف الفتن عندى عليكم فتنة بنى أميّة فإنّها فتنةٌ عمياء مظلمةٌ ...».

د) مفاسد حكومة بنى‌أمية

اشارة

كثيرة هى المفاسد والجنايات التى إرتكبتها حكومة بنى‌أمية فى التأريخ الإسلامى، بحيث لايسع المقام الخوض فى تفاصيلها، وعليه نكتفى بالإشارة هنا إلى بعضها:

۱- انحراف الخلافة عن مسارها الصحيح واستبدالها بالسلطة

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۵۱

فقد صرح معاوية بأنّه استولى على الخلافة بالسيف لامن خلال محبّة الناس أو رضاهم عن حكومته.[۲۶۸] وقال الجاحظ أنّ معاوية أسمى العام الذى ولى فيه الخلافة بعام الجماعة والحال كان ذلك العام، عام الفرقة والقهر والغلبة، العام الذى أصبحت الخلافة فيه وراثة على غرار حكومة كسرى وقيصر[۲۶۹]. وقد دفعت حياة الترف والبذخ لمعاوية ونهجه فى الخلافة لئن يخاطبه سعد بن أبى‌وقاص بالملك حين كان يرد عليه.[۲۷۰] وقد عد المؤرخون معاوية أول ملك.[۲۷۱]

۲- مسخ وتحريف الحقائق والمعارف الإسلامية

مثل:

۱- سب أميرالمؤمنين على عليه السلام ووضع الأحاديث فى ذمه ومدح معاوية. وروى أنّ قوماً من بنى‌أمية قالوا لمعاوية: إنّك قد بلغت ما أملت، فلو كففت عن لعن هذا الرجل فقال: لا واللَّه حتى يربو عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكراً فضلًا.[۲۷۲] ولما سئل مروان عن ذلك أجاب: لايستقيم لنا الأمر إلّابذلك.[۲۷۳] وذكر ابن أبى‌الحديد أنّ معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة فى على عليه السلام تقتضى الطعن فيه والبراءة منه؛ وجعل لهم على ذلك جعلًا يرغب فى مثله، فاختلقوا ما أرضاه، منهم أبوهريرة وعمرو و بن العاص والمغيرة بن شعبة ومن التابعين عروة بن الزبير[۲۷۴].

۲- إشاعة مذهب الجبر بين المسلمين، فقد صرح معاوية أن لافائدة من السعى والعمل فكافة الأمور بيداللَّه ۲۷۵]، ولايقصد معاوية من هذا الكلام المسائل العقائدية، بل يهدف إلى فرض خلافته على الناس، حيث قال:

«هذه الخلافة أمرٌ من أمر اللّه وقضاءٌ من قضاء اللّه»[۲۷۶]

؛ الأمر الذى جعل زياد بن أبيه والى معاوية على البصرة والكوفة يخاطب الناس بأنّه

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۵۲

يدافع عنهم من خلال السلطنه التى منحهم اللَّه إياها.[۲۷۷]

۳- قتل كبار الشخصيات الإسلامية وأئمة الدين كالإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام وزيد بن على بن الحسين عليه السلام وحجر بن عدى.

۴- قصف الكعبة والمسجدالحرام بالمنجنيق على عهد يزيد.

۵- سلب الامّة أمنها واستقرارها. فقد شاع على عهد زياد بن أبيه الد عبداللَّه فى العراق المثل المعروف:

«أنج سعد فقد هلك سعيدٌ»

الذى يرمز إلى سفك دماء الأبرياء بدون حق.[۲۷۸]

۶- تعذيب أبناء الامّة الإسلامية وممارسة ألوان الاهانة من قبيل كوى وجه وعنق بعض الشيعة، وهذا ما فعله الحجاج بن يوسف بأنس بن مالك وسهل بن سعد وجابر بن عبداللَّه الانصارى لحبّهم لعلى عليه السلام.[۲۷۹] وخلاصة القول فانّ جنايات ومفاسد بنى‌أمية أكثر من أن تحصى، وما مر معنا غيض من فيض جرائم بنى‌أمية، ولانرانا نبالغ إذا قلنا أنّها تتطلب عدّة كتب ومجلدات. والعجيب أن بعض المغفلين والجهال يرون هذه الحكومة من قبيل الحكومات الإسلامية؛ الأمر الذى يكشف عن ضحالة أفكارهم وعدم إطلاعهم على السلوكية المنحرفة لبنى‌أمية.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۵۳

الخطبة[۲۸۰] الثامنة و السبعون

اشارة

ومن دعاء له عليه السلام

من كلمات كان عليه السلام يدعو بها

نظرة إلى الخطبة

يشتمل كلامه عليه السلام على أربعة أدعية عظيمة، تفيد بعض القرائن أنّ الإمام عليه السلام كان يتلوا كراراً هذه الأدعية ويتضرع بها إلى اللَّه سبحانه وتعالى. طبعاً صحيح أن الإمام عليه السلام معصوم ولايصدر عنه أى ذنب أو معصية علانية أو خفية، فى الباطن أو

الظاهر باللسان أو بالعين، إلّا أنّ مقامه لـدى الحق سـبحانه يجعله يخشـى الغفلة عن أدنى مصداق لترك الاولى فيسأل اللَّه الرحمة على الـدوام. أضف إلى ذلك فانّ كلماته تعليميـة لعموم الأُمّة لتتعرف على كيفية الاسـلوب الذى تناجى به خالقها، كما تفيض عليها بعض المعارف والعلوم والمضامين الإسلامية.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۵۵

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِی ما أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّی فَإنْ عُـدْتُ فَعُـدْ عَلَیَّ بِالْمَغْفِرَهِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِی ما وَأَیْتُ مِنْ نَفْسِـی ولَمْ تَجِدْ لَهُ وَفَاءً عِنْدِی اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِی ما تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَیْکَ بِلِسانِی ثُمَّ خالَفَهُ قَلْبِی اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِی رَمَزاتِ الْأَلْحاظِ وَسَقَطاتِ الْأَلْفاظِ وشَهَواتِ الْجَنانِ وهَفَواتِ اللِّسانِ».

الشرح والتفسير

من الأدعية التربوية للإمام على عليه السلام

أوردنا سابقا أنّ الإمام عليه السـلام يسأل اللَّه سـبحانه العفو والمغفرة من أربعة أشياء والتى يشكل كل واحد منها فى الواقع مشكلة من المشالك الأخلاقيـة المهمـة والعقبات المعنوية التى تعترض سبيل الإنسان ومما لاشك فيه أنّ الإنسان إذا تغلب على هذه العقبات فانه سيبلغ شاطئ الأمان وينال الفلاح والسعادة. فقد استهل دعائه عليه السلام بالقول:

«اللّهمّ اغفرلى ما أنت أعلم به منّى، فإن عدت فعد علىّ بالمغفرة»

فرصيد الإنسان هو النسيان فيقارف الكثير من الذنوب والمعاصى إلى درجة نسيانها وعدم الاعتذار إلى اللَّه منها وطلب العفو والمغفرة، أو الاصرار عليها وعدم الكف عنها دون الالتفات إليها حتى تثقل كاهله. وهنا ينبغى التضرع إلى اللَّه سبحانه:

«اللّهم اغفر لى ما انت أعلم به منى، فان عدت فعد على بالمغفرة»

كما ينبغى اسـتحضار الذنوب والمعاصـى وسؤال اللَّه العفو والصـفح. وممّا لاشك فيه أنّ هذا النسيان آفة سعادة الإنسان، بحيث يؤدى إلى بعض المشاكل التى يتعذر على الإنسان حلها، ومن هنا يتوجب على الإنسان الاسـتعاذة باللَّه من هذا النسيان، وسؤال اللَّه العافية من الذنوب المنسية، وقد أبلغ القرآن فى التعبير عن مثل هذه الذنوب فقال:

«یَوْمَ یَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِیعاً

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۵۶

فَیُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا أَحْصاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلی کُلِّ شَیءٍ شَهِیدٌ»[۲۸۱]. أمّا بعض شـرّاح نهجالبلاغـة فقـد ذهبوا إلى أنّ المراد بالعبارة الـذنوب التى يجهل الإنسان كونها ذنوباً، أو إذا علم بها فان علمه باهت لايكترث له بهـذا الشأن. ويرد على أصـحاب هـذا التفسير أنّ الـذنوب التى يقارفهـا الإنسـان جهلا مغفورة فلا حاجـة لسؤال اللَّه المغفرة عليها، إلّاأنّهم أجابوا عن ذلك بقولهم إن كان هـذا الجهل نابعاً من القصو وكان الجاهل قاصـر فالأمر كذلك، أما إذا كان ذلك الجهل يسـتند إلى التقصـير وكان الجاهل مقصراً ولم يجد نفسه فى الالمام بالعلم فانّ العقاب واللوم والتوبيـخ يطال مثل هـذا الجاهل، ومن هنا عليه أن يسأل اللَّه الفعو والصـفح عن ذنوبه أو أن يكون المراد الذنوب التى ينسى الإنسان كونها ذنوباً أو يخطئ فى تشخيصها بحيث يجب عليه طلب المغفرة إن كان ذلك النسيان هذا الخطأ وليد التقصير؛ الأمر الذى أشار إليه القرآن الكريم بقوله: «رَبَّنا لا تُؤاخِذنا إن نَسِینا أَوْ أَخْطَأْنا»[۲۸۲] والواقع هو أنّ التفسير الذى أوردناه فى البداية يعود إلى نسـيان. موضوع الذنب، بينما يعود التفسير الثانى إلى حكمه. إلّاأنّ التفسير الأول أنسب من التفسير الثانى، وإن قال جمع من الشـرّاح بالتفسـير الثانى. وأخيراً يبقى احتمال الجمع قائماً وقـد سأل الإمام عليه السـلام اللَّه العفو عنها جميعا. أمّا الدعاء الثانى فقد تضمن الاشارة إلى موضوع مهم آخر والذى يكمن فى عدم وفاء الإنسان بالعهود والمواثيق التى يقطعها على نفسه أو مع ربّه فقال عليه السلام:

«اللّهمّ اغفرلى ما وأيت من نفسى، ولم تجد له وفاءً عندى»[۲۸۳]

قد تتكون العبارة

«ما وأيت من نفسى»

اشارة إلى العهود والمواثيق التى يتمثل طرفيها بنفس الإنسان، كأن يعاهد نفسه، ومما لاشك فيه أن الالتزام بهذه العهود والعمل بمضامينها يكشف عن شخصية الإنسان عزمه على ممارسة الانشطة والفعاليات، بينما يفيد

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۵۷

نقضها ضعف إرادته فيتوجب عليه الاستعاذة باللّه منه. أو يمكن أن يكون طرفها الأول الإنسان والطرف الآخر اللّه سبحانه تعالى بحيث يكون هذا المعنى مقدرا فى العبارة السابقة[۲۸۴]، وعلى وهذا الضوء فهى إشارة إلى جميع العهود والمواثيق الشرعية التى يعاهد الإنسان فيها اللّه سبحانه ولايلتزم بها. وذلك لأنّ الكثير من الأفراد يعاهدون اللّه فى الشدائد والنوائب فاذا ما كشفت عنهم نسوا تلك العهود؛ الأمر الذى صرح به القرآن الكريم قائلًا: «وَمِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصّالِحِينَ* فَلَمّا آتاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ»[۲۸۵]. أمّا فى الدعاء الثالث فالإمام عليه السلام يستعيذ باللّه من الرياء والنفاق ويسأل اللّه العفو والمغفرة فيقول:

«اللّهمّ اغفر لى ما تقرّبت به إليك بلسانى، ثمّ خالفه قلبى»

فالتظاهر بالأعمال الحسنة- من خلال اللسان أو الرياء فى العبادات وسائر الطاعات- يعد من أخطر شعب الشرك، الأمر الذى أكد التحذير منه فى الآيات القرآنية والروايات الإسلامية، غير أنّ الذى يؤسف له هو أنّ الرياء والنفاق من الأعمال الشائعة التى تكبد الإنسان أضرارا تفوق التصور، حيث يفيد هذا الأمر أنّ مثل هذا الإنسان لايؤمن فى الواقع بتوحيد اللّه على مستوى الأفعال، ولا غرو فهو يرى العزة والذلة بيد الناس ويؤثر ولاية الناس ومحبتهم على ولاية اللّه ومحبته. بينما إذا علم هذا الإنسان بأنّ العزة والذلة بيداللّه، يعز من يشاء ويذل من يشاء وأنّ القلوب بين إصبعين من أصابع اللّه يقلبها كيف يشاء، فانّه لايسأل سوى اللّه ولا يعمل إلّاله سبحانه. ولا يقتصر التناقض بين القول والنية بالنسبة للرياء، بل إنّ كل تناقض إنّما يشمل الظاهر والباطن، فكل ما ينطق به الإنسان ولايلتزم به حين العمل، أو أن يعزم على خلافه إنما يشير إلى تناقض الظاهر مع الباطن، وإن لم يكن قد قصد الرياء. فقد صرح القرآن الكريم بهذا الخصوص قائلًا: «يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ* كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ»[۲۸۶] أننا لنناجى الحق سبحانه وتعالى فى صلواتنا اليومية «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَستَعِين» والحال قد تعيش قلوبنا عباة اخرى وإستعاذة ثانية، كما نتشهد فى صلواتنا بالوحدانية للّه «أشهد أن لا إله إلّااللّه وحده لا شريك له»

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۵۸

بينما نعيش الشرك فى إيماننا ومن ذلك الشيطان المتمثل بهوى النفس الذى يلقى بظلاله على جميع زوايا الحياة البشرية، والدعاء الوارد فى الخطبة من الدروس القيمة التى تحذر من هذا الخطر العظيم. وأخيراً يستغفر اللّه سبحانه من أربعة أشياء ويستعيذ باللّه منها

«اللّهمّ اغفر لى رمزات ۲۸۷] الألحاظ،[۲۸۸] وسقطات ۲۸۹] الألفاظ، وشهوات الجنان، وهفوات ۲۹۰] اللّسان»

فالعبارة إشارة إلى ذنوب العين والقلب واللسان التى قد تكون من أخطر الذنوب والمعاصى. فنظرات الازدراء للمؤمنين والإشارات المشوبة بالغرور والاستخفاف، وارسال الكلام على عواهنه دون إجالة الفكر والذى قد يقود إلى الاضغان والاحقاد وإثارة الخلافات والتوترات واراقة ماء وجه الآخرين إلى جانب النزوع نحو الشهوات والرغبات التى تقذف بالإنسان فى أودية الخطيئة والاثم ومقارفة بعض المعاصى التى تفرزها حالة العبثية فى الحديث والتى تؤدى إلى عدّة مفاسد، كل هذه الامور من أعدى أعداء سعادة الإنسان وفلاحه، والإمام عليه السلام حين يسأل اللّه العفو عن هذه الامور إنّما يهدف التحذير العملى من مغبة هذه الامور الأربعة وعدم الاستخفاف بمدى خطورة ذنوبها. وأما الفارق بين رمزات الالحاظ وشهوات الجنان فهو واضح، غير أنّ هنالك خلاف بين شرّاح نهج‌البلاغة بشأن الفارق بين

«سقطات الالفاظ» و «هنوات اللسان»

. فقد ذهب المرحوم مغنية إلى أنّ المراد واحد، بينما ذهب المرحوم الشارح الخوئى إلى أنّ المراد بسقطات الالفاظ هو الالفاظ التى لاتترتب عليها فائدة فى الآخرة سواء كانت محرمة أم لم تكن كذلك، أمّا هفوات اللسان فهى الكلام الحرام من قبيل الغيبة والنميمة والبهتان والاستهزاء والسب والشتم والتهمة. ولكن إستناداً إلى أنّ سقطات جمع سقط بمعنى الشئ التافه الذى لا قيمة له، يبدو أن العبارة

«سقطات الالفاظ»

إشارة إلى الكلام العبثى واللغو والركيك أحياناً الذى يصدر من الأفراد اللا ابالين الجهال؛ أمّا هفوات اللسان وبالاستناد إلى مفهوم الهفوة الذى يعنى الزله، فان العبارة تشير إلى ما يجرى

نفحات الولاية، ج٣، ص: ١٥٩

على لسان الإنسان من كلمات دون التأمل والتفكير، ولعلها تختزن بعض الذنوب الخطيرة كالغيبة والتهمة والاستهزاء بالمؤمن ٢٩١].

فصل فى الدعاء ودوره فى حياة الإنسان

يلعب الدعاء دورا هاما فى تربية النفس البشرية وسوقها نحو مدارج السمو والرفعة والكمال، وهى الحقائق التى قد يغفلها أغلب الداعين. والدعاء كمطر الربيع الذى يسقى بغيثه أرض القلوب فتتفتح أوراق الإيمان والاخلاص والعشق والعبودية والدعاء هو النسيم القدسى الذى يطبع الروح بمعانى الطهر والعفة إلى جانب القوة والقدرة التى تهب ا لعظام الرميم الحياة كدعاء السيد المسيح عليه السلام، ناهيك عما تشتمل عليه بعض الأدعية من فضائل أخلاقية ومعارف ربانية تسبغ بها النفس فتمنحها الهدوء والسكينة فالنفس حية بالدعاء نابضة بالورع والتقوى ومن هنا فانّ الدعاء هو الأكسير العظمى وكيمياء السعادة وماء الحياة وروح العبادة، حتى ورد فى الحديث أن

«الدعاء مخ العبادة»[٢٩٢]

والجدير بالذكر أنّ القرآن يرى قيمة الإنسان تكمن فى دعائه وتضرعه إلى اللّه: «قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّى لَوْلا دُعاؤُكُمْ»[٢٩٣]. وكيف لايكون الدعاء بهذه الأهمية وهو يدعو الإنسان إلى معرفة اللّه وعشق والمعبود بغية نيل رحمته والظفر بعفوه ومغفرته من خلال التوسل باسمائه الحسنى، من جانب آخر فانّه يحث الداعى على التحلى بشرائط الاستجابة وفى مقدمتها التوبة من الذنوب والمعاصى والتعفف عن مقارفتها. أضف إلى ذلك فانّ الدعاء يدفع بصاحبه إلى إزالة موانع الاستجابة ويتمثل أبسطها فى المواظبة على الحلال فى المأكل وا لملبس وإجتناب المال الحرام والسعى لأداء حقوق الآخرين وترك الذنوب والمعاصى من قبيل الغيبة والنميمة وشرب الخمر وقطيعة الرحم التى تعدّ من موانع إستجابة الدعاء. ولذلك يمكن القول إنّ ما يترتب على ذات الدعاء بالنسبة للإنسان يفوق بكثير ما يعود عليه من إستجابته. وناهيك عن كل ماسبق فانّ

نفحات الولاية، ج٣، ص: ١٦٠

المضامين العميقة التى تضمنتها أدعية أئمة الدين تعدّ دروساً قيمة والمتاع العظيم الذى يتزود به السالكين إلى اللّه سبحانه على سبيل المثال إذا ألقينا نظرة إلى دعاء يوم الأحد من أدعية أيام الاسبوع تطالعنا العبارة

«و اجعل غدى وما بعده أفضل من ساعتى ويومى»

التى ترشدنا إلى أهمية العمر وضرورة إغتنام كل لحظاته بحيث تكون اللحظة الحاضرة أفضل من الماضية والقادمة أعظم من الحاضرة وهكذا، وبخلافه فمن العبث أن يرى الإنسان لعمره معنى دون أنّ يستثمر أوقاته. أو تطالعنا هذه العبارة فى دعاء كميل

«اللّهمّ اغفرلى الذّنوب الّتى تحبس الدّعاء»

فنقف على حجاب النفس الـذى يحول دون إسـتجابة الـدعاء؛ الأمر الذى يجعلنا نفتش عن مواضع الضـعف فى ذاتنا. كما نرى أنفسـنا مطالبين باستئناف نهارنا على أساس نور الهداية ونختتمه بالغلبة على العدو؛ الأمر الذى ورد فى دعاء عرفة

«واجعل غناى فى نفسى»

أن غنى النفس ليس بالشـئ الـذى يتحقق فى الخارج بواسـطة جمع الثروات الطائلة وسـكن القصور الفخمة ونيل المناصب الرفيعة، بل لابدّ من البحث عن الغنى فى الذات التى ألا تشـبع وتعيش الغنى من ذاتها فانّها تبقى عطشـى وان صبت عليها الدنيا بما فيها، فلا تكون سوى كالمصاب بمرض الاستسـقاء فيطلب الماء دائماً بينما تسـتقر روح الإنسان ويكفيها أدنى ما فى هـذه الـدنيا إذا تنورت بالمعارف الإلهية. كما نقرأ فى دعاء الندبة:

«واجعل صلاتنا به مقبولة وذنوبنا به مغفورة ودعائنا به مستجاباً واجعل ارزقنا به مبسوطة وهمومنا به مكفية وحوائجنا به مقضية»

فنفهم أن كافة الابواب مغلقة بوجوهنا دون إدراك حقيقة الولاية، فقبول صـلاتنا وغفران ذنوبنا واجابة دعائنا وسعة رزقنا وتفريج همنا مرهون بالولاية، يالها من حقيقة عظيمة؟!

وإذا عدنا قليلًا إلى الدعاء الذى نحن بصدره نرى أنّ علياً عليه السلام قد قدم شرحاً وافياً واضحاً للدروس الأخلاقية والفضائل الانسانية من خلال هـذه العبارات الأربع العميقـة المعنى إلى جانب التحـذير من الرذائل الأخلاقيـة التى تقود الإنسان إلى السـقوط. نعم فادعية المعصومين عليه السلام على الدوام دروس فى التربية والتهذيب وزاد ومتاع السالكين إلى اللّٰه.

نفحات الولاية، ج٣، ص: ١٦١

الخطبة[٢٩۴] التاسعة و السبعون

اشارة

ومن كلام له عليه السلام

قاله لبعض أصـحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج وقد قال له: إن سـرت يا أميرالمؤمنين فى هذا الوقت خشيت ألا تظفر بمرادك، من طريق علم النجوم. فقال عليه السلام:

نظرة إلى الخطبة

يتضـح مما مر معنا أنّ ما ورد فى هـذه الخطبة ينفى على نحو الاجمال صـحة تكهنات المنجمين ويراها تتناقض وتوحيد اللّٰه، أو بعبارة اخرى فانّ مزاعم المنجمين فى تنجيمهم هى من قبيل المسائل الخرافيـة المضادة القرآن وعلى الامـة الحذر من التعامل مع هذه الأفكار وأنّ أساس النصر والغلبة يكمن فى التوكل على اللّٰه وتشتمل الخطبة على قسمين، يخاطب الإمام فى القسم الأول المنجمين وفى الثانى الناس.

نفحات الولاية، ج٣، ص: ١٦٣

القسم الأول: خطأ المنجمين

«أ تَزْعُمُ أَنَّكَ تَهْدِى إِلَى السَّاعَةِ الَّتِى مَنْ سارَ فِيها صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ؟

وَتُخَوِّفُ مِنَ السَّاعَةِ الَّتِى مَنْ سـارَ فِيهـا حـاقَ بِهِ الضُّرُّ؟ فَمَنْ صَـدَّقَكَ بِهـذا فَقَـدْ كَـذَّبَ الْقُرْآنَ، واسْـتَغْنَى عَنِ الاسْـتِعانَةِ بِـاللّٰهِ فِى نَيْلِ الْمَحْبُوبِ ودَفْعِ الْمَكْرُوهِ؛ وتَبْتَغِى فِى قَوْلِكَ لِلْعامِلِ بِأَمْرِكَ أَنْ يُولِيَكَ الْحَمْـدَ دُونَ رَبِّهِ، لِأَنَّكَ- بِزَعْمِكَ- أَنْتَ هَدَيْتَهُ إِلَى السَّاعَةِ الَّتِى

نالَ فِيها النَّفْعَ وأَمِنَ الضُّرَّ!!»

الشرح والتفسير

ذكرنا سابقاً أنّ الإمام عليه السلام ردّ بهذا الكلام على من قال له حين عزم على المسير إلى الخوارج: خشيت أن لاتظفر بمرادك من طريق على النجوم إذا خرجت فى هذه الساعة.

فرفض الإمام عليه السلام ذلك رفضاً قاطعاً، ثم تطرق إلى العواقب الفكرية الوخيمة التى تترتب على مثل هذا التفكير والاعتقاد بالتأثير الذى تلعبه النجوم على مصير الإنسان، فيحذر ذلك المنجم إلى جانب الناس من مغبة هذا الأمر. فقد إستهل كلامه عليه السلام بالقول:

«أتزعم أنّك تهدى إلى السّاعة الّتى من سار فيها صرف عنه السّوء؟ وتخوّف من السّاعة الّتى من سار فيها حاق ۲۹۵] به الضّرّ؟»

من الواضح أنّ هذا الاستفهام إستنكارى؛ أى لن يحصل قط مثل هذه المعارف عن طريق علم النجوم. ثم أشار الإمام عليه السلام إلى نتيجتين تترتبان على هذا الاعتقاد

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۶۴

السيئ

«فمن صدّقك بهذا فقد كذّب القرآن، واستغنى عن الاستعانة باللّه فى نيل المحبوب و دفع المكروه»

ولا يقتصر الأمر على ذلك بل

«و تبتغى فى قولك للعامل بأمرك أن يوليك الحمد دون ربّه، لِأنّك- بزعمك- أنت هديته إلى السّاعة الّتى نال فيها النّفع، وأمن الضّرّ!!»

هاتان النتيجتان الخطيرتان المترتبتان على زعم المنجم امّا فغرزهما طبيعة الفارق الكامن- حسب إعتقاد المنجمين الماضين- بين أحوال النجوم وأحكامها. وتوضيح ذلك أنّ علم النجوم كان سائداً بين أفراد البشر منذ قديم الزمان، ولعل أولئك الأفراد الذين عاشوا قبل التأريخ قد كان لهم علم ومعرفة بالنجوم، إلّاأنّ علم النجوم قد تطور تطوراً ملحوظاً كسائر العلوم الاخرى بعد إكتشاف الكتابة، فحصلت الاكتشافات وتمّ التعرف على الأنظمة الخاصة التى تحكم الكواكب السيارة والمنظومة الشمسية والمجرات والثوابت حتى ظهر التقويم الذى يستند إلى حركة النجوم والقمر والشمس. أمّا إقتران بعض حركات النجوم ببعض الحوادث جعل طائفة من المنجمين تعتقد بالتدريج بأنّ هنالك تأثير لحركة النجوم فى مصير الإنسان، ثم إتسع نطاق هذا الاعتقاد حتى قيل بأنّ لكل إنسان كوكب فى السماء وأنّ مصيره يعتمد إلى حد بعيد على حركات هذا الكوكب، حتى ظهر علم جديد يصطلح عليه باحكام النجوم إلى جانب أحوال النجوم. وأحوال النجوم قائمة على أساس المشاهدات والمحاسبات المتعلقة بحركة الكواكب وشروقها وافولها؛ أمّا أحكام النجوم فيراد بها العقائد التى تنسب حوادث الأرض ومصير من يعيش عليها إلى النجوم. ولم تمض مدة وانطلاقا من هذا الاعتقاد إلى عبادة النجوم والاستعانة بها من أجل حل المشاكل، وقد ظلت مثل هذه الافكار والعقائد سائدة فى أذهان البعض حتى إبان ظهور الدعوة الإسلامية وشروق شمس التوحيد التى أضاءت ظلمات الشرك، فكان بعض المنجمين يخبرون عن بعض الأحداث الآتية من خلال إستعانتهم بحركات النجوم، ونموذج ذلك ما قاله هذا المنجم لأميرالمؤمنين عليه السلام استناداً لحركة النجوم فى أنّه لايظفر بمراده إذا تحرك فى تلك الساعة لقتال الخوارج فى النهروان، ففند الإمام عليه السلام ما قاله المنجم ثم خالفه عملياً بأن سار فى تلك الساعة إلى قتال الخوارج فهزمهم هزيمة منكرة وانتصر عليهم ذلك النصر الحاسم. نكتفى بهذا المقدار على أن نعرض له بتفصيل أكثر آخر الخطبة فى بحث التأملات.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۶۵

القسم الثانى: اجتناب نبوءات المنجمين

اشارة

«أَيُّها النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وتَعَلُّمَ النُّجُوم، إِلَّا ما يُهْتَدَى بِهِ فِى بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ، فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى الْكَهانَةِ، والْمُنَجِّمُ كالْكاهِنِ والْكاهِنُ كالسَّاحِرِ، والسَّاحِرُ كالْكافِرِ، والْكافِرُ فِى النَّارِ، سِيرُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ».

الشرح والتفسير

يحذر الإمام عليه السلام أفراد الامّة من تعلم النجوم، والواقع هو أنّ الإمام عليه السلام يفرق أحوال النجوم عن أحكامها، إلى جانب بيان ما تقود إليه من مساوئ

«أيّها النّاس، إيّاكم وتعلّم النّجوم، إلّا ما يهتدى به فى برٍّ أو بحرٍ»

فعلم النجوم والتعرف عليه والاستفادة من أوضاع النجوم فى السماء بغية الاهتداء فى البحار والصحارى وسائر الامور المشابهة القائمة على أساس وضع الكواكب ليست ممنوعة فحسب، بل هى جزء من العلوم الضرورية، وذلك لصلتها الوثيقة بنظام المجتمع البشرى. القرآن من جانبه أشار إلى هذا الأمر بصفته نعمة إلهية وآية من آيات التوحيد فقال: «وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ»[۲۹۶]. كما قال فى موضع آخر: «وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُم النُّجومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِى ظُلُماتِ الْبَرِّ وَالبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنا الآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ»[۲۹۷] فمثل هذه التعبيرات تفيد حث القرآن للإنسان على الانفتاح على هذا النوع من علم النجوم، أمّا المحظور فما عرف بأحكام النجوم؛ أى كشف بعض الأشياء من أوضاع الكواكب وكيفية إرتباطها مع بعضها (قربها وبعدها من بعضها البعض الآخر) والأخبار عن بعض الأحوادث بالنسبة

للأفراد والمجتمعات البشرية، وبالطبع فان بعضها كلى يتوصل إليه دون النظر إلى أوضاع الكواكب، أو جزئى يبين من خلال الحدس والظن، وغالباً ما يثبت خلافها كما وقفنا على ذلك فى هذه الخطبة. ومن هنا إختتم الإمام عليه السلام كلامه بالقول:

«فانها تدعو إلى والكافر فى النار، سيروا على اسم اللّه».

والمراد بالكهانة الأخبار عن الامور الخفية وكشف الحوادث المستقبلية وزعم العلم بالأسرار ويقال لمن يزعم هذه الامور «الكاهن»

. وقد كان هناك الأفراد الذين يزعمون هذه الامور فى العصر الجاهلى كشق وسطيع، وكان متعارف بين الكهنة أن يؤدوا كلماتهم الباطلة بنوع من السجع والقافية والألفاظ الطنانة الرنانة لتفعل فعلها فى قلوب الناس، ومن هنا نعت المشركون رسولاللَّه صلى الله عليه و آله بالكاهن وذلك لا-خباره عن الامور بواسطة الوحى، إضافة إلى أنّه كان يتلوا عليهم الآيات القرآنية التى تمثل ذروة الفصاحة والبلاغة فيتعللون بهذه الترهات إستكباراً عن قبول الحقيقة. وبناءاً على ما تقدم فانّ علم النجوم (يعنى علم أحكام النجوم) يختزن الكهانة، وعمل الكاهن يشبه إلى حد بعيد عمل الساحر، لأنّ الاثنين يعتمدان الحيلة والخدعة لاستغفال السذج من الناس، والساحر كالكافر، لأنّه لايعرف للتوكل على اللَّه من معنى بينما يستند إلى امور اخرى ولا يرى للَّه من تأثير عملى على مصيره، ويعلق هذا التأثير على امور اخرى يتطلبها السحر، ومن هنا فان مصير هؤلاء المنحرفين هو النار وبئس المصير.

تأمّلات

۱- ما هو علم النجوم؟ وما المحظور منه؟

السؤال الأول الذى يطرح نفسه هنا: ما المراد بعلم النجوم الذى عرض أميرالمؤمنين على عليه السلام بذمه بشدّة فى هذه الخطبة حتى عدّه بمصاف الكفر؟ قطعاً ليس المراد العلم بأحوال النجوم وحركاتها وابتعادها وإقترابها من بعضها؛ لأنّه وكما أشرنا سابقاً فان

حركات النجوم وأوضاعها فى السموات من الآيات الإلهية، وقد دعى الناس للاهتداء بها فى ظلمات البحار والصحارى، كما أشير إلى ذلك فى ذيل هذه الخطبة أيضاً. فالوقوف على أسرار عالم الخلقة والتفكر فى خلق السموات والأرض لايستحق الذم فحسب، بل يعد من الامور التى دعى

نفحات الولاية، ج٣، ص: ١٦٧

أولى الألباب إلى تأملها «إِنَّ فِى خَلْقِ السَّموات وَالأَرضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ لَآياتٍ لِأُولِى الأَلْبابِ»[٢٩٨]. وعليه فما شدد على ذمه شئ آخر هو العلم بأحكام النجوم، ويراد بها العقائد التى تنسب حياة الإنسان ومصيره فى الكرة الأرضية إلى أوضاع النجوم وأحوالها، والإخبار عن بعض الحوادث استنادا إلى حركة الأفلاك، ولا يقتصر هذا الإخبار على المسائل العامة والاجتماعية، بل يتجاوزها إلى الامور الشخصية والجزئية؛ ومن هنا نرى إستعانة الملوك والسلاطين بالمنجمين الذين يسعون لقراءة أوضاع الكواكب على ضوء رغبات أولئك الملوك، فاذا ما نظروا إلى الكواكب أخبروا بأنّها تشير إلى سلامة صاحب السعادة والسمو وتنامى قوته وشوكته، فاذا ما فرغوا من الأخبار الكلية عمدوا إلى بعض الجزئيات التى يمكن إطلاقها حتى من قبل عوام الناس دون تأمل أوضاع الكواكب من قبيل فقدان بعض الشخصيّات وبروز الاختلاف فى بعض أصقاع العالم وغلاء أسعار بعض الأشياء وإصابة بعض الزرع بالافات وبرودة الجو فى الشتاء وحرارته فى الصيف وما إلى ذلك. وهذه هى ا لتكهنات والأخبارات التى قد تصيب وقد تخطئ وقد ورد ا لذم عليها فى الروايات الإسلامية ولا سيما فى هذه الخطبة.

٢- الكهانة والكفر

السؤال الآخر الذى يرد بهذا الشأن وهو فساد الاعتقاد بوجود الإرتباط بين حياتنا والنجوم، بل ليس هنالك من منطق يقر بذلك؛ ولكن ما سبب كل هذا التشدد فى الذم وجعل هذه المسألة فى مصاف الكفر؟ ولا تصناح الاجابة على هذا السؤال لابدّ من الالتفات إلى هذه النقطة وهى أنّ أصحاب نظرية الإرتباط (بين الحوادث وحركة الافلاك والنجوم) على عدة أقسام:

١- من يعتقد بأزلية وألوهية الكواكب وأنّها ذات تأثير على عالم الوجود وحياة الإنسان والحوادث التى تقع فى الأرض.

نفحات الولاية، ج٣، ص: ١٦٨

٢- من يعتقد بتدبير الكواكب وإدارتها لعالم الوجود، وان سلبها الاستقلال وأسند فعلها إلى إذن اللّه.

٣- من يعتقد بأنّ لها تأثير طبيعى على الأرض، وكما أنّ حرارة الشمس تؤدى إلى نمو الأشجار وحملها للثمار والفاكهة، فانّ لاوضاع الكواكب تأثير فى شؤون حياة الإنسان وقد إنكشف لنا بعضه بينما ظل البعض الآخر خافياً علينا.

٤- من لايعتقد بتأثيرها فى شؤون حياة الإنسان، إلّاأنّها تستطيع أن تخبر عن الحوادث الحاضرة والماضية وبعبارة أخرى فهى إمارات وعلامات على الحوادث لا- أنّها علل وأسباب. فمما لاشك فيه أنّ الطائفة الاولى فى زمرة الكفار وإن اعتقدت باللّه سبحانه، لأنّها مشركة قد جعلت لها إلها آخر تعبده.

أمّا الطائفة الثانية فهى خاطئة من جهتين وان لم تكن كافرة: الاولى: أن زعمها لتأثير الكواكب على حياة الإنسان هو زعم فارغ يفتقر إلى المنطق والدليل والبرهان، الثانية: أنّ هذا الكلام يخالف ظاهر الايات القرآنية والروايات الإسلامية القطعية التى تنفى عن هذه الكواكب أى شعور وحياة وتدبير للخلق، بل تنسب تدبير الخلق والحياة والموت والرزق إلى الحكيم المتعال، ولا تتطرق إلى النجوم والكواكب والأجرام السماوية والشمس والقمر الا بصفتها آيات من آيات الحق، ولو كان لها حقا بعض العلم والحياة والقدرة والتدبير والتصرف فى العالم لإشارت الروايات والآيات إلى هذا الأمر. نعم أنّها مسخرات بأمر اللّه ولكل وظيفته، فالشمس تشع بضيائها، والقمر يضيئ فى الليالى الظلماء و ...

وأمّا الطائفة الثالثة التى تعتقد بالتأثير الطبيعى لهذه الكواكب على أوضاع الأرض، فهو كلام لايخالف الواقع، إلّاأنّ السؤال المطروح

هو ما مدى هذا التأثير واين؟ والحق أنّ ذلك ليس واضحا لدينا. نعم نعلم أن لضوء الشمس تأثير على كل شئ، كما القمر أثره فى ظاهرة المد والجزر، وأنّ للنجوم تأثير، ولكن هل لهذه الكواكب تأثير فى حوادث حياتنا أم لا؟ هل للانفجارات الشمسية تأثير على الهيجان الفكرى للإنسان على وجه الكرة الأرضية، وهل لها من تأثير فى نشوب الحروب والنزاعات أم لا؟ وهكذا سائر المسائل من هذا القبيل التى لانعرف كنهها وليس لدينا رؤية واضحة عنها، وكل ما نقوله فيها إنّما هو قول بغير علم، وكلام

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۶۹

دون دليل، وعليه فانّ مثل هذا الكلام لايجوز شرعاً، إلّاأن تثبت هذه التأثيرات وما شابهها بالأدلة العلمية والقطعية. بعبارة أخرى لامانع من الأخبار عن التأثيرات الطبيعية للاوضاع الفلكية الثابتة فى الأرض وحياة الناس، وما لم يثبت يجوز التحدث عنه على مستوى الاحتمال، لا ـ على سبيل الحكم القطعى، عل كل حال فانّ الاعتقاد بمثل هذا التأثير ليس كفراً ولا مخالفاً لاحكام الشرع، والروايات التى صرحت بالنهى عن تعلم علم النجوم ليست ناظرة لهذا الأمر البتة، كما لم يكن المنجمون السابقون يعنون بهذا الأمر فى أحكامهم. والذى يستفاد من كلمات المنجمين السابقين أنّهم كانوا يقولون بالطبائع التى تشتمل عليها هذه الكواكب على أن لبعضها طبع حار وأخرى بارد وما شابه ذلك. ومما لا شك فيه ان القول بهذه الطبائع للنجوم إنّما نشئ من بعض الاستحسانات والعقائد، فكانوا يصدرون على ضوئها بعض الأحكام ويصرحون بأنّ الكواكب الفلانى سيقترب هذا الشهر من الكوكب الفلانى ولما كانت طبيعتيهما كذا وكذا فستشهد الأرض الحادثة الفلانية. وحيث يفتقر هذا الاعتقاد إلى الدليل والحكم القطعى لأنّه يقوم على أساساً الحدس والاستحسان فانّ المنجمين المسلمين إنما يذكرون هذه الامور على سبيل الاحتمال ويصرحون قائلين: يحتمل ظهور مثل هذه الحوادث.

وأخيرا الطائفة الرابعة التى ذهبت إلى أنّ أحوال الكواكب والنجوم علامات على الحوادث التى تقع فى المستقبل، أو تقول جرت السنة الإلهية على وقوع الحادثة الفلانية فى الكرة الأرضية إذا حدثت بعض التغييرات فى الأفلاك والكواكب، دون أن تعتقد بالالوهية والربوبية لهذه الكواكب، وعليه فعقيدته لاتوجب الكفر، إلّاأنّ فعلهم حرام، لأنّ كلامهم يفتقر إلى الدليل وهو قول بغير علم ولا يستند سوى إلى الظن والوهم والخيال، وذلك لأننا نعلم أنّ الشرع يحرم كل قول يصدر من الإنسان دون أن يستند إلى علم ويقين وحجة شرعية «وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ»[۲۹۹] كما صرح القرآن قائلًا: «أَتَقُولُونَ عَلى اللَّهِ مالاتَعْلَمُونَ»[۳۰۰] وقال بشأن الكفار «وَما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِى مِنَ الحَقِّ شَيْئاً»[۳۰۱]. ومن جانب آخر فاننا نعلم أنّ الغيب للَّه ووحده العالم بحركة الإنسان وما يواجهه

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۷۰

من أحداث وكيف تكون عاقبته ومتى يفارق الدنيا وفى أى أرض يموت. وبالطبع فأنّ لأولياء اللَّه نصيب من العلم ولاسيما بهذه الامور من خلال تعليم اللَّه لهم، ولكن ليس لديهم مثل هذا العلم ببعض الحوادث من قبيل قيام القيامة أو ظهور المصلح العالمى، وليس لأىأحد من غير المعصومين عليه السلام إدعاء علم الغيب سواء استند هذا الادعاء إلى علم النجوم أو الارتباط بعالم الأرواح أو إخبار الجن وما شاكل ذلك.

ويتضح مما مر معنا لم إعتبر الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة علم النجوم على أنّه مصدر الكهانة، وأنّ المنجم بمنزلة الكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكافر، كما اتضحت كيفية كون تصديق المنجمين نعنى تكذيب القرآن، وكيف أن الاعتماد على أقوال هؤلاء تجعل الإنسان غنياً عن التوكل على اللَّه والاستعانة بذاته المقدسة. والواقع هو أنّ الإمام عليه السلام أورد الكلام بشأن عدّة طوائف من المنجمين التى تعتقد بالتأثير ا لمستقل للنجوم أو تربط الحوادث بأوضاع النجوم وأحوالها وما إلى ذلك من عقائد موهومة. والإسلام من جانبه لايرى من إعتبار لمثل هذا النوع من علم النجوم الذى لايستند سوى إلى الوهم والظن، فرفضه وصرح ببطلانه، بينما حث المسلمين ودعاهم إلى تعلم علوم النجوم الذى يهدف إلى الاطلاع والتعرف على أسرار النجوم وسبر أغوارها.

٣- كيفية ظهور التكهنات النجومية

ليس هناك من وضوح فى الدافع الذى يقف وراء ظهور علم النجوم بمعناه الانحرافى لا- العلمى؛ إلّاأنّه يمكن اعتبار بعض الامور المؤثرة فى هذا الأمر على نحو الاحتمال، من قبيل:

١- تصادف إقتران بعض الحوادث على الأرض مع بعض الاوضاع الفلكية.

٢- الاستحسانات والخيالات التى استندت إليها التحليلات فى أغلب القضايا الاجتماعية.

٣- إصرار البشر- ولا سيما السلاطين وأصحاب السطوة- على الالمام بالحوادث المستقبلية وما يرتبط بها.

٤- استغلال هذا الأمر لتبرير الاعتقاد بالجبر فيصرحون مثلًا بانّ ما نواجهه من حوادث

نفحات الولاية، ج٣، ص: ١٧١

إنما هى معلولة لأوضاع الأفلاك، فهذه الحوادث واقعة شئنا أم أبينا.

٥- تبرير القضايا السياسة وتوظيفها فى محاربة أفكار الخصوم على أنّ ذلك من مقتضيات أوضاع الأفلاك ولا يسع أحد الوقوف بوجهها. وهنا يبرز هذا السؤال: لقد وردت عدّة روايات صرحت بتجنب عقد الزواج والقمر فى العقرب، أو ليس هذا دليلًا على الأثر الذى تلعبه أوضاع الأفلاك على حياة الإنسان؟ ولا تبدو الإجابة على هذا السؤال صعبة. فنحن لاننكر التأثير الطبيعى لأوضاع الأفلاك على حياة الناس، لأنّ كافة أجزاء العالم وحدة واحدة يؤثر كل منها على الآخر. وكل ما قلناه هو أنّ إثبات التأثير الطبيعى لاوضاع الافلاك على حياة الناس فى كل حال ودون إستثناء إنّما يتطلب الدليل والبرهان، ولا يمكن للوهم والخيال أن يثبت شيئاً، وعليه فاذا ثبت شئ عن طريق المعصوم عليه السلام فلا مناص من قبوله بتلك الحدود. ونخلص من هذا إلى أنّ روايات

«القمر فى العقرب»

لاتتناقض وما ورد فى هذا البحث.

نفحات الولاية، ج٣، ص: ١٧٣

الخطبة[٣٠٢]: الثمانون

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

بعد فراغه من حرب الجمل، فى ذم النساء ببيان نقصهن

نظرة إلى الخطبة

وردت هذه الخطبة بعد الجمل وهزيمة جيش عائشة فى الجمل، حيث عرض فيها بالذم للنساء؛ قطعاً النساء اللاتى أججن نار موقعة الجمل ومن تبعهن واحتذى بأقوالهن، فالإمام عليه السلام يذم هؤلاء بفعل بعض النقائص التى تدعو إلى إرتكاب بعض الأعمال الطائشة ويحذر المؤمنين من التأثر بما يصدر عنهم من سوء.

نفحات الولاية، ج٣، ص: ١٧٥

«مَعاشِرَ النَّاسِ، إنَّ النِّساءَ نَواقِصُ الْإيمانِ، نَواقِصُ الْحُظُوظِ، نَواقِصُ الْعُقُولِ: فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلاةِ والصِّيام فِى أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ، وأَمَّا نُقْصانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهادَةُ امْرَأَتَيْنِ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ، وأَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى الْأَنْصافِ مِنْ مَوارِيثِ

الرِّجالِ.

فاتَّقُوا شِرارَ النِّساءِ، وكُونُوا مِنْ خِيارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ، ولا تُطِيعُوهُنَّ فِي الْمَعْرُوفِ حَتَّى لا يَطْمَعْنَ فِي الْمُنْكَرِ».

الشرح والتفسير

مكانة المرأة فى المجتمعات البشرية

اشارة

هنالك خلاف بين شرّاح نهج‌البلاغة ولا سيما المعاصرين منهم بشأن تفسير هذه الخطبة، ومن هنا نرى ضرورة التمهيد قبل الخوض فى تفاصيل هذه الخطبة. فقد حفل التأريخ بكثرة الكلام والإفراط والتفريط بشأن موقعها وشخصيتها، فقد نزلوا مقامها أحياناً دون مقام الإنسان، بل ترددوا فى إنسانيتها بينما ذهب إلى البعض الآخر إلى أنّها الجنس الراقى الذى يفوق الواقع حتى إقترح سيادتها للجماعة البشرية، ويمكن اعتبار هذين الرأيين من قبيل الإفراط ورد فعله التفريط. أمّا اليوم فقد كثر الكلام أيضاً فى المجتمعات الغريبة ومن يناغمها فى إرساء التجربة الديمقراطية بشأن المرأة. فالساسة يرون أنفسهم بحاجة إلى رأى النساء اللاتى يشاركن فى الانتخابات ويدلين بأصواتهن، كما يحتاجها الرأسماليون لاستخدامها فى المعامل والمصانع ولا سيما أنّهم يتوقعون مطالبتهن باجور أقل من الرجال إلى جانب تحليهن ببعض الصفات التى لاتتوفر فى الرجال، وأخيراً هناك الجهاز الأعلامى الذى يعد الشريان الرئيسى للميدان السياسى والاقتصادى هو الأخر يرى نفسه بحاجة ماسة إلى المرأة. كل هذه الامور

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۷۶

أدت إلى الدفاع المستميت عن حقوق المرأة والسعى الحثيث لرفع شخصيتها إلى أقصى ما يمكن على مستوى الكلام، أمّا على مستوى العمل فالقضية معكوسة تماما. فما زالت المرأة تعيش اليوم شتى أنواع الحرمان؛ الأمر الذى كان له أثره على تفسير بعض النصوص الدينية الواردة بشأن المرأة وتأويلها بالشكل الذى يتناسب وطباع أغلب النساء ويشبع رغباتهن وتطلعاتهن وإن كانت فارغة تفوق الخيال. ولم تسلم هذه الخطبة وسائر شبيهاتها من الخطب فى نهج‌البلاغة من ذلك التقصير، بل هنالك من يتردد فى سند هذه الخطبة، وآخر يتحرج فى تفسيرها حذراً من المساس بمقام المرأة والاساءة لها، وإلى جانب هؤلاء فهناك من سلك سبيل التفريط بحق المرأة ليصورها على أنّها مجموعة من العيوب والنقص. وهنا نقول لاينبغى التنكر لأمرين: الأول: أنّ هذه الخطبة وردت بعد الجمل، ونعلم أنّ القطب الرئيسى فيها كان زوج النبى صلى الله عليه و آله عائشة التى وردت الميدان إثر التحريض العجيب الذى قام به طلحة والزبير وقد سالت فيها دماء غزيرة ذهب البعض إلى أنها خلفت ما يربو على سبعة عشر ألف قتيل، طبعاً صحيح أنّ تلك المرأة أعربت عن ندمها بعد هزيمة عسكر الجمل، وانّ أميرالمؤمنين على عليه السلام واحتراماً لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله أمر بردها معززة مكرمة إلى المدينة، إلّاأنّ الآثار السيئة لتلك المعركة ظلت باقية فى صفحات التأريخ الإسلامى والثانى إننا نرى أغلب الآيات القرآنية التى عرضت بالذم للجنس البشرى فقد صرح القرآن قائلًا: «إِنَّ الإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً* إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً* وَإِذا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعاً»[۳۰۳] وقال: «إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا»[۳۰۴] وقال:

«إِنَّ الإِنْسانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ»[۳۰۵] «كَلّا إِنَّ الإِنْسانَ لَيَطْغى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى [۳۰۶] وما شابه ذلك من الآيات. فمما لاشك فيه أنّ الإنسان فى طبيعته ليس

«كفور مبين»

ولا

«ظلوم جهول»

ولا

«طاغی»

، ويبدو أن هذه الامور تتعلق باولئك الأفراد الذين لم يترعرعوا فی ظل التربية الدينية، فهم غارقون فی أهوائهم وذواتهم وليس لهم من مرشد أو دليل. ومن هنا نرى القرآن يكيل المدح والثناء للإنسان الذی يتحلى بالطاعة والورع والتقوى بل أشار القرآن إلى

نفحات الولايه، ج٣، ص: ١٧٧

بنیآدم على أنّهم أكرم من فی عالم الوجود «وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِی آدَمَ وَحَمَلْناهُمْ فِی الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَفَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلًا»[٣٠٧]. وبصدق ما أوردناه سابقا على جنس المرأة، فهناك المتميزات من بين النساء بما يقل العثور على نظيرهن فی الرجال، وبالعكس هناك النساء المنحرفات اللائی يشكلن بؤرة فساد المجتمعات البشرية.

والان نخوض بعد هذه المقدمة فی شرح الخطبة، وسنشير آخر الخطبة إلى بعض الامور ذات الصلة بهذا الخصوص. كما ذكر سابقاً فانّ الإمام عليه السلام خطب هذه الخطبة فی الجمل كتحذير لجميع المسلمين من مغبة التعرض لمثل هذه الحوادث فی المستقبل، فقال عليه السلام:

«معاشر الناس إن النساء نواقص الإيمان، نواقص الحظوظ، نواقص العقول»

ثم قدم عليه السلام الدليل على ما ذهب إليه فقال:

«وأما نقصان إيمانهن فقعودهن عن الصلاة والصيام فی أيام حيضهن، وأمّا نقصان عقولهن فشهادة امرأتين كشهادة الرجل الواحد، وأمّا نقصان عقولهن فشهادة امرأتين كشهادة الرجل الواحد، وأمّا نقصان حظوظهن فمواريثهن على الأنصاف من مواريث الرجال»

ومما لاشك فيه أنّ لكل نقص دليله فقعود النساء عن الصلاة والصوم حين العادة الشهرية لسببين أحدهما أنّ المرأة قد تعيش حالة شبه مرضية زمان العادة فهی بحاجة إلى الراحة، والآخر أنّ وضعها لايتناسب وحالة العبادة والدعاء. وأمّا كون شهادة إمرأتين بشهادة رجل واحد فذلك لغلبة الجانب العاطفی عند النساء، وهی تتأثر وتنفعل بهذه العواطف، الأمر الذی قد يدفعها للشهادة لصالح أحد والاضرار بآخر. وأمّا كون ميراثهن نصف ميراث الرجال فأولًا: إنّما يختص هذا الأمر بالبنات والزيجات، بينما الميراث واحد بالنسبة للآباء والامهات وأولادهما، وهكذا الحال بالنسبة للاخوة والاخوات وأولادهما. بعبارة أخرى فانّ المرأة كأم أو أخت تتقاضى سهماً مساوياً لسهم الرجل فی الميراث. وثانيا: تختص النفقة بالرجال، والمرأة ليست فقط لا تتحمل نفقات الأولاد فحسب، بل يتوجب على الرجل تغطية نفقاتها وإن حصلت على أموال طائلة عن طريق الارث أو غيره. ونخلص من هذا إلى أنّ هذه الفوارق قد حسبت بمتهى الدقة فی الإسلام، مع ذلك هنالك

نفحات الولايه، ج٣، ص: ١٧٨

مسألة لاينبغی إنكارها وهی أنّ المرأة ليست مساوية للرجل فی كل الامور، وأمّا أولئك الذين يرفعون شعار المساواة وأحياناً أفضلية المرأة على الرجل فانّما يتبنون ذلك قولًا وينا قضونه عملًا. فهل هناك من رئيس جمهورية- رفع شعار المساواة بين الجنسين- ووزع الحقائب الوزارية بالتساوی على الرجال والنساء، أم هناك مدير وزع الوظائف الإدارية بهذا التساوی، بل يتعذر ذلك حتى فی البلدان الغربية وتلك العلمانية والوطنية. أمّا الرؤية الحق التی تستند إلى الواقع وتجانب الشعار والرياء فهی تلك التی تدعو إلى العدل فی التعامل مع الجنسين على أساس الاستعدادات والكفاءات التی أودعت كل منهما، ليتمكن كل طرف من توظيفها بالشكل الصحيح بما يخدم شخصه ومجتمعه؛ الأمر الذی سنخوض فی تفاصيله فی مباحث التأملات لاحقاً.

ثم يخلص الإمام عليه السلام إلى نتيجة فيقول:

«فاتقوا شرار النساء، وكونوا من خيارهن على حذر، ولا تطيعوهن فی المعروف حتى لايطمعن فی المنكر»

ومن الطبيعی أنّ عدم طاعتهن فی المعروف لايعنی مخالفتهن إذا دعين إلى الامور المعروفة كالصوم والصلاة والعدل والاحسان، بل

المراد عدم الاستسلام لمقترحاتهن دون الإكتراث لأىقيد أو شرط، وبعبارة اخرى لابدّ من القيام بالمعروف لذاته لامن خلال الاستجابة المطلقة للازواج، حذراً من تمددهن والمطالبة بالخضوع لكل رغباتهن وطلباتهن. فالعبارة الواردة فى نهجالبلاغة وان لم تختص بالزيجات وأنّها تقصد عامة النساء، إلّا أنّ المفروغ منه هو أنّ هذه الامور إنّما تحدث عادة بين الازواج والزيجات. وبناءا على هذا فان ما جاء فى هذه الخطبة لايتنافى والآيات التى توجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى يشمل الرجل والمرأة؛ لأنّ لاخطبة لاتقصد ترك المعروف، بل المراد أن العمل لاينبغى أن يحمل صفة الطاعة العمياء بصيدا عن كل قيد وشرط. كأن يرد الزواج على الزوجة حين إقتراحها المعروف، أجل كنت قد فكرت بالقيام بهذا العمل (فى حالة إذا كانت لديه حقانية القيام به)، أو أن يؤخر العمل لمدة قصيرة إن أمكن تأخيره كى لاتشعر الزوجة بانّه منقاد لها دون حدود وشروط. نعم أنّ النساء المؤمنات الملتزمات الفاضلات مستثناة من هذا الحكم؛ فهناك النساء اللاتى سخطهن سخط اللّه ورضاهن رضا اللّه كالزهراء عليها السلام. وهذه النقطة واضحة أيضاً حين قال:

«كونوا من خيارهن

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۷۹

على حذر»

أنّ المراد الخير النسبى لا الخير المطلق، فالأخيار المطلقين ليس فقط لاينبغى الحذر منهم، بل لابدّ من إغتنام الفرصة للتحدث إليهم وسماع وصاياهم. ومن هنا صرحت بعض الآيات القرآنية بضرورة إستشارة النساء، ومن ذلک فطم الطفل عن الرضاعة: «فَإِنْ أَرادا فِصالًا عَنْ تَراضٍ مِنْهُما وَتَشاوُرٍ فَلا جُناحَ عَلَيْهِما».[۳۰۸]

تأمّلان

۱- الفوارق والمساواة بين الجنسين

هناک عدة أبحاث فى أوساط العلماء بشأن هذا الموضوع: هل يتساوى الرجل والمرأة حقاً من وجهة النظر الحقوقية والخلقية أم يتفاوتان. أمّا الاعتقاد السائد فهو القول بالفارق بين الرجل والمرأة على صعيد البنية البدنية والجوانب العاطفية والعقلائية، دون أن يكون هذا الفارق مدعاة للحد من شخصية المرأة أو الارتقاء بشخصية الرجل؛ إلّاأنّ هذا الفارق يمكن أن يكون سبباً لاختلاف المسؤوليات والوظائف التى ينهض بها كل منهما فى المجتمع.

أمّا على المستوى الاجتماعى فقد ذهبت جماعة إلى ضرورة سيادة الرجل، فكان لهذا الاسلوب الافراطى فى التفكير رد فعله التفريطى الذى رأى ضرورة سيادة المرأة. بينما انتهجت جماعة ثالثة أسلوباً منطقياً يفند الاسلوبين المذكورين ويتمثل بسيادة الإنسان.

والذى يفهم من المصادر الإسلامية والمنطق والعقل بهذا الخصوص هو أنّ شخصية الإنسان تنطوى على ثلاثة أبعاد:

۱- البعد الإنسانى والمعنوى

۲- البعد العلمى والثقافى

۳- البعد الاقتصادى

أمّا البعد الأول الذى يتضمن أسمى المثل والقيم الإنسانية فليس هنالک من فارق بين المرأة والرجل، وهما متساويان فيهما عنداللّه ولكل منهما أن يواصل مسيرة التقرب من اللّه، وبعبارة

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۸۰

أخرى فان طريق التكامل واحد أمامهما. ولذلک خاطبهما القرآن معا: «مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ».[٣٠٩]

وصرحت الآية القرآنية قائلة: «إِنَّ المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِماتِ وَالمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ وَالقانِتِينَ وَالقانِتاتِ وَالصّادِقِينَ وَالصّادِقاتِ ... أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً»[٣١٠].

من جانب نوع الجنس «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ»[٣١١] وهكذا سائر الآيات التى لايسع المقام ذكرها. ولم يتقصر بيان هذه الحقيقة على الآيات القرآنية، بل تطرقت لها الروايات الإسلامية أيضاً، فقد جاء فى الخبر:

إنّه اجتمعت عصابة الشيعة بنيسابور و اختاروا محمد بن على النيسابورى فدفعوا إليه ثلاثين ألف دينار وخمسين ألف درهم وشقة من الثياب، وأتت شطيطة بدرهم صحيح وشقة خام من غزل يدها تساوى أربعة دراهم فقالت: إنّ اللّه لايستحى من الحق. فلم يقبل الإمام عليه السلام سوى الأموال المتعلقة بشطيطة ورد ما سوى ذلك.[٣١٢]

ويتضح من هذه الرواية أن ليس هنالك من تفاوت فى القيمة الإنسانية بين الرجل والمرأة.

ومن هنا فان المرأة قد تسبق الرجل أحيانا فى هذا المضمار.

الطريف فى الأمر أنّ صحابة النبى صلى الله عليه و آله كانوا يرون الامتياز للرجل، أمّا النبى صلى الله عليه و آله ليس فقط لم ير له من إمتياز فحسب، بل قدم على شخص أخته فى الفضل انطلاقاً من المبادئ والقيم الإنسانية الحقة. ولما سئل عن ذلك، أجاب صلى الله عليه و آله: لأنّها كانت أبر بوالديها منه.[٣١٣]

أمّا قصة نسيبة بنت كعب الأنصارية وشجاعتها فى ميدان القتال- أحد- وجلبها الماء وتضميد جراح المقاتلين وصمودها بوجه الأعداء حتى أصيبت بثلاثة عشر جرحاً، ثم التحاقها بصفوف المقاتلين المسلمين فى اليمامة فى قتال مسيلمة حتى نالت الشهادة لهى قصة

معروفة. وقد جاء فى الخبر أنّ رسولاللّه صلى الله عليه و آله قال يوم أحد:

«لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان».[٣١۴]

وأمّا بالنسبة للبعد العلمى والثقافى فهنا أيضاً لايوجد فارق بين المرأة والرجل، أى أنّ أبواب العلم مفتحة لهما على السواء والدليل على ذلك ما ورد فى الحديث المعروف:

«طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»[٣١۵]

حتى وإن لم ترد مفردة المسلمة فى الحديث، لأنّ المراد بالمسلم هنا النوع الإنسانى، كما ورد شبيه ذلك فى أغلب الروايات والأحاديث. وعليه فليس هنالك من محدودية من وجهة النظر الإسلامية بالنسبة لانفتاح المرأة على العلوم، ولها أن تطوى مسيرتها نحو الكمال أسوة مع أخيها الرجل. وبغض النظر عن كل ما سبق فانّ التاريخ الإسلامى حافل بكبار الشخصيّات النسوية بصفتهن محدثات وراويات للأحاديث والأخبار.

وأخيراً ليس هنالك من فارق بين الجنسين فى البعد الاقتصادى فلكل منهما ملكيته المحترمة ولا سيما بالنسبة للأعمال، بل للمرأة استقلال اقتصادى خاص، على الخلاف مما تعارف بين المجتمعات الغربية التى حظرت عليها التصرف فى أموالها دون إذن الزوج فجردتها من هذا الاستقلال، بينما ليس هنالك من ضرورة لاذن الزوج من أجل تصرف الزوجة بأموالها فى الإسلام، ولها أن تتصرف فى أموالها حسبما يحلو لها فى المصارف المشروعة.

ولاننسى هنا إذا أردنا أن ننحى الشعارات جانباً أنّ القدرة الانتاجية للرجل إنّما تفوق نظيرتها لدى المرأة، ويستند ذلك إلى سببين: الأول: أنّ للرجال طاقة أعظم للأتيان بالأعمال الثقيلة؛ الأمر الذى يمنحهم بعض التفوق الاقتصادى على النساء. الثانى: ما تفقده المرأة من طاقاتها البدنية بفعل مشاكل الحمل والوضع والرضاع وتربية الأطفال التى تستغرق مدة مديدة من عمرها، ولو إفترضنا أنّ للمرأة على الأقل ثلاثة أولاد وأنّها ترصد مدة أربعة

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۸۲

سنوات لكل منهم منذ زمان الحمل ومرورا بتلك المراحل حتى يستوى كصبى فانّها ستصرف إثنتى عشرة سنة من شبابها فى هذا الأمر. ولعل هذا هو السبب الذى دفع بكافة المجتمعات حتى تلك التى تتبنى مساواة المرأة بالرجل والتى لاتستند حكوماتها إلى المبادئ الدينية لأنّ تسند الأعمال الشاقة ذات المسؤولية الجسيمة إلى الرجال، وأن تختار الرجل أيضاً لمزاولة المهام السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وبناءاً على ما تقدم فان وجود بعض الفوارق فى المسؤوليات بين الرجل والمرأة من قبيل التصدى لمنصب القضاء أو الاختلاف فى عدد الشهود بينهما أو الاختلاف فى الميراث الذى أوردنا دليله آنفا، لايمكنه قط أن ينقض الاصول الكلية للمساواة بين الجنسين فى البعد المعنوى والإنسانى والبعد العلمى والثقانى وبالتالى البعد الاقتصادى. وعلى كل حال فلابدّ من الإذعان لوجود التفاوت الطبيعى بين الجنسين وعدم خداع النفس والآخرين بالشعارات البراقة الكاذبة.

۲- أخبار عائشة

عائشة بنت أبى بكر من قبيلة تيم طائفة قريش. أمها «أم الرومان» بنت عامر بن عويمر.

ولدت فى العام الرابع من البعثة النبوية، تزوج منها رسول الله صلى الله عليه و آله بعد خديجة. وقفت الى جانب خلافة أبى بكر وعمر وشطرا من خلافة عثمان حتى أصبحت من الناقمين عليه- فلما قتل عثمان ظنت أن ابن عمها «طلحة» سيلى الخلافة ولما انتهى أمر الخلافة إلى على عليه السلام سارعت للمطالبة بدم عثمان، فكان من ذلك معركة الجمل فى البصرة. فلما قتل طلحة والزبير وهزم أصحاب الجمل أعادها عليه السلام إلى المدينة. ذكر ابن سعد فى طبقاته ان عمرا جعل عشرة الاف دينار لازواج النبى لكن عائشة كانت تأخذ اثنى عشر الف دينارا ثم قطعها عنها عثمان.

وقد اشتد الخلاف بين عائشة وعثمان بشأن الوليد بن عقبة المعروف بفسقه وشربه للخمر وتعرضه لبعض صحابة النبى صلى الله عليه و آله مثل عبدالله بن مسعود وقد شهد عليه الناس بذلك فما كان من عثمان الا أن أقام الحد عليهم حسبما صرح البلاذرى فى أنساب الاشراف. فلما سمعت

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۸۳

عائشة بذلك أخذت بنعلى رسول الله صلى الله عليه و آله وهى تنادى هذا ثوب رسول الله صلى الله عليه و آله لم يبل وقد أبلى عثمان سنته. فلما قتل عثمان سرت عائشة ولم يدم سرورها بعد أن آلت الخلافة لعلى عليه السلام.

قال الطبرى فى تاريخ الالم والملوك وابن سعد فى الطبقات وابن اثير فى الكامل لما سمعت عائشة بقتل على سجدت وانشدت.

فالقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالأياب المسافر

وابعد من ذلك ثناءها على ابن ملجم، فلما سمعت زينب بنت ام سلمة منها ذلك انكرته عليها فقالت بلغنى الكبر فنسيت ولا أعود لذلك.

ومن عجائب سيرة عائشة موقفها تجاه عثمان حيث قال كل من صنف فى السير والاخبار بما فيهم «ابن أبى الحديد» ان عائشة كانت من أشد الناس على عثمان وهى أول من سمى عثمان نعثلاـ وقالت «اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا» والنعثل الكثير شعر اللحية كما تعنى العجوز الاحمق وكذلك قيل نعثل فرد يهودى كثيف اللحية ولا يعلم أى المعانى أرادت عائشة. فلما قتل عثمان وآل الأمر لعلى عليه السلام قالت: «قتلوا ابن عفان مظلوما». واضاف ابن أبى الحديد قائلا: جاءت عائشة إلى أم سلمة تخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان. فقالت لها أم سلمة: إنك كنت بالأمى تحرضين على عثمان، وما كان اسمه عندك إلا نعثلا، وانك لتعرفين منزلة على عليه السلام عند رسول اللّه صلى الله عليه و آله أفأذكرك؟ قالت: نعم. فروت لها عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله ما يؤكد أحقيته بالخلافة فوافقتها عائشة. فسألتها: فأى خروج تخرجين بعد هذا؟ فقالت: انما أخرج للاسلاح بين الناس.[۳۱۶]

وروى الطبری قیل لعائشة لما نادت قتل عثمان مظلوماً إنّك أول من نقمت علیه وقلت اقتلوا نعثلا فقد كفر. فقالت عائشة: نعم لكن قتلوه بعد أن تاب فقتل مظلوماً.[۳۱۷] وأورد ابن اثیر هذا الكلام فی الكامل.[۳۱۸]

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۱۸۴

وقد ذكر البخاری فی صحیحه حسد عائشة لخدیجة.[۳۱۹]

ومعروفة هی قصة كلاب الحوئب التی بلغتها عائشة فنبحتها فقررت الرجوع بعد أن ذكرت الخبر، فلفقوا لها خمیین اعرابیا ان هذا لیس بماء الحوأب.[۳۲۰]

توفیت عائشة فی المدینة فی ۱۰ شوال عام ۵۷ أو ۵۹ فصلی علیها أبوهریرة ودفنت فی البقیع.

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۱۸۵

الخطبة[۳۲۱] الحادیة والثمانون

اشارة

ومن كلام له علیه السلام

فی الزهد

نظرة إلی الخطبة

یخوض الإمام علیه السلام بادئ ذی بدء فی هذه الخطبة فی الزهد لیقدم بشأنه تعریفاً جامعاً رائعاً بثلاث عبارات قصیرة، ثم یوصی من یری نفسه عاجزا عن بلوغ هذه الحقیقة بالورع عن المحرمات وشكر النعم، فقد أتم اللَّه حجته بالدلائل والبراهین الساطعة.

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۱۸۷

«أَیُّها النَّاسُ الزَّهادَةُ قِصَرُ الْأَمَلِ والشُّكْرُ عِنْدَ النِّعَمِ والتَّوَرُّعُ عِنْدَ الْمَحارِمِ فَإِنْ عَزَبَ ذَلِكَ عَنْكُمْ فَلا یَغْلِبِ الْحَرَامُ صَبْرَكُمْ ولا تَنْسَوْا عِنْدَ النِّعَمِ شُكْرَكُمْ فَقَدْ أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَیْكُمْ بِحُجَجٍ مُسْفِرَةٍ ظاهِرَةٍ وكُتُبٍ بارِزَةِ الْعُذْرِ واضِحَةٍ».

الشرح والتفسیر

حقیقة الزهد

أشار الإمام علیه السلام إلی حقیقة الزهد فقال:

«أیّها الناس، الزهادة[۳۲۲] قصر الأمل والشكر عند النعم، والتورع عند المحارم».

فعباراته علیه السلام ا لثلاث بشأن الزهد تشكل الرد علی التفاسیر الخاطئة الواردة بهذا الخصوص، وما أكثر الأفراد الذین عجزوا عن الوقوف علی معنی الزهد ویرون أنفسهم من الزاهدین. فهم یعتقدون بانّ الزهد یقتصر علیاً رتداء الثیاب البسیطة أو عدم ممارسة الوظائف الاجتماعیة واعتزال الناس التقوقع فی زاویة ومجانبة الفعالیات والأنشطة الاقتصادیة، والحال لیست هذه الامور من الزهد فی شئ. فحقیقة الزهد التی تقف بوجه الرغبة إنّما تكمن فی عدم الاكتراث إلی مادیات الدنیا وزخارفها، أو بعبارة اخری عدم التعلق بالدنیا والاغترار بمظاهرها وإن زود بكافة الإمكانات. فمن لم یغتر بالامور المادیة فقد جنب طول الأمل (فطول الأمل من ممیزات أهل الدنیا) وشكر النعمة وهجر الذنب والمعصیة، لأنّ النعم لاتشغله بنفسه وتنسیه ربه. وهناك تفسیر آخر للزهد أورده الإمام علیه السلام فی قصار كلماته، قد یبدو مختلفاً مع هذا التفسیر إلّاأنّه یتفق معه فی المعنی، حیث قال علیه السلام:

«الزهد كله بين

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۸۸

كلمتين من القرآن: قال اللّه سبحانه «لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ» ومن لم يأس على الماضى ولم يفرح بالآتى فقد أخذ الزهد بطرفيه»[۳۲۳]. فالعبارة تفيد أنّ حقيقة الزهد تعنى ترك التبعية وقطع أغلال الأسر المرتبطة بالماضى والآتى. الركن الثانى من الأركان الثلاث الزهد قوله عليه السلام:

«والشكر عند النعم»

على أنّ النعم من اللّه لامن العبد ليتعلق بالخالق ويهجر ذاته. أمّا قوله عليه السلام:

«التورع عند المحارم»

فيشير إلى أنّ حب الدنيا والتعلق بها هو أساس مقارفة الذنب؛ الأمر الذى عبر عنه الحديث الشريف:

«حب الدنيا رأس كل خطيئة»[۳۲۴]

. وبناءاً على ما سبق فمن قصر أمله وشكر نعم ربّه وأمسك نفسه عن الذنب فهو الزاهد الحقيقى؛ سواء كان غنياً أم فقيراً، لأنّ الفقر ليس مقياس الزهد قط. ثم قال عليه السلام:

«فان عزب ۳۲۵] ذلك عنكم، فلايغلب الحرام صبركم، ولا تنسوا عند النعم شكركم، فقد أعذر اللّه اليكم بحجج مسفرة[۳۲۶] ظاهرة، وكتب بارزة العذر واضحة»

. فالإمام عليه السلام وإن أكد على ركنين من أركان الزهد فى إختتام الخطبة (ترك الذنب وشكر النعمة) إلّاأنّ عباراته تفيد أن مراده هو أنكم إن لم تؤدوا حق النعمة فى شكرها، فلا تنسوا على الأقل قضية الشكر، وإن تبلغوا مرتبة من الورع فى هجر الذنوب بحيث تشمل الوقوف عند الشبهات، فلا تجعلوا الحرام يجاوز صبركم فعليكم كحد أدنى التحلى بالتقوى عند هذا الحد. أمّا ما ذكره الإمام عليه السلام من أسس ودعائم للزهد والتقوى فهى من الامور التى يجب توفرها فى كل فرد، لأنّ اللّه أتم حجته وليس لأحد العذر فى مخالفته. وزبدة الكلام فان ترك الذنب وشكر النعم على مرحلتين:

الاولى هى وظيفة كافة المسلمين، وهى فى الواقع شرط الإيمان. والثانية: أرفع من سابقتها تنطوى على الورع والتقوى من الشبهات وقصر الامل وهذا ما يليق بالزهاد من أهل الإيمان.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۸۹

تأمّل: الزاهد أمير لاأسير

لقد شحن نهج‌البلاغة بخطب الإمام عليه السلام التى تتناول مفهوم الزهد. إلى جانب ذلك فان القرآن الكريم قد تناول حقيته ومفهومه بصورة واسعة وان لم يورد هذه المفردة بكثرة. والزهد من المفاهيم التى تعرضت لها الإديان الإلهية، على أنّه يعنى عدم التعلق بماديات الدنيا وحطامها، وبالطبع لايراد بالزهد حرمان الإنسان من المال والثروة والمقام والإمكانات، وإنّما يراد به عدم الانقياد والاستسلام لهذه العناصر والوقوع فى أسرها، بل ينبغى له أن يكون أميراً عليها. ومن هنا نرى أنّ نبى اللّه سليمان عليه السلام الذى يضرب المثل بملكه وحكومته كان أميراً لا أسيرا حين رد تلك الهدايا النفيسة التى بعثت بها إليه ملكة سبأ. وقد ورد فى الحديث عن النبى صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«الزهادة فى الدنيا ليست بتحريم الحلال، ولاـ إضاعة المال، ولكن الزهادة فى الدنيا أن لاتكون بما فى يديك أوثق منك بما فى يداللّه»[۳۲۷]

. ومن هنا يتضح مدى الفارق الشاسع بين الزهد فى الإسلام والرهبانية فى المسيحية. فالزهد الإسلامى يعنى البساطة فى الحياة والابتعاد

عن التجملات وعدم الوقوع فى مخالب الشهوات وأغلال الأموال والمقام، بينما تعنى الرهبانية إلّانزواء والانعزال عن الحياة الاجتماعية. فقد ورد فى الحديث أنّ عثمان بن مظعون حزن حزناً شديداً لما مات ولده واقبل على الزهد فجعل داره مسجداً وانهمك بالعبادة، فلما بلغ الخبر رسولاللّه صلى الله عليه و آله قال: يا عثمان إنّ اللّه تبارك وتعالى لم يكتب علينا الرهبانية، إنّما رهبانية أمتى الجهاد فى سبيلاللّه.[۳۲۸]

فى إشارة إلى أنّك إذا أردت أن تقاطع الماديات فلا تسلك السبيل السلبى فى ذلك وعليك تعقيب هذا الهدف من خلال مساره الايجابى الصحيح الذى يكمن فى الجهاد- ثم تطرق رسولاللّه صلى الله عليه و آله إلى فضيلة صلاة الجماعة ليقف على مدى أهمية الجماعة فى الإسلام ورفضه لكافة أشكال الرهبنة والعزلة. ويقابل الزهد الرغبة والتنافس على الدنيا؛ أى اللهث وراء الدنيا والتكالب على متاعها الذى ورد الذم عليه فى الإسلام. وللزهد عدة آثار على الحياة الفردية والاجتماعية للإنسان، والتى يمكن بواسطتها التعرف عليه وهى: قصر الأمل وشكر

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۹۰

النعمة والورع عن المحرام وهى الأركان الثلاث التى أشارات إليها الخطبة. وهنا لابدّ من القول بأنّ الزهد لايساوى الفقر والحاجة أبدا؛ بل الزهد يعنى الغنى الباطنى واشباع النفس بالمعنويات وترك التعلق بالماديات وعلامة ذلك مقاطعة اللذات وإجتناب التجملات. كتب أحد المفكرين المسلمين (رحمة اللّه عليه) بشأن دوافع الزهد: إنّ الزاهد يعيش حياته بمنتهى القناعة دون أى تكلّف ليقود الآخرين إلى الهدوء والسكينة، أنّه ليشعر باللذة والمتعة فى أن يأكل المحتاجون ويشربون قبل أن يأكل هو ويشرب. ولعلنا نلمس هذا المعنى فى ما تعارف لدى أهلبيت النبى صلى الله عليه و آله:

«الجار ثم الدار».

المواساة وتقاسم هموم المحرومين والمعوزين يعد الدافع الآخر من دوافع الزهد، فلماكان المجتمع على قسمين مرفه ومحروم فانّ أولياء اللّه يسعون فى الدرجة الأساس إلى معالجة أوضاع المحرومين، فان لم تكن خهناك الإمكانات اللازمة، جهدواً فى العيش كأدنى الطبقات المرحومة فى المجتمع ليخففوا من معاناة الضعفاء ولايدعوهم يشعرون بالذلة والمسكنة بفضل ما يعانون من جشوبة العيش وخشونة الملبس، ولعل هذا هو المعنى الذى أراد أن يجسده أميرَالمؤمنين على عليه السلام حين سئل عن ثوبه البالى فقال:

نفحات الولاية ؛ ج۳ ؛ ص ۱۹۰

«يخشع له القلب، وتذل به النفس، ويقتدى به المؤمنون»[۳۲۹]

الدافع الآخر للزهد هو الحرية والخلاص من قيد الحاجة. فالزهد والقناعة تحد من الحاجة وتؤدى بالتالى إلى النجاة من أسر الطمع والحرص على إقتناء الأشياء، من هنا يمكن القول بأنّ نفس الزهد هو الحرية. فالزاهد شجاع وعالم، ومن هنا نرى الحركا التحررية العالمية إنّما توجّه غالباً من قبل الزعماء الذين تسودهم روح الزهد.[۳۳۰] ونختتم حديثنا بروايتين عن الزهد. فقد جاء فى الرواية أنّ رسولاللّه صلى الله عليه و آله قال لعلى عليه السلام:

«يا على إن اللّه تعالى زينك بزينة لم يزين العباد بزينة هى أحب إليه منها: زهدك فيها وبغضها إليك وحبب إليك الفقراء، فرضيت بهم اتباعاً ورضوا بك إماماً.[۳۳۱]

وجاء فى الحديث وسأله إعرابى شيئاً فأمرله بألف، فقال الوكيل: من ذهب أو فضة؟ فقال:

كلاهما عندى حجران، فاعط الأعرابى أنفعهما له.[۳۳۲]

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۹۱

الخطبة[۳۳۳]: الثانية والثمانون

اشارة

ومن كلام له عليه السلام

فی ذم صفة الدنيا

نظرة إلى الخطبة

قال المبرد فی الكامل أنّ الإمام عليه السلام خطب هذه الخطبة حين كان يخطب فقام له رجل وقال:

يـا أميرَالمؤمنين صف لنـا الـدنيا. فقـال عليه السـلام: مـا أصف من دار أولهـا عنـاء، وآخرهـا فنـاء. فواصـل خطبته ليصف الحياة الـدنيا ومشاكلهـا. ومن تأمل عبارات الخطبـة يمكنه أن يقف على حقائق الـدنيا والمعيشـة فيها، بحيث يمكن القول لم يبق الإمام عليه السـلام من شئ فی وصفه للدنيا بهذه العبارات العشر القصيرة.

نفحات الولايه، ج۳، ص: ۱۹۳

«ما أَصِفُ مِنْ دارٍ أَوَّلُها عَناءٌ[۳۳۴]، وآخِرُها فَناءٌ فِی حَلالِها حِسابٌ وفِی حَرامِها عِقابٌ. مَنِ اسْتَغْنَى فِيها فُتِنَ، ومَنِ افْتَقَرَ فِيها حَزِنَ ومَنْ ساعاها فاتَتْهُ، ومَنْ قَعَدَ عَنْها واتَتْهُ، ومَنْ أَبْصَرَ بِها بَصَّرَتْهُ، مَنْ أَبْصَرَ إِلَيْها أَعْمَتْهُ».

الشرح والتفسير

الدنيا وسيلة لأهدف

اشارة

وصف الإمام عليه السلام الدنيا بعشر عبارات فصيحة بليغة، فقال فی العبارة الاولى

«ما أصف من دار أولها عفاء»

وقال فی العبارة الثانية:

«وآخرها فناء»

فأدنى تأمل لحياة الإنسان فی هـذا العالم ليكشف أنّها مشوبـة بالصـعاب والمشاق، فهی تبدأ بولادته التی تحمل الألم والمعاناة للطرفين وأقصاها لأمّه، حيث يرد الوليـد من وعاء مغلق إلى بيئـة مفتوحـة تتفاوت جذرياً عما كان عليه، إلى جانب ذلک فانّ رصـيده الضـعف والعجز ليس عن دفع أتفه الحشـرات بل يتعذر عليه حفظ لعابه فی فمه، ولا يؤمن عليه الخطر فيما ذا أغفل عن مراقبته. ثم يجتاز مرحلة الرضاع ليواجه مشـكلة الفطم فيعانی الأمرين، ثم يأخذ بالمشی شيئاً فشيئاً دون أن يكون له أدنى تجربة فی الحياة والأخطار تتهدده من كـل حـدب وصوب، فـاذا دب فيه العقـل ووضع قـدمه على الطريق واجه سـيلًا جديـداً من المشاكـل فعليه أن يخوض معـترک الحيـاة وينـافس سـائر الأفراد من أبناء الـدنيا، وعليه أن يجـد اعلم ويحظى بالزوجـة ويتحمل كل ما يترتب على ذلک من الالام والمعاناة. فاذا تقدمت به السن وبلغ مرحلة الكهولة شاب الرأس وضـعفت العين والاذن والقلب والعروف والعظام، نعم هذه صورة مختصـرة عن حياة الإنسان تشير إلى ما

نفحات الولايه، ج۳، ص: ۱۹۴

يكتنفها من مشاكل وصـعاب. القرآن من جانبه أشار إلى هـذه الحقيقـة فقال: «لَقَـدْ خَلَقْنا الإِنْسانَ فِی كَبَدٍ»[۳۳۵] وكأن العناء والمشقة هی الكهف الذی يلجأ إليه الإنسان. وبالطبع لايسـتثنى من هذا التعب والمشـقة حتى أولئک الذين يعيشون الحياة المرفهة ولكل مشاقة

ومعاناته. أجل طبيعة الدنيا تتمثل بالألم والعناء ويخطئ من ظن فيها غير ذلك، ولعلنا نلمس هذه الحقيقة فى الشعر الذى أنشده الشاعر المعروف أبوالحسن التهامى إثر موت ولده فى شبابه حيث قال:

طبعت على كدر وأنت تريدهاصفوا من الاقذار والأكدار

ومكلف الأيّام ضد طباعهامتطلب فى الماء جذوة نار

هـذا بشأن عناء الدنيا، أمّا فناؤها فليس بخاف على أحد، فالفناء قد كتب فيها على جميع الأفراد المؤمن والكافر والصـغير والكبير، فهذا يموت مبكراً وذاك يموت متأخراً، ولا يستثنى من قانون الموت أحد. ثم قال عليه السلام:

«فى حلالها حساب، وفى حرامها عقاب»

إشارة إلى أنّ الإنسان إنّما يتحمل حتى فى الآخرة تبعات هذه الدنيا، فهو إمّا عمل فيها بالحلال أو الحرام.

فانّ عمل بالحلال حوسب عليه يوم القيامة، وإن عمل بالحرام عوقب عليه يوم الجزاء. ومن هنا ورد فى الحديث النبوى الشريف:

«يدخل الفقراء الجنّة قبل الأغنياء بخمس مائة عام»[٣٣۶]

أمّا كيفيـة الحساب وما يحاسب عليه الإنسان ومن يرد الجنّة دون حساب، فهى امور نستعرضـها إن شاءاللّه فى بحث التأملات. ثم قال عليه السلام:

«من استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن»

نعم هذه هى طبيعة الدنيا وانطوائها على سبيلين كلاهما يؤدى إلى المشقة. فان كان فقيراً عاش فى الدنيا مهموماً مغموماً، وإن كان غنياً مرفهاً عاش فيها مشاكل اخرى؛ وأقل ذلك همه فى حفظ هذه الثروة وسـعيه لصـيانتها، ناهيک عن سـهام الحسد والطمع والبغض التى تصوب إليه، وفوق كـل ذلـک مـا يتعرض له من إمتحانـات إلهيـة. فالبخـل والحرص والطمع من جـانب والآفات والبلاء والأخطار من جانب آخر، بل لعل هذا الثراء والغنى يصده عن ذكراللّه ولايدع له من مجال للخروج من التفكير فيه، وعليه سـتغيب لديه المثل والقيم ولايرى

نفحات الولايهٔ، ج٣، ص: ١٩۵

لها من معنى سوى فى الأموال. ونختتم الكلام فى قوله عليه السلام:

«من استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن»

بالحديث الذى يؤكد هذا المعنى، فقد روى عن الإمام الباقر عليه السلام. قال: كان على عهد رسولاللّه صلى الله عليه و آله مؤمن فقير شديـد الحاجـة من أهـل الصـفة، وكان لازماً لرسول اللّه صـلى الله عليه و آله عنـد مواقيت الصـلاة كلها لايفقـده فى شـئ منها، وكان رسولاللّه صـلى الله عليه و آله يرق له وينظر إلى حـاجته وغربته، فيقول: يـا سـعد لو قـد جـاءنى شـئ لأغنيتـک، قال: فابطأ ذلک على رسولاللّه صـلى الله عليه و آله فاشتد غم رسولاللّه صلى الله عليه و آله بسعد، فعلم اللّه سبحانه ما دخل على رسولاللّه صلى الله عليه و آله من غمه بسـعد، فأهبط عليه جبرئيـل عليه السـلام ومعه درهمـان فقـال له: يا محمـد إنّ اللّه قـد علم ما قـد دخلک من الغم بسـعد، أفتحب أن تغنيه؟ فقال له: نعم، فقال له: فهاک هـذين الـدرهمين فاعطهما إياه، ومره أن يتجر بهما، قال: فأخـذهما رسولاللّه صـلى الله عليه و آله ثم خرج إلى صـلاة الظهر وسـعد قائم على باب حجرات رسولاللّه صـلى الله عليه و آله ينتظره، فلما رآه رسولاللّه صلى الله عليه و آله قال: يا سـعد أتحسن التجارة؟ فقال له سـعد: واللّه ما أصبحت أملک ما أتجربه، فاعطاه النبى صلى الله عليه و آله الدرهمين؛ فقال له: اتجر بهما وترف لرزق اللّه، فأخذهما سـعد ومضـى مع رسولاللّه صـلى الله عليه و آله حتى صـلى معه الظهر والعصـر، فقال له رسولاللّه صلى الله عليه و آله:

قم فاطلب الرزق فقد كنت بحالک مغتماً يا سـعد، قال فأقبل سعد لايشترى بالدرهم إلّاباعه بدرهمين، ولايشترى شيئاً بدرهمين إلّاباعه بأربعة دراهم، وأقبلت الدنيا على سـعد فكثر متاعه وماله وعظمته تجارته فاتخذ على باب المسجد موضعاً جلس فيه وجمع تجارته إليه،

وكـان رسول‌اللّه صـلى الله عليه و آله إذا أقـام بلال الصـلاة يخرج وسـعد مشـغول بالـدنيا لم يتطهر ولـم يتهيأ كما كان يفعل قبل أن ينشـغل بالدنيا، فكان النبى صلى الله عليه و آله يقول: يا سعد شغلتك الدنيا عن الصلاة، فيقول: ما أصنع، أضيع مالى هذا رجل قد بعته فاريـد أن أسـتوفى منه، هـذا رجل قد اشتريت منه فاريد أن أوفيه قال؛ فدخل رسول‌اللّه صـلى الله عليه و آله من أمر سـعد غم أشد من غمه بفقره فهبط عليه جبرئيل عليه السـلام فقال: أيما أحب إليك، حاله آخرته، فقال له جبرئيل: قل لسعد يرد عليك الدرهمين اللذين دفعتهما إليه، فان يا سعد أما تريد أن ترد علىَّ الدرهمين الذين أعطيتكهما؟

فقال: بلى ومأتين. فقال لها لست أريد منك يا سعد إلّادرهمين، فاعطاه سعد درهمين، قال:

وادبرت الدنيا على سعد حتى ذهب ما كان جمع، وعاد إلى حاله التى كان عليها.[۳۳۷]

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۹۶

ثم أورد عليه السلام صفتين للدنيا من شأن الالتفات إليهما إبعاد الإنسان عن الحرص والطمع والسكون إلى الدنيا

«ومن ساعاها فاتته،[۳۳۸] ومن قعد عنها واتته ۳۳۹]».

إشـارة إلى الأـعم الأـغلب من الأـفراد الـذى يجرون نحو الـدنيا ولا يبلغونها، بينما كثيرهم الـذين يهجرون الـدنيا فتأتيهم صاغرة. ولعل المطالعات التأريخية والوقائع تؤيد هذا الأمر فى أن الجرى خلف الدنيا لايفضـى إلى الغنى، والانصـراف عنها لا يؤدى إلى الفقر. ومن الطبيعى ألا يكون المراد بالـدنيا هنا المعيشـة المشـرفة والخاليـة من الحاجة إلى الآخرين، بل يراد بها الدنيا المذمومة المشوبة بالجنون. على كل حال فالعبارة تهـدف إطفاء نيران الحرص على الـدنيا والـذوبان فيها. وأخيراً يختتم الإمام عليه السـلام كلامه فى وصف الدنيا بصـفتين أصابت أغلب مفسـرّى نهج‌البلاغة ولا سـيما المرحوم السـيد الرضـى (ره) جامع النهج بالدهشة والذهول ليعيشوا نشوة السـكر بهذا الشراب الطهور، فقد قال عليه السلام:

«من أبصر بها بصرته، ومن أبصر اليها أعمته».

فاذا تأمل المتأمل هـذا القول وجد تحته من المعنى العجيب، والغرض البعيد، ما لا يبلغ غايته ولايدرك غوره؛ أى أنّ الإنسان إذا جعل الدنيا وسيلة لنيل الكمال وأداة للوصول إلى الآخرة وجسرا للسمو والرفعة والتكامل فستطرح عنه كافة الحجب ويرى حقائق الكون كما هى، أمّا ذاك الـذى يتعامل مع الـدنيا كهـدف لاوسـيلة فانّ ذلك سـيكون حجاباً ضـخماً مضـروباً على عينيه يحول دون رؤيته لاقرب الأشياء فضلًا عن الحقائق، وأبعد من ذلك سيغرق فى مادياتها ولا يرى لغيرها من وجود. والواقع هذا هو الفارق بين أهل الآخرة وأهل الدنيا، فهؤلاء يرون الدنيا مقدمة للآخرة واولئك يرون الدنيا غايتهم وهدفهم. فالدنيا كالشـمس إن نظرت بها أبصرت وإن نظرت إليها عميت. كما أورد تفسير آخر لهذه العبارة وهو أنّ المراد بقوله:

«من أبصر بها بصرته»

أنّ النظر إلى الدنيا بكل ما تشتمل عليه من الآيات الربانية إنّما يزيدنا

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۹۷

بصيرة، فى حين قصـر النظر على ماديات الـدنيا يحرمنا من البصـيرة بالآخرة بما فيها معرفـة اللّه ونيل القرب منه. وذهب البعض إلى أنّ المقصود بالعبارة

«أبصر بها»

هو النظر إلى عيوب الـدنيا وتقلباتهـا والـدروس العبر التى تنطوى عليها، ويقيناً أنّ مثل هـذه النظرة مـدعاة للبصـيرة والفطنـة، أمّا المراد بالعبارة

«أبصر إليها»

التطلع إلى زخارف الـدنيا ومظاهرها الخادعة التى تعمى عين الإنسان. وبالطبع لامانع من الجمع بين المعانى الثلاث فى المفهوم الجامع

لهاتين العبارتين. ويالها من عبارتين رائعتين عظيمتى المعنى، وكفى بهما عبرة فى النجاة من الدنيا والسير نحو الآخرة، فالسلام والصلاة على أميرَالمؤمنين عليه السلام الذى رام تهذيب النفوس وسموها بهاتين العبارتين القصيرتين. وهناك كلمات المعصومين عليهم السلام التى تصور هذا المعنى أيضاً، ومن ذلك أنّ اللّه أوحى إلى داود عليه السلام:

«يا داود احذر القلوب المعلقة بشهوات الدنيا فانّ عقولها محجوبة عنى»[٣٤٠]

. كما ورد عن أميرَالمؤمنين على عليه السلام أنّه قال:

«لحب الدنيا صمت الاسماع عن سماعة الحكمة وعميت القلوب عن نور البصيرة».[٣٤١]

قال المرحوم السيد الرضى (ره) آخر الخطبة:

«وإذا تأمل التأمل قوله عليه السلام

«ومن أبصر بها بصرته»

وجد تحته من المعنى العجيب والغرض البعيد، ما لا تبلغ غايته ولا يدرك غوره، لا سيما إذا قرن اليه قوله

«ومن أبصر اليها أعمته»

فانّه يجد الفرق بين

«ابصر بها» و «أبصر إليها»

واضحاً نيراً، وعجيباً باهراً، صلوات اللّه وسلامه عليه».

تأمّلان

١– كيفية الحساب فى الآخرة

تعدّ مسألة الحساب فى يوم القيامة الذى تعرضت له الخطبة من المسائل القطعية فى

نفحات الولاية، ج٣، ص: ١٩٨

الإسلام والتى وردت فى أغلب الآيات القرآنية والأخبار المتواترة، ويشمل هذا الحساب جميع أعمال الإنسان من صغيرة وكبيرة وفعل وكلام بل وحتى الصمت والسكوت، كما تفيد الايات القرآنية الواردة بهذا الشأن دقة حساب الأعمال. فقد صرحت الآية ١٦ من سورة لقمان على لسانه وهو يعظ إبنه: «يا بُنَىَّ إِنَّها إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى السَّمواتِ أَوْ فِى الأَرْضِ يَأْتِ بِها اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ». والذى نخلص إليه من الامور المتعلقة بالحساب كما وردت فى الآيات والروايات ما يلى:–

الف– عمومية الحساب: وشموليته لكافة الناس من الأولين والآخرين بما فيهم الرسل والأنبياء، وقد إصطلحت الآيات القرآنية على يوم القيامة بيوم الحساب.[٣٤٢] ولا تقتصر هذه العمومية على الناس فحسب، بل نشمل جميع أعمالهم، كما نلمس ذلك فى الآية ٤٧ من سورة الأنبياء: «وَنَضَعُ المَوازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وَكَفى بِنا حاسِبِينَ». وبالطبع هنالك بعض الأفراد ا لذين يردون الجنّة دون حساب لعظم أعمالهم الصالحة، كما هناك الأفراد الذين يكبون فى النار دون حساب بشاعة أعمالهم السيئة، وبعبارة اخرى فانّ حسابهم واضح، فقد جاء فى الحديث عن الإمام زين العابدين عليه السلام:

«اعلموا عباداللّه إن أهل الشرك لا تنصب لهم الموازين ولا تنشر لهم الدواوين وإنّما يحشرون إلى جهنم زمراً».[٣٤٣]

ب– سرعة الحساب: يتضح من الآيات والروايات أنّ الحساب الإلهى يوم القيامة يحصل بصورة سريعة جداً؛ فقد وردت ثمان آيات فى القرآن تصف اللّه سبحانه بأنّه سريع الحساب، كما جاء فى الحديث الشريف:

«إن اللّه يحاسب الخلائق كلهم فى مقدار لمح البصر»[٣٤٤]

، ودليل السرعة فى الحساب واضح، لأنّها تتوقف لاينطوى على أية صعوبة، اللّهم إلّا أن تقتضى حكمته تأخير البعض فى الحساب مبالغة لهم فى العقاب أو حكمة اخرى فالحق أنّ أعمالنا لها تأثير على أرواحنا وأجسامنا، التى يتضح حسابها من خلال نظرة لها، من جانب

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۹۹

آخر فانّه يمكن تشبيه أعمال الإنسان بعمل السيارة، بحيث تكفى نظرة واحدة لعدادها لمعرفة كم كيلومتر قطعت، ولا سيما فى عصر الحاسب الآلى- حيث يزودك بما شئت من المعلومات أحياناً المجرد ضغطك على زر من أزراره- فمسألة سرعة الحساب لم تعد بالمعقدة الفهم والإدراك على العقل البشرى.

ج- الدقة فى الحساب: الميزة الاخرى فى الحساب يوم القيامة استناداً إلى الآيات القرآنية تكمن فى الدقة من قبيل الإشارة إلى المحاسبة على العمل وإن كان مثقال ذرة، أو حبّة من خردل.

د- التشديد فى الحساب: الخاصية الاخرى تكمن فى سوء الحساب حسب تعبير الآيات القرآنية بالنسبة لُاولئك الذين كانوا يتصفون بالتشدد والتصعب فى حياتهم الدنيا تجاه الآخرين وبالطبع فانّ سوء الحساب لايعنى كونه الحساب السئ وغير الصحيح، فذلك لا يجوز مطلقاً على اللّه سبحانه، إنّما يراد به التشدد على من كان متشدداً.

ه- اليسر فى الحساب: يستفاد من بعض الآيات القرآنية وخلافاً للتعامل مع الطائفة المذكورة، فهنالك البعض الذى يخضع للحساب اليسير يوم القيامة، والمراد بهذا البعض اولئك الأفراد الذين تعاملوا بالسهولة واليسر فى حياتهم الدنيا مع الآخرين، فكان جزاء أعمالهم أن يسر اللّه عليهم الحساب يوم القيامة. فقد قال القرآن الكريم: «فَأَمّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ* فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسِيراً* وَيَنْقَلِبُ إِلى أَهْلِهِ مَسْرُوراً»[۳۴۵]. وجاء فى الحديث أنّ النبى صلى الله عليه و آله قال:

«ثلاث من كن فيه حاسبه اللّه حسابا يسيرا وأدخله الجنّة برحمته، قالوا:

وما هى يا رسول‌اللّه؟ قال: تعطى من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك»[۳۴۶]

فالحديث يشير بوضوح إلى أنّ الحساب اليسير فى يوم القيامة إنّما هو إنعكاس لحساب الإنسان اليسير لبنى جنسه فى الدنيا.

و رود الجنّة بغير حساب: إضافة إلى الطائفة المتشددة فى الحساب والاخرى السهلة، هنالك طائفة ثالثة ترد الجنّة دون أن تتعرض للحساب، وهى الطائفة التى عاشت ذروة الورع

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۰۰

إذا جمع اللّه عزّوجلّ الأولين والآخرين قام مناد- فنادى يسمع الناس- فيقول:

«أين المتحابون فى اللّه؟»

فيقوم عنق من الناس فيقال لهم:

«اذهبوا إلى الجنّة بغير حساب».[۳۴۷]

وقد ورد مثل هذا المعنى بالنسبة للصابرين ۳۴۸]، كما ورد مثله فى السابقين إلى الإيمان ۳۴۹]. وبالمقابل هنالك طائفة ترد جهنم بغير حساب، فقد روى عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«ثلاثة يدخلهم اللّه النار بغير حساب: إمام جائر وتاجر كذوب وشيخ زان»[۳۵۰]

. وبالطبع هناك الطوائف الاخرى التى أشارت إليها الروايات أنّها تدخل النار دون حساب. ومن الطبيعى أن تكون الطائفة التى ترد الجنّة دون حساب او تلك التى ترد النار بغير حساب أن تكون قد عملت بحيث أصبح كل وجودها نور أو ظلمة وكانت تمشى بصفتها فضيلة أو رذيلة، ومن هنا لم تعد هناك من حاجة للحساب.

٢- المذموم عبادة الدنيا لانيلها

المسألة الاخرى التى تجدر الإشارة إليها هناك هو أنّ المذموم من الدنيا يكمن فى الخلود إليها والاغترار بها وتقديسها، أى التضحية بالغالى والنفيس من القيم والمثل من أجل المنافع المادية الدنيوية الرخيصة، وإلّا ليس هنالك من ذم للدنيا المشرفة التى يعيش فيها الإنسان بعز وكرامة ويتمتع بما فيها على ضوء العقل والدين. وسنعرض بالتفصيل لهذا الأمر فى المباحث القادمة ذات الصلة بهذا الموضوع إن شاءاللّه.

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢٠١

الخطبة[٣٥١] الثالثة و الثمانون

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

وهى الخطبة العجيبة وتسمى «الغراء»

و فيها نعوت اللّه جل شأنه، ثم الوصية بتقواه ثم التنفير من الدنيا، ثم ما يلحق من دخول القيامة، ثم تنبيه الخلق إلى ما هم فيه من الأعراض، ثم فضله عليه السلام فى التذكير.

نظرة إلى الخطبة

نقل ابونعيم الاصفهانى جانبا من هذه الخطبة فى حلية الاولياء وقال فى سبب ورودها ان الإمام عليه السلام شيع جنازة لما ارتفع صراخ أهله حين وضع فى القبر فأقسم الإمام عليه السلام أن الموت لا يذر أحدا ولو شاهدوا ما يشاهد هذا الميت لبكوا على أنفسهم دونه، ثم نهض عليه السلام إثر ذلك فاورد هذه الخطبة.

الخطبة تشير إلى أنّ الإمام عليه السلام كان بصدد إعداد قلوب الناس وايقاظهم من غفلتهم، وهى خطبة عظيمة المضمون بعيدة المعنى لها فعل السحر فى النفس بفضلها تتضمن عدداً من الدروس والعبر التى تصنع الإنسان وتهذبه ويمكن تقسيمها إلى إثنى عشر قسماً[٣٥٢] كل منها يكمل الآخر:

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢٠٢

القسم الأول: يخوض فيه الإمام عليه السلام بحمداللّه والثناء عليه وبيان صفات جلاله وجماله ليهيئى القلوب لسماع المواعظ والنصائح.

القسم الثانى: الوصية بالتقوى بفضلها رأس المال الأصلى للإنسان فى حياته المادية والمعنوية.

القسم الثالث: ذم الدنيا بفضلها العقبة الكؤود التى تحول دون التقوى والورع.

القسم الرابع: الحديث عن المعاد والحشر وأهوال يوم القيامة لتكون القلوب منفتحة على الاتعاظ بالزواجر.

القسم الخامس: التعرض لاحوال الإنسان من خلال بيان عاقبته.

القسم السادس: التذكير ثانية بالورع والتقوى.

القسم السابع: لما كان الالتفات إلى النعم الإلهية يقود الإنسان إلى معرفة اللّه وشكره على نعمه وطاعته، تطرق عليه السلام فى هذا القسم إلى النعم التى أفاضها اللّه سبحانه على الإنسان.

القسم الثامن: المواعظ والإرشادات التى تفتح العقول والقلوب.

القسم التاسع: الحديث عن التقوى ثالثة الإشارة إلى كونها أفضل الزاد والمتاع فى سفر الآخرة.

القسم العاشر: الكلام عن خلق الإنسان مذ كونه جنيناً إلى موته وما بعد الموت بعبارات توقظ الضمير البشرى.

القسم الحادىعشر: التحذير من عدم السبيل إلى الرجعة بعد الموت ولا تدارك ما فرط فى الدنيا.

القسم الثانى عشر والأخير: إشارة إلى الدروس والعبر التى يختزنها تأريخ الماضين وبيان أحوال الاقوام بعبارات مثيرة وحساسة رائعه؛ الأمر الذى جعل السيد الرضى (ره) يقول:

بعد أنّ خطب الإمام عليه السلام هذه الخطبة إقشعرت لها الجلود، وبكت العيون، ورجفت القلوب.

نفحات الولايه، ج٣، ص: ٢٠٣

القسم الأول: البعيد القريب والعالى الدانى

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى عَلا بِحَوْلِهِ ودَنا بِطَوْلِهِ مانِحِ كُلِّ غَنِيمَةٍ وفَضْلٍ، وَكاشِفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ وأَزْلٍ أَحْمَدُهُ عَلَى عَواطِفِ كَرَمِهِ وسَوابِغِ نِعَمِهِ وَأُومِنُ بِهِ أَوَّلًا بادِياً وأَسْتَهْدِيهِ قَرِيباً هادِياً وأَسْتَعِينُهُ قاهِراً قادِراً أَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كافِياً ناصِراً وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه و آله عَبْدُهُ ورَسُولُهُ أَرْسَلَهُ لِإِنْفاذِ أَمْرِهِ وَإِنْهاءِ عُذْرِهِ وتَقْدِيمِ نُذُرِهِ».

الشرح والتفسير

يستهل الإمام عليه السلام خطبته المشهورة بالغراء بالحمد والثناء والصلوات على النبى صلى الله عليه و آله ثم يعرج على صفاته سبحانه وتعالى فيحمده بادئ ذى بدء لأربع صفات من صفاته:

«الحمدللّه الذى علا بحوله ٣٥٣]، ودنا بطوله،[٣٥٤] مانح ٣٥٥] كل غنيمة وفضل، وكاشف كل عظيمة وأزل»[٣٥٦]

إننا نعلم أنّ صفات اللّه على خلاف صفات عباده المحدودة؛ فهو قريب وبعيد، وظاهر وباطن، وله صفات اخرى متناقضة لا تجمع فى عباده، إلّاأنّها تجمع فى ذاته اللامتناهية. فقد أشار الإمام عليه السلام فى العبارة الاولى إلى هذا المعنى فقال:

«الحمدللّه الذى علا بحوله»

فهو قريب

نفحات الولايه، ج٣، ص: ٢٠٤

فى علوه، وعلوه معلول لقدرته، بينما قربه معلول لنعمته ومنته. ثم أشار فى العبارة الثانية إلى أنّه مصدر البركات الذى يفيض الغنيمة والفضل على العباد، وفى نفس الوقت يكشف عنهم الكرب والبلاء، وكيف لا يرتجى منه ذلك وهو ما عليه من القدرة واللطف والمحبة. ولعلنا نلمس هذا المعنى فى الآية القرآنية الكريمة: «وَما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ».[٣٥٧]

ومن البداهة أنّ غير اللّه- لأنّ قدرته محدودة- لايسعه أى نعمة أو فضل، كما لايستطيع أن يدفع أى بلاء أو ضرر، وليس هنالك مثل هذه الاستطاعة والقدرة سوى للذات المقدسة. ثم يخوض عليه السلام فى علية الحمد والثناء، بعبارة اخرى كان الحديث فى العبارات السابقة عن صفات المنعم، أمّا هنا فقد جرى الحديث عن النعم:

«أحمده على عواطف كرمه، وسوابغ ٣٥٨] نعمه»

فالواقع هو أنّ للنعم الإلهية صفتان وسيعة شاملة ودائمة مستمرة. وليس هذا سوى لقدرته وكمال لطفه الذى أغرق الإنسان بوابل نعمه ولم يقطعها عنه طرفة عين، ثم قال عليه السلام:

«وأومن به أولًا بادياً[٣٥٩]، وأستهديه قريباً هادياً، وأستعينه قاهراً قادراً، وأتوكل عليه كافياً ناصراً»

فالإمام عليه السلام يقرن كل شئ بدليله، فالإيمان به لكونه سابق كل شئ فى الوجود وهو واجب الوجود وقد عمت آثاره كافة ارجاء العالم، كما يستدل على سؤاله الهداية لأنّه الهادى للعباد وهو قريب منهم قادر على هدايتهم. ولما كان الركن الثانى للإيمان- بعد الاقرار للّه بتوحيد- الشهادة بالنبوة قال عليه السلام:

«وأشهد أن محمداً– صلى اللّه عليه وآله– عبده ورسوله».

ثم أشار عليه السلام إلى الوظائف الثقيلة للنبوة ليوجزها بثلاث عبارات:

«أرسله لانفاذ أمره، وإنهاء عذره، وتقديم نذره»[۳۶۰]

. فالعبارة الاولى إشارة إلى قيام النبى صلى الله عليه و آله ودعوته الامّة إلى الإيمان باللَّه، والعبارة الثانية إلى اتمام الحجة بواسطة إبلاغ أحكام اللَّه واستعراض الأدلة العقلية والمعجزات، والعبارات الثالثة إشارة إلى بيان العذاب الإلهى فى الدنيا والآخرة لُاولئك الذين يعصون أوامر اللَّه سبحانه.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۰۵

القسم الثانى: دور التقوى فى تقرير مصير الإنسان

اشارة

«أُوصِيكُمْ عِبادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِى ضَرَبَ الْأَمْثالَ ووَقَّتَ لَكُمُ الْآجالَ وَأَلْبَسَكُمُ الرِّياشَ وأَرْفَغَ لَكُمُ الْمَعاشَ وأَحاطَ بِكُمُ الْإِحْصاءَ وأَرْصَدَ لَكُمُ الْجَزاءَ وآثَرَكُمْ بِالنِّعَمِ السَّوابِغِ والرِّفَدِ الرَّوافِغِ وأَنْذَرَكُمْ بِالْحُجَجِ الْبَوالِغِ فَأَحْصَاكُمْ عَدَداً ووَظَّفَ لَكُمْ مُدَداً فِى قَرارِ خِبْرَةٍ ودارِ عِبْرَةٍ أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيها ومُحاسَبُونَ عَلَيْها».

الشرح والتفسير

ما أن فرغ الإمام عليه السلام من حمداللَّه والثناء عليه والشهادة لرسول اللَّه بالنبوة فى المقطع الاول من الخطبة حتى تطرق عليه السلام إلى أهم مسألة تلعب دورها فى تقرير مصير الإنسانية ألاوهى التقوى، فيوصى بها الجميع ثم يذكر عشر صفات للَّه كلها تدعو إلى التقوى فتارة يتحدث عن النعم الموفورة، وتارة أخرى عن الحساب والجزاء، وأحياناً يشير إلى النذر الإلهية وإتمام الحجة، كما يتكلم عن محدودية عمر الإنسان وما يتعرض له من تمحيص واختبار، وكل واحد منها من شأنه أن يسوقه إلى التقوى فقال عليه السلام:

«أوصيكم عباداللّه بتقوى اللّه الذى ضرب الأمثال»

فالأمثلة والتشبيهات التى وردت فى القرآن الكريم وأحاديث النبى صلى الله عليه و آله وكلمات المعصومين عليهم السلام لتقريب الحقائق العقلية إلى الأذهان وتجعلها فى متناول الحس، لا تخرج عن أربع صور هى: تشبيه المحسوس بالمحسوس (بالطبع المحسوس الثانى لابدّ أن يكون أوضح من المحسوس الأول)، تشبيه المعقول بالمحسوس، وتشبيه المحسوس بالمعقول، وأخيراً تشبيه المعقول بالمعقول، والغرض من كل هذه التشبيهات هو الاستئناس بالمسائل التربوية والأوامر

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۰۶

والنواهى الإلهية بحيث يكون مفهومها قريباً لدى النفس ولا تبقى ألغاز المفاهيم المعقدة. ثم قال عليه السلام:

«ووقت لكم الآجال»

فلكل عمر وأجل معين وقد خط الموت والفناء على جبين الجميع، سواء كان هذا الأجل هو النهاية القطعية للحياة؛ أى الأجل المسمى أو النهاية المشروطة؛ أى الأجل المحتوم. فقد قال سبحانه وتعالى «فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لايَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ»[۳۶۱] وقال: «كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ»[۳۶۲].

ومن البديهى أن يتجه الإنسان نحو التقوى حين يلتفت إلى تقلب الحياة الدنيا وقصر العمر. ثم قال عليه السلام:

«وألبسكم الرياش ۳۶۳] وأرفغ ۳۶۴] لكم المعاش»

حيث طرح الإمام عليه السلام مسألة اللباس من بين جميع النعم ثم أشار إلى كافة نعم الحياة والعيش، ولعل كون اللباس من أهم النعم،

الذى لايقتصر على حفظ الإنسان من البرودة والحرارة ويصونه من الأخطار والصدمات التى تتهدده ويستر عيوبه فحسب، بل لأنّ القرآن شبه التقوى باللباس فى آياته، ومن هنا كان هنالك تناسب مع أصل الحديث عن التقوى، وهذا ماحدا بالإمام عليه السلام إلى تقديم الخاص قبل العام فى إطار حديثه عن النعم. والجدير بالذكر أنّ وجود هذه النعم الفضيلة الواسعة التى عمت حياة الإنسان لهى الدافع لمعرفة اللّه وبالتالى تقواه. فكيف يعرف الإنسان هذه النعم ولا يجّد فى رعاية حرمة وليها. فقد ورد فى القرآن الكريم قوله سبحانه: «يا بَنِى آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً يُوارِى سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِباسُ التَّقْوى ذلِكَ خَيْرٌ»[۳۶۵]. يذكر أن لريش الطيور ألوان مختلفة وجمالية خاصة، ومن هنا فانّه يعنى الزينة أيضاً، ولما كانت التقوى تستر عيوب الإنسان وتحفظه من وساوس الشيطان وهى زينة له، فانّ مفردة اللباس فى الآية

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۰۷

الشريفة تشير إلى التقوى ۳۶۶] ثم قال عليه السلام:

«وأحاط بكم الاحصاء، وأرصد لكم الجزاء»

طبعاً إذا التفت الإنسان إلى هذه المسألة وهى أنّ الحساب الإلهى دقيق- وكأنّه قلعة محكمة يصعب إختراقها حيث لايسع أى عمل أو قول صدر من الإنسان أن يفلت من الحساب، كما أنّ كل قول وعمل إنّما يحمل جزائه معه، فان هذا الأمر سيدعوه إلى الورع والتقوى وإجتناب معصية أوامر اللّه سبحانه، والعبارة:

«أحاط بكم الاحصاء»

المستقاة من الآية الكريمة: «وَأَحاطَ بِما لَدَيْهِمْ وَأَحْصى كُلَّ شَىءٍ عَدَداً»[۳۶۷] إنّما هى عبارة رائعة تشير إلى أنّ الإنسان قد خضع لدائرة الاحصاء الإلهى بحيث لايصدر منه شيئاً دون حساب، والعبارة:

«أرصد لكم الجزاء»

تصور الثواب والعقاب كمراقب كمن للإنسان بحيث لايغادر أى عمل صدر منه، ثم قال عليه السلام:

«وآثركم بالنعم السوابغ، والرفد[۳۶۸] الروافغ،[۳۶۹] وأنذركم بالحجج البوالغ»

الايثار تفضيل الشخص على النفس أم الآخرين، ومنه ماورد فى الآية ۹۱ من سورة يوسف:

«تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنا»

. أمّا ما تصوره بعض شرّاح نهج‌البلاغة من أنّ الايثار تقديم الآخر على الذات، أو فيما يحتاجه المؤثر ليس بمستقيم، ولما لايمكن تصور أى من هذين المعنيين على اللّه فليس من الصواب الاتجاه نحو المعنى المجازى.[۳۷۰] على كل حال فان المراد بالعبارة هو أنّ اللّه سبحانه قد فضل الإنسان على سائر مخلوقاته وأفاض عليه نعمه وكراماته؛ الأمر الذى صرح به القرآن الكريم: «وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْناهُمْ فِى البَرِّ وَالبَحْرِ وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَفَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلًا»[۳۷۱]. فاذا إلتفت الإنسان إلى هذا النعم الإلهية بما فيها تفضيله على سائر المخلوقات، سيثار لديه حس الشكر، وكما أوردنا سابقاً فانّه سيتجه

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۰۸

لمعرفة المنعم وبالتالى الامتناع عن مخالفته والتمرد على أوامره والتحلى بالورع والتقوى. أمّا الحجج البوالغ المتمثلة بالأنبياء والكتب السماوية والمعجزات والأدلة العقلية والنقلية فهى الاخرى من دواعى الورع والتقوى وأمّا ذكر النعم إلى جانب الحجج فيمكن أن يكون إشارة إلى أنّ اللّه فى الوقت الذى يغدق كل هذه النعم على الإنسان، إلّاأنّه يحذره من استغلالها وأنّ عليه أن يوظفها بما يقوده إلى الفلاح والسعادة. ثم إختتم عليه السلام كلامه بهذا الشأن قائلًا:

«فأحصاكم عدداً، ووظف لكم مدداً،[۳۷۲] فى قرار خبرة[۳۷۳]، ودار عبرة، أنتم مختبرون فيها، ومحاسبون عليها»

لقد سبق الحديث فى الصفة الثانية عن أجل الإنسان وفى الصفة الخامسة عن إحصاء الناس وعددهم، ثم كرر عليه السلام هذين

الوصفين لأهميتهما وتأثيرهما المباشر فى تجلى حقيقة التقوى فى وجود الإنسان، كما يمكن أن يفيد هذا التكرار معنى آخر، فقد كان الحديث فى العبارات السابقة عن الاحاطة بأعمال الإنسان، ومن هنا أردف بالكلام عن جزاء الأعمال، أمّا هنا فقد ورد الكلام عن أحصاء الناس بحيث لايشرد أحدهم عن مراقبة اللَّه سبحانه، كما صرح بذلك القرآن: «إِنْ كُلُّ مَنْ فِى السَّمواتِ وَالأَرضِ إِلّا آتِى الرَّحْمنِ عَبْداً* لَقَدْ أَحْصاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً»[٣٧٤]. ولئن أشار إلى انتهاء الأجل فانّ ذلك مقدمة للعبارات التالية (الحياة فى دار الإمتحان والابتلاء) وفى الواقع هى من قبيل البيان الإجمالى والتفصيلى للعبارة السابقة. وأمّا قوله عليه السلام:

«قرار خبرة ودار عبرة»

فواضح فى أنّ حياة الناس تمثل امتحانهم واختبارهم؛ الأمر الذى أشار إليه القرآن بالقول: «أَحَسِبَ النّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ* وَلَقَدْ فَتَنّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكاذِبِينَ».[٣٧٥]. والتعبير بالعبرة يشير إلى الاعتبار بمصير الظلمة والأقوام الطاغية والأفراد الذين تلطخت أيديهم بالذنوب والمعاصى، وأنّ العقاب الإلهى لايقتصر على الآخرة بل يطيل

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢٠٩

الأفراد حتى فى الحياة الدنيا. والضمير فى العبارة

«ومحاسبون عليها»

يعود إلى دار الدنيا؛ أى كما أنّ الدنيا دار بلائكم وتمحيصكم فان حسابكم يتعلق بها بما أسلفتم من أعمال وتمتعتم من نعم أفاضها اللَّه عليكم.

التقوى فى كل زمان ومكان

كما أوردنا آنفاً فانّ الإمام عليه السلام أعقب الحمد والثناء بالدعوة إلى الورع والتقوى التى تختزن كافة مقومات السعادة الإنسانية وتحدد مكانة الإنسان لدى اللَّه وتشكل أفضل الزاد إلى الآخرة. والجدير بالذكر أنّ الإمام عليه السلام لايكتفى بالوصية بالتقوى بل يشير إلى جميع الامور التى من شأنها بلوغ التقوى ومنها النعم الإلهية المختلفة وقصر عمر الإنسان والاحاطة التامة للَّه سبحانه بالناس وأعمالهم وأقوالهم والدروس والعبر التى تتضمنها حياة الأقوام السابقة، بل وحتى الامم الحاضرة، إلى جانب الالتفات إلى هذا المعنى وهو أن هذه الدار الدنيا هى قاعة اختبار وامتحان وأنّ اللَّه واتر أنبيائه ورسله وأنزل معهم الكتب السماوية لانذار العباد، والحق أنّ هذا ذروة الفصاحة والبلاغة فى أن تجمع كل هذه الامور التى تصور التقوى بمعناها الكبير بهذا العبارات القصيرة.

حقاً إنّ تأمل هذه الامور الواردة فى الخطبة ليقود الإنسان إلى إستشعار الورع والتقوى والاحساس بحضوره سبحانه على الدوام. فأنى للإنسان أن يتمرد على خالقة وقد شعر بفيض نعمه عليه وأيقن بالقيامة والبعث والحساب وآمن بالحجج الإلهية التى تضمنتها الكتب السماوية وصدحت بها أنبياء اللَّه ورسله والأئمة عليهم السلام، وهو يرى قصر عمره وتقلب أحوال الدنيا والدروس والعبر التى إشتملت عليها حياة سالف الامم.

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢١١

القسم الثالث: حقيقة الدنيا

اشارة

«فَإِنَّ الدُّنْيا رَنِقٌ مَشْرَبُهَا رَدِغٌ مَشْرَعُهَا، يُونِقُ مَنْظَرُهَا ويُوبِقُ مَخْبَرُها، غُرُورٌ حائِلٌ، وضَوْءٌ آفِلٌ، وظِلٌّ زائِلٌ، وسِنادٌ مائِلٌ، حَتَّى إذا أَنِسَ نافِرُها واطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا، قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا، وقَنَصَتْ بِأَحْبُلِهَا، وأَقْصَدَتْ بِأَسْهُمِها، وأَعْلَقَتِ الْمَرْءَ أَوْهاقَ الْمَنِيَّةِ قائِدَةً لَهُ إِلَى ضَنْكِ

الْمَضْجَعِ، وَوَحْشَةِ الْمَرْجِعِ، ومُعايَنَةِ الْمَحِلِّ وثَوابِ الْعَمَلِ، وكَذلِكَ الْخَلَفُ بِعَقْبِ السَّلَفِ، لا تُقْلِعُ الْمَنِيَّةُ اخْتِراماً، ولا يَرْعَوِى الْباقُونَ اجْتِراماً، يَحْتَذُونَ مِثالًا، ويَمْضُونَ أَرْسالًا، إِلَى غايَةِ الإِنْتِهاءِ، وصَيُّورِ الْفَناءِ».

الشرح والتفسير

يعرض الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة بالذم الشديد الدنيا، حيث كان حديثه عن دار الامتحان والعبرة، فيشرح هنا خصائص هذه الدار بعبارات روعة فى الفصاحة والبلاغة. من جانب آخر خاض الإمام عليه السلام فى التقوى، ونعلم أنّ العقبة الكؤود التى تعترض سبيل التقوى إنّما تكمن فى حبّ الدنيا والتعلق بمادياتها، ومن هنا ذمها الإمام عليه السلام ليحط من قدرها لدى الناس ويقوى عندهم حس التقوى. فقد أشار عليه السلام إلى ثمان من مميزات الدنيا فقال عليه السلام:

«فانّ الدنيا رنق ٣٧٦] مشربها، ردغ ٣٧٧] مشرعها»

عادة ما يكون مستوى الأنهار التى يستفيد الإنسان

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢١٢

من مياهها أكثر إرتفاعاً من سطح الأرض المجاورة لها بحيث يصعب التزود منه، ومن هنا يحفر جزء من ساحل النهر ليمكن الوصول إلى ماءه بسهولة، وتصطلح العرب على هذا الجزء الذى يسهل الوصول إلى الماء بالشريعة أو المشرع حيث ينتهى إلى الماء يطلق عليه المشرب؛ فاذا تلوث المشرب بالطين والوحل أو تلوث الماء بحيث يتعذر التزود منه يعمد إلى إحداث شريعة بصورة مناسبة، أو يجعل عليه قنطرة لحل تلك المشاكل. الغرض هو أن الإمام عليه السلام شبه نعم الدنيا بالماء، إلّاأن المؤسف له هو أنّ الوصول إلى الماء يمر عبر الوحل ونقطة بلوغ الماء كانت موضعاً يلوث الماء، ومن هنا فانّ هذا الماء يدعو إليه العطاش من بعيد، إلّاأنّهم حين يصلوه يرون أنفسهم أمام سيل من المشاكل، فلا يتمكنوا من الحصول على الماء العذب، والحق أنّ هذا هو حال متع الدنيا كالمال والمقام وما إلى ذلك؛ وذلك لأنّ نيل الدنيا يحتم على الإنسان الاغماض عن الكثير من الفضائل الأخلاقية واعتياد الكذب والغدر والخيانة والذل، وكل من هذه الرذائل مستنقع يكمن فى طريق الوصول، فاذا وصل اصطدم بأنواع الحسد والطمع؛ الأمر الذى يعكر صفو الماء. ثم قال عليه السلام

«يونق ٣٧٨] منظرها، ويوبق ٣٧٩] مخبرها»

لقد ورد هذا التناقض لظاهر الدنيا وباطنها بعدّة صور فى عبارات أئمة العصمة، ومن ذلك ما ورد عن أميرالمؤمنين على عليه السلام:

«فإنّما مثل الدنيا مثل الحية: لين مسها، وقاتل سمها»[٣٨٠]

ويشبهونها أحياناً بالمرأة الجميلة التى تقتل أزواجها الواحد تلو الآخر. وبالطبع فأنّ أوصاف الدنيا ليست بالخافية على الإنسان اللبيب، فظاهرها أنيق ساحر وباطنها خطر قاتل. ثم قال عليه السلام:

«غرور حائل ٣٨١]، وضوء آفل،[٣٨٢] وظل زائل، وسناد[٣٨٣] مائل»

ممّا لاشك فيه أنّ الدنيا تنطوى على عناصر الجمال والخداع، إلّاأنّها تنتهى لمجرد أن يريد الإنسان التمتع بها، ومن هنا

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢١٣

عبر عنها الإمام عليه السلام بالغرور الحائل، لأنّ الغرور بالضم من لوازم الجمال الظاهرى، أمّا الغرور بالفتح تعنى الشخص الخادع ومن هنا اطلق الغرور على الشيطان. ولما كانت أمتعة الدنيا براقة فقد عبرعنها الإمام عليه السلام بالضوء، إلّاأنّ هذا البريق ليس له دوام وسرعان ما يخفت، الأمر الذى جعل الإمام عليه السلام ينعت ذلك الضوء بالآفل. وتتصف بظلها الوداع المؤقت كظل شعاع الشمس على الأشجار الذى سرعان ما ينقشع ويزول، ومن هنا فان الظل الزائل الذى تمثله أمتعة الدنيا يمكن أن يكون ركنا يوثق به، غير أنّه ركن خاو، ولذلك عبر عنه عليه السلام بالسناد المائل. ثم أشار عليه السلام إلى سائر خصائص الدنيا، وبعبارة أخرى فانّه تعرض للصفات المذكورة بتشبيهات وتعبيرات جديدة فقال عليه السلام:

«حتى اذا أنس نفارها، واطمان ناكرها، قمصت ٣٨٤] بأرجلها، وقنصت ٣٨٥] بأحبلها[٣٨٦]، وأقصدت بأسهمها[٣٨٧]»

فقد صور الإمام عليه السلام الدنيا ووضعها بثلاثة تشبيهات: الأول شبه الدنيا بمركب طيب الظاهر، إلّاأنّه سرعان ما يجمع ويطرح راكبه أرضاً. ثم شبهها بالصياد الذى يرمى بشباكه وينثر فيها حبوب فخه فاذا إقترب صيده لم يجدله من سبيل إلى الهرب، وأخيراً شبهها بالصياد الذى يكمن فى الطريق فاذا شاهد صيده صوب إليه سهامه.

والجدير بالذكر فى العبارة

«حتى إذا أنس نافرها ...»

انها تشير إلى حقيقة وهى أنّ خداع الدنيا ليس بالشئ إلهين الذى يمكن تجاوزه بسهولة، بل تجر إليها أحياناً حتى الزهاد والعباد لتلقى بهم فى حبائلها وشباكها، ومن هنا ينبغى أن يلتفت الجميع إلى مدى خطورة هذه الدنيا الغرارة والمداومة على هذا الذكر:

«اللّهم لاتكلنى إلى نفسى طرفة عين أبدا».

ثم أشار عليه السلام إلى عاقبة أمر الإنسان فقال:

«وأعلقت المرء أوهاق ٣٨٨] المنية قائدة له إلى ضنك المضجع ٣٨٩]،

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢١٤

ووحشة المرجع، ومعاينة المحل، وثواب العمل»

لاشك أنّ طلاب الدنيا أهلها ليسوا مستعدين للتخلى عنها، إلّاأنّها تلقى بحبل الموت بكل قسوة على أعناقهم، فتخرجهم بالقوة من قصورهم الفارقة ودورهم العامرة لتوردهم تلك الحفر المظلمة الموحشة التى تملأه خوفاً واضطراباً، والأنكى من ذلك زوال الحجب عن عينيه ورؤيته لموضعه الذى سيحله، فان كان مستحقاً للعذاب، رأى بأم عينيه نار جهنم فيزداد خشية لمفارقته لدنيا بما فيها من مال ومقام وزوجة وولد. ثم يختتم كلامه عليه السلام بالإشارة إلى هذه الحقيقة وهى أنّ ما أورده الإمام بشأن الدنيا وأبناءها لايختص بالماضيين أو بطائفة معينة من الناس، بل يشمل الجميع الذين لابدّ لهم أن يشهدوا هذا الامتحان ويذوقوا الموت فما من خلود وبقاء سوى للّه سبحانه، حيث قال عليه السلام

«وكذلك الخلف بعقب السلف، لاتقلع المنية اختراماً[٣٩٠] ولا يرعوى ٣٩١] الباقون اجتراماً[٣٩٢]»

. نعم فهم يعملون على غرار من سبقهم ويحذون حذوهم

«يحتذون ٣٩٣] مثالًا، ويمضون أرسالًا،[٣٩٤] إلى غاية الانتهاء، وصيور[٣٩٥] الفناء»

. فقد تضمنت العبارة الاشارة إلى أمرين: الأول الحذار من أن يتصور البعض أنه مستثنى من هذا القانون العام فيظنون أنّهم مخلدون فى الدنيا باقون فيها. والثانى الاعتبار بالماضيين من خلال النظر إلى آثارهم ليروا أين حلوا، وكيف كانوا:

من كان لايطأ التراب برجله يطأه اليوم بصفحة الخد

ومن كان بينك وبينه شبرانفهو اليوم فى غاية البعد

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢١٥

أمّا التعبير بالاخترام وبالالتفات إلى معنى هذه المفردة الذى يفيد القطع والقص (ولذلك فسرّ بعض شرّاح نهج‌البلاغة الموت المحزوم بالموت الذى يطيل الإنسان قبل مدته الطبيعيه)[٣٩٦] كأنّه يشير إلى حقيقة وهى أنّ إحدى مشاكل الحياة الدنيا فى أنّه قلّما يفارق أحد الدنيا بموت طبيعى؛ أى أنّه يوظف كافة طاقاته من أجل البقاء بينما يأتيه الموت، بل غالباً ما يخرق عمره بفعل مختلف العوامل سواءاً الداخلية أو الخارجية، الجسمية أو النفسية وأخيرا الحوادث الفردية أو الاجتماعية، ومن هنا لايسع أى فرد أن يؤمل العيش ولو ليوم أو ساعة. والسؤال المطروح لم رغم كل هذه الامور والحال

«لايرعوى الباقون اجتراما»؟

ليس هنالك من جواب سوى الغفلة والجهل ووساوس النفس الامارة والشياطين الذين يحكمون سيطرتهم على الإنسان ويحجبون أبصارهم وبصائرهم عن رؤية الحقائق. فهو بالضبط كالطير الذى يرى الحبوب دون أن يرى المصيدة التى نصبها له الصياد.

تقلب الدنيا

لقد إستفاضت الآيات القرآنية والروايات الإسلامية التى كشفت النقاب عن غدر الدنيا وتقلب أحوالها. وما أورع الصورة التى رسمها القرآن لهذه الدنيا حين شبهها بماء المطر:

«وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الأَرضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذرُوهُ الرِّياحُ وَكانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَىءٍ مُقْتَدِراً»[۳۹۷]. الخطبة التى نحن بصددها هى الاخرى رسمت صورة ناصعة لتفاهة الدنيا بحيث تهز عباراتها ضمير أهل الغفلة لتلفت إنتباههم إلى الآخرة، وكثيرة هى خطب نهج‌البلاغة التى وردت بشأن الدنيا، ولعل السبب الذى يكمن وراء كل هذه التأكيدات هو أنّ العصر الذى عاشه الإمام عليه السلام قد أعقب تلك الفتوحات الإسلامية والتى جرت ثروات طائلة على البلاد الإسلامية، حتى كانت آثار السلاطين والملوك النفسية من بين الغنائم التى كان تحصل عليها الجيوش الإسلامية؛ الأمر الذى شد أنظار أغلب الأفراد إلى الدنيا، وهذا ما أدى بالتالى إلى فساد المجتمع الإسلامى. فما

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۱۶

كان من الإمام عليه السلام وبغية إعادة الامّة إلى مسارها الإسلامى الصحيح الذى رسمه رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله إلّاأنّ يعتمد تلك الحياة الزاهدة المتواضعة من جهة، ويلقى بكلماته الروحية ليوقظ تلك القلوب الغافلة من جهة أخرى الادباء والشعراء على مر العصور أنشدوا الشعر فى تصوير غدر الدنيا وعدم وفائها.

والعجيب فى الأمر أنّ كل هذه الآيات والروايات إلى جانب النظم الأدبى البديع لم تتمكن من إيقاظ أهل الدنيا وسلخهم عنها، فواصلوا بكل قوة مسارهم المنحرف دون الإكتراث لهذا الواعظ أو ذاك. نعم فالمؤمنون إنّما يتعظون بهذه العبر وينتفعون بها ليجدوا ويجتهدوا فى إصلاح أنفسهم ومعادهم.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۱۷

القسم الرابع: أهوال المحشر

اشارة

«حَتَّى إذا تَصَرَّمَتِ الْأُمُورُ، وتَقَضَّتِ الدُّهُورُ، وأَزِفَ النُّشُورُ، أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرائِحِ الْقُبُورِ، وأَوْكارِ الطُّيُورِ، وأَوْجِرَةِ السِّباعِ، ومَطارِحِ الْمَهالِكِ، سِراعاً إِلَى أَمْرِهِ، مُهْطِعِينَ إِلَى مَعادِهِ، رَعِيلًا صُمُوتاً، قِياماً صُفُوفاً، يَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، ويُسْمِعُهُمُ الدَّاعِى، عَلَيْهِمْ لَبُوسُ الِاسْتِكانَةِ، وضَرَعُ الاسْتِسْلام والذِّلَّةِ، قَدْ ضَلَّتِ الْحِيَلُ، وانْقَطَعَ الْأَمَلُ، وهَوَتِ الْأَفْئِدَةُ كاظِمَةً، وَخَشَعَتِ الْأَصْواتُ مُهَيْمِنَةً، وأَلْجَمَ الْعَرَقُ، وعَظُمَ الشَّفَقُ، وأُرْعِدَتِ الْأَسْماعُ لِزَبْرَةِ الدَّاعِى إِلَى فَصْلِ الْخِطابِ، ومُقايَضَةِ الْجَزاءِ ونَكالِ الْعِقابِ، ونَوالِ الثَّوابِ».

الشرح والتفسير

بعد أن فرغ الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة الغراء حقاً من حمداللَّه والثناء عليه والوصية بالتقوى وشرح أوضاع الدنيا وغدرها، تطرق عليه السلام إلى المعاد ليصور المحشر وأحوال الخلائق فيه بحيث لايبقى مجالا للغفلة فقال عليه السلام:

«حتى إذا تصرمت الأمور، وتقضت الدهور، وأزف ۳۹۸] النشور»

فالعبارات الثلاث إشارة واضحة لنهاية العالم. حيث تعرضت العبارة الاولى إلى فناء وزوال كل شئ: العمر، القدرة والقوة، الأموال

والثروة و ...، والعبارة الثانية لانتهاء الشهور والسنوات والقرون، والعبارة الثالثة وهى النتيجة لما تقدم إقتراب الساعة والبعث والقيامة. أما بشأن نهاية العالم والأحداث المهيبة التى ستودى إلى ذلك- كما صرح القرآن الكريم- وكيفية عالم

نفحات الولايه، ج٣، ص: ٢١٨

البرزخ فانّ الإمام عليه السلام لم يتطرق إلى ذلك، بل خاض مباشرة فى بعث الأموات وخروجهم من القبور والتى تمثل لب المطلوب فقال عليه السلام:

«أخرجهم من ضرائح ٣٩٩] القبور، وأوكار[٤٠٠] الطيور، وأوجرة[٤٠١] السباع، ومطارح ٤٠٢] المهالك».

قد يفارق الإنسان الدنيا إثر الموت بصورة طبيعية، وقد يموت فى الصحراء لوحده ليكون جسده طعمة للحيوانات المفترسة، وقد يفترسه أحياناً وحشاً ضارياً، ويمكن أن يموت غرقاً فى البحر، كما قد تقتله الزلزلة فيبقى جسده تحت الانقاض، فالإمام عليه السلام يخبر أنّ اللَّه سبحانه عليم بمواضع جميع هؤلاء وسينشرهم جميعا للحشر فيحاسبهم على أعمالهم. كما يشير عليه السلام ضمنياً إلى هذه المسألة وهى أنّ أحدا لايعرف كيف سيفارق الدنيا، وأى موضع سيحوى جسده، الأمر الذى يدعو إلى الاعتبار فقد قال سبحانه بهذا الخصوص: «وَما تَدْرِى نَفْسٌ ماذا تَكْسِبُ غَداً وَما تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ»[٤٠٣]. والآية كسائر الآيات الشريفة تعرض بصراحة للمعاد الجسمانى؛ لأن ما فى القبور أو أعشاش الطيور وكهوف الوحوش هو تراب البدن وعظامه، وإلّا فالقبر لايضم الروح بعد مفارقتها للبدن، وهذا ما سنتعرض له فى المبحث القادم. ثم قال عليه السلام:

«سراعاً إلى أمره، مهطعين ٤٠٤] إلى معاده، رعيلًا[٤٠٥] صموتاً، قياماً صفوفاً، ينفذهم البصر، ويسمعهم الداعى»

فالعبارة صورة حية عن وضع العباد فى عرصة المحشر؛ ويالها من صورة مرعبة مخيفة. وهى العبارة التى ورد شبيهها فى القرآن بخصوص حركة الإنسان فى المحشر من قبيل المفردة

«سِراعاً»[٤٠٦]

و

«يَنْسِلُونَ»[٤٠٧]

ويعبر أحياناً اخرى عن مدى سرعته بالقول ويعبر أحياناً اخرى عن مدى سرعته بالقول: «كَأَنَّهُمْ إِلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ».[٤٠٨]

نفحات الولايه، ج٣، ص: ٢١٩

فحركة الناس جماعية ووقوفهم فى المحشر على شكل صفوف مختلفة، أو أنّ الناس تفصل عن بعضها البعض البعض الآخر تبعاً لأعمالها بحيث يلتحق كل بنظيره فيكون مصيرهم واحدا، أو أنّهم كانوا جماعة فى قبورهم فينطلقون معاً للحساب. القرآن من جانبه قال بهذا الشأن: «يَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْواجاً»[٤٠٩] ولاشك أنّ سرعة حركتهم تكشف عن مدى خوفهم واضطرابهم من مصيرهم وتوقعهم لما يفجعهم من حوادث. والعبارة:

«ينفذهم البصر»

أى هم مع كثرتهم لايخفى منهم أحد عن إدراك اللَّه سبحانه وتعالى، وهم مع هذه الكثرة أيضاً لايبقى منهم أحد إلّاإذا دعا داعى الموت سمع دعاءه. ثم إنتقل عليه السلام إلى صورة اخرى من صور الخلائق فى يوم الحشر فقال عليه السلام:

«عليهم لبوس الاستكانة، وضرع ٤١٠] الاستسلام والذلة، قد ظلت الحيل، وانقطع الأمل، وهوت الافئدة كاظمة، وخشعت الاصوات مهيمنة،[٤١١] وألجم العرق، وعظم الشفق».[٤١٢]

لاتبدو ظهور مثل هذه الحالات حين يغلق باب الرجعة ويحكم اللَّه بين الخلائق وتخضع كافة الأعمال بصغيرها وكبيرها إلى الحساب العسير ويعرف الجزاء ويتجسم العقاب الذى ينتظر أهل الذنوب والمعاصى. وقد تضمن القرآن الكريم هذه الأوصاف، بل ما ورد فى الخطبة إنّما إقتبسه الإمام عليه السلام من القرآن. فقد قال القرآن فى موضع: «مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُؤُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ

هَواءٌ»[۴۱۳] وقال فى موضع آخر: «يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدّاعِىَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْواتُ لِلرَّحْمنِ فَلا تَسْمَعُ إِلّا هَمْساً»[۴۱۴]. العبارة «ألجم العرق»

تعبيررائع عن ذروة بلاء أهل المحشر، فالخوف والاضطراب من جانب، وحرارة المحشر من جانب آخر، وتدافع الناس وشدة الزحام والارهاق بحيث يغطى العرق أبدانهم حتى إنّ فمهم ليمتلأ عرقاً إذا ما فتحو شفاهم.

نفحات الولايه، ج٣، ص: ٢٢٠

ثم قال عليه السلام:

«وارعدت السماع لزبرة[۴۱۵] الداعى إلى فصل الخطاب، ومقايضة[۴۱۶] الجزاء، ونكال [۴۱۷] العقاب، ونوال ۴۱۸] الثواب».

والواقع أنّ الخوف إنّما ينبع من عدم معرفة الإنسان لمصيره وما سيؤول إليه أمره وهو يرى نفسه بين الثواب والعقاب والجنّة والنار. كما أنّ سبب الخوف والذعر هو أن الإنسان لايعلم بمدى إخلاصه فى طاعاته وعباداته، إلى جانب تذكره لبعض زلاته وأخطائه. فالحساب دقيق ولامحاسب هو الشاهد العليم بكل شئ، ولا من سبيل إلى العودة، كما ليس هنالك من سبيل لأنّ يدافع شخص عن آخر.

تأمّلات

١- أضواء على المعاد الجسمانى

رغم اختلاف الفلاسفة بشأن المعاد وكونه جسمانياً أو روحياً، غير أن الآيات القرآنية والروايات الإسلامية صريحة بهذا الخصوص ولاتحمل أى إبهام فى عودة الروح والبدن فى عالم الآخرة، وإن المعاد سيكون بالروح والجسم معاً والشاهد على ذلك طائفة من الآيات والروايات، ومنها الآيات التى صرحت بقيام الناس من قبورهم إلى الحساب.[۴۱۹] وبالطبع فانّ القبر إنّما يضم عظام الإنسان وما يتبقى من تراب من جسده. والإمام عليه السلام أشار صراحة إلى هذا الأمر فى الخطبة إذ قال:

«أخرجهم من ضرائح القبور، وأوكار الطيور، وأوجرة السباع، ومطارح الهالك و ...»

والواقع أنّ المعاد ينبغى أن يكون كذلك إذا أريد له أن يكون كاملًا عادلًا، وذلك لوجود التأثير المتبادل بين الروح والجسد، وانّهما يتكاملان معاً؛ فمفارقة أى منهما للآخر يجعل صاحبه ناقصا، ومن الخطئ ما يردد أنّ الإنسان بروحه، على أنّ ذلك يستند إلى الظن السائد باستقلال الروح الكامل. ويبدو أنّ هذا البحث واسع شامل نكتفى هنا بهذا المقدار ونترك التفاصيل لموضعها.[۴۲۰]

نفحات الولايه، ج٣، ص: ٢٢١

٢- شبهة الآكل والمأكول المعروفة

من بين الشبهات التى أثيرت بشأن المعاد الجسمانى والتى جعلت البعض ممن لم يتلق الاجابة الصائبة عليها إلى نفى مثل هذا المعاد هى الشبهة المعروفة بالآكل والمأكول المعقدة.

والشبهة هى: إذا إفترض أن قحطا أصاب جماعة وتغذى بعض الناس من لحم البعض الاخر، فما تكليف بدن هؤلاء الأفراد الذين أصبح لحمهم جزءاً من بدن أفراد آخرين يوم القيامة والمعاد؟ فانّ عاد هذا اللحم إلى الأول أصبح الثانى ناقصاً، وإن حشر مع الثانى كان الأول ناقصاً.

كما يمكن طرح هذه الشبهة بصورة أوسع. فبدن الإنسان عادة ما يستحيل إلى تراب، والنباتات والحيوانات إنّما تتغذى على هذا التراب، وبالتالى فانّ الإنسان إنّما يتغذى على النباتات والحيوانات فتصبح جزءا من بدنه، وهنا يتكرر السؤال السابق فى أنّ هذه ستلحق أى بدن؟ ولعل ما أورده الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة:

«... من ضرائح القبور وأوكار الطيور وأوجرة السباع ومطراح الهالك»

يثير مثل هذه الاسئلة أيضاً.

والإجابة على هذا السؤال تبدو طويلة نكتفى بخلاصتها. فالآيات والروايات تفيد عودة آخر بدن للإنسان الذى تحول إلى تراب يوم القيامة، وبناءاً على هذا فانّ هذا البدن الذى أصبح جزءاً من آخر سينفصل عنه ويعود إلى البدن الأول، ومشكلة نقصان البدن الثانى يمكن حلها بكل سهولة، وذلك لأنّ سائر أجزاء البدن تعيش حالة النمو وتملأ المواضع الخالية؛ الأمر الذى نلمسه باستمرار فى هذا العالم حين يتعرض الجسد لبعض الضربات والصدمات، حيث تأخذ الخلايا بالنمو وتعوض الأجزاء التالفة من البدن، وبالطبع فانّ هذه الحالة إنّما تحصل بصورة أسرع فى ذلك العالم. وأخيراً يشهد عالمنا المعاصر قضية الاستنساخ البشرى، حيث تؤخذ خلية من بدن كائن حى لتنتج شبيهاً لذلك الكائن، ويبدو حل هذه المسألة سهلًا جداً، وعليه فليس لشبهة الآكل والمأكول أن تعيق المعاد الجسمانى.[۴۲۱]

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢٢٢

٣- بعث من فى القبور

هنالك سؤال يطرح نفسه وهو: إذا تغيرت الأرض والسماء عما هى عليه على أعتاب القيامة بحيث يتغير كل شئ، فكيف ستبقى القبور على حالها ويبعث من فيها للحساب؟

ويقال فى الإجابة على هذا السؤال: أنّ الأرض وعلى ضوء الآيات القرآنية أنّها ستشهد زلزلة عظيمة: «إِنَّ زَلْزَلَةَ السّاعَةِ شَىءٌ عَظِيمٌ»[۴۲۲]، وعليه فليس هنالك ما يمنع أن تبقى هذه القبور تحت انقاض تلك الزلزلة العظيمة.

كما أنّ السباع والوحوش التى ابتلعت أبدان بعض الناس وقد استحالت تراباً بعد موتها، هى الاخرى تبقى تحت الانقاض بعد الزلزلة العظيمة فيخرج الناس منها إلى الحشر يوم القيامة. وخلاصة القول هى أنّ العالم يتهدم لاينعدم ويزول، وبالطبع فانّ تراب الناس وعظامهم يبقى محفوظاً.

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢٢٣

القسم الخامس: الإنسان، من أين وإلى أين؟

اشارة

«عِبادٌ مَخْلُوقُونَ اقْتِداراً، ومَرْبُوبُونَ اقْتِساراً، ومَقْبُوضُونَ احْتِضاراً، وَمُضَمَّنُونَ أَجْداثاً، وكائِنُونَ رُفاتاً، ومَبْعُوثُونَ أَفْراداً، ومَدِينُونَ جَزاءً، ومُمَيَّزُونَ حِساباً، قَدْ أُمْهِلُوا فِى طَلَبِ الْمَخْرَجِ، وهُدُوا سَبِيلَ الْمَنْهَجِ، وَعُمِّرُوا مَهَلَ الْمُسْتَعْتِبِ، وكُشِفَتْ عَنْهُمْ سُدَفُ الرِّيَبِ، وخُلُّوا لِمِضْمارِ الْجِيادِ ورَوِيَّةِ الإِرْتِيادِ، وأَناةِ الْمُقْتَبِسِ الْمُرْتادِ فِى مُدَّةِ الْأَجَلِ، ومُضْطَرَبِ الْمَهَلِ».

الشرح والتفسير

يعود الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة من الآخرة إلى الدنيا ليشرح أوضاع وأحوال الناس فيها، ليعلموا لم خلقوا واين يتجهوا، وما هى الوسائل والإمكانات التى زودوا بها لينجوا يوم المعاد وكيف ينبغى لهم أن يستفيدوا من هذه الإمكانات. ويشتمل كلامه عليه السلام على ثلاث عشرة عبارة، خمس منها فى خلق الإنسان وموته وتبدل جسده إلى تراب، وثلاث فى كيفية بعث الخلائق، وخمس أخر فى إتمام الحجة الإلهية والفرص التى زود بها الإنسان فى هذا العالم. فقال عليه السلام:

«عباد مخلوقون اقتدارا، ومربوبون اقتساراً،[۴۲۳] ومقبوضون احتضاراً، ومضمنون أجداثاً،[۴۲۴] وكائنون رفاتاً»[۴۲۵]

. لاشک أن الإنسان مختار حر فی أفعاله، ولکن لیس له

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۲۲۴

مثل هـذا الاختیار فی الخلق والموت. فلا أحـد یعین تأریـخ ولادته، ولا أحـد یختار زمان موته الطبیعی برغبته، فالحیاة والموت خارجة عن دائرة إرادتنا إلی جانب تعفن البـدن وصـیرورته تراباً، وهـذا ما حـدا بالبعض لتفسـیر عبارة الأمر بین الأمرین بهذا المعنی. علی کل حال فانّ مسـیرة الحیاة والموت جاریة علینا علی حنوء الإرادة الإلهیة والقوانین المرسومة شـئنا أم أبینا؛ الواقع الذی تقود الغفلة عنه إلی جهل الإنسان بنفسه وبخالقه، بینما یمده الالتفات إلیه بعناصـر العلم والمعرفة والتأهب. ثم تطرق الإمام علیه السلام فی العبارات الثلاث اللاحقة إلی عملیة بعث الناس الخلارجة هی الاخری عن الإرادة البشریة فقال

«ومبعوثون أفراداً، ومدینون جزاءً، وممیزون حساباً»

لاشک أنّ کل فرد سـیخرج من قبره وحیـداً، ولایتنافی هـذا والتقسـیم اللاحق للناس إلی طوائف تبعاً لعقائـدهم وأعمالهم، کما عبرت عن ذلک الخطبة فی البحث الماضی بالرعیل، ونعتها القرآن بالافواج.[۴۲۶] ولعل العبارة

«ممیزون حساباً»

إشارة لما ورد فی الآیـة الکریمة: «وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْری [۴۲۷]. نعم لیس هنالـک من یحمل وزر غیره ویعاقب علیه، ولکل حسابه علی ضوء أفعاله، وان کان الرضی بأعمال الآخرین والتقصیر فی وظیفة الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر یؤدی إلی نوع من الحساب المشترک. أمّا العبـارات الخمس الأـخیرة فقـد أشـار فیهـا الإمام علیه السـلام- کما ذکرنا ذلک آنفا- إلی الفرص واتمام الحجـة التی تتضمن أبعادا مختلفة، فقال علیه السلام:

«قد أمهلوا فی طلب المخرج، وهُدوا سبیل المنهج، وعمروا مهل المستعتب،[۴۲۸] وکشفت عنهم سدف ۴۲۹] الریب، وخلوا لمضمار الجیاد،[۴۳۰] ورویة الارتیاد،[۴۳۱] وأناة[۴۳۲] المقتبس المرتاد، فی مدّة الأجل، ومضطرب المهل»

تضمنت هذه العبارات الأبعاد المختلفة لاتمام الحجة الإلهیة وانّ الناس یمتلکون المهلة الکافیة للفوز بالرضوان الإلهی أولًا،

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۲۲۵

وثانیاً: تمهـدت أمامهم السـبل المؤدیـة للنجاة بواسـطة الکتب السـماویة وإرشادات الأنبیاء والأولیاء وهدایـة العقل، ثالثاً: وجود القدرة والمهلة للتوبة من الذنوب وتدارک ما مضی ونیل رضی اللّه، رابعاً: ان حجب الظلام التی تغطی قلب الإنسان بفعل الوساوس الشیطانیة والشـکوک والشـبهات، إنّما تنجلی بنـور اللّه وهـدایته سبحانه، خامسـاً: أن أبـواب التوفیق الإلـهی لریاضـة النفس والاسـتعانة بـالفکر والاسـتضاءة بنور المعرفـة الربانیـة إنّمـا فتحت بوجه النـاس لمـا یکفیهم من المـدة. ونخلص من کل هـذا إلی أنّ الإنسان الـذی یضـل الهـدف ویوغل فی الـذنب ویقع فی مخالب الشـیطان ووساوسه لاینبغی أن یلوم إلّانفسه التی حالت دونه ودون هذه السـعادة والفلاح. وعلیه فلم یعـد هنالک ما یـدعو إلی التعجب والدهشـة حین ینادون یوم القیامـة: «أَوَ لَمْ نُعَمِّرْکُمْ ما یَتَذَکَّرُ فِیهِ مَنْ تَذَکَّرَ وَجاءَکُمُ النَّذِیرُ فَذُوقُوا فَما لِلظّالِمِینَ مِنْ نَصِیرٍ».[۴۳۳]

تأمّل: الدنیا دار إمتحان

کثیرا ما کانت تنظم قـدیماً- وهکـذا فی الوقت الحاضـر- مسابقات للخیل، وکانت تخضع الخیل لتـدریبات شاقـة بغیة التأهب لخوض المباراة، وعادة ما تصـطلح العرب بالمضامر علی میدان التدریب الذی ینحف فیه الفرس ویجهز للسـباق، أمّا الجیاد فیراد بها العزیز من الخیل.

وقـد وردت بعض المتون الإسـلامیة التی شـبهت الـدنیا بـذلک المیـدان الـذی یعد من یرده لخوض السـباق، حیث السـباق الأکبر یوم القیامـة، ذلک هو المیـدان الحق. وقـد أشـارت الخطبـة بصورة مقتضبـة إلی هـذه المسألـة، وقد مر علیّ علینا شـرحها فی الخطبة الثامنة

والعشرين، فهو تشبيه رائع يمكنه أن يكشف عن قيمة الدنيا بالنسبة للاخرة.

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢٢٧

القسم السادس: مواعظ شافية

اشارة

«فَيـا لَها أَمْثالًا صائِبَـةً، ومَواعِظَ شافِيَـةً، لَوْ صادَفَتْ قُلُوباً زاكِيَـةً، وأَسْـماعاً واعِيَـةً، وآراءً عازِمَـةً، وأَلْباباً حازِمَـةً، فاتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةَ مَنْ سَـمِعَ فَخَشَعَ، واقْتَرَفَ فاعْتَرَفَ، ووَجِلَ فَعَمِلَ، وحاذَرَ فَبادَرَ، وأَيْقَنَ فَأَحْسَنَ، وعُبِّرَ فاعْتَبَرَ، وحُـذِّرَ فَحَـذِرَ، وزُجِرَ فازْدَجَرَ، وأَجابَ فَأَنابَ، رَاجَعَ فَتَابَ، واقْتَدَى فاحْتَذَى، وأُرِىَ فَرَأَى، فَأَسْرَعَ طَالِباً، ونَجَا هارِباً، فَأَفَادَ ذَخِيرَةً، وأَطَابَ سَرِيرَةً، وعَمَّرَ مَعَاداً، واسْتَظْهَرَ زَاداً، لِيَوْمِ رَحِيلِهِ، ووَجْهِ سَبِيلِهِ، وحالِ حاجَتِهِ، ومَوْطِنِ فاقَتِهِ، وقَدَّمَ أَمامَهُ لِدارِ مُقامِهِ. فاتَّقُوا اللَّهَ عِبادَ اللَّهِ جِهَةَ ما خَلَقَكُمْ لَهُ، واحْذَرُوا مِنْهُ كُنْهَ ما حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ، اسْتَحِقُّوا مِنْهُ ما أَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّنَجُّزِ لِصِدْقِ مِيعادِهِ، والْحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعادِهِ».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السـلام- فى هذا المقطع من الخطبة الذى يمثل امتدادا للبحث السابق- إلى المواعظ القيمة المؤثرة والأمثال الواضحة والنصائح والإرشادات التى تنتهى بالناس إلى شاطئ الأمان، فقال عليه السلام:

«فيالها أمثالًا صائبة، ومواعظ شافية، لو صادفت قلوباً زاكية، واسماعاً واعية، وآراء عازمة، وألبابا حازمة»[٤٣٤]

قد تكون هذه العبارة إشارة إلى المواعظ والإرشادات التى وردت فى المقاطع السابقة من الخطبة، أو المواعظ التى بلغتنا عن طريق

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢٢٨

الوحى وأولياء اللَّه، وقرينة ذلك عبارات القسم السابق بشأن الهداية الإلهية بطرق النجاة وإزالة حجب الشبهات والشكوك والمهلة الكافية للاستعداد والتزود واتمام الحجة على المقصرين. على كل حال فانّ الهدف هو بيان هذه المسألة وهى كفاية المواعظ والنصائح والمعالم على الطريق لو كانت هنالك آذانا صاغية وعقولًا متفتحة وقلوباً واعية، وبعبارة اخرى ليس هنالك من نقص فى فاعلية الفاعل، وإن كان هنالك من نقص ففى قابلية القابل.

والتعبير عن الأمثال بالصائبة يفيد مطابقتها للواقع. وأمّا التعبير بالأسماع الواعية فيشير إلى أنه بعد سماع كلام لابدّ من حفظه والتأمل فيه؛ لاسماعه من أذن وإخراجه من اخرى، كأنّه لم يسمع شيئاً. وأمّا الفارق بين

«الآراء العازمة» و «الألباب الحازمة»

فهو أنّ العبارة الاولى إلى القرارات القاطعة، وذلك لأن الإنسان لايتعظ بنصائح أولياءاللَّه وينتفع بالإرشادات مالم يمتلك العزم القاطع؛ رغم أنه قد يقبلها ولصدق بها إلا أنه لايمتلك القدرة على إتخاذ القرار لضعف إرادته، والألباب الحازمة إشارة إلى الأفكار العميقة التى تشخص عواقب الأعمال، وتتامل جوانب كل مسألة ببعد نظر وسعة أفق. نعم إنّما ينتفع غاية الانتفاع من هذه المواعظ والامثال من كان له فكر عميق وإرادة قوية واذن سامعة وقلب واع. ثم أوصى عليه السلام بالتقوى وبين مظاهرها بعبارات قصيرة بعيدة المعنى بما يقارب عشرين جملة. والحق أنّ ضالة أرباب السير والسلوك إلى اللَّه إنّما اختصرت فى هذه العبارات، حيث قال عليه السلام:

«فاتقوا اللّه تقية من سمع فخشع»

فاذا أذنب إعترف بذنبه وتاب إلى ربّه (

واقترف ٤٣٥] فاعترف، ووجل فعمل، وحاذر فبادر، وأيقن فأحسن، وعبر فاعتبر، وحذر فحذر، وزجر فازدجر، وأجاب فأناب، وراجع

فتاب، واقتدى فاحتذى،[۴۳۶] وأرى فرأى

» فقد بينت مظاهر التقوى فى هذه العبارات بأكمل وجه. وبالطبع فان التقوى ليس إدعاءاً، ولاتقتصر على إجتناب الخطايا والارجاس، فالتقوى تبدا من سماع كلمات دعاة لاحق وخضوع القلب لها، إلى جانب التوبة والإنابة إلى اللّه والاعتراف بالذنوب وخشية اللّه والقيام بالأعمال التى تقرب إليه، وحث الخطى نحو

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۲۹

درجة اليقين والاعتبار بحوادث الماضى والحذر من المعاصى، واستماع أحسن القول والانتهاء، عن المنكر وإجابة دعوة الحق، والاقتداء بأولياء اللّه والانفتاح على الحقائق ثم قال عليه السلام:

«فاسرع طالباً ونجا هارباً»

وبالنتيجة

«فافاد ذخيرة، وأطاب سريرة، وعمر معاداً، واستظهر[۴۳۷] زاداً، ليوم رحيله، ووجه سبيله، وحال حاجته، وموطن فاقته، وقدح أمامه لدار مقامه»

والواقع أنّ هذه مظاهر اخرى للتقوى والتى من شأنها جعل الإنسان يسارع إلى الحق وتقتل فى نفسه الجنوح إلى الذنب والاثم وتمده بمقدمات الاستعداد للمعاد. ثم واصل الإمام عليه السلام خطبته بالدعوة ثانية إلى التقوى وخلص إلى نتيجة هى:

«فاتقوا اللّه عباداللّه جهة ما خلقكم له».[۴۳۸]

حقاً أنّ لخلق الإنسان هدف «أَيَحْسَبُ الإِنْسانُ أَنْ يُتْرَكَ سَدىً»[۴۳۹] ولا يمكن بلوغ هذا الهدف دون التقوى، والهدف هو العبودية للّه سبحانه ونيل القرب الإلهى وبلوغ السمو والكمال، ولا يتيسر هذا إلّامن خلال المعرفة والتقوى. ثم قال عليه السلام:

«واحذروا منه كنه ۴۴۰] ما حذركم من نفسه»

هنالك روعة فى قوله عليه السلام كنه التى تفيد عدم الاقتناع بالظواهر فقط حيال الانذارات الإلهية ولابدّ من تأمل هذه الانذارات والعمل على الفوز بالرضوان الإلهى. ثم أشار عليه السلام إلى معطيات التقوى فقال:

«واستحقوا منه ما أعد لكم بالتنجز[۴۴۱] لصدق ميعاده، والحذر من حول معاده»

فعبارات الإمام عليه السلام اشارات إلى بعض الآيات، كالآية التاسعة من سورة المائدة: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ» وما ورد فى الآية الخامسة عشرة من سورة آل‌عمران: «لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ» والآية ۶۸ من سورة التوبة: «وَعَدَ اللَّهُ المُنافِقِينَ وَالمُنافِقاتِ وَالكُفّارَ نارَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها».

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۳۰

شعب التقوى

التقوى شرف العبد ووسيلته العظمى للقرب من اللّه وهى معيار كرامته، كما أنّها زاد السالكين إلى اللّه ومتاعهم إلى الحبيب، وتشتمل التقوى على أغصان وثمار أشارت لها الخطبة التى تعرضنا لشرحها. وبالطبع فانّ مادة التقوى تكمن فى الاذان الصاغية والقلوب الواعية والإرادات القوية والأفكار النيرة التى تعد الإنسان لسلوك سبيل الورع والتقوى؛ الأمر الذى أشير له فى بداية الخطبة. أمّا غصون وثمار شجرة التقوى المباركة فتتمثل بالخشوع للّه سبحانه والاعتراف بالذنب والتوبة منه والاعتبار والاحسان والاقتداء بأولياء اللّه. فاذا نثرت بذور التقوى فى القلب الواع وسقيت بماء المراقبة والمحاسبة، حملت هذه البذور ثمار الخوف والخشية والخشوع والتوبة والانابة إلى الحق سبحانه.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۳۱

القسم السابع: الجميع يدين له بالفضل

«جَعَلَ لَكُمْ أَسْماعاً لِتَعِىَ ما عَناها، وأَبْصاراً لِتَجْلُوَ عَنْ عَشاها، أَشْلاءً جامِعَةً لِأَعْضائِها، مُلائِمَةً لِأَحْنائِها، فِى تَرْكِيبِ صُوَرِها، ومُدَدِ عُمُرِها، بِأَبْدانٍ قائِمَةٍ بِأَرْفاقِها، وقُلُوبٍ رائِدَةٍ لِأَرْزاقِها، فِى مُجَلِّلاتِ نِعَمِهِ، مُوجِباتِ مِنَنِه، وحَواجِزِ عافِيَتِهِ. وقَدَّرَ لَكُمْ أَعْماراً سَتَرَها عَنْكُمْ، وخَلَّفَ لَكُمْ عِبَراً مِنْ آثارِ الْماضِينَ قَبْلَكُمْ، مِنْ مُسْتَمْتَعِ خَلاقِهِمْ، ومُسْتَفْسَحِ خَناقِهِمْ، أَرْهَقَتْهُمُ الْمَنايا دُونَ الْآمالِ، وشَذَّبَهُمْ عَنْها تَخَرُّمُ الْآجالِ. لَمْ يَمْهَدُوا فِى سَلامَةِ الْأَبْدانِ، ولَمْ يَعْتَبِرُوا فِى أُنُفِ الْأَوانِ».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام فى هذا الموضع من الخطبة إلى جانب من النعم الإلهية التى تثير لدى الإنسان الشعور بالامتنان والشكر، كما تشكل دافعا لمعرفة اللَّه والانفتاح على الورع والتقوى، فقد قال عليه السلام:

«جعل لكم أسماعها لتعنى ماعناها،[٤٤٢] وأبصارا لتجلوا[٤٤٣] عن عشاها،[٤٤٤] وأشلاء[٤٤٥] جامعة لاعضائها، ملائمة لاحنائها،[٤٤٦] فى تريكب صورها، ومدد

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢٣٢

عمرها»

. فالواقع هو أنّ الإمام عليه السلام أشار فى هذا المقطع من الخطبة إلى النعم لأعضاء البدن الواحد تلوا الآخر، مركزاً على السمع والبصر بفضلها أهموسيلة لإرتباط الإنسان بالعالم الخارجى إلى جانب حصول الانسان على الجانب الأعظم من العلوم والمعارف عن طريقهما، هذا من جهة، ومن جهة اخرى أشار عليه السلام إلى الانسجام القائم بين أعضاء البدن بعضها بالبعض الآخر، ومن ذلك تطرق إلى عضلات البدن التى تعمل متناغمة مع كافة الأعضاء وقد تكيفت مع هيئات العظام. فمسألة تناسق وانسجام أعضاء البدن تعد من أروع ظواهر الخلقة ومن أهم النعم الإلهية، وفى نفس الوقت فان الاستقلال يسود هذه الاعضاء والجوارح، إلّاأنّها تتحد وتتعاضد بما يدعو للدهشة والذهول إذا ما طرأ على الإنسان طارئ. على سبيل المثال لو حدث ما يضطر الإنسان للابتعاد والفرار عن مركز الحادثة بسرعة، فانّ كافة أعضاء البدن تعبئ نفسها فى لحظة واحدة، فدقات القلب تأخذ بالارتفاع، والنفس يصعد وينزل بسرعة ليضخ الدم والاوكسجين الكافى لعضلات الجسم، كما تتصاعد حدة اليقظة والوعى، ويحتد السمع والبصر، حتى تذوب موانع الجوع والعطش وتنسى بالمرة ليتمكن الإنسان من الهروب سريعاً من مركز الحادث، وبالطبع فانّ هذا التنسيق لم يحصل استجابة لرغبة الإنسان واختياره، بل بواسطة الأوامر والايعازات التى يصدرها الدماغ تلقائياً إلى جميع أعضاء البدن. فهذا التنسيق العظيم كاشف عن قدرة اللَّه سبحانه وعظمته، كما يفيد سعة نعمه على العباد؛ الأمر الذى أشار له الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة. ولا يقتصر هذا التنسيق على ظاهر الاعضاء فحسب، بل يخترق باطنها وكنهها، حتى يؤثر فى أعمارها، وهذا ما أشار إليه الإمام بالخصوص.

ثم واصل عليه السلام كلامه قائلًا:

«بأبدان قائمة بأرفاقها[٤٤٧] وقلوب رائدة[٤٤٨] لأرزاقها، فى

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢٣٣

مجللات ٤٤٩] نعمه، وموجبات منته، وحواجز[٤٥٠] عافيته»

. العبارات استمرار لما ورد قبلها من تنسيق بين أعضاء البدن. فمراد الإمام عليه السلام أنّ هذا التنسيق والانسجام لايقتصر على الأعضاء، بل الروح والفكر أيضاً ينسقان مع هذه الأعضاء بهدف نيل بعض المنافع ودفع بعض الاضرار. ويعتبر هذا التعاضد الروحى والجسمى الذى يحكم جميع كيان الإنسان من بدائع العجائب الذى تتكشف بعض تفاصيل دقته وروعته على مرور الزمان وفقا لتطور العلم وإزدهاره، حيث تشكل هذه البدائع أعظم نعم اللَّه وأهم آيات عظمته سبحانه.

العبارة

«مجللات نعمه»

تجلل الناس وتعمهم وهى من باب إضافة الصفة إلى الموصوف بمعنى

«نعمه المجللة»

التى تشمل الناس بأجمعهم مؤمنهم وكافرهم.

«وحواجز عافيته»

بمعنى موانع السلامة والجملة تشتمل على تقدير حيث يكون المراد أنّ اللَّه علم الإنسان طرق دفع الاضرار ومنافع العافية

«ما يمنع حواجز عافيته».

ثم أشار عليه السلام إلى نوعين من النعم الإلهية الكبرى على الإنسان إلى جانب النعم المذكورة فقال:

«و قدّر لكم أعماراً سترها عنكم وخلّف لكم عبراً من آثار الماضين قبلكم من مستمتع خلاقهم [۴۵۱] ومستفسح خناقهم [۴۵۲] أرهقتهم [۴۵۳] المنايا دون الْآمال شذبهم [۴۵۴] عنها تخرّم [۴۵۵] الْآجال لم يمهدوا فى سلامة الْأبدان ولم يعتبروا فى أنف [۴۵۶] الْأوان»

أمّا النعمة الاولى فهى نعمة العمر التى تعتبر

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۳۴

مصدر سعادة الإنسان وتوفيقه وفلاحه، حيث أنّ ليلة من ليال العمر التى بات فيها أميرالمؤمنين عليه السلام- والتى تعرف بليلة المبيت- على فراش رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله ليفديه بنفسه وينجو من مؤامرة الكفار فأصابه عليه السلام ما أصابه من الفضل ببركة تلك الليلة. وأما ضربته لعمر بن عبدود العامرى فى الخندق والتى كانت أفضل من عبادة الثقلين، فلم تكن سوى سويعة من عمر الإمام عليه السلام. وأما شهداء الغاضرية الذين صنعوا أكبر ملحمة عرفها التأريخ البشرى ليصبحوا كعبة للثوار وطلاب الحق فلم تكن سوى نهاراً من عمرهم المبارك. نعم فنعمة العمر من أعظم نعم اللَّه على الإنسان. وقد إقتضى لطف اللَّه وحكمته أن يخفى مدة هذا العمر عن الإنسان، لما ينطوى العلم به من مفاسد فقد قال الإمام الصادق عليه السلام:

«فالإنسان لو عرف مقدار عمره وكان قصير العمر لم يتهنأ بالعيش مع ترقب الموت وتوقعه لوقت قد عرفه، بل كان يكون بمنزلة من قد فنى ماله أو قارب الفناء، فقد استشعر الفقر والوجل من فناء ماله وخوف الفقر، على أنّ الذى يدخل على الإنسان من فناء العمر أعظم مما يدخل عليه من فناء المال لأن من يقل ماله يأمل أن يستخلف منه فيسكن إلى ذلك، ومن أيقن بفناء العمر استحكم عليه اليأس، وإن كان طويل العمر ثم عرف ذلك وثق بالبقاء وانهمك فى اللذات والمعاصى وعمل على أنّه يبلغ من ذلك شهوته ثم يتوب فى آخر عمره، وهذا مذهب لايرضاه اللّه من عباده ولايقبله ومن هنا حجب الإنسان عن معرفة العمر ليعيش دائما بين الخوف والرجاء.[۴۵۷]

ونخلص من هذا إلى أنّ ساعات العمر وأيامه نعمة، وهكذا حجب مقداره عن الإنسان نعمة اخرى.

وأمّا النعمة الثانية: وتتمثل بالاعتبار بالامم الماضية وما عليه الكبار، وما بقى من القصور والقبور والآثار، فهى نعمة إلهية كبرى وذلك لأنّ النظر بعين العبرة لهذه الآثار يزود الإنسان بالتجربة وكأنه عمرعمرا مديداً ليكون مع تلك الأمم والأقوام وقد تجرع حلاوة الحياة ومرارتها. فتأريخ الامم الماضية مادة للدروس والعبر، وللإنسان أن يحدد مصيره على ضوء

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۳۵

هذا التأريخ من خلال الانفتاح على مقومات النجاح وأسباب الفشل وكيفية التعامل معهما، والحق أنّ هذه نعمة عظيمة منّ اللَّه بها على الإنسان. القرآن الكريم صرح بهذا الخصوص قائلًا «لَقَدْ كانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِى الأَلبابِ»[۴۵۸] وللاسف فما أكثر الذين خططوا

لحياتهم وسبحوا فى بحر لجى من الامال والامانى حتى أتاهم الموت بغتة فقضى على تلك الامال والحال أنّهم وقفوا على أخبار الماضين وأثارهم، إلّاأنّ أهوائهم وطغيانهم كان حجاباً على أبصارهم وبصائرهم فحال دون رؤيتهم للحقائق، فقدموا على ربهم وقد اعتبربهم ممن يعدهم دون أن يعتبروا بمن كان قبلهم.

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢٣٧

القسم الثامن: الحذر، فالنعم إلى زوال

«فَهَلْ يَنْتَظِرُ أَهْلُ بَضاضَةِ الشَّبابِ إِلَّا حَوانِىَ الْهَرَمِ؟ وأَهْلُ غَضارَةِ الصِّحَّةِ إِلَّا نَوازِلَ السَّقَمِ؟ وأَهْلُ مُدَّةِ الْبَقاءِ إِلَّا آوِنَةَ الْفَناءِ؟ مَعَ قُرْبِ الزِّيالِ، وأُزُوفِ الِانْتِقالِ وعَلَزِ الْقَلَقِ، وأَلَمِ الْمَضَضِ، وغُصَصِ الْجَرَضِ، تَلَفُّتِ الِاسْتِغاثَةِ بِنُصْرَةِ الْحَفَدَةِ والْأَقْرِباءِ، والْأَعِزَّةِ والْقُرَناءِ».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام- فى هذا المقطع من الخطبة- إلى نقطة مهمّة اخرى ذات صلة بالحياة الدنيا وما فيها من نعم، وأنّ هذه النعم آيلة إلى الزوال، ومن هنا فلاينبغى الوثوق بها، كما لايجوز الخلود إليها والتعلق بها، فقال عليه السلام:

«فهل ينتظر أهل بضاضة[٤٥٩] الشباب إلأحوانى ٤٦٠] الهرم؟[٤٦١] وأهل غضارة[٤٦٢] الصحة إلأنوازل السقم؟ واهل مدة البقاء إلّاآونة[٤٦٣] الفناء»

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه قائلًا:

«مع قرب الزيال ٤٦٤] وأزوف ٤٦٥] الانتقال، وعلز[٤٦٦] القلق، وألم المضض،[٤٦٧]

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢٣٨

وغصص الجرض،[٤٦٨] وتلفت ٤٦٩] الاستغاثة بنصرة الحفدة[٤٧٠] والاقرباء، والأعزة والقرناء»

فمن خصائص هذا العالم تقلب نعمه ولذاته؛ الأمر الذى يدعو الإنسان إلى عدم الاغترار والخلود إلى الدنيا ويضحى بآخرته من أجلها. فالشباب يسرعون نحو الهرم وغضاضة الشباب آيلة إلى ذبول الكهولة وربيع العمر سينتهى إلى خريف التساقط، وسلامة البدن عرضة للزوال وهجوم الأمراض حتى تلوح علامات الوصول والاقتراب من الآخرة وتبدو واضحة للعيان. ورغم كل هذه الخصائص والعلامات، الا أنّ الذين تعلقوا بالدنيا وإغتروا بها ليسوا بالقليل فلم ينشغلوا فيها سوى ببعض النعم والمتع؛ الأمر الذى يجدر بالتأمل والتوقف عنده! حيث يرى الإنسان كل ملامح فناء الدنيا بأم عينيه ويصر على البقاء. ورد فى تأريخ بغداد أنّ السفاح نظر إلى المرآة فقال: اللّهم لا- أقول ما قال سليمان بن عبدالملك أنى خليفة شاب، لكنى أقول: ارزقنى عمراً طويلًا بعافية فى طاعتك ولم يكديتم حديثه حتى سمع أحد غلمانه يقول لآخر فى عقد بينهما أنّ مدته إلى شهرين وخمسة أيام فتطير السفاح من كلامه وكأنه أخبر عما تبقى من عمره، وكان الأمر كذلك ٤٧١]. القرآن من جانبه أكد هذا الأمر وكشف النقاب عنه (وان لم يكن هناك من نقاب فى الواقع) فقد أشار كراراً بأمثاله الحية إلى تقلب أحوال الدنيا، ومن ذلك قوله: «إِنَّما مَثَلُ الحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الأَرضِ مِمّا يَأْكُلُ النّاسُ وَالأَنعامُ حَتّى إذا أَخَذَتِ الأَرضُ زُخْرُفَها وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُها أَنَّهُمْ قادِرُونَ عَلَيْها أَتاها أَمْرُنا لَيْلًا أَوْ نَهاراً فَجَعَلْناها حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمسِ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ».[٤٧٢]

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢٣٩

القسم التاسع: عاقبة الغضاضة الذبول

«فَهَلْ دَفَعَتِ الْأَقارِبُ، أَوْ نَفَعَتِ النَّواحِبُ، وقَدْ غُودِرَ فِى مَحَلَّةِ الْأَمْواتِ رَهِيناً، وفِى ضِيقِ الْمَضْجَعِ وَحِيداً، قَدْ هَتَكَتِ الْهَوامُّ جِلْدَتَهُ، وأَبْلَتِ النَّواهِكُ جِدَّتَهُ، وعَفَتِ الْعَواصِفُ آثارَهُ، ومَحا الْحِدَثانُ مَعالِمَهُ، وصارَتِ الْأَجْسادُ شَحِبَةً بَعْدَ بَضَّتِها والْعِظامُ نَخِرَةً بَعْدَ قُوَّتِها،

والْأَرْواحُ مُرْتَهَنَةً بِثِقَلِ أَعْبائِها، مُوقِنَةً بِغَيْبِ أَنْبائِها، لا تُسْتَزادُ مِنْ صالِحِ عَمَلِها، ولا تُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّئِ زَلَلِها، أَ ولَسْتُمْ أَبْناءَ الْقَوْمِ والْآباءَ، وإِخْوانَهُمْ الْأَقْرباءَ؟ تَحْتَذُونَ أَمْثِلَتَهُمْ، وتَرْكَبُونَ قِدَّتَهُمْ، وتَطَئُونَ جادَّتَهُمْ؟ فالْقُلُوبُ قاسِيَةٌ عَنْ حَظِّها، لاهِيَةٌ عَنْ رُشْدِها، سالِكَةٌ فِي غَيْرِ مِضْمارِها! كَأَنَّ الْمَعْنِيَّ سِوَاهَا، كَأَنَّ الرُّشْدَ فِي إِحْرازِ دُنْياها».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام هذا الربانى الرائد للأخلاق فى عالم البشرية وملهمها فى هذا المقطع من الخطبة إلى ذلك اليوم الذى يغمض فيه الإنسان عينيه ويودع هذه الدنيا، فليس هنالك من يدفع عنه هذا الموت، ولا تحل مشكلته ببكاء أقربائه وعويلهم، فيستفهم الإمام عليه السلام على سبيل الانكار قائلًا:

«فهل دفعت الأرقاب، أو نفعت النواحب،[۴۷۳] وقد غودر[۴۷۴] فى محلة الأموات

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۴۰

رهيناً، وفى ضيق المضجع وحيداً»

وكأنّ جداراً سمكه آلاف الامتار قد ضرب بينه وبين قرابته ولا يمكن تخطى ذلك الجدار، ولايسع البكاء والعويل أن يقدم من شئ سوى التخفيف من ألم الفراق ولوعة الاشتياق، بينما لايعود بأى نفع على الميت. ثم يبين مصير جسم الإنسان وروحه بعد الموت بعشر عبارات قصيرة فقال عليه السلام:

«وقد هتكت الهوام ۴۷۵] جلدته، وابلت النواهک ۴۷۶] جدته،[۴۷۷] وعفت العواصف ۴۷۸] آثاره، ومحا الحدثان ۴۷۹] معالمه، وصارت الاجساد شحبة[۴۸۰] بعد بضتها، والعظام نخرة[۴۸۱] بعد قوتها، والارواح مرتهنة بثقل اعبائها،[۴۸۲] موقنة بغيب أنبائها، لاتستزاد من صالح عملها، ولا تستعتب من سيئ زللها»

حقاً ليس هنالك تعبير أجمع وأكمل وأبلغ من هذا التعبير الذى صور وضع جسم الإنسان وروحه بعد الموت، فسرعان ما يتفسخ هذا الجسم ويكون لقمة سائغة للحشرات، وتذهب زلاقة لسانه وحدة ذكائه أدراج الرياح ولن يتبقى منه سوى حفنة من العظام النخرة، والقبور المهدمة. والأنكى من كل ذلك غلق صحيفة الأعمال، فلا من زيادة للحسنات ولا نقصان للسيئات، آنذاک لم يعد هنالك من مجال لتلك القطرة من الدمع التى يمكنها إطفاء بحار من نيران الذنوب، إن أفرزتها حالة الندم والتوبة والانابة إلى اللّه. كما ذهبت فرصة القول «لا اله الا اللّه» التى ثوابها شجرة فى الجنّة، فلا سبيل إلى العودة، ولا طريق إلى العمل وقد ختمت صحيفة الأعمال. ثم قال عليه السلام:

«أو لستم أبناء القوم والآباء وا خوانهم والأقرباء؟»

فالآباء عادة ما يموتون قبل أولادهم، كما يمكن أن يتوفى الأبناء قبل آبائهم، وربّما يموت بعض الاخوة قبل غيرهم، وعليه فليس

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۴۱

هنالك من زمان معين لدى الإنسان لحلول أجله وإختتام عمره، والكل سواسية أمام الموت وليس هنالك من يرجح عيشه لساعة على آخر أو يضمن أنّه سيعيش لساعة. ثم قال عليه السلام موضحاً المعنى المذكور:

«تحتذون أمثلتهم، وتركبون قدتهم،[۴۸۳] وتطؤون جادتهم»

لعل الإمام عليه السلام أراد توبيخهم بهذه العبارة فى أنّكم رأيتم مصير من سبقكم فلم تعتبروا بهم، فاقتفيتم آثارهم وأتيتم بأعمالهم وقارفتم ما قارفوه من الذنوب والمعاصى، والحال كان ينبغى أن تتعظوا بهم وتعتبروا بمصيرهم وعاقبتهم. ثم يخلص الإمام عليه السلام إلى نتيجة يبيّن من خلالها علة مشاهدة الناس لكل هذه الدروس والعبر دون الاعتبار فقال:

«فالقلوب قاسيةٌ عن حظّها، لاهيةٌ عن رشدها، سالكةٌ فى غيرم ضمارها! كأنّ المعنىّ سواها، وكأنّ الرّشد فى إحراز دنياها».

جاء فى نهج‌البلاغة أنّ الإمام عليه السلام تبع جنازة فسمع رجلًا يضحک فقال:

«كأنّ الموت فيها على غيرها كتب، وكأنّ الحق فيها على غيرنا وجب، وكأنّ الذى نرى من الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون»[۴٨۴]
نعم إذا قسى قلب الإنسان وسيطرت الظلمة والغفلة على روحه أعمته عن كل هذه الحقائق التى من شأنها إيقاظ كافة البشرية؛ فما ظنك بهذه الحقائق التى تطالعنا كل يوم! القرآن أشار إلى هؤلاء الأفراد بقوله:
«ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذ لِكَ فَهِىَ كَالحِجارَةِ أوْ أشَدُّ قَسْوَةً وَإنَّ مِنَ الحِجارَةِ لَما يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهارُ وَإنَّ مِنْها لَما يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ المَاءُ وَإنَّ مِنْها لَما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَما اللّهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ».[۴٨۵]
نعم فالركون إلى الدنيا يقسى القلب، فاذا قسى قلب الإنسان ضل طريق السعادة وسار على غير هدى بينما يمر على الآيات مر الكرام ليرى المعنى بالوعيد غيره، وهو المعنى بالصالحين الفائزين برضوان اللّه.
نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢۴٢

القسم العاشر: مواجهة الأهاويل

اشارة

«وَاعْلَمُوا أَنَّ مَجازَكُمْ عَلَى الصِّراطِ ومَزالِقِ دَحْضِهِ، وأَهاوِيلِ زَلَلِهِ، تاراتِ أَهْوالِهِ، فاتَّقُوا اللَّهَ عِبادَ اللَّهِ تَقِيَّةَ ذى لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ، أَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ، وأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرارَ نَوْمِهِ، وأَظْمَأَ الرَّجاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِهِ، وظَلَفَ الزُّهْدُ شَهَواتِهِ، وأَوْجَفَ الذِّكْرُ بِلِسانِهِ، وقَدَّمَ الْخَوْفَ لِأَمانِهِ، وتَنَكَّبَ الْمَخالِجَ عَنْ وَضَحِ السَّبِيلِ، وسَلَكَ أَقْصَدَ الْمَسالِكِ إِلَى النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ؛ ولَمْ تَفْتِلْهُ فاتِلاتُ الْغُرُورِ، ولَمْ تَعْمَ عَلَيْهِ مُشْتَبِهاتُ الْأُمُورِ، ظافِراً بِفَرْحَةِ الْبُشْرَى، وراحَةِ النُّعْمَى، فِى أَنْعَمِ نَوْمِهِ، وآمَنِ يَوْمِهِ، وَقَدْ عَبَرَ مَعْبَرَ الْعاجِلَةِ حَمِيداً، وقَدَّمَ زادَ الْآجِلَةِ سَعِيداً، وبادَرَ مِنْ وَجَلٍ، أَكْمَشَ فِى مَهَلٍ، ورَغِبَ فِى طَلَبٍ، وذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ، وراقَبَ فِى يَوْمِهِ غَدَهُ، ونَظَرَ قُدُماً أَمامَهُ.
فَكَفَى بِالْجَنَّةِ ثَواباً ونَوالًا، وكَفَى بِالنَّارِ عِقاباً وَبالًا، وكَفَى بِاللَّهِ مُنْتَقِماً ونَصِيراً! وكَفَى بِالْكِتابِ حَجِيجاً وخَصِيماً!».
الشرح والتفسير
يتطرق الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من خطبته الغراء إلى بعض مواقف الآخرة وأهوالها، وقد شحذ الامّة لتتأهب لذلك اليوم وتعد نفسها للعبور من مزالقها الخطيرة. فقال عليه السلام:
«و اعلموا أنّ مجازكم ۴٨۶] على الصّراط، ومزالق ۴٨٧] دحضه،[۴٨٨] أهاويل ۴٨٩] زلله، وتارات ۴٩٠] أهواله».

نفحات الولاية ؛ ج‌٣ ؛ ص٢۴٢

تبر
نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢۴٣
الصراط أحد مزالق القيامة الذى ورد التأكيد عليه والاشارة إليه فى القرآن وآياته، كما صرحت به الروايات الإسلامية على وجه التفصيل والذى يستفاد من الروايات هو أنّ الصراط قنطرة على النار وهى آخر ما يقطعه الإنسان وصولًا إلى الجنّة وأنّ الناس جميعاً كافرهم ومؤمنهم إنّما يردون ذلك الصراط، أمّا المؤمنون الصالحون فيمرون عليه كالبرق ويدخلون الجنّة، بينما يتعذر على الكافر عبوره فيسقطون فى نار جهنم. فاجتياز هذا الصراط إنّما يتوقف على إيمان الإنسان وعمله، حتى أنّ سرعة جوازه تتناسب وتقوى الإنسان وعمله.
وبالطبع فان الصراط يتجسم بأشكال اخرى فى الدنيا، بعبارة اخرى الصراط فى القيامة هو تجسم صراط الدنيا؛ وذلك لأنّه وصف بأنّه:
«أدق من الشعر، وأحد من السيف»[۴٩١]

مما لاشك فيه أنّ الحد الفاصل بين الحق والباطل والإيمان والكفر والاخلاص والرياء هو قصد القربة واتباع الهوى وهو على درجة من الدقة والخطورة بحيث يتعذر جوازه الأعلى المخلصين الصالحين، وهذا ما سنعرض له في البحث القادم. على كل حال فان هذا الصراط الحاد ينطوى على عدة عقبات لايمكن إجتيازها دون التأهب والتزود، ومن هنا واصل الإمام عليه السلام كلامه قائلًا:

«فاتّقوا اللّه عباد اللّه تقيّة ذى لبِّ شغل التّفكّر قلبه، وأنصب ۴۹۲] الخوف بدنه، وأسهر[۴۹۳] التّهجّد غرار[۴۹۴] نومه، وأظمأ الرّجاء هواجر[۴۹۵] يومه، وظلف ۴۹۶] الزّهد شهواته».

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢۴۴

نعم فالتفكر من أول لوازم التقوى التى تسهل جواز الإنسان على الصراط، حيث يحيى هذا التفكر قلب الإنسان ويجعله يستعشر خشية اللّه وبالتالى يقوده إلى التهجد وإحياء اليل وصوم أيام الصيف الحارة والتحلى بالزهد والتواضع. التقوى التى تأخذ بيد الإنسان إلى شاطئ الأمان وتجعله يمر كالبرق على ذلك الصراط.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه بشأن التقوى ومعطياتها فقال:

«وأوجف ۴۹۷] الذّكر بلسانه، وقدّمالخوف لِأمانِهِ، وتنكّب ۴۹۸] المخالِج ۴۹۹] عن وضحِ ۵۰۰] السّبِيلِ، وسلك أقصد المسالِكِ إِلى النّهج المطلوب؛ ولم تفتله ۵۰۱] فاتلات الغرور، ولم تعم عليه مشتبهات الْأمور»

فقد أشار عليه السلام إلى عشرة من أوصاف المتقين- إلى جانب التفكر الدائم- التى تستبطن كل واحدة منها عالم من المعانى والتى تجعل الإنسان إذا تحلى بها قدوة يحتذى بها وتمنحه العزة والرفعة فى الدنيا والآخرة وتحقيق النجاحات الباهرة فى سيره إلى اللّه سبحانه وتعالى وقد إتصفت هذه العبارات بتشبيهات لطيفة وكنايات بليغة بعيدة المعنى بحيث تنفذ إلى أعماق النفس. نعم فالمتقون لايخدعون بالوساس الشيطانية ولايسيرون حيارى على الطريق، بل ويسلكون أقرب السبل إلى اللّه سبحانه، كما أنّ خوف اللّه ولهج ألسنتهم بذكر اللّه يحول دون إنحرافهم عن السبيل القويم. ثم خاض الإمام عليه السلام فى جانب من نتائج هذه الصفات فى الدنيا والآخرة فقال:

«ظافراً بفرحة البشرى، وراحة النّعمى،[۵۰۲] فى أنعم نومه، وآمن يومه، قد عبر معبرالعاجلة حميداً، وقدّم زاد الْآجلة سعيداً»

فالواقع هو أن السبب الذى يقف وراء راحتهم وسكينتهم واستقرار أفكارهم إنّما يكمن فى إجتيازهم لعقبة الدنيا وتزودهم للدار الآخرة. والشئ المهم هو أن يتمالك الإنسان نفسه حيال هذه المظاهر الكاذبة والخادعة والفساد

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢۴۵

والانحراف ويبقى على نهجه فى سلوك الصراط المستقيم. ثم أشار عليه السلام إلى ست صفات أخرى من صفات المتقين فقال:

«و بادر من وجلٍ، وأكمش ۵۰۳] فى مهلٍ، ورغب فى طلبٍ، وذهب عن هربٍ، وراقب فى يومه غده، ونظر قدماً أمامه»

فهو يستثمر كافة فرص العمر من أجل الفوز بسعادة الدار الآخرة، فهو يقبل على ما ينبغى الاقبال عليه، ويبتعد عن كل ما من شأنه إبعاده عن سبيل السعادة والفلاح. أجل هذه هى الصفات التى تنطوى عليها التقوى والتى ينبغى للعباد أن يجعلوها نصب أعينهم ويسعون جاهدين لاكتسابها. ثم يختتم الإمام عليه السلام هذه المقطع من الخطبة بالإشارة إلى النتيجة التى تترتب على التقوى أو عدمها:

«فكفى بالجنّة ثواباً ونوالًا، وكفى بالنّار عقاباً ووبالًا، وكفى باللّه منتقماً ونصيراً! كفى بالكتاب حجيجاً وخصيماً»

حقاً أنّ الإمام عليه السلام لمعجز فى عباراته القصيرة التى تناولت التقوى بالشكل الذى لم يسمع نظيره من أحد، وهى العبارات التى تسوق أضعف الأفراد إلى العمل والسعى والحركة، فما أحراها أن سميت بالخطبة الغراء.

تأمّلان

١- كيف نجتاز الصراط بسهولة؟!

أشارت الخطبة إلى الصراط؛ الجسر الذى يرده كافة الأفراد يوم القيامة، وقد أسهبت الروايات الإسلامية فى الحديث عنه، وان لم ترد كلمة الصراط بهذا المعنى فى القرآن، إلّافى موردين ولعل المراد بهما طريق الحق والباطل فى الدنيا، بينما وردت تعبيرات أخرى فى القرآن الكريم من قبيل المرصاد الذى ذهب جماعة من المفسيرين إلى أنّ المراد به الصراط. على كل حال كما أسلفنا فانّ الذى يستفاد من الروايات هو أن الصراط جسر على جهنم حاد مخيف فمن عبره دخل الجنّة، ومن تعثر هوى فى نار جهنم، بل صرحت بعض الروايات أنّ الصراط وسط النار، إلّاأن المؤمنين يجتازونه كالبرق على غرار مرورهم من وسط نار الدنيا. وقد ورد فى أوصاف الصراط وانه جسر على جهنم ويؤدى إلى الجنّة ولايمكن دخول الجنّة إلّابعد

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢۴۶

عبوره، فهناك طائفة من المؤمنين تمر عليه مسرعة كالبرق واخرى كالفارس واخرى كالراجل واخرى تحبو عليه حبوا وأخيراً هناك من يعجز عن العبور فيهوى فى جهنم.[۵٠۴]

ويمكن فهم مضمون هذا الحديث من خلال الحديث المعروف الذى روى عن رسولاللَّه صلى الله عليه و آله والإمام الصادق عليه السلام هو:

«إن على جهنم جسرا أدق من الشعر، أحد من السيف»[۵٠۵]

وقال الإمام الصادق عليه السلام فى تفسيره للاية الشريفة:

«إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصادِ»[۵٠۶]

، «قنطرة على الصراط لايجوزها عبد بمظلمة»[۵٠٧]

. إلى جانب ذلك هنا لك بعض الأعمال التى صرحت الروايات الإسلامية بأنّها تسرع عملية عبور الصراط، من ذلك ما ورد فى الحديث عن النبى الاكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«أسبغ الوضوء تمرُّ على الصراط مرّ السحاب»[۵٠٨]

. كما ورد فى حديث آخر أنّ موسى عليه السلام سأل البارئ سبحانه فى مناجاته إياه:

«إلهى ما جزاء من تلا حكمتك سراً وجهراً؟ قال: يا موسى يمر على الصراط كالبرق»[۵٠٩]

. والجدير بالذكر هنا ما ورد فى عدة روايات من أنّ أهم شرائط عبور الصراط ولاية على بن أبى طالب. وقد نقل كبار محدثى العامة هذه الرواية عن رسولاللَّه صلى الله عليه و آله فى مصادرهم، ومنهم الحافظ بن سمان الذى نقل فى كتابه الموافقة أنّ رسولاللَّه صلى الله عليه و آله قال:

«لايجوز أحد على الصراط إلا من كتب له على عليه السلام الجواز»[۵١٠]

، وجاء فى رواية

«إذا جمع اللّه الأولين والآخرين يوم القيامة ونصب الصراط على جسر جهنم ما جازها أحد حتى كانت معه براءة بولاية على بن أبىطالب»[۵١١]

وقد ورد هذا المضمون مع إختلاف طفيف فى مناقب الخوارزمى ومناقب ابن المغازلى وفرائد السمطين

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢۴٧

وكتاب الرياض النظرة.[۵١٢] وكما ذكرنا سابقاً فى شرحنا للخطبة فانّ الصراط فى القيامة هو فى الواقع تجسم صراط الدنيا وعقبة

عبورها وما تنطوی علیه من حدة وخطر.

۲- صلاة اللیل شرف المؤمن

أشار الإمام علیه السلام فی هذه الخطبة إلی مسألة إحیاء اللیل بالتهجد والعبادة علی أنّها من ممیزات المتقین السائرین إلی الحق. والتهجد من مادة هجود، قال الراغب فی المفردات تعنی فی الأصل النوم، إلّاأنّه تنتقل من معنی النوم إلی الیقظة حین تستعمل فی باب التفعیل، ولما کان إحیاء اللیل فی عرف المتقین یتمثل بالدعاء والمناجاة والعبادة، فقد استعملت کلمة التهجد بمعنی الصلاة فی جوف اللیل، وبالذات نافلة اللیل. علی کل حال فانّ لصلاة اللیل آدابها الخاصة، وهی الاکسیر الأعظم والکیمیاء الکبری التی تحیل تراب الإنسان ذهباً. وقد خاطب الحق سبحانه رسول الکریم صلی الله علیه و آله فی قرآنه الکریم قائلًا: «وَمِنَ اللَّیْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَکَ عَسی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقاماً مَحْمُوداً».[۵۱۳] الذی یفید أنّ المقام المحمود الذی بلغه رسولاللَّه صلی الله علیه و آله إنّما بلغه بعبادة اللیل والتهجد فیه. ویکفی فی فضلها وتظافر الروایات فیها، ما ورد عن رسولاللَّه صلی الله علیه و آله أنّه قال لعلی علیه السلام:

«علیک بصلاة اللیل یکررها أربعة»[۵۱۴]

، کما ورد فی الحدیث أنه أوصی علیا علیه السلام قائلًا:

«یا علی ثلاث فرحات للمؤمن: لقی الاخوان، والافطار من الصیام، والتهجد من آخر اللیل»[۵۱۵]

. فالحدیث یفید أنّ صلاة اللیل لمن دواعی سرور المؤمن وسعادته. وجاء فی الحدیث أیضاً أنّ رسولاللَّه صلی الله علیه و آله قال:

«ما اتخذ اللَّه إبراهیم خلیلًا إلّا لاطعامه الطعام وصلاته باللیل والناس نیام»[۵۱۶]

. وأوصی الصادق علیه السلام أحد أصحابه قائلًا:

«لاتدع قیام اللیل فان المغبون من غبن قیام اللیل»[۵۱۷]

. الجدیر بالذکر أنّ الآیة السادسة من سورة المزمل عبرت عن صلاة اللیل بناشئة اللیل وهی عظیمة الاهمیة والمؤدیة إلی

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۲۴۸

الاستقامة

«إن ناشئة اللیل هی أشد وطئا أقوم قیلا»

وقد ذهب بعض المفسرین إلی أنّ المراد بناشئة اللیل نشئة الجذبة الروحیة والملکوتیة التی تحصل للإنسان ببرکة هذه العبادة. وسبب هذه الأهمیة واضح لأنّ روح العبادة التی تبلغ بالإنسان المقامات العالیة إنّما تکمن فی أمرین:

الاخلاص وحضور القلب. وکلاهما حاصل فی اللیل ولاسیما فی آخره بعد تلک الاسترحة والخلود حین یکون الناس نیام وقد إنقطعت الحرکة والسعی والعمل المادی فلیس هنالک من تفکیر فی نیل بعض المتع المادیة ولا الشواغل الفکریة المادیة الیومیة التی تشتمل علیها الحیاة الإنسانیة، ومن هنا کانت صلاة اللیل عبادة خالصة متوجة بحضور القلب والمعنویة التامة.

ویمکن لکافة الاخوة المؤمنین لمس معطیات هذه العبادة من خلال التجربة وتذوق حلاوتها بشغاف القلب فیحرصون علی أدائها، فهی الموصوفة لمن أراد الدنیا، وهی کذلک لمن أراد الآخرة، وهی باعثة الرزق ومطیبة الریح ومبیضة الوجه. نسأل اللَّه أن یوفقنا وإیاکم للمواظبة علیها.

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۲۴۹

القسم الحادی عشر: المانع الآخر وساوس الشیطان

اشارة

«أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللّهِ الَّذِى أَعْذَرَ بِما أَنْذَرَ، واحْتَجَّ بِما نَهَجَ، وحَذَّرَكُمْ عَدُوّاً نَفَذَ فِى الصُّدُورِ خَفِيّاً، ونَفَثَ فِى الْآذانِ نَجِيّاً، فَأَضَلَّ وأَرْدَى، ووَعَدَ فَمَنَّى، وزَيَّنَ سَيِّئاتِ الْجَرائِمِ، وهَوَّنَ مُوبِقاتِ الْعَظائِمِ، حَتَّى إِذا اسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ، واسْتَغْلَقَ رَهِينَتَهُ، أَنْكَرَ ما زَيَّنَ، واسْتَعْظَمَ ما هَوَّنَ، وحَذَّرَ ما أَمَّنَ».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة إلى أحد الأخطار المهمة للغاية التى تهدد سعادة الإنسان، ويتمثل ذلك الخطر بوساوس الشيطان ومكائده التى تعد من أعظم وسائله فى خداع الناس. فقد أوصى الإمام عليه السلام ثالثة بالتقوى مشيرا إلى إتمام الحجة الإلهية:

«أوصيكم بتقوى اللّه الّذى أعذر بما أنذر، واحتجّ بما نهج»

فمن الواضح أنّ العدل الإلهى لايمكن بسطه دون إتمام الحجة الكافية، ومن هنا بين البارئ سبحانه وتعالى الحق والباطل من خلال الرسول الظاهر المتمثل بالأنبياء والأوصياء والأولياء، والرسول الباطن وهو عقل الإنسان وفطرته حتى لايعذر أحد بجهله فى محاولة لتبرير تمرده وخلافه. فالواقع هو أنّ العبارة:

«احتج بما نهج»

إشارة إلى بيان طريق السعادة، والعبارة:

«أعذر بما أنذر».

تحذير من الاخطار الكامنة فى مسير الإنسان. الجدير بالذكر أنّ اللّه سبحانه لايكتفى باتمام الحجة على عباده فحسب، بل يتمها بمنتهى اللطف والرحمة، ولذلك تأكدت آلية العقل الكافية فى أغلب المراحل لاتمام الحجة بالوحى بواسطة الأنبياء العظام، إلى جانب التحذير من مغبة مقارفة الاثم والذنب: «وَما كانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ القُرى حَتّى يَبْعَثَ فِى أُمِّها رَسُولًا يَتْلُو

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢٥٠

عَلَيْهِمْ آياتِنا وَما كُنّا مُهْلِكِى القُرى إلّا وَأَهْلُها ظالِمُونَ»[٥١٨] ثم أشار عليه السلام إلى أخطار الشيطان قائلًا:

«وح ذّركم عدوّاً نفذ فى الصّدور خفيّاً، ونفث فى الْآذان نجيّاً، فأضلّ وأردى»

لاشك أنّ الصفات الواردة فى العبارة تشير بوضوح إلى أنّ المراد هو الشيطان، وان لم يرد إسمه صريحاً فى هذه العبارة والعبارات اللاحقة. فقد خاطب الحق سبحانه آدم عليه السلام فى كتابه العزيز قائلًا:

«إِنَّ هذا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُما مِنَ الجَنَّةِ فَتَشْقى [٥١٩]. وصرح فى موضع آخر على نحو العموم قائلًا: «أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِى آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ»[٥٢٠] طبعا يمكن أن يكون الشيطان وسيلة للسمو والتكامل بالنسبة للمؤمنين والسالكين، وذلك لأنّهم يزدادون معنوية وقرباً من الحق كلما حاربوه وصمدوا بوجه مكائده وحيله. ثم واصل عليه السلام كلامه بكشف اللثام عن مختلف طرق وساوس الشيطان، فاشار إلى ثلاث منها:

«و وعد فمنّى، وزيّن سيّئات الجرائم، وهوّن موبقات العظائم».

فالحق أنّ هذه هى المصائد الثالث والطرق الخطيرة التى ينفذ من خلالها إلى نفس الإنسان، الاولى: أنّه يمنّى الإنسان، ويجعله يعيش طول الأمل والخيالات والأوهام بشأن المستقبل، المستقبل الذى قد لايدركه الإنسان قط فيلهيه به ويستهلك جميع طاقاته من أجله وهكذا يغلق بوجهه سبيل التزكية ويصرفه عن الطاعة. والثانية: يزين له الذنوب والمعاصى التى يأباها الطبع الإنسانى بوحى من ضميره ووجدانه ويجعله يرى التحلل حرية والتفسخ مدنية ومجالسة أهل الفسوق والخطيئة نوعا من أنواع التعايش السلمى، والخلاصة فقد أعد عدته لتزيين كل قبيح.

والثالثة: يسعى لأن يصغر للإنسان كبائر الذنوب فيبديها له سهلة ليست بذات أهمية ويمنيه ببعض التبريرات والمسوغات من قبيل عظمة

عفو اللّه ورحمته وأن ليس هنـاك من إنسـان معصوم وهو عرضـة للخطأ والزلل وان باب التوبـة مفتوح وقـد إدخرت شـفاعة الشافعين ولاسيما النبى وأهـل بيته الكرام لمثـل هـذه الامـور. والحـال لابـدّ أن نرى النتيجـة التى تنتهى إليهـا هـذه الوسـاس والحيـل والمكـائد الشيطانية، هذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام قائلًا:

«حتّى إذا

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۵۱

استدرج قرينته، واستغلق رهينته، أنكر ما زيّن، واستعظم ما هوّن، وحذّر ما أمّن»

فالعبارة

«إستدرج»

تفيـد أنّ وسـاسوس الشـيطان عـادة مـا تتم خطوة فخطوة لتكون اكثر تأثيراً فى الأفراد، فلو كانت هـذه الوساوس دفعيـة فانّ الأفراد وأن تمتعوا بقليل من التقوى لحاربوها ووقفوا بوجهها، ولعل هـذا هو المعنى الـذى أشارت إليه الآيـة القرآنيـة الكريمة: «وَلا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ»[۵۲۱] وسائر الآيات القرآنية الواردة بهذا الشأن. أمّا العبارة

«قرينته»

فكأنّها أقتبست من الآية الشـريفة: «وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَـيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ»[۵۲۲] فالواقع هو أنّ الشيطان على درجة من القرب من أتباعه بحيث لاتنفك مفردات حياتهم عنه وهو مقرون بهم أينما حلوا. وأخيرا تشير العبارة

«إستغلق رهينته»

إلى أنّ الشـيطان يرتهن أتباعه ويغلق عليهم باب الرجعة- بالضـبط كشياطين الانس الذين يزينون الفساد والانحراف للأفراد فانّ سقطوا فى هـذا الفـخ وتلوثوا أغلقوا عليهم كافـة طرق الخروج ولم يجـدوا أمامهم سوى الاذعان والانقياد. أمّا يوم القيامـة حيث تطرح حجب الخداع والمكر والغرور ويظهر ما كان يبطنه كل شـخص، فلا يسع الشـيطان هناك إلّاالانكار، وأن يكبر ما كان إستصغره، غير أنّ هذا الانكار لايفيده، كما لايفيد أتباعه وذلك لأنّ عهد الرجعة والتوبة من الذنوب وتدارك الماضى قد ولى إلى غير رجعة.

مكائد الشيطان

إنّ الإنسان يخوض على الـدوام مواجهـة تجاه عـدوين كبيرين: عدو داخلى يدعى بالنفس الامارة، وعدو خارجى هو الشـيطان، ولكل منهما ذات الأعمال المكملة لبعضها البعض الآخر.

وعلى الرغم مما ذكرناه من أنّ هـذا العـدو الـداخلى والخارجى بالنسـبة لأهل الإيمان مصدراً للسـمو والتكامل ومحاربة عناصـر الذنب والمعصـية، وبالتالى يوجب تكامل أرواحهم ويزيد من قربهم إلى اللّه سبحانه، مع ذلك فانّ وجود مثل هذا العدو الخطير يتطلب مزيدا من الحيطة

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۵۲

والحـذر، ويضـاعف من خطورته أنّه لايـدعو الإنسان صـراحة إلى الـذنب، بل يزين الـذنوب وينمق المعاصـى ويصـغر كبائر الـذنوب، ويكبر ما صـغر من الطاعات، ويريه المصائـد جميلـة، مستغلا كافة نقاط ضـعف الإنسان لينفذ إلى أعماقه فيلقيه فى مخالب الشـهوات والأموال والمقام والآمال الطويلة، ومن هنا فانّ الغفلة لحظة قد تقود إلى عمر من الشقاء والبؤس والندم.

ولذلك وردت التحذيرات التى أكدتها الروايات والأخبار الإسلامية، ومن ذلك أنّه أوحى إلى موسى عليه السلام:

«ما لم تسمع بموت ابليس فلا تأمن مكره»[۵۲۳]

وقد خضنا فى شرح وساوس الشياطين فى المجلد الأول من هذا الكتاب فى الخطبة السابعة.[۵۲۴]

نفحات الولايهٔ، ج٣، ص: ٢٥٣

القسم الثانى عشر: بدايهٔ حياهٔ الإنسان ونهايتها

اشارهٔ

«أَمْ هَذا الَّذِى أَنْشَأَهُ فِى ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ، وشُغُفِ الْأَسْتَارِ، نُطْفَةً دِهَاقاً، وَعَلَقَةً مِحاقاً، وجَنِيناً وراضِعاً، ووَلِيداً ويافِعاً، ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً حافِظاً، لِساناً لافِظاً، وبَصَراً لاحِظاً، لِيَفْهَمَ مُعْتَبِراً، ويُقَصِّرَ مُزْدَجِراً، حَتَّى إذا قامَ اعْتِدالُهُ، واسْتَوَى مِثالُهُ، نَفَرَ مُسْتَكْبِراً، وخَبَطَ سادِراً، ماتِحاً فِى غَرْبِ هَواهُ، كادِحاً سَعْياً لِدُنْياهُ، فِى لَذَّاتِ طَرَبِهِ، وبَدَواتِ أَرَبِهِ، ثُمَّ لا يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً، ولا يَخْشَعُ تَقِيَّةً؛ فَماتَ فِى فِتْنَتِهِ غَرِيراً، وعاشَ فِى هَفْوَتِهِ يَسِيراً أسيرا لَمْ يُفِدْ عِوَضاً غرضاوَ لَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضاً».

الشرح والتفسير

خاض الإمام عليه السـلام- فى هـذا المقطع من الخطبهٔ وقد أشـرفنا على نهايتها- فى أمر مهم آخر وهو خلق الإنسان ومتابعته منذ كونه جنيناً حتى إختتام عمره ومفـارقته للـدنيا وبعثه فى يوم القيامـهٔ، اتماماً للأبحاث السابقـهٔ حول مكائـد الشـيطان وضـرورهٔ إعـداد العـدّهٔ والتحلى بالورع والتقوى، وبعبارهٔ اخرى ليكون الإنسان على حيطهٔ وحذر فيمارس وظائفه الرئيسـيهٔ ويجتنب وساوس الشـيطان. فقد قال عليه السلام:

«أم ۵۲۵] هذا الّذى أنشأه فى ظلمات الْأرحام، وشغف ۵۲۶]

نفحات الولايهٔ، ج٣، ص: ٢٥٤

الْأستار، نطفهً دهاقاً،[۵۲۷] وعلقهً محاقاً،[۵۲۸] جنيناً وراضعاً، ووليداً ويافعاً[۵۲۹]»

. فالواقع هو أنّ الإمام عليه السـلام أشار إلى ستهٔ مراحل من حياهٔ الإنسان، ترتبط ثلاث منها بالفترهٔ التى يكون فيها جنين وقبل الولادهٔ، وثلاث أخرى تتعلق بما بعد الولادهٔ. وهى المراحل التى تطوى سـريعاً وتحتفظ كل واحدهٔ منها بميزاتها، فبعضها عجيب للغايهٔ والبعض الآـخر ينطوى على الـدروس والعبر، فـاللّه سـبحانه وبقـدرته يعـد من ماء الرجل الـذى يفتقر إلى الصورهٔ والشـكل بعـد أنّ يتكامل فى ظلمات المشيمهٔ والرحم وبطن الام إلى علقهٔ فمضغهٔ وعظاماً ولحماً جنيناً ذا حياهٔ، ليخرج إلى الدنيا، ثم يطوى مراحل الهدايهٔ والتكامل ليبدأ مسيرته إلى الحق. ثم أشار الإمام عليه السلام إلى ما زود به هذا المخلوق من وسائل وأدوات:

«ثمّ منحه قلباً حافظاً، ولساناً لافظاً، وبصراً لاحظاً، ليفهم معتبراً، يقصّر مزدجراً»

فقـد منحه اللّه العقـل ليميز به الحسن من القبيـح، واللسـان ليسـتغله فى فتـح صـناديق كنوز العلم بالسؤال والبحث، والعين ليـدرك بها الحقـائق الحسـيهٔ، ويصل إلى أهـدافه النهائيـهٔ من خلال هـذه النعم الثلاثـهٔ، ثم يسـتفيدها فى إدراك الأحكام الإلهيـهٔ ويعتبر بما حوله ويبتعـد عما لايليق بشأنه. فالواقع هو أن مصادر المعرفهٔ الثلاث: العقل واللسان والعين والتى تمثل إدراك وإستيعاب المواضيـع الفكريهٔ والنقليهٔ والعينيهٔ والحسيهٔ قد جمعت فى هذه العبارهٔ القصيرهٔ، وبالتالى فقد أمر الإنسان باعتماده للفوز بالسعادهٔ والرضوان.

ثم قال عليه السلام:

«حتّى إذا قام اعتداله، واستوى مثاله، نفر مستكبراً، وخبط سادراً»[۵۳۰]

طبعاً ليس جميع الناس كـذلك، إلّاأنّ كلام الإمام عليه السـلام إنّما يتناول الأغلبيـهٔ العظمى التى تشاهد فى المجتمعات البشـريهٔ والتى تولى ظهرها لكل شئ إذا ما شعرت بالقوهٔ والاقتدار ونالت بعض المناصب، كما تشكل تحذيرا لأهل الإيمان من ضرورهٔ مراقبهٔ النفس والسعى لأداء الشكر

نفحات الولايهٔ، ج٣، ص: ٢٥٥

والتحلی بالتقوی. ثم قال علیه السلام

«ماتحاً[٥٣١] فی غرب ٥٣٢] هواه»

فهم یشقون علی أنفهسم من أجل الحصول علی الدنیا ویسعون جاهدین للتمتع بلذاتها، ولا یقتدح فی ذهنهم شیئاً من أهوائهم النفسیهٔ الا أتوه:

«کادحاً[٥٣٣] سعیاً لدنیاه، فی لذّات طربه، وبدوات ٥٣۴] أربه ٥٣۵]»

فهذه العبارات إشارهٔ إلی أولئک الجهال الذین یوظفون کافهٔ إمکاناتهم ویستفرغون ما بوسعهم من أجل الحصول علی مال الدنیا وحطامها والتنعم بلذاتها الفانیهٔ وأشباع أهوائهم ورغباتهم الجامحهٔ، وکأن هذا هو الهدف الذی خلقوا من أجله، والحال أنّهم یرون بأم أعینهم مصائب الدنیا ومحنها وأمراضها بالتالی الموت الذی یزیلیها، فکیف تکون هدفا وهذا حالها. إلّاأنّهم وکما یصفهم الإمام علیه السلام:

«ثمّ لا یحتسب رزیّهً،[٥٣۶] ولا یخشع تقیّهً،[٥٣٧] فمات فی فتنته غریراً،[٥٣٨] وعاش فی هفوته ٥٣٩] یسیراً لم یفد عوضاً ولم یقض مفترضاً»

ویالها من حالهٔ خطیرهٔ لمن أصیب بمثل هذا الغرور والغفلهٔ؛ فقد ضحی بعمره من أجل التلذذ بضعهٔ أیام، أی لذهٔ، تلک المشوبهٔ بالألم والهم والغم، حتی ودع الدنیا خالی الیدین وقدم علی ربّه بذلک السجل الذی یفضحه فی محکمهٔ العدل الإلهی.

النعم والجحود

أشار الإمام علیه السلام فی هذا المقطع من الخطبهٔ إلی النعم الإلهیهٔ التی أفاضها الرحمن علی الإنسان

نفحات الولایهٔ، ج٣، ص: ٢۵۶

منذ خلقه فی رحم أمه حتی ولادته وانتهاءا باجتیازه لمراحل السمو التکامل، کما تطرق إلی قدرته سبحانه فی کیفیهٔ متابعهٔ خلقه فی الظلمات الثلاث فی بطن أمه وصور تکامله، وکیف جهزه بعد خروجه إلی الدنیا بالآت المعرفهٔ من قبیل منحه القلب الحافظ والعین الباصرهٔ واللسان الناطق، غیر أن هذا الإنسان الجاحد المنکر للجمیل ما أن یشعر بالقوهٔ والقدرهٔ حتی ینسی الهدف الذی خلق من أجله، وکأنه یخلص فی النوم والأکل والشرب والشهوهٔ واللذهٔ، علی غرار الحیوان، وقد تجاهل کل ما یری من مصائب ومحن والام وبالتالی الموت هادم اللذهٔ، بل لایری هذا الموت مکتوباً علیه وکأنه مخلد فی الدنیا ولیس هنالک من خطر من شأنه القضاء علی لذاته ومتعه، فأوامر اللّه وأحکامه لا تعنیه، وأنبیائه ورسله لم یبعثوا إلیه مع ذلک سرعان مایحل أجله ویفنی عمره إذ یفاجئه الموت، فیقدم علی ربّه ولاعمل له فکیف به وقد أغلقت کل الأبواب بوجهه ولیس هنالک من سبیل إلی العودهٔ والتوبهٔ.

نفحات الولایهٔ، ج٣، ص: ٢۵٧

القسم الثالث عشر: الموت المفاجئ

«دَهِمَتْهُ فَجَعاتُ الْمَنِیَّةِ فِی غُبَّرِ جِماحِهِ، وسَنَنِ مِراحِهِ، فَظَلَّ سادِراً، وباتَ ساهِراً، فِی غَمَراتِ الْآلامِ، وطَوارِقِ الْأَوْجاعِ والْأَسْقامِ، بَیْنَ أَخٍ شَقِیقٍ، ووالِدٍ شَفِیقٍ، وداعِیَةٍ بِالْوَیْلِ جَزَعاً، ولادِمَةٍ لِلصَّدْرِ قَلَقاً؛ الْمَرْءُ فِی سَکْرَةٍ مُلْهِثَةٍ، وغَمْرَةٍ کارِثَةٍ، وأَنَّةٍ مُوجِعَةٍ، وجَذْبَةٍ مُکْرِبَةٍ، وسَوْقَةٍ مُتْعِبَةٍ».

الشرح والتفسیر

یتطرق الإمام علیه السلام فی هذا المقطع من الخطبهٔ إلی نهایهٔ عمر هذا الإنسان الغافل المغرور وکیف یقضی لحظاته الاخیرهٔ ساعهٔ الاحتضار بین قرابته وبطانته، وقد رسم علیه السلام صورهٔ تهز النفس البشریهٔ وترعبها من جراء ذلک المشهد، فقال:

«دهمته ۵۴۰] فجعات المنيّة فى غبّر[۵۴۱] جماحه ۵۴۲] وسنن ۵۴۳] مراحه ۵۴۴]، فظلّ سادراً،[۵۴۵] وبات ساهراً، فى غمرات الْآلام، وطوارق الْأوجاع والْأسقام»

وقد تم هذا الأمر الذى يشهده هذا المحتضر وهو:

«بين أخٍ شقيقٍ، ووالدٍ شفيقٍ، وداعيةٍ بالويل جزعاً، ولادمةٍ[۵۴۶] للصّدر قلقاً».

نعم فقد يأس أهله وأقرباؤه من حياته

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۵۸

وأخذوا بالبكاء وا لعويل عليه؛ وأنّ هذا الصراخ والعويل يقض مضجعه كلما خفت عليه غصص الموت وأفاق إلى نفسه، فيتطلع إلى الموت الذى يراه بعينه وهى تدور يميناً وشمالًا من الخوف والرعب:

«و المرء فى سكرةٍ ملهثةٍ،[۵۴۷] وغمرةٍ كارثةٍ،[۵۴۸] وأنّةٍ موجعةٍ، وجذبةٍ مكربةٍ،[۵۴۹] وسوقةٍ[۵۵۰] متعبةٍ»

. حقاً أنّ الاحتضار وسكرات الموت حالة عجيبة! فهذا الإنسان الذى كان متربعاً بالأمس على عرش السلطة وقد زود بكافة الإمكانات وثمل من كأس الغرور وتفاخر على سائر الكائنات، هو اليوم أسير الأمراض وقد صعبت حالته حتى يئس منه من حوله فتعالت أصواتهم بالبكاء والصراخ، ولكن ما عسى ذلك أن يجيده نفعاً. وقد شحن التأريخ بالدروس والعبر بما تضمنه من قصص أصحاب القدرة حين طرحوا على فراش الموت واستسلموا له.

فقد روى أنّ المأمون لما أثقل قال: أخرجونى أشرف على عسكرى، وانظر إلى رجالى، وأتبين ملكى، وذلك فى الليل، فاخرج فاشرف على الخيم والجيش وانتشاره وكثرته وما قد أوقد من النيران، فقال: يا من لايزول ملكه، ارحم من قد زال ملكه، ثم رد إلى مرقده وأجلس المعتصم رجلًا يشهده لما ثقل، فرفع الرجل صوته ليقولها، فقال له ابن ماسويه: لاتصح فواللّه مايفرق بين ربّه وبين مانى فى هذا الوقت، ففتح المأمون عينيه من ساعته، وبهما من العظم والكبر الأحمرار ما لم ير مثله قط، وأقبل يحاول البطش بيديه بابن ماسويه، ورام مخاطبته، فعجز عن ذلك، فرمى بطرفه نحو السماء، وقد إمتلأت عيناه دموعاً، فانطلق لسانه من ساعته، وقال: يا من لايموت ارحم من يموت، وقضى من ساعته، وحمل إلى طوس فدفن فيها.[۵۵۱] وفيه قال الشاعر:

هل رأيت النجوم أغنت عن المأمون شيئاً وملكه المأنوس

خلفوه بعرصتى طرسوس‌مثل ما خلفوا أباه بطوس

القسم الرابع عشر: حوادث مابعد الموت

اشارة

«ثُمَّ أُدْرِجَ فِى أَكْفانِهِ مُبْلِساً، وجُذِبَ مُنْقاداً سَلِساً، ثُمَّ أُلْقِىَ عَلَى الْأَعْوادِ رَجِيعَ وَصَبٍ، ونِضْوَ سَقَمٍ، تَحْمِلُهُ حَفَدَةُ الْوِلْدانِ، وحَشَدَةُ الْإِخْوانِ، إِلَى دارِ غُرْبَتِهِ، ومُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ، ومُفْرَدِ وَحْشَتِهِ، حَتَّى إذا انْصَرَفَ الْمُشَيِّعُ، ورَجَعَ الْمُتَفَجِّعُ مضجع أُقْعِدَ فِى حُفْرَتِهِ نَجِيّاً لِبَهْتَةِ السُّؤالِ، وعَثْرَةِ الامْتِحانِ».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام إلى مصير الإنسان بعد الموت الذى ينطوى على الدروس والعبر، حيث يواصل فيه كلامه بشأن الاحتضار وسكرات الموت. فقد رسم الإمام عليه السلام بهذه العبارات القصيرة صورة جلية مؤثرة عن حال الإنسان بعد أن بلغ المرض منه مبلغه وقد توقفت عن العمل كافة أعضائه وجوارحه ولم يبق منه إلّاذلك الجسد الخاوى فأخذ يستعد أهله لغسله وتكفينه ودفنه، الصورة التى يمكن مقارنتها وما كان عليه بالأمس وهو يتمتع بتلك القوة والقدرة:

«ثمّ أدرج فى أكفانه مبلساً،[۵۵۲] وجذب منقاداً سلساً،[۵۵۳] ثمّ ألقى على الاعواد رجيع ۵۵۴] وصبٍ ۵۵۵] ونضو[۵۵۶] سقمٍ، تحمله حفدة الولدان، وحشدة[۵۵۷] الْإخوان، إلى دار غربته، ومنقطع

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۶۰

زورته،[۵۵۸] مفرد وحشته».

نعم فاول مايواجهه هو ذلك اللباس المتواضع الخالى من أناقة ملابس الدنيا التى يجهد الخياطون أنفسهم أياماً وأحياناً أسابيع لخيطاتها، فليس هنالك من فصال ولاقياس ولاحاجة لخياط، اللباس الذى لايعرف من معنى للغنى أو الفقر أو الشريف والوضيع. وأخيراً هو اللباس الذى فضح الدنيا وكشف النقاب لمن كان له بصيرة عن تقلب أحوالها وعدم دوامها. أمّا الصورة العنيفة الاخرى التى لها وقعها فى النفس فهى حمله على التابوت والانطلاق به إلى مثواه الأخير، دون أن يكون له أية إرادة واختيار، فهو مستسلم لأنّ يطرح فى حفرته ويوارى فيها التراب. وبالطبع فانّ هذا الإنسان المناقد اليوم، هو الذى كان بالأمس يأمر وينهى، وربما كانت إشارته كافية لأنّ يندفع له الاف الأفراد، وكان إذا رضى عفى عمن حوله، وإذا غضب أمر بضرب الاعناق وإن كانت بريئة، نعم هذه هى عاقبته ومصيره. وكالمعتاد فقد أسرع الأبناء والأحفاد والأقرباء والأصدقاء والاخوة لحمل التابوت على أكتافهم، إلى أين؟ إلى ذلك المكان الذى طالما كان يخشاه، بل لايجرأ على الإتيان باسمه على لسانه، وإذا مر به أشاح بوجهه عنه، المكان الذى لم يبق له من رابطة باهل هذا العالم، أنّه بيته الموحش المنسى. ثم قال عليه السلام:

«حتّى إذا انصرف المشيّع، ورجع المتفجّع أقعد فى حفرته نجيّاً لبهتة[۵۵۹] السّؤال، وعثرة الامتحان»

أجل قصيرة هى تلك المدة التى يرافقه فيها الأهل والمعزون، فاخر عهدهم به حين ينزلونه القبر، فاذا واروه التراب ودعوه وتركوه لوحده فى حفرته، وسرعان ما يكفكفون دموعهم ويخمد صراخهم حتى ينسوه بالتدريج؛ فى حين يعيش هو أصعب اللحظات وعليه أن يعد إجابات لما ستطرحه عليه الملائكة من أسئلة، وهى الاسئلة التى تبدو إجاباتها واضحة، لكنها تتطلب إستعداداً روحياً وعقائدياً؛ الأمر الذى قد لايكون الإنسان قد تزود له، ومن هنا كان الامتحان عسيرا.

العبارة:

«أقعد فى حفرته»

إشارة واضحة إلى سؤال القبر الذى سيمر علينا فى البحث

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۶۱

القادم. أمّا قوله عليه السلام:

«نجيا»

فتعنى الصوت الخفى، ولعلها إشارة لمناجاته لربّه آنذاك واستغاثته بلطف اللّه ورحمته، أو الكلام الخفى لعسرة الامتحان والخوف من عدم الإجابة على السؤال.

تأمّلان

۱- وداع الأحياء للأموات

إذا مات الإنسان تغيرت كافة أوضاعه بالمرة، فقد كان جزءاً من هذه العالم والجماعة حتى آخر لحظة من حياته، أمّا الآن فلم يعد الأمر كذلك وعليه فالجيمع يسعى لتنحيته من هذا العالم ويسرع فى التخلص منه فيودعونه ذلك المكان الذى يحول بينه وبين الدنيا ويقطع علاقته مع أهلها. يالها من لحظات معبرة! ليس له من إرادة، لايستطيع أن يأخذ معه شيئاً، لايسع أحد مساعدته وإن كان من أقرب

المقربين. فسرعان ما تحمل جنازته إلى تلك الحفرة الموحشة المظلمة فيوسد فيها تحت التراب، وليس معه سوى ذلك الكفن المتواضع، فلم يعد هنالك من مجال لحمل الاسرة والتيجان ولاالتزين والتفاخر. هنا يوصى أميرَالمؤمنين على عليه السلام باستحضار هذه اللحظات الحساسة بغية الوقوف بوجه طغيان هذه النفس، كيف تغفلون عما ليس بغافل عنكم. كفى بالموت واعظا، الذى ينقلكم من دار الأهل والانس إلى دار الوحشة والخوف، كفى واعظا بموتى عاينتموهم، حملوا إلى قبورهم غير راكبين، وانزلوا فيها غير نازلين، فكأنّهم لم يكونوا للدنيا عماراً، وكأنّ الآخرة لم تزل لهم داراً. أوحشوا ما كانوا يوطنون، وأو طنوا ما كانوا يوحشون، لا عن قبيح يستطيعون إنتقالًا، ولا فى حسن يستطيعون ازدياداً[٥٦٠]. حقاً أنّ لحظة ولادة الإنسان ودخوله الدنيا كخروجه منها عبرة لمن إعتبر، فكلاهما يقع بمعزل عن إرادة الإنسان، وليس للإنسان من قدرة على شئ فى هاتين الحالتين، ولو تأمل الإنسان هذا الأمر قليلا، لما أصابه مثل ذلك الغرور الطغوى والنسيان. ورد فى الديوان المنسوب إلى أميرالمؤمنين عليه السلام:

وفى قبض كف الطفل ولادةدليل على الحرص المركب فى الحى

وفى بسطها عند الممات مواعظألا فانظرونى قد خرجت بلا شئ

٢- سؤال القبر

تطرقت الخطبة إلى سؤال القبر الذى ورد صريحاً فى الروايات الإسلامية، كما ورد فى

نفحات الولايه، ج٣، ص: ٢٦٢

كلمات علماء العقائد. فقد ذكر المحقق الخوئى شارح نهج‌البلاغة فى شرحه المعروف بمنهاج البراعة أنّ المسلمين إتفقوا على أنّ سؤال القبر حق، بل هو من ضروريات الدين، ولم يخالفه إلّا جماعة قليلة من الملحدين، حيث روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«ليس من شيعتنا من أنكر ثلاثة: المعراج وسؤال القبر والشفاعة»[٥٦١]

كما وردت الروايات فى المصادر الإسلامية بهذا الشأن، وإنّ الإنسان إذا وضع فى قبره، أتاه الملكان فسألاه عن عقائده؛ التوحيد والنبوة وولاية الأئمة عليهم السلام، بل جاء فى أغلب الروايات أنّه يسئل عن أربع: عن عمره فيم قضاه، وعن شبابه فيم أفناه، عن ماله مم إكتسبه وفيم أنفقه، فان كان مؤمنا أجاب ليشمل برحمة اللّه وعنايته، وان كان كافراً عجز عن الجواب فيصب عليه العذاب. الجدير بالذكر أنّ بعض القرائن فى الروايات المذكورة تفيد أنّ مسائلة القبر ليست باليسيرة بحيث يجيب عنها الإنسان كيفما شاء، بل إنّ جوابه مما تفرزه عقائد الإنسان وأعماله فى الحياة الدنيا، وكأنّ سؤال القبر أول محكمة عدل إلهية يشهدها الإنسان تؤهله لورود عالم البرزخ. بعبارة اخرى فانّ الموت من الحوادث العظيمة التى تهز أعماق الإنسان وتذهله عما فى نفسه، فلا يبقى لديه إلّاما كان حصله على سبيل الملكة وتأصل فى روحه وفكره. فقد ذكر العلّامة المجلسى أنّ المشهور بين متكلمى الإمامية هو أنّ سؤال القبر ليس عاما، بل يرتبط بمن محض الإيمان أو الكفر، ولايشمل الضعفاء والمجانين والصبيان. كما ذكر المرحوم العلّامة الخوئى بعد نقله لهذا الكلام أنّ الأخبار الواردة فى كتاب الكافى وسائر المصادر إنّما تؤيد هذا المعنى.[٥٦٢] والسؤال الذى يطرح نفسه هنا: هل سيطرح سؤال القبر على هذا البدن الجسمانى وهو الذى سيجيب عنه، أم أنّ السؤال والجواب مرتبط بروح الإنسان إلى جانب هذا البدن فى عالم البرزخ؟ بعبارة أخرى

هل السؤال للروح فى قالب المثال، أم لهذا الجسم المادى؟ هناك إختلاف بهذا الخصوص، فالبعض يعتقد بأنّ الروح ستعود بصورة مؤقتة إلى هذا الجسم (بالطبع ليست بصورة كاملة بل بالمقدار الذى يسع السؤال والجواب) فتسئل من قبل الملكين وتجيب. أمّا العلّامة الجلسى وبعد تحقيقه فى الأحاديث الواردة بهذا المجال فقد قال:

«المراد بالقبر فى أكثر الأخبار ما

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢٦٣

يكون الروح فيه فى عالم البرزخ»[٥٦٣]

. ومن هنا تتضح الإجابة على الشبهة التى يثيرها بعض المغفلين من أننا لو وضعنا علامة على فم الميت وجئنا بعد يوم أو يومين ونبشنا قبره لتبين عدم تكلمه خلال تلك الفترة؛ وذلك لأنّ السؤال والجواب ليسا متعلقين بهذا الفم والبدن المادى، لكى نفتش فيهما. أمّا القرائن التى تؤيد ما ذهب إليه العلّامة المجلسى، الآية القرآنية الشريفة القائلة: «ربَّنا أَمَتَّنا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنا اثْنَتَيْنِ»[٥٦٤] هذا ما سيورده الأثمون يوم القيامة، والذى يشير إلى أنّ الأحياء لم يحصل أكثر من مرتين؛ أحداهما فى الدنيا، والآخرى فى القيامة. فلو كان البدن المادى يتولى الاجابة فى القبر لوجب أن يعيش الحياة فى القبر بصورة مؤقتة أيضاً، ليقود ذلك إلى وجود ثلاث ميتات وثلاث حياتات (الحياة فى الدنيا والحياة فى القبر والحياة فى القيامة، والموت قبل الحياة فى الدنيا، والموت فى آخر العمر، وا لموت بعد الحياة فى القبر). ومن هنا لاينبغى الترديد بأنّ السؤال والجواب مختصان بالروح فى قالبها البرزخى، وهو المعنى الذى وردت الإشارة إليه فى الخطبة بالعبارة

«أقعد فى قبره»

، وإلّا فانّ أغلب القبور ولاسيما تلك التى لالحد فيها لاتسع قعود الإنسان.

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢٦٥

القسم الخامس عشر: القبر روضة من رياض الجنّة أو حفرة من النار

«وَ أَعْظَمُ ما هُنالِكَ بَلِيَّةً نُزُولُ الْحَمِيمِ، وتَصْلِيَةُ الْجَحِيمِ، وفَوْراتُ السَّعِيرِ، وسَوْراتُ الزَّفِيرِ، لا فَتْرَةٌ مُرِيحَةٌ، ولا دَعَةٌ مُزِيحَةٌ، ولا قُوَّةٌ حاجِزَةٌ، ولا مَوْتَةٌ ناجِزَةٌ، ولا سِنَةٌ مُسَلِّيَةٌ، بَيْنَ أَطْوارِ الْمَوْتاتِ، وعَذابِ السَّاعاتِ! إِنَّا بِاللَّهِ عائِذُونَ».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام فى هذه العبارات إلى الحوادث التى يشهدها العاصون فى عالم البرزخ، وذلك لأنّ الثواب والعقاب لايقتصران على عالم القيامة، بل يشملان طائفة عظيمة من الناس فى عالم البرزخ الذى يمثل الواسطة بين عالم الدنيا وعالم القيامة؛ والحديث الشريف:

«القبر روضة من رياض الجنّة، أو حفرة من حفر النيران»[٥٦٥]

إنّما أشار إلى هذا المعنى، وبعبارة أخرى فان هنالك صورة محدودة فى البرزخ لتلك الشاملة فى عالم القيامة. فقد قال عليه السلام:

«وأعظم ما هنالك بليّةً نزول الحميم ٥٦٦] تصلية[٥٦٧] الجحيم، وفورات ٥٦٨] السّعير، وسورات ٥٦٩]

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢٦٦

الزّفير[٥٧٠]»

فالمراد بالجحيم هنا جحيم البرزخ التى تمثل جانبا من جهنم القيامة، والتى سيردها أصحاب الكبائر. فقد قال سبحانه تعالى فى محكم كتابه العزيز بشأن آل فرعون: «النّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ أَدْخِلُوا ءَالَفِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذابِ»[٥٧١] كما يستفاد من العبارة شدة عذاب البرزخ ورهبته. فناره تضج، والسنتها تتصاعد، وماؤها يشوى البطون حقاً أنّ آلام الإنسان ومعاناته ومصائبه لتزول بالمرء حين يفارق هذه الدنيا ويودع روضة من رياض الجنّة، غير أنّ البلاء يشتد إذا أودع بعد كل هذا البؤس والشقاء حفرة من حفر النار إثر سوء أعماله. طبعاً كلام الإمام عليه السلام مطلق، ولكن من الواضح أنّ المراد به عبّاد الدنيا والظلمة والطواغيت وعامة أهل الذنوب والمعاصى؛ وهو الأمر الذى أشير إليه بصراحة فى العبارات السابقة، كالعبارة:

«نفر مستكبراً، وخبط سادراً، ما تحاً فى غرب هواه، كادحاً سعياً لدنياه».

ثم قال علیه السلام

«لا فترةٌ مریحةٌ، ولا دعةٌ[۵۷۲] مزیحةٌ،[۵۷۳] ولاـ قوّةٌ حاجزةٌ، ولا موتةٌ ناجزةٌ،[۵۷۴] ولا سنةٌ[۵۷۵] مسلّیةٌ،[۵۷۶] بین أطوار الموتات، وعذاب السّاعات! إنّا باللّه عائذون»

. تبین هذه العبارات القصیرة العظیمة المنال المقتبسة من آیات القرآن الکریم أنّ العذاب الإلهی شدید الالم علی هؤلاء الأفراد من جهة، ومن جهة أخری لیس هنالک من سبیل قط للفرار منه، وذلک لأنّ صحیفة الأعمال تغلق بموته ولاتشهد أی تغییر تبدیل، اللّهم إلّا أنّ یتطلف اللّه علیهم برحمته وفضله، مع ذلک فذلک اللطف یستند إلی حکمته سبحانه. فما ورد فی هذه الخطبة یتناغم وآیات القرآن الکریم التی تحدثت عن عقاب البرزخ. فقد

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۲۶۷

صرحت الآیة السادسه والسابعة من سورة الملک بشأن نار البرزخ: «وَلِلَّذِینَ کَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِیرُ* إِذا أُلْقُوا فِیها سَمِعُوا لَها شَهِیقاً وَهِیَ تَفُورُ» کما ورد فی الآیة السادسة عشرة من سورة الفرقان: «إِذا رَأَتْهُمْ مِنْ مَکانٍ بَعِیدٍ سَمِعُوا لَها تَغَیُّظاً وَزَفِیراً». أما حال أهل البرزخ فقد صورته الآیة ۷۵ من سورة الزخرف: «لا یُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِیهِ مُبْلِسُونَ»، بینما تحدثت الآیة العاشرة من سورة الطارق عن عدم وجود من یعینهم ویخفف عنهم: «فَما لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلا ناصِرٍ»، وأخیراً تطرقت الآیة ۷۷ من سورة الزخرف عن تمنیهم الموت الذی یریحهم مما هم فیه من العذاب: «وَنادَوْا یا مالِکُ لِیَقْضِ عَلَیْنا رَبُّکَ قالَ إِنَّکُمْ ماکِثُونَ». وهکذا سائر الآیات القرآنیة التی تکشف عن حرکة الإمام علیه السلام فی حدیثه وفعله من خلال الوحی السماوی والجو القرآنی.

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۲۶۹

القسم السادس عشر: مصیر الجاحدین من أصحاب السطوة

«عِبادَ اللَّهِ، أَیْنَ الَّذِینَ عُمِّرُوا فَنَعِمُوا، وعُلِّمُوا فَفَهِمُوا، وأُنْظِرُوا فَلَهَوْا، وَسُلِّمُوا فَنَسُوا! أُمْهِلُوا طَوِیلًا، ومُنِحُوا جَمِیلًا، وحُذِّرُوا أَلِیماً، ووُعِدُوا جَسِیماً، جمیلا! احْذَرُوا الذُّنُوبَ الْمُوَرِّطَةَ، والْعُیُوبَ الْمُسْخِطَةَ».

الشرح والتفسیر

خاطب الإمام علیه السلام- فی هذا المقطع من الخطبة والذی یقترب من نهایتها- کافة العباد داعیهم إلی تأمل حیاة الامم السالفة وما حل بها وقد غیّر مجری کلامه، فقال علیه السلام:

«عباد اللّه، أین الّذین عمّروا فنعموا، وعلّموا ففهموا، وأنظروا فلهوا، وسلّموا فنسوا».

لو تصفحنا التأریخ، أو فکرنا فی حیاتنا الماضیة فی ظل هذا العمر القصیر وتأملنا الأفراد من ذوی القدرة والسطوة الذین حفوا بمختلف النعم، إلّاأنّهم لم یستثمروا هذه النعم الإلهیة ولم یستندوا إلی علم أو معرفة کما لم یفکروا أیّام سلامتهم وصحتهم بالمرض، ولافی إقتدارهم بالضعف والعجز، حتی غادروا هذه الدنیا صفر الیدین اتجهوا صوب مصیرهم الاسود. حقاً لو فکرنا فی هذه الامور لعشنا حالة الیقظة ولرأینا مستقبلنا من خلال الاعتبار بحیاة هؤلاء. ثم تطرق الإمام علیه السلام إلی طول المهلة التی منحها هؤلاء والنعم التی حفوا بها وحذروا من عاقبة المعیة ووعدوا بشدة العذاب

«أمهلوا طویلًا، ومنحوا جمیلًا، وحذّروا ألیماً، ووعدوا جسیماً».

نعم لم یستفیدوا من تلک المهلة الطویلة، کما لم توقظ تلک النعم المختلفة ضمائرهم المیتة فتشعرها بشکر المنعم، وبالتالی لم یردعهم الوعد بالعذاب الإلهی عن مقارفة الذنوب والمعاصی، ولم یثیرهم الوعد بالثواب الاخروی للحرکة من أجل الطاعة. ثم اختتم الإمام علیه السلام کلامه قائلًا:

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۲۷۰

«احذروا الذّنوب المورّطة، والعيوب المسخطة»

. القرآن من جانبه صرح بهذا الشأن قائلًا: «كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوالًا وَأَوْلاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كَما اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِى خاضُوا أُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِى الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَأُولئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ»[٥٧٧].

فقد دأب أئمة الدين وعلماء الأخلاق على لفت إنتباه العتاة إلى التفكر فى سيرة من سبقهم من الأقوام ويتأملوا المصير الذى طال الملوك السلاطين والطواغيت والجبابرة والظلمة، وكيف كانت عاقبتهم، وماذا حملوا معهم من هذه الدنيا، وما بقى منهم. فهل هناك سوى القبور الموحشة والعظام النخرة والقصور المعطلة والأموال والثروات التى آلت لغيرهم، ثم اعتراهم النسيان وكأنّهم لم يكونوا من أبناء هذه الدنيا.

ناداهم صارخ من بعد ما قبرواأين الاسرة والتيجان والحلل

أين الوجوه التى كانت منعمةمن دونها تضرب الأستار والكلل

أضحت منازلهم قفراً معطلةوساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢٧١

القسم السابع عشر: الحذر الحذر

«أُولِى الْأَبْصارِ والْأَسْماعِ، والْعافِيَةِ والْمَتاعِ، هَلْ مِنْ مَناصٍ أَوْ خَلاصٍ. أَوْ مَعاذٍ أَوْ مَلاذٍ، أَوْ فِرارٍ أَوْ مَحارٍ! أَمْ لا؟ «فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ» أَمْ أَيْنَ تُصْرَفُونَ! أَمْ بِمَاذَا تَغْتَرُّونَ! وإِنَّما حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، ذات الطُّوْلِ الْعَرْضِ، قِيدُ قَدِّهِ، مُتَعَفِّراً عَلَى خَدِّهِ!».

الشرح والتفسير

خاطب الإمام عليه السلام الناس مرة اخرى بطريقة تختلف عن سابقتها قائلًا:

«أولى الْأبصار والْأسماع، والعافية والمتاع، هل من مناصٍ ٥٧٨] أو خلاصٍ. أو معاذٍ أو ملاذٍ،[٥٧٩] أو فرارٍ أو محار![٥٨٠] أم لا؟»

فالمخاطب هنا من كان له عين باصرة وآذان سامعة يعيش نعم الدنيا بعافية وسلامة. فقد بين الإمام عليه السلام أن ليس هنالك من عاقبة سوى الموت ووداع هذه الدنيا الفانية، فلا من سبيل للفرار ولا من طريق لخلاص، لامن ملجأ فيلاذ به، ولا من قلعة تنجى من الموت، وآخيراً ليس هنالك من سبيل للرجعة إلى هذه الدنيا، فالواقع هو أنّ الإمام عليه السلام قد بين ستة طرق للفرار من مخالب الموت، مؤكداً على أنّها جميعا مؤصدة مغلقة. فهناك مسيرة ينبغى أن يسلكها الجميع، ومصير لايستثنى منه أحد. أما كون المخاطب من أولئك الذين يتمتعون بالسمع والبصر، فذلك لأنّ من سلبهما لايستوعب مثل هذه الامور. والحق أنّ أدنى تأمل

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢٧٢

للموت الذى يعم الجميع لكاف فى إيقاظنا من سباتنا وهدايتنا للصراط المستقيم، ومن هنا قال الإمام عليه السلام:

«فأنّى تؤفكون![٥٨١] أم أين تصرفون! أم بما ذا تغترّون! وإنّما حظّ أحدكم منالْأرض، ذات الطّول والعرض، قيد قدّه،[٥٨٢] متعفّراً على خدّه»

. قد يكون هناك بعض الأفراد الذين يملكون مئات البساتين والمزارع والأراضى الزراعية وعشرات القصور، إلّاأنّه لايأخذ منها حين يفارق الدنيا سوى ما يأخذه ذلك المسكين الذى قضى عمره فى الأكواخ؛ أى بقعة من الأرض بقدر قامته، مع كفن يعدّ الحد الادنى ممّا يستر بدنه العارى. أمّا العبارة:

«متعفّراً على خدّه»

يمكن أن يراد بها أنّ ألطف أجزاء البدن توارى هناك التراب، أو ليس للإنسان نصيب من هذا التراب حتى بمقدار بدنه؛ لأنّه يطرح

على جانبه الأيمن فى القبر، وعادة ما لايسعه اللحد لأن يضطجع على قفاه.

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢٧٣

القسم الثامن عشر: حسن الختام

«الْآنَ عِبادَ اللَّهِ والْخِناقُ مُهْمَلٌ، والرُّوحُ مُرْسَلٌ، فِى فَيْنَةِ الْإِرْشادِ، راحَةِ الْأَجْسادِ، وباحَةِ الِاحْتِشادِ، ومَهَلِ الْبَقِيَّةِ، وأُنُفِ الْمَشِيَّةِ، إِنْظارِ التَّوْبَةِ، وانْفِساحِ الْحَوْبَةِ، قَبْلَ الضَّنْكِ والْمَضِيقِ، والرَّوْعِ وَالزُّهُوقِ، وقَبْلَ قُدُومِ الْغائِبِ الْمُنْتَظَرِ، وإِخْذَةِ الْعَزِيزِ الْمُقْتَدِرِ».

الشرح والتفسير

خاطب الإمام عليه السلام ثانية كافة عباداللّه، محذرا إياهم من عدم فقدان الفرص قبل حلول الأجل وانتهاء العمر، فقال:

«الْآن عباد اللّه والخناق ٥٨٣] مهملٌ، والرّوح مرسلٌ، فى فينة[٥٨۴] الإرشاد، وراحة الأجساد، وباحة[٥٨٥] الاحتشاد،[٥٨۶] ومهل البقيّة، وأنف المشيّة، وإن ظارالتّوبة، وانفساح الحوبة،[٥٨٧] قبل الضّنك ٥٨٨] والمضيق، والرّوع الزّهوق،[٥٨٩] وقبل قدومالغائب المنتظر، وإخذة العزيز المقتدر»

فقد أشار الإمام عليه السلام إلى مختلف جوانب

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢٧۴

الفرص السانحة للإنسان من قبيل: باقى العمر وسكينة الروح وراحة الجسم وإمكانية نيل الكمال وسهولة الاستشارة وبقاء الفرصة اللازمة للعزم والإرادة والقدرة على التوبة والاقلاع عن الذنب. فكل أمر من هذه الامور يشكل جزءا من الفرص العظيمة الثمينة التى منحها الإنسان والتى يمكن من خلالها فعل كل شئ ونيل الخير والسعادة؛ والحال يمكن أن يفقد الإنسان جميع هذه الفرص فيقضى على سعادته بنفسه، ويالهم من بؤساء اولئك الذين لم يلتفتوا إلى هذه الحقيقة، فيمارسون حياتهم كقطيع الغنم الذى ينهمك بأكله وشربه فى مرعاه دون أن تلتفت إلى الذنب الذى ينهشها الواحد تلو الآخرة.

قال المرحوم السيد الرضى (ره) فى آخر هذه الخطبة:

«وفى الخبر: أنّه لما خطب بهذه الخطبة اقشعرت لها الجلود، وبكت العيون، ورجفت القلوب. ومن الناس من يسمى هذه الخطبة الغراء»

وقد قال ابن أبى الحديد: واعلم أننا لايخالجنا الشكّ فى أنّه عليه‌السلام أفصحُ من كلّ ناطق بلغة العرب من الأولين والآخرين، إلّا من كلام اللّه سبحانه، وكلام رسول‌اللّه صلى اللّه عليه وآله؛ وذلك لأنّ فضيلَة الخطيب والكاتب فى خطابته وتكاتبه تعتمد على أمرين؛ هما:

مفردات الألفاظ ومركَّباتها.

أمّا المفردات فأنْ تكون سهلةً سِلسة غيرَ وحشيّة ولا معقّدة، وألفاظه عليه‌السلام كلها كذلك؛ فأمّا المركّبات فَحُسْنُ المعنى وسرعة وصوله إلى الأفهام، واشتماله على الصفات التى باعتبارها فُضِّل بعضُ الكلام على بعض، وتلك الصفات هى الصناعة التى سَمّاها المتأخرون البديع، من المقابلة، والمطابقة، وحسن التقسيم، وردّ آخر الكلام على صَدْره، والتّرصيع، والتسهيم، والتوشيح، والمماثلة، والاستعارة، ولطافة استعمال المجاز، والموازنة، والتكافؤ، والتَّسْميط والمشاكلة.

ولا شبهةَ أنّ هذه الصفات كلَّها موجودة فى خُطَبِه وكتبه، مبثوثة متفرقة فى فُرش كلامه عليه‌السلام، وليس يوجد هذان الأمران فى كلامِ أحد غيرِه فإن كان قد تعمَّلها وأفْكَر فيها، وأعمَل رويتَه فى رَصْفِها ونثرها، فلقد أتى بالعجب العُجاب، ووجبَ أن يكون إمام الناس كلِّهم فى ذلك؛ لأنّه ابتكره ولم يعرف من قبله وإن كان اقتضبها ابتداء، وفاضت على لسانه

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢٧٥

مرتجلة، وجاش بها طبْعه بديهةً، ومن غير رويَّةٍ ولا اعتمال، فأعجب وأعجب!

وعلى كلا الأمرين فلقد جاء مجلّياً والفصحاء تنقطع أنفاسهم على أثره. وبحقّ ماقال معاوية لمحقن الضّبى، لمّا قال له: جئتک من عند أعيا الناس: يابن اللخناء، ألعليّ تقول هذا؟

وهل سنَّ الفصاحة لقريش غيره!

واعلم أن تكلّف الاستدلال على أنّ الشمس مضيئة يتعب، وصاحبه منسوب إلى السَّفَه، وليس جاحد الأمور المعلومة علماً ضروريًا بأشدّ سفهاً ممّن رام الاستدلال بالأدلة النظرية عليها.[۵۹۰]

نفحات الولايه، ج۳، ص: ۲۷۷

الخطبة[۵۹۱]: الرابعة و الثمانون

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

فى ذكر عمرو بن العاص

نظرة إلى الخطبة

كما يفهم من عنوان الخطبة أنّها وردت بشأن عمرو بن العاص الذى كان من مقربى معاوية، بل يمكن القول أنّ استمرار خلافة معاوية وتحقيقه لبضع الانتصارات الظاهرية إنّما تمّ فى ظل مكائد بن العاص ومكره، فالشخص الثانى بل الأول فى تلك الخلافة المنحرفة كان عمرو بن العاص ورغم قصر عبارات الإمام عليه السلام إلّاأنّها رسمت صورة واضحة عن مدى ضلال هذا الفرد المنحرف وإضلاله للأمّة، بحيث يمكن الوقوف على تمام تفاصيل سيرته من خلال هذه الكلمات، إلى جانب ذلك فهى توضيح سر العلاقة بينه وبين معاوية. والجدير بالذكر هو أنّ الإمام عليه السلام خطب هذه الخطبة حين وصفه عمرو بن العاص بأنّه ذو دعابة.

نفحات الولايه، ج۳، ص: ۲۷۹

«عَجَباً لِابْنِ النَّابِغَةِ! يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّام أَنَّ فِيَّ دُعابَةً، وأَنِّى امْرُؤٌ تِلْعابَةٌ:
أُعافِسُ وأُمارِسُ! لَقَدْ قالَ باطِلًا، ونَطَقَ آثِماً. أَما- وشَرُّ الْقَوْلِ الْكَذِبُ- إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ، ويَعِدُ فَيُخْلِفُ، ويُسْأَلُ فَيَبْخَلُ، ويَسْأَلُ فَيُلْحِفُ، وَيَخُونُ الْعَهْدَ، ويَقْطَعُ الْإِلَّ؛ فَإِذَا كانَ عِنْدَ الْحَرْبِ فَأَىُّ زَاجِرٍ وآمِرٍ هُوَ! مَا لَمْ تَأْخُذِ السُّيُوفُ مَآخِذَها، فَإِذَا كَانَ ذَلِکَ كَانَ أَكْبَرُ مَكِيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ الْقَرْمَ القوم سَبَّتَهُ. أَما واللَّهِ إِنِّى لَيَمْنَعُنِى مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ، وإِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ نِسْيانُ الْآخِرَةِ، إِنَّهُ لَمْ يُبايِعْ مُعاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ أَتِيَّةً، ويَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْکِ الدِّينِ رَضِيخَةً».

الشرح والتفسير

ابن النابغة الكاذب

اشارة

استهل الإمام عليه السلام كلامه بالحديث عن كذب عمرو بن العاص وتهمته التى وجهها إليه إلى جانب تعريفه بهذا الفرد المنحرف. أمّا الفرية التى نسبها إلى الإمام عليه السلام فتكمن باتهامه إيّاه بأنّ فيه دعابة وإنّه من أهل المزاح والفكاهة- والعياذ باللَّه- ليذرع بها من أجل إثبات عدم صلاحية الإمام عليه السلام لأمر الخلافة. فقد قال عليه السلام:

«عجباً لابن النّابغة![۵۹۲] يزعم لأهل الشّام أنّ فىّ دعابةً،[۵۹۳] وأنّى امرؤٌ تلعابةٌ:[۵۹۴] أعافس ۵۹۵] وأمارس![۵۹۶]»

التعبير عن عمرو بن بالعاص بابن النابغة

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢٨٠

إشارة إلى فساد أسرته، لأنّ العرب كانت تنسب الولد لأُمّه إن كانت مشهورة بالشرف والمجد أو بالوضاعة والفساد، كما تعنى مفردة النابغة الظهور والبروز، إلّاأنّها تشير إلى الاشتهار بالفساد إذا أطلقت على المرأة، فقد كانت النابغة أم عمرو بن العاص أمّة لرجل من عترة اسمها الأصلى سلمى أو ليلى، وقد واقعها أبوسفيان فولدت عمرو، فاختلف فيه حيث واقعها أمية بن خلف وهشام بن المغيرة والعاص بن وائل السهمى، حيث ادعاه كلهم، فحكمت امّه فيه فقالت: هو من العاص بن وائل، وذلك لأنّ العاص بن ائل كان ينفق عليها كثيراً. وكان أشبه بأبى‌سفيان الذى قال عنه: أما إنى لا أشك أنّى وضعته فى رحم امّه، فأبت إلّاالعاص.[۵۹۷]

الواقع أنّ الإمام عليه السلام قدم بهذه العبارة لما بعدها، بمعنى لاينبغى التعجب من مثل هذا الإنسان الذى يكيل التهم للصالحين ويفترى عليهم الكذب. والمفردة دعابة تفيد كثرة المزاح، وتلعابة من يمازح الناس ويهزل معهم، وأعافس وأمارس بمعنى واحد تقريباً وهو معالجة النساء بالمغازلة، ثم اتخذت معنى أوسع لتطلق على كل هزل ومزاح. فالواقع هو أنّ الإمام عليه السلام قد اختصر بهذه العبارات كافة التهم التى نسبها عمرو بن العاص للإمام عليه السلام زوراً وبهتاناً، لتكون مقدمة للرد عليه. والجدير بالذكر أنّ أعداء الإمام عليه السلام لم يتورعوا عن التشبث بمثل ما ورد فى الكلام المذكور لما عجزوا عن الطعن فى شخصية الإمام عليه السلام ولم يروا فيه أدنى ضعف، فهو المعروف بعلمه وتقواه وزهده وورعه وشجاعته وصبره وحلمه، فرموه بتهمة المزاح بهدف إثبات عدم جدارته بالخلافة؛ الأمر الذى يثبت صلاحيته وجدارته بها، فهم فى ذلك كالمثل المعروف:

«الغريق يتشبث بكل حشيش»،

فعمدوا إلى هذه الذريعة الجوفاء. وبالطبع فاننا سنتحدث فى البحث القادم إن شاءاللّه عن المزاح متى يكون مباحاً أو مذموماً. ثم ردّ الإمام عليه السلام على كذب بن العاص فى ذلك الاتهام قائلًا:

«لقد قال باطلًا، ونطق آثماً. أما- وشرّ القول الكذب»

، من يسعه التفكر إلى المزاح اللطيف الذى لايشوبه الباطل والبعيد عن كل إفراط وتفريط؟ ومن يستطيع تجاهل جدية الإمام عليه السلام فى خطبه ورسائله وقصار كلماته؟! فقد كان أعظم جدية ممن سواه، كما كان ذا إرادة جبارة فى زعامته، وان كان يعمد إلى المزاح مع

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢٨١

بعض أصحابه بغية مواساتهم وتخفيف الهم والغم عن قلوبهم؛ الأمر الذى يشاهد بوضوح فى حياة إمامه الرسول الاكرم صلى الله عليه و آله. أما العدو فهذا ديدنه، فهو لايكف عن الكذب والدجل والتشبث بأتفه الذرائع من أجل النيل من الطرف المقابل. ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه ليذكر ست صفات رذيلة إتصفت بها سيرة عمرو بن العاص:

«إنّه ليقول فيكذب، ويعد فيخلف، ويسأل فيبخل، ويسأل فيلحف،[۵۹۸] ويخون العهد، ويقطع الإلّ ۵۹۹]»

لاشك أنّ كل من يطالع سيرة عمرو بن العاص وسجله الأسود يقف بوضوح على هذه الرذائل فى شخصيته.

والخلاصة فقد كان وضيعاً، لايتورع عن إرتكاب أفظع الرذائل من أجل الدنيا والظفر بحطامها، فهو يعد إذا كانت الامور لصالحه، بينما يخلف إذا كانت بضرره. فقد كان يضحى بالغالى والنفيس من أجل الحصول على الدنيا، ولاسيما أمام معاوية الذى كان شديد الحاجة إليه، وهذا ما كان يدفعه إلى إعطائه ما يصبو إليه. أمّا نقضه للعهود والمواثيق فحدث ولا حرج، بل كان لايرحم حتى قرابته ومن له صلته به. وأخيراً دوره فى التحكيم ليس بخاف على أحد. قال بعض المؤرخين أنّه عاش تسعين سنة، وذكر اليعقوبى ۶۰۰] أنّه عاش تسعين سنة ولما حضرته الوفاة قال لابنه: لود أبوك أنّه مات فى غزات ذات السلاسل، إنى قد دخلت فى امور لاأدرى ما حجّتى عنداللّه فيها. ثم نظر إلى ماله فرأى كثرته فقال: ياليته كان بعراً، ياليتنى مت قبل هذا اليوم بثلاثين سنة، أصلحت لمعاوية دنياه وأفسدت

دينى، آثرت دنياى وتركت آخرتى، عمى علىّ رشدى حتى حضرنى أجلى، كأنى بمعاوية قد حوى مالى وأساء فيكم خلافتى.

على كل حال ليس هنالك من لايعلم بهذه الرذائل التى إنطوت عليها شخصية عمرو بن العاص. ثم أشار الإمام عليه السلام إلى أرذل الأعمال التى ارتكبها عمرو بن العاص فى حياته، العمل الذى إنعدم مثيله فى التأريخ، وذلك يوم صفين حين رأى نفسه مقتولاً بيد على عليه السلام فعمد إلى كشف عورته، لأنه كان يعلم بأنّ حياء الإمام عليه السلام لايدعه ينظر إليه فى تلك الحالة، فاغتنم تلك

نفحات الولايهٔ، ج٣، ص: ٢٨٢

الفرصة ليهرب من بين يديه. فشاع هذا الأمر بين العرب آنذاك حتى أخذت الناس تضرب به المثل فى أن عورة عمرو أنجته من الموت. فقد قال الإمام عليه السلام:

«فإذا كان عند الحرب فأىّ زاجرٍ وآمرٍ هو! ما لم تأخذ السّيوف مآخذها، فإذا كان ذلك كان أكبر مكيدته أن يمنح القرم ۶۰۱] سبّته ۶۰۲]»

فقد قال ابن أبى‌الحديد: وأما خبر عمرو فى صفين واتقائه حملة على عليه‌السلام، بطرح نفسه على الأرض وإبداء سوأته،[۶۰۳] فقد ذكره كل من صنف فى السير كتاباً، وخصوصاً الكتب الموضوعة لصفين والقصة كالاتى: قال نصر بن مزاحم فى كتاب صفين قال: حدثنا محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبى عمرو، وعن عبد الرحمن بن حاطب، قال كان عمرو بن العاص عدواً للحارث بن نضر الخثعمى، وكان من أصحاب علىّ عليه‌السلام، وكان علىّ عليه السلام قد تهيبته فرسان الشام، وملأ قلوبهم بشجاعته، وامتنع كل منهم من الإقدام عليه. وكان عمرو قلّما جلس مجلساً إلّاذكر فيه الحارث بن نضر الخثعمى وعابه.

فشاعت هذه الأبيات حتى بلغت عمراً، فأقسم بالله ليلقين عليّاً ولو مات ألف موتة. فلما اختلطت الصفوف لقيَه فحمل عليه برمحه، فتقدم علىُّ عليه السلام وهو مخترط سيفاً معتقلٌ رمحاً، فلما رهقه همز فرسَه ليعلُوَ عليه، فألقى عمرو نفسه عن فرسه إلى الأرض شاغراً برجليه؛ كاشفاً عورته، فانصرف عنه لافتا وجهه مستدبراً له، فعدَّ الناس ذلك من مكارمه وسؤدُده وضرب بها المثل.[۶۰۴]

واوردت التواريخ قال معاوية يوماً بعد استقرار الخلافة له لعمرو بن العاص: يا أبا عبد الله، لا أراك إلّا ويغلِبُنى الضحك؛ قال: بما ذا؟ قال: أذكر يوم حَمل عليك أبو تراب فى صِفيّن، فأزريت نفسك فَرَقاً من شَبَاً سنانه، وكشفت سوأتك له؛ فقال عمرو: أنا منك أشدّ ضحكاً؛ إنّى لأذكرُ يومَ دعاك إلى البِراز فانتفخ سَحْرُك، وربا لسانُك فى فمك وغَصِصْتَ بريقك، وارتعَدَتْ فرائصُك، وبدا منك ما أكره ذِكْرَه لك؛ فقال معاوية: لم يكن هذا كلّه وكيف يكون ودونى عَكّ

نفحات الولايهٔ، ج٣، ص: ٢٨٣

الأشعرِيون! قال: إنك لتعلم أن الذى وصفتُ دون ما أصابك، وقد نزل ذلك بك ودونك عكّ‌الأشعريون، فكيف كانت حالك لو جمعكما مأقِطُ الحرب! فقال: يا أبا عبد الله، خُضْ بنا الهزل إلى الجِدّ، إن الجُبن والفرار من علىّ لا عَار على أحدٍ فيهما.[۶۰۵]

ثم قال عليه السلام ردا على إفتراء عمروبن العاص:

«أما واللّه إنّى ليم نعنى من اللّعب ذكر الموت»

فالإمام عليه السلام لايغفل عن الموت طرفة عين، وذلك لأنّ الموت قانون يشمل جميع الخلائق لايعرف الاستثناء ولم يعنى له وقت، ويعلم الإمام عليه السلام على وجه اليقين أن الموت هادم اللذات وأنّ الإنسان يتحول إلى وحش ضارى إذا نسى الموت ومحكمة العدل الإلهى. فهل للإمام عليه السلام من فرصة للمزاح واطلاق العنان للهوى وهو ما عليه من الذكر؟ قطعا لايجوز ذلك على الإمام عليه السلام، بينما لم يدفع ابن البانغة للتفوه بذلك الكلام سوى نسيان الآخرة والغفلة عن الموت:

«و إنّه ليمنعه من قول الحقّ نسيان الْآخرة»

نعم إذا كذب أو إفترى ولم يتورع عن القيام بأى عمل من أجل تحقيق مطامعه الدنيوية فذلك معلول لنسيانه الموت والآخرة. وما أسلفنا فان من نسى الآخرة وتجاهل العدل الإلهى أصبح كائنا خطيراً يخشى منه، لأنّه لايتوانى عن ارتكاب أبشع الأعمال دون أن

يكترث حتى لشرفه وحيثيته. ثم يستدل عليه السلام على ذلك بقوله:

«إنّه لم يبايع معاوية حتّى شرط أن يؤتيه أتيّةً،[۶۰۶] ويرضخ له على ترك الدّين رضيخةً[۶۰۷]»

. فقد أشار الإمام عليه السلام بهذه العبارة إلى تلك الواقعة المعروفة بين الناس والتى أشرنا إليها فى الخطبة السادسة والعشرين، والقصة هى: لما نزل على عليه السلام الكوفة بعد فراغه من أمر البصرة، كتب إلى معاوية كتاباً يدعوه إلى البيعة أرسل فيه جرير بن عبداللّه البجلى، فقرأه واغتم بما فيه، وذهبت به أفكاره كل مذهب، وأحب الزيادة فى الاستظهار، فاستشار عمرو بن العاص، فكتب له معاوية كتاباً، فسار حتى قدم على معاوية. فقال له معاوية: إنّى أدعوك إلى جهاد على بن أبىطالب. قال عمرو: واللّه يا معاوية ما أنت وعلى حملى بعير، ليس له هجرته

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢٨۴

ولا سابقته ولاصحبته ولاجهاده ولافقهه ولاعلمه. ثم قال فما تجعل لى إن شايعتك على حربه وأنت تعلم ما فيه من الغرر والخطر؟ قال: حكمك، فقال: مصر طعمة. فتلكا عليه معاوية، وقال: إنى أكره لك أن تتحدث العرب عنك أنّك إنما دخلت فى هذا الأمر لغرض الدنيا، فقال عمرو: دعنى عنك. حتى استجاب له معاوية آخر الأمر.[۶۰۸] والعجيب أنّ الدنيا لم تف له حيث لم يحكم مصر سوى بضع سنوات ثم ندم ندماً شديداً أواخر عمره من فعاله، فكان يلعن نفسه، ولم يكن أمامه من مخرج.[۶۰۹]

تأمّلان

١- نسب عمرو بن العاص وطرف من أخباره

كلنا نعرف هذا الشخص وقد سمعنا عن مكره ودوره الهدّام فى التأريخ الاسلامى، ولعل الجميع يعلم بخدعته فى رفع المصاحف على أسنة الرماح فى معركة صفين حين أو شك جيش الشام على الهزيمة؛ الامر الذى أثر بشدة على بعض السذج من جيش على عليه السلام فاجيروا الإمام عليه السلام على الكف عن القتال والرضوخ للتحكيم. ولد لاربع وثلاثين سنة قبل البعثة. أبوه العاص بن وائل المعروف بعدائه للاسلام والذى لقبه القرآن الكريم بالابتر «إن شانئك هو الابتر»[۶۱۰] لأنه قال لقريش: سيموت هذا الابتر- رسول الله صلى الله عليه و آله- غدا فينقطع ذكره. وأما أمه فقد ذكر المؤرخون فقد وقع عليها خمس فولدت عمروا فادعاه كلهم، فحكمت أمه فيه فقالت:

هو من العاص بن وائل لأنه كان ينفق عليها كثيرا، ولحسان بن ثابت أشعار فيه.

وقد توجه إلى الحبشة حين هاجر اليها المسلمون ليكيد جعفر أو يقتله، وقد اعلن اسلامه هناك ليسدد ضربته للاسلام والمسلمين. ويرى البعض أنه قصد الحبشة يوم الخندق وقال لصحبه: ارى أن نذهب إلى الحبشة فان ظهر قومنا عدنا اليهم وان ظهر محمد بقينا فى الحبشة.

فدخل الحبشة قبل جعفر وقد حمل الهدايا إلى النجاشى وطلبوا منه أن يأذن لهم بقتل جعفر.

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢٨۵

فلم يجبهم النجاشى الذى أسلم باطنا. فقال عمرو: لم أكن أعلم بمنزلة محمد وأنا على دينه الان. فلما عاد إلى المدينة استقبله النبى صلى الله عليه و آله وأمره وبعثه إلى ذات السلاسل. ثم ولاه النبى عمان (فى الشام) فبقى هناك حتى وفاة النبى صلى الله عليه و آله، ثم ولاه عمرو فلسطين والاردن، وحين ولى عمر معاوية على الشام وجه عمرو بن العاص لمصر ففتحها، فولاها اربع سنوات على عهد عثمان ثم عزله، فنقم عليه وهاجر إلى فلسطين. ولما نهض معاوية فى الشام استنجد بعمرو فاشترط عليه ولاية مصر فأجابه. فبقى فيها حتى توفى عام ۴۳ وله تسعون سنة.

قيل عرف بالشجاعة فی الجاهلية وان لم ينقذه من القتل فی صفين الاعورته لأنه يعلم بأن عليا عليه السلام لا يقتله.[۶۱۱]
يرى العلامة الاميني أنه لم يسلم وقد تظاهر بالاسلام وهو مصداق لمن قال فيهم الإمام علی عليه السلام: «والذی فلق الحبة وبرأ النسمة، ما أسلموا ولكن استسلموا واسروا الكفر، فلما وجدوا أعوانا، رجعوا إلى عداوتهم منا»[۶۱۲].
لم يكن يتورع عن معاداة علی عليه السلام حتى قال لعائشة: ليتك قتلت يوم الجمل. فقالت: ولم لا أبا لك؟ قال: لدخلت الجنة وشنعنا بك على علی بن أبی طالب.[۶۱۳]
واخيرا قال ابن ابی الحديد: وكان عمرو أحد من يؤذی رسول الله صلی الله علیه و آله بمكة ويشتمه ويضع فی طريقه الحجارة؛ لأنه كان صلی الله علیه و آله يخرج من منزله ليلاـ فيطوف بالشعبة، وكان عمرو يجعل له الحجارة فی مسلكه ليعثر بها. وهو أحد القوم الذين خرجوا إلى زينب ابنة رسول الله صلی الله علیه و آله لما خرجت مهاجرة من مكة إلى المدينة، فروعها حتى أجهضت جنينا ميتا فلما بلغ ذلك رسول الله صلی الله علیه و آله نال منه وشق عليه مشقة شديدة ولعنه.[۶۱۴]

۲- المزاح فی الإسلام

ممّا لاشك فيه أن روح الإنسان ترهق من جراء المشاكل؛ فلابدّ من ترويحها بالاستجمام
نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۸۶
وطرائف الحكم، وإلّا كسلت وشلت عن النشاط، ومن هنا فان العقل والمنطق والفطرة تقتضی أن يلجأ هذا الإنسان إلى المزاح بغية التخفيف من حدة المعاناة والتعب والارهاق، فان تم هذا الأمر فی ظل الموازنة والاعتدال فهو ليس مذموما فحسب، بل من الامور المطلوبة، وأبعد من ذلك تكتسب درجة الضرروة والوجوب، لتعد جزءا من مكارم الأخلاق والبشاشة وطلاقة الوجه. والذی تفيده سيرة النبی الأكرم صلی الله علیه و آله وأئمة الدين عليهم السلام وأولياء اللَّه- بل وكافة العقلاء- أنّهم كانوا يلجأون إلى المزاح فی أعمالهم طيلة مدّة حياتهم. إلّاأنّ ما يجدر ذكره هو أنّ هذا المزاح إنّما يتحول إلى سخرية واستهزاء لو خرج من حد الاعتدال أو شابه الاثم والغيبة والنميمية، كما يكون وسيلة للثأر وإراقة ماء وجه الآخرين، حيث يتعذر على الإنسان أحياناً إظهار مكنون قلبه من الحقد والضغينة فيلجأ إلى هذا الاسلوب، وهنا يتحول المزاح إلى رذيلة بشعة من الرذائل الكاشفة عن سوء الخلق. وهذان هما المعنيان الذان كشفت عنهما بعض الروايات الإسلامية التی مدحت المزاح من جانب وعدته فضيلة، وتلك التی ذمته وعدته رذيلة. ولابأس هنا بذكر بعض الروايات الإسلامية الواردة بهذا الشأن:
۱- ورد فی الحديث أنّ أحد أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام سأله عن المزاح فقال عليه السلام:
«لا بأس ما لم يكن»
(أی مالم يخالطه الاثم) ثم قال:
«إن رسولاللّه كان يأتيه الاعرابی، فيهدی له الهدية ثم يقول مكانه: أعطنا ثمن هديتنا! فيضحك رسولاللّه؛ وكان إذا اغتم، يقول: ما فعل الاعرابی؟ ليته أتانا».[۶۱۵]
۲- وورد عن الإمام الكاظم عليه السلام
«المؤمن دعب لعب، والمنافق قطب غضب».[۶۱۶]
۳- عن الإمام الصادق عليه السلام قال:
«ما من مؤمن إلّاوفيه دعابة؛ قلت: وما الدعابة؟ قال:
المزاح».[۶۱۷]
۴- بل ورد فی الروايات أنّ رسولاللّه صلی الله علیه و آله كان يمزح، حيث جاء فی الخبر أنّ رسولاللّه صلی الله علیه و آله قال لأمرأة

من الأنصار:

«الحقی زوجک فإن فی عینه بیاضاً»

فسعت نحوه مرعوبة، فقال لها:

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۸۷

ما دهاک؟ فأخبرته، فقال: نعم إن فی عینی بیاضاً لاسوء، فخفضی علیک. فهذا من مزاح رسول‌اللَّه صلی الله علیه و آله. وأتت عجوز من الأنصار إلیه صلی الله علیه و آله، فسألته أن یدعوا اللَّه تعالی لها بالجنّة، فقال:

«إن الجنّة لاتدخلها العجز»[۶۱۸]

فصاحت، فتبسم صلی الله علیه و آله وقال: «إِنّا أَنْشَأْناهُنَّ إِنْشاءً* فَجَعَلْناهُنَّ أَبْکاراً»[۶۱۹] وهکذا سائر الروایات ...

وفی نفس الوقت وردت الروایات التی ذمت المزاح، ومن ذلک ما روی عن علی علیه السلام أنّه قال:

«المزاح یورث الضغائن»[۶۲۰]

وقال:

«لکل شئ بذر وبذر العداوة المزاح»[۶۲۱]

وجاء فی الخبر أنّ المزاح یحد من العقل ویذهب بالهیبة وهو العدو الاصغر[۶۲۲]. وقال رسول‌اللَّه صلی الله علیه و آله:

«لایبلغ العبد صریح الإیمان حتی یدع المزاح والکذب»[۶۲۳]

. ومن الواضح أن لیس هنالک من تضاد بین هاتین الطائفتین من الروایات، لأنّ الطائفة الاولی تحدثت عن أصل المزاح، بینما تحدثت الطائفة الثانیة عن الإفراط وتجاوز الحد فی المزاح. أو بعبارة اخری: الطائفة الاولی ناظرة إلی المزاح الموزون الذی لایستند إلی أی غرض ومرض وحقد وضغینة، أمّا الطائفة الثانیة فهی ناظرة إلی المزاح الباطل، والشاهد علی ذلک ما جاء فی الخبر عن رسول‌اللَّه صلی الله علیه و آله أنّه قال:

«إنی أمزح ولا أقول إلا حقا»[۶۲۴]

. والشاهد الآخر أغلب الروایات التی صرحت بذم کثرة المزاح. فقد روی عن أمیرالمؤمنین علیه السلام أنّه قال:

«کثرة المزاح تذهب البهاء وتوجب الشحناء»[۶۲۵]

. کما عبرت بعض الروایات عن ذلک بالإفراط فی المزاح. ویتضح مما أوردنا من الروایات- ولاسیما تلک التی وردت عن علی علیه السلام- أنّ الإمام علیه السلام کان یمزح أحیاناً بالحق؛ الأمر الذی یجعله فضیلة من فضائله وأنّه کان کریم الخلق بشر الوجه، إلّا أنّ العدو کان یندفع بکل همجیة وضغینة لیشوه حتی هذه الصفات الحمیدة فیه، بهدف

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۸۸

إقصائه من مکانته، ونموذج ذلک ما ورد فی هذه الخطبة. فقد نفی علیه السلام فی هذه الخطبة عن نفسه کثرة المزاح، المزاح الممدوح الذی یهدف إلی جلاء الروح ونشاطها وإدخال السرور علی قلوب المؤمنین.

ونختتم الکلام بهذا الحدیث:

فقد جاء فی الخبر أنّ یحیی علیه السلام لقی عیسی علیه السلام، وعیسی مبتسم، فقال یحیی علیه السلام: مالی أراک لاهیا کأنّک آمن! فقال علیه السلام: مالی أراک عابساً کأنک آیس؟

فقالا: لانبرح حتی ینزل علینا الوحی. فأوحی اللَّه إلیهما: أحبّکما إلیّ الطلق البسام، أحسنکما ظنا بی.[۶۲۶]

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۸۹

الخطبة[۶۲۷]: الخامسة والثمانون

اشارة

ومن خطبة له علیه السلام

وفیها صفات ثمان من صفات الجلال

نظرة إلى الخطبة

أشار الإمام علیه السلام فی هذه الخطبة إلى ثلاثة امور مهمة: الأول ذکره لبعض صفات الجلال والکمال بعبارات قصیرة عظیمة المعانی. الثانی دعوة الناس للاعتبار بما تفرزه حوادث الحیاة ولاسیما الموت الذی یقف لهذه الحیاة بالمرصاد. الثالث التعرض لدرجات أولیاء اللَّه والنعم المطلقة الخالدة التی یتنعمون بها فی الجنّة. أمّا تعبیر السید الرضی (ره) فی بدایة الخطبة بالقول

«ومنها»

یفید أنه وکدیدنه قد إقتطف هذه العبارات من خطبة طویلة.

نفحات الولایة، ج٣، ص: ٢٩١

القسم الأول: معرفة اللَّه

اشارة

«وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِیکَ لَهُ: الْأَوَّلُ لا شَیْءَ قَبْلَهُ، الْآخِرُ لا غایَةَ لَهُ، لا تَقَعُ الْأَوْهامُ لَهُ عَلَى صِفَةٍ، ولا تُعْقَدُ الْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَى کَیْفِیَّةٍ، وَلا تَنالُهُ التَّجْزِئَةُ والتَّبْعِیضُ، ولا تُحِیطُ بِهِ الْأَبْصارُ والْقُلُوبُ».

الشرح والتفسیر

یقسم علماء العقائد صفات اللَّه إلى قسمین: صفات الجمال وصفات الجلال. وتطلق صفات الجمال على الصفات الثبوتیة من قبیل؛ العلم والقدرة. وتطلق صفات الجلال على الصفات السلبیة من قبیل؛ عدم وجود الشریک والشبیه. ولما کانت الصفات الثمان الواردة فی القسم الأول من الخطبة ثبوتیه وسلبیة فانّ الذی ذکر عنوان لها لیس على ضوء علماء العقائد، بل یراد بالجلال هناک المعنى اللغوی والاشارة إلى عظمة هذه الصفات. على کل حال فانّ معرفة اللَّه والتعرف على صفات جماله وجلاله، تعد معین کل خیر وحسن وأساس جمیع الفضائل الأخلاقیة والأعمال الصالحة، ومن هنا فقد إستهل الإمام علیه السلام أغلب خطبه بالإشارة إلى جانب من هذه الصفات، لیحمل القلوب نحو عظمته سبحانه وصفات جلاله وجماله. فقد قال علیه السلام: «و أشهد أن لا إله إلّااللّه وحده لا شریک له» فالأوصاف وإن کانت ثلاث وهی نفی الشریک والمعبود وصفة التوحید، غیر أنّها تعد جمیعاً إلى حقیقة واحدة وهی توحیده فی الذات والصفات والعبودیة. ولما کان التوحید أساس صفات اللَّه سبحانه، فقد تطرق الإمام علیه السلام إلى هذه الصفة قبل کل شئ، وسنرى لاحقاً أنّ سائر الصفات السبع إنّما تنبع من صفة التوحید. ثم قال علیه السلام فی الصفة الثانیة

«الأوّل لا شیء قبله»

هذه واحدة من الصفات التی

نفحات الولایة، ج٣، ص: ٢٩٢

تنزه عن الشبه؛ لأنّه وجود لامتناهی، ومثل هذا الوجود أزلی، والوجود الأزلی قبل کل شئ وبعد کل شئ، فلو کان قبله شئ لانتفت أزلیته. ثم قال علیه السلام فی الصفة الثالثة:

«و الْآخر لا غاية له»

كما أشرنا آنفا فانّ هـذه نتيجة لعدم تناهيه، وبعبارة أخرى إنتفاء نظيره. ومن الواضح أنّ الصـفة الثانية والثالثة ثبوتية: فأوليته فى الأزل، وآخريته فى الأبدّ. وقال عليه السلام فى الصفة الرابعة:

«لا تقع الْأوْهام ٦٢٨] له على صفةٍ»

فنحن نعلم أنّ عقلنا محـدود لايسـعه إدراك سوى المحدودات، وعليه فليس للوهم أن يحيط بذاته المقدسة وصـفاته المطلقة التى هى عين ذاته، وبعبارة اخرى فانّ علمنا بصـفاته إنما هو من قبيل العلم الإجمالى، وإلّا فالعلم التفصـيلى بذاته وصـفاته متعذر على مخلوقاته. ويتضـح ممـا ذكر أنّ الأوهـام هنـا بمعنى الأفكـار، غير أنّ الفكر حين يعجز يعبر عنه بـالوهم. ثم أشـار الإمـام عليه السـلام فى الصـفة الخامسة والسادسة إلى نفى الكيفية والكمية عن الذات الإلهية المقدسة قائلًا:

«و لا تعقد القلوب منه على كيفيّةٍ، ولا تناله التّجزئة التّبعيض»

والكيفيـة عبارة عن الشـكل والهيئة التى تتخذها الأشـياء، سواء كانت هذه الهيئة قابلة للرؤية أو السـماع أو اللمس. وبالطبع فانّ الكيفية إنّمـا ترتبط بالامور التى تكون أوصافها زائـدة على ذاتها، أمّا من كانت صـفاته عين ذاته، وكانت ذاته خاليـة من التعـدد فليس للكيفية من سبيل إلى ذاته، بعبارة اخرى فان الكيفيات ناشـئة من المحـدوديات والذات الإلهية اللامحدودة لاكيفية لها. كما أنّ الاشـتمال على الجزء والبعض مـن خـواص الأجسـام، ومن هنـا فالكميـة من عـوارض الجسم، ولمـا كـان اللّه سـبحانه منزه عن الجسـمية، لم تجز عليه التجزئـة والتبعيض، وليس للكميـة من سبيل إلى ذاته المقدسة. بعبارة أخرى: إنّما تطلق الكمية حيث الزيادة والنقصان، وعليه فليس للّه من كمية حيث ليس هنالك من زيادة أ ونقصان فى وجوده المطلق اللامتناهى. على ضوء ما مر معنا فان التجزئة والتبعيض لفظان متراد فان يفيـدان معنى واحـد، ألا أنّ بعض شـرّاح نهج‌البلاغـة احتملوا أنّ التجزئـة إشارة إلى الأجزاء العقلية (كالجنس والفصل المنطقيين) والتبعيض إشارة إلى الأجزاء الخارجية. عى كل حال فمفهوم

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢٩٣

العبارة هو أن الذات الإلهية ليست مركبة من أجزاء لافى الخارج ولا فى الذهن، لأنّه لو كان متركبا من أجزاء لاحتاج إليها، والحال أنّه غنى بالذات، والمحتاج ممكن الوجود، لاواجب الوجود. ثم قال عليه السلام فى الصفة السابعة والثامنة:

«و لا تحيط به الْأبصار والقلوب»

أمّا قوله عليه السـلام لاـتحيطه الابصـار، فواضـح، لأنّ الإنسان يرى بعينه الالوان والضوء ومن ثم الأجسام، ولما كان اللون من خواص الجسم، وللجسم زمـان ومكـان وأجزاء، فالنتيجـة أنّه محتـاج وممكن الوجود، واللّه أعظم وأجـل شأناً من ذلك وان ذهب بعض علماء العامة اسـتناداً إلى بعض الروايات- المخدوشة السـند أو الدلالة- إلى رؤية اللّه سـبحانه يوم القيامة، الأمر الذى يعتبر من الشـرك؛ لأنّ ذلك يسـتلزم كون اللّه جسـما له زمان ومكان وجهـة ولون، أمّا نحن وعلى ضوء تعاليم أئمتنا عليه السـلام نعتقد بأنّ الرؤية محالة على اللّه سـبحانه، لافى هـذا العالم ولا فى عالم الآخرة! والأدلة العقلية التى أشارت إلى جانب من ذلك فى الخطبة إنّما تثبت هذه الحقيقة، وليس للاسـتثناء من سبيل إلى الأدلة العقلية.[٦٢٩] أمّا عـدم إحاطة العقول بذاته المطهرة فلكونها غير محدودة، وليس للعقل المحدود قدرة إدراك غير المحدود، ولذلك قلنا سابقاً إن علمنا بذاته وصفاته سبحانه إجمالى لاتفصيلى. والذى يجدر ذكره هو أنّ الإمام عليه السـلام عبر بعـدم الاحاطـة بشأن نفى الرؤيـة بواسـطة العين وكـذلك الرؤيـة العقلية، والذى يمثل فى الواقع الدليل على المطلوب، لأنّ الاحاطة بالشئ من لوازم الرؤية أو المشاهدة العقلية، وكيف يحاط وجود مطلق لامتناهى.

وهنا يقتدح هذا السؤال وهو أنّ الإمام عليه السلام قال:

«لاتدركه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان»[٦٣٠]

أفلاـ ينـاقض هـذا الكلام ما ورد فى الخطبـة؟ والجواب على هـذا السؤال أنّ المراد من عـدم إحاطـة العقل بـذاته هو نفى إدراك كنه

الذات، وبعبارة اخرى العلم التفصيلي؛ أمّا ما ورد في الخطبة ۱۷۹ من رؤية اللّه من قبل القلوب يشير إلى العلم الإجمالي. فقد ورد عن الإمام الجواد عليه السلام أنّه قال:

«أوهام القلوب أدق من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند والبلدان التي لم تدخلها ولاتدركها ببصرك، فأوهام القلوب لا تدركه، فكيف أبصار العيون»[۶۳۱]

. على كل حال فان ما أورده الإمام عليه السلام من

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۹۴

صفات في هذه العبارات بشأن الذات المقدسة، إنّما يشير إلى ذروة قدرة الإنسان على معرفة اللّه. فليس هنالك من يورد مثل هذه الصفات سوى المعصوم ولاسيما أميرالمؤمنين علي عليه السلام.

ونختتم البحث بما ذكره ابن أبي‌الحديد بهذا الشأن فقد قال: وإعلم أن التوحيد والعدل والمباحث الشريفة الإلهية، ما عرفت إلّامن كلام هذا الرجل، وأن كلام غيره من أكابر الصحابة لم يتضمن شيئاً من ذلك أصلًا؛ ولا كانوا يتصورونه، ولو تصوروه لذكروه. وهذه الفضيلة عندي أعظم فضائله عليه السلام.[۶۳۲]

تأمّل: كيفية معرفة الإنسان بالذات المقدسة

تعد هذه المسئلة من أدق وأعقد المسائل العقائدية والتي تزل فيها الأقدام والأقلام حتى سلكت طائفة الافراط، بينما سلكت اخرى التفريط بهذا الشأن. فقد إبتعدت طائفة عن معرفة اللّه حتى اصطلح عليها بالمعطلة، حيث زعمت أننا لانعلم أي شئ إيجابي عن ذاته وصفاته سبحانه، وليس لنا سوى إستناد إلى سلسلة من الامور السلبية، فكل ما نقوله أنّ اللّه ليس بمعدوم، ليس عاجز، وليس جاهل، ولو أردنا أن نسلك سبيل الصفات الثبوتية فانّ كل الأبواب مقفلة بوجهنا. هذه هي الطائفة التي تدعى بالمعطلة. أمّا الطائفة الثانية فقد ذهبت إلى العكس مما ذهبت إليه الطائفة الاولى حتى جعلت من اللّه جسماً وصنعت له أعضاء وبدن، وهي الطائفة التي يصطلح عليها بالمشبهة، حيث شبهت اللّه بعباده. أمّا الطائفة الثالثة الوسط التي تخالف إفراط ا لاولى وتفريط الثانية- حيث تتصف كلا الطائفتين بالضلال والتغرب عن القرآن والتعاليم الإسلامية- وهي التي تقول بالمعرفة الإجمالية لذاته وصفاته سبحانه، دون أن يقف أحد على كنه تلك الذات المقدسة وصفاتها. وبعبارة أوضح: إذا نظرنا إلى عالم الوجود وتأملنا آثار العلم والحكمة وعظم القدرة الحاكمة في كل مكان فاننا سنقف على أن هذه الأنظمة والقوانين المعقدة التي تحكم كافة دقائق هذا الوجود إنّما تنطلق من مصدر يتصف

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۹۵

بالعلم والقدرة المطلقة، الأمر الذي يجعلنا نمتلك معرفة إجمالية بهذه الذات المقدسة. من جانب آخر فاننا إذا فكرنا في ذاته سبحانه وتساءلنا ما حقيقتها؟ هل هي نور؟ أعظم من النور؟

وجود بسيط وخالص؟ لانفهم على وجه الدقة حقيقة ذاته. وكل ما نعرفه أنّ ذاته تفوق الجسم والجسمانيات، وتترفع عن الخيال القياس والظن والوهم، وأنّه أعظم من كل ما رأينا وسمعنا وتصورنا. له علم وقدرة مطلقة، ولكن ما كيفية هذا العلم وهذه القدرة، يتعذر علينا الجواب على ذلك. وكلما أردنا أن نحصره في فكرنا لنقف على حقيقة ذاته، رأينا فكرنا قاصراً عاجزاً، بل إذا إقتربنا شبراً من حقيقة ذاته- كما يقول الشاعر- ابتعدنا عنها ميلًا. وكيف لايكون الأمر كذلك ووجودنا محدود متناهي ووجوده مطلق لامتناهي. فقد قال الإمام الصادق عليه السلام:

«فهذه الشمس خلق من خلق اللّه فان قدرت أن تملأ عينيك منها فهو كما تقول»[۶۳۳]

. فقد أراد الإمام عليه السلام أن يعرفنا بمحدودية قدرة باصرتنا وفكرنا إزاء ذاته المنزهة عن الحدود. ومن هنا يتوجب علينا أن نخشع للّه سبحانه ونمد أيدينا له بالدعاء لتردد ما قاله الإمام الهادي عليه السلام في مناجاته للحق سبحانه:

«إلهى تاهت أوهام الموهمين، وقصر طرف الطارفين وتلاشت أوصاف الواصفين، واضمحلت أقاويل المبطلين عن الدرك العجيب شأنك، أو الوقوع بالبلوغ إلى علوك، فأنت فى المكان الذى لايتناهى ولم تقع عليك عيون باشارة ولاعبارة، هيهات ثم هيهات».[۶۳۴]

إلّاأنّ هذا لايعنى أنّ المعرفة الإجمالية متعذرة علينا؛ فقد ملأت آثار ذاته وصفاته الوجود بأسره، فضلاعن وجودنا.

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢٩٧

القسم الثانى: الاتعاظ والاعتبار

ومنها: «فاتَّعِظُوا عِبادَ اللَّهِ بِالْعِبَرِ النَّوافِعِ، واعْتَبِرُوا بِالْآيِ السَّواطِعِ، وازْدَجِرُوا بِالنُّذُرِ الْبوالِغِ، وانْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ والْمَواعِظِ، فَكَأَنْ قَدْ عَلِقَتْكُمْ مَخَالِبُ الْمَنِيَّةِ وانْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عَلائِقُ الْأُمْنِيَّةِ، ودَهِمَتْكُمْ مُفْظِعاتُ الْأُمُورِ، والسِّياقَةُ إِلَى الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ، ف «كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وشَهِيدٌ»: سائِقٌ يَسُوقُها إِلَى مَحْشَرِها؛ وشاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْها بِعَمَلِها».

الشرح والتفسير

لقد واصل الإمام عليه السلام كلامه بحمل مخاطبيه إلى التأمل فى سالف التأريخ وحوادثه التى تنطوى على الدروس والعبر بغية توظيفها لما يخدم مصيرهم وعاقبتهم، فقال:

«فاتّعظوا عباداللّه بالعبر النّوافع».

نعم تذكروا عظماء التأريخ وكبكبة الملوك السلاطين والثراء العظيم الذى كان عليه الماضون والحياة المرفهة الوادعة، ثم انظروا كيف أتى الدهر عليها فأحالها ركاما بعد أن أبادهم عن آخرهم، فلم تبق من قصورهم الشاهقة سوى الاطلال، بل لم يبق من أجسادهم سوى العظام النخرة، فقد ذهبوا وأكلهم النسيان. ثم قال عليه السلام:

«واعتبروا بالآى السّواطع،[۶۳۵] ازدجروا بالنّذر البوالغ»

فهى من قبيل التحذيرات التى أثارها القرآن الكريم، فهو يشرح أحيانا العذاب الأليم الذى نزل بالأقوام الطاغية الظالمة الماضية، واخرى يتحدث عن شدة العذاب الاخروى، وأخيراً يضطر الإنسان للتفكير بجد فى عاقبته، ويحذره من

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٢٩٨

مقارفة الذنوب والمعاصى. ثم قال عليه السلام:

«و انتفعوا بالذّكر والمواعظ»

والفارق بين هذه التحذيرات الأربع: ففى التحذير الأول يلفت الإمام عليه السلام انتباه الجميع إلى الحوادث التأريخية الماضية والحاضرة التى تنطوى على الدروس والعبر ليتعظ بها، وفى التحذير الثانى أشار إلى دلالته سبحانه فى عالم الوجود أو الآيات القرآنية التى توقظ الضمير. وفى التحذير الثالث تطرق إلى نذر أولياء اللّه. وأخيراً تعرض فى التحذير الرابع إلى نصائح أولياء اللّه ومواعظهم، وهى التحذيرات الكافية لآثارة حيطة وحذر من كان له أدنى إستعداد للتقبل. ثم واصل عليه السلام كلامه بالحديث عن مرارة لحظات الموت ومعالجة سكراته فقال:

«فكأن قد علقتكم ۶۳۶] مخالب ۶۳۷] المنيّة، وانقطعت منكم علائق الأمنيّة، ودهمتكم ۶۳۸] مفظعات ۶۳۹] الأمور، والسّياقة إلى الورد المورود، ف «كلّ نفسٍ معها سائقٌ وشهيدٌ»: سائقٌ يسوقها إلى محشرها؛ وشاهدٌ يشهد عليها بعملها»

. لما كان الموت قد كتب على الجميع ولم يعنى زمانه، بحيث يفاجئ الإنسان، فانّ الإمام عليه السلام يتحدث عنه كأمر قد وقع، فيصرح كأنّى قد رأيتكم فى مخالب الموت وقد أحاطت بكم سكراته وقد قطعت كل أمانيكم وذهبت أدراج الرياح كأنّها ضرب من ضروب الخيال والاحلام، وكأنّكم انتقلتم من هذه الدنيا إلى الآخرة، يقود كما المكان إلى المحشر. وقد ورد عن الإمام شبيه هذا

المعنى فى الخطبة ۲۰۴

«تجهزوا رحمكم اللّه! فقد نودى فيكم بالرحيل، وأقلوا العرجة على الدنيا، وانقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزاد، فان أمامكم عقبة كؤودا، ومنازل مخوفة مهولة، لابد من الورود عليها، والوقوف عندها».

والعبارة

«والسياقة إلى الورود المورود»

إشارة إلى الآية ۹۸ من سورة هود: «يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۹۹

القِيامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النّارَ وَبِئْسَ الوِرْدُ المَوْرُودُ».

«ورد»

تعنى ما يشقه من طريق بمحاذاة النهر الكبير الذى يبتعد ساحله عن الماء، ليتمكن الشخص من الوصول إلى الماء بسهولة، والمورد هو الموضع الذى يرده العطاش، وهى إشارة إلى أنّ المذنبين محرومون من ماء أنهار الجنّة العذبة الزلال فيردون ماء جهنم، الذى يشوى الوجوه والبطون. وقوله عليه السلام:

«كلّ نفسٍ معها سائقٌ وشهيدٌ»

. أما المراد بالسائق والشهيد فقد اختلفت فيه أقوال مفسرى القرآن وشرّاح نهجالبلاغة. فذهب البعض إلى أنّ المراد بالسائق الملك الذى يكتب الحسنات، والشهيد من يكتب السيئات، وقيل السائق ملك والشهيد أعضاء بدن الإنسان، أو صحيفة أعماله التى تعلق فى عنقه. وهناك قول آخر أن يكون المراد بالسائق الملك الذى يجمع بين الأمرين، كأنّه قال: وجاءت كل نفس معها ملك يسوقها إلى المحشر ويشهد عليها. وأخيراً قيل السائق هو الأمر الإلهى الذى يسوق الإنسان إلى المحشر من أجل الوقوف للحساب والجزاء، والشاهد الأنبياء والعلماء، أو عقل الإنسان وأعضاؤه. إلّاأن الأظهر فى الأخبار والآثار أنّهما ملكان، أحدهما يسوق الإنسان إلى المحشر، والاخر يشهد على أعماله.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۰۱

القسم الثالث

اشارة

ومنها فى صفة الجنّة

«دَرَجاتٌ مُتَفاضِلاتٌ، ومَنازِلُ مُتَفاوِتاتٌ، لا يَنْقَطِعُ نَعِيمُها، ولا يَظْعَنُ مُقِيمُها، ولا يَهْرَمُ خالِدُها، ولا يَبْأَسُ ساكِنُها».

الشرح والتفسير

درجات الجنّة

نفحات الولاية ؛ ج۳ ؛ ص۳۰۱

تتم الإمام عليه السلام خطبته بالحديث عن نعم الجنّة وألطاف البارئ سبحانه باهلها ليخلط الانذار بالبشارة جريا على طريقة القرآن فى خلق الشعور بالخوف والرجاء لدى العباد لتدفعهم بالتالى نحو السمو والتكامل والسير إلى اللّه، فقال:

«درجاتٌ متفاضلاتٌ، ومنازل متفاوتاتٌ»

فالعبارة تفيد أن الإنسان لاينبغی أن يقتنع بما عليه من الكمال مهما كانت المرحلة التی بلغها، وعليه أنّ يواصل مسيرته ويجد فی العلم والعمل ويسعی لتهذيب نفسه. ومن الواضح أنّ نصيب الإنسان من النعم المادية والمعنوية الاخروية إنّما يتوقف علی مدی إيمانه وعمله ومعرفته وما تحلی به من أخلاق. وقد أشار القرآن كرارا إلی درجات الجنّة كقوله:

«وَلِكلٍّ دَرَجاتٌ مِمّا عَمِلُوا»[۶۴۰] وقال: «نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ»[۶۴۱]، ثم تعرض لشرح هذه الدرجات: «وَالسّابِقُونَ السّابِقُونَ* أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ* فِی جَنّاتِ النَّعِيمِ»[۶۴۲] وقال:

نفحات الولايه، ج۳، ص: ۳۰۲

«وَأَصْحابُ الَيمِينِ ما أَصْحابُ اليَمِينِ»[۶۴۳] ثم اختتمت سورة الواقعة بالحديث عن هاتين الطائفتين التی تفوق إحداهما الاخری فقال: «فَأَمّا إِنْ كانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ* فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ* وَأَمّا إِنْ كانَ مِنْ أَصْحابِ اليَمِينِ* فَسَلامٌلَک مِنْ أَصْحابِاليَمِينِ»[۶۴۴]. كما صرح القرآن بأنّ مثوی المؤمنين الصالحين

«جنّات عدن»

وطائفة

«جنّات المأوی»

واخری

«جنّات الفردوس»

وأخری

«جنّات النعيم»

فی إشارة إلی مقامات الجنّة ودرجاتها.[۶۴۵] وجاء فی الخبر أنّ رسولاللَّه صلی الله عليه و آله قال:

«الجنّة مئة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض؛ الفردوس أعلاها درجة، منها تفجر أنهار الجنّة الأربعة، فاذا سألتموا اللّه، فاسألوه الفردوس»[۶۴۶]

وورد أيضاً

«إنّ أهل الجنّة ليرون أهل عليين كما يری النجم فی أفق السماء»[۶۴۷]

ومن الطبيعی أن تتفاوت مقامات المؤمنين فی الجنّة علی ضوء إيمانهم عملهم، ولعل العدد مئة الوارد فی الحديث إشارة إلی الكثرة وأنّ تفاوت المقامات أكثر بكثير من هذا العدد، كما يمكن أن تكون الدرجات الأصلية للجنّة مئة درجة، وتقسم كل واحدة منها إلی عدّة درجات، ومن هنا ورد فی القرآن: «وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصّالِحاتِ فَأُولئِک لَهُمُ الدَّرَجاتُ العُلی [۶۴۸]. وورد فی حديث الإمام زينالعابدين عليه السلام أنّ درجات الجنّة بعدد آيات القرآن، فيقال لقارئ القرآن يوم القيامة إقرأ وارقأ.

[۶۴۹] ثم ذكر عليه السلام أربع صفات للجنّة تفوق كل واحدة منها الاخری، فقال عليه السلام:

«لا ينقطع نعيمها»

أی نعمها ليست من قبيل نعم الدنيا التی تزداد وتنقص وتنعدم، ما ورد ذلک فی الآية ۳۵ من سورة الرعد:

«أُكُلُها دائِمٌ وَظِلُّها»، ثم قال فی الصفة الثانية

«و لا يظعن ۶۵۰] مقيمها»

والصفة الثالثة

«و لا يهرم خالدها»

وأخيرا الصفة الرابعة

«و لا ييأس [٦٥١] ساكنها».

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٣٠٤

الخطبة[٦٥٢] السادسة و الثمانون

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

وفيها بيان صفات الحق جل جلاله، ثم عظة الناس بالتقوى والمشورة[٦٥٣]

نظرة إلى الخطبة

تتالف هذه الخطبة في الواقع من خمسة أقسام: القسم الأول كما ورد في أغلب خطب نهج‌البلاغة في بيان أوصاف اللَّه سبحانه؛ الصفات ذات الأثر البالغ في تربية الإنسان وتصده عن الذنوب والمعاصي وتسوقه إلى الخير والاحسان. القسم الثاني في وعظ الناس والتزود من هذه الدنيا والتأهب للآخرة وعدم نسيان الهدف من خلقتهم. القسم الثالث في أهمية القرآن واتمام الحجة. القسم الرابع تحذير الناس من نوم الغفلة وتدارک ما مضى من العمر في أواخره والحيطة من مكائد الشيطان. وأخيرا القسم الخامس في الاشارة إلى بعض الصفات الذميمة والتعريف بأفضل الأفراد.

فالخطبة بهذه الأقسام علاج لمرضى القلوب من أهل الغفلة.

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٣٠٥

القسم الأول: العالم بالخفايا والاسرار

«قَدْ عَلِمَ السَّرائِرَ، وخَبَرَ الضَّمائِرَ، لَهُ الْإِحاطَةُ بِكُلِّ شَیْ‌ءٍ، والْغَلَبَةُ لِكُلِّ شَیْ‌ءٍ، والْقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَیْ‌ءٍ».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام إلى خمس من صفات اللَّه سبحانه، يفيد التفاعل معها وتصديقها إلى الانقياد إلى الحق وتهذيب النفس وتزكيتها.

الصفة الاولى

«قد علم السّرائر».

الصفة الثانية:

«و خبر الضّمائر».

الصفة الثالثة:

«له الْإحاطة بكلّ شیْ‌ءٍ».

الصفة الرابعة:

«و الغلبة لكلّ شی‌ءٍ».

الصفة الخامسة:

«و القوّة على كلّ شىءٍ».

وقـد ذهـب بعض شـرّاح نهجالبلاغـة إلى وحدة معنى العبارة الاولى والثانية وعدوها من قبيل المرادفات فى أنّ اللّه عليم بأسـرار وخفايا كل فرد. بينما قال البعض: خبر بفتح الباء بمعنى الاختبار وخبر بكسـرها بمعنى العلم، فقد وردت الاولى بمعنى الاختبار فى موضع آخر من نهجالبلاغة

«إنّما مثل من خبر الدنيا»[۶۵۴]

ولمـا كـان الأصـل فى الجملـة هو بيانها لمعنى جديـد، يبـدو أنّ تفسـير الخبر بالامتحان أنسب، وإن كان الامتحان سـبب العلم، بل قد يكون امتحان الشئ

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۰۶

كناية عن العلم به. على كل حال الهدف هو أن نلتفت إلى أنّ البارئ سبحانه عليم بكافة أسرارنا وما يدور فى خلدنا، حتى أنه أعلم بنا من أنفسنا، فهو يعلم بسوء نياتنا وريائنا وشركنا، وعلمه بظاهرنا وباطننا على حد سواء. والعبارة

«له الإحاطة بكلّ شىءٍ»

من قبيل ذكر العام بعـد الخاص، لأنّ العبارات السابقـة تحـدثت عن احاطته العلمية سـبحانه بباطن الناس، بينما أشارت هذه العبارة إلى علمه بكافـة الأشـياء، ومن ذلك أيضاً العبارة الرابعة والخامسة التى تحدثت عن قدرته المطلقة سـبحانه، مع هذا الفارق وهو أنّ العبارة الرابعة ناظرة لغلبته وسيطرته على كل شئ، فى حين تبين الخامسة قدرته على الإتيان بكل شئ. وقيل أن الفارق بينهما هو أنّ القوة على كل شـئ تعنى القدرة على إيجاده، والغلبة تعنى السيطرة بعد الإيجاد؛ أى أنّ الأشياء لاتستطيع ا لخروج من قدرته سبحانه بعد إيجادها. على كل حال فانّ هذه الصـفات الخمس شـرح لعلم اللّه وقدرته المطلقة، ومن شأن استحضارهما مجانبة الخطايا والاندفاع نحو الطاعة والانقياد للحق.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۰۷

القسم الثانى: الزاد إلى المعاد

«فَلْيَعْمَـلِ الْعامِـلُ مِنْكُمْ فِى أَيَّام مَهَلِهِ، قَبْـلَ إِرْهـاقِ أَجَلِهِ، وفِى فَراغِهِ قَبْلَ أوان شُـغُلِهِ، وفِى مُتَنَفَّسِهِ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَـذَ بِكَظَمِهِ، ولْيُمَهِّدْ لِنَفْسِـهِ وقَدَمِهِ، لْيَتَزَوَّدْ مِنْ دارِ ظَعْنِهِ لِـدارِ إِقامَتِهِ. فاللَّهَ اللَّهَ أَيُّها النَّاسُ، فِيما اسْـتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتابِهِ، واسْتَوْدَعَكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُـبْحانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً ولَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى ولَمْ يَدَعْكُمْ فِى جَهالَةٍ ولا عَمًى، قَدْ سَمَّى آثارَكُمْ، وعَلِمَ أَعْمالَكُمْ، وكَتَبَ آجالَكُمْ».

الشرح والتفسير

لفت الإمام عليه السلام الانتباه سابقاً إلى قدرة اللّه وعلمه بخفايا الكائنات وأسرار الضمائر، وما ذلك إلّامقدمة لما أورده هنا:

«فليعمـل العامل منكم فى أيّام مهله ۶۵۵] قبل إرهاق ۶۵۶] أجله، وفى فراغه قبل أوان شـغله، وفى متنفّسه ۶۵۷] قبل أن يؤخذ بكظمه ۶۵۸]»

ثم بين عليه السلام الهدف من هذا الجهد والعمل فقال:

«و ليمهّد لنفسه وقدمه، وليتزوّد من دار ظعنه لدار إقامته»

فالواقع هو أنّ العبارات السابقة تحدثت عن أصل السعى والعمل، بينما عينت الأخيرة مساره وجهته.

جدير بالذكر أنّ العبارة

«أيام مهله»

فسّرت بالعبارات الثلاث اللاحقة، فالعبارة الاولى

«قبل إرهاق أجله»

إشارة إلى أصل نعمة الحياة والعمر، والعبارة الثانية

«وفى فراغه»

إشارة إلى

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٣٠٨

نعمة الفراغ فى مقابل الانشغال والعمل والهم بالزوجة والولد، والعبارة الثالثة

«وفى متنفسه»

نعمة العافية والسلامة وعدم وجود الشدائد والمصائب. أمّا العبارة

«وليمهد ...»

فهى تشير إلى التأهب للآخرة، فى حين تشير

«وليتزود»

إلى التجهز وكسب الزاد؛ على غرار ما يفعل الإنسان فى هذه الدنيا، حيث يعد المنزل وأدواته ثم يتجه صوب الزاد والمتاع. ثم يواصل الإمام عليه السلام تحذيراته فيقول:

«فاللّه اللّه أيّها النّاس، فيما استحفظكم من كتابه، واستودعكم من حقوقه».

طبعاً المراد من الكتاب القرآن الكريم حيث كلف الناس بصيانته والالتزام بأحكامه، أمّا المقصود بالحقوق التى استودعها العباد فهى أحكام الحلال والحرام التى ينبغى الالتزام بها وعدم مخالفتها.[٦٥٩] ثم بين الدليل من هذا الانذار بقوله:

«فإنّ اللّه سبحانه لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سدًى ٦٦٠] ولم يدعكم فى جهالةٍ ولا عمًى، قد سمّى آثاركم، وعلم أعمالكم، وكتب آجالكم»

فهى عبارات قصيرة ذات معان بعيدة تختزن المفاهيم العظيمة المؤيدة بالآيات القرآنية. فقد أشار فى المرحلة الاولى إلى الهدف من وراء خلق الإنسان، ومن ثم الحديث عن الامور التى تنطوى عليها الحياة الإنسانية، والمرحلة الثالثة الحديث عن وجود الزعماء والعلم بالأعمال، وتطرق بعد ذلك إلى بيان الوظائف والمسؤوليات وعلم الحق سبحانه بأعمال البشر، وأخيرا الحديث عن قصر عمر الإنسان وحلول أجله. ومن الواضح أنّ الإنسان إذا إلتفت إلى هذه الامور وصدقها بكل كيانه ووجوده سيجد من أجل حفظ كتاب اللّه والالتزام بحقوقه. فالمهم أن يستحضر الإنسان هدف الخلق ويستفيد مما زوده به اللّه سبحانه من إمكانات، فيؤمن بأنّ اللّه عالما بأفعاله وإلّا ينسى بأنّ عمره قصير آيل إلى زوال؛ الامور التى تلعب دوراً بناءاً فى خلق شخصية الإنسان وتهذيب نفسه. فقد قال القرآن بهذا الشأن: «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنا لاتُرْجَعُونَ»[٦٦١] وقال: «قَدْ جاءَكُمْ بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْها»[٦٦٢] وقال فى الآية ٣٠ من سورة محمد:

«وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمالَكُمْ» وقال «فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لايَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ».[٦٦٣]

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٣٠٩

القسم الثالث: الكتاب الجامع

اشارة

«وَ أَنْزَلَ عَلَيْكُمُ «الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَىْءٍ» وعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَزْماناً، حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ ولَكُمْ- فِيما أَنْزَلَ مِنْ كِتابِهِ- دِينَهُ الَّذِى رَضِىَ لِنَفْسِهِ؛

وأَنْهَى إِلَيْكَمْ- عَلَى لِسانِهِ- مَحابَّهُ مِنَ الْأَعْمالِ ومَكارِهَهُ، ونَواهِيَهُ وأَوامِرَهُ، أَلْقَى إِلَيْكَمُ الْمَعْذِرَةَ، واتَّخَذَ عَلَيْكَمُ الْحُجَّةَ، وقَدَّمَ إِلَيْكَمْ بِالْوَعِيدِ، وأَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ».

الشرح والتفسیر

جامعیة القرآن والسنة

جری الحدیث سابقا عن إتمام الحجة علی العباد، وهنا یتوسع الإمام علیه السلام فی هذا الموضوع فیقول:

«و أنزل علیکم «الکتاب تبیاناً لکلّ شیءٍ» وعمّر فیکم نبیّه أزماناً، حتّی أکمل له ولک م- فیما أنزل من کتابه- دینه الّذی رضی لنفسه».

نعم فقد أنزل سبحانه ذلک الکتاب الجامع الذی ینطوی علی کافة المعارف الإلهیة والتعالیم المادیة والمعنویة علی جمیع مستویات الحیاة البشریة کما ورد ذلک فی الآیة ۸۹ من سورة النحل: «وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ».

کما منح نبیّه صلی الله علیه و آله الفرصة الکافیة لابلاغ الدین واتمامه؛ الأمر الذی صرحت به الآیة الثالثة من سورة المائدة: «اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً». ثم خاض فی التفاصیل بغیة توضیح

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۳۱۰

المطلب فقال علیه السلام:

«و أنهی ۶۶۴] إلیکم- علی لسانه- محابّه ۶۶۵] من الْأعْمال ومکارهه، ونواهیهأوامره، وألقی إلیکم المعذرة، واتّخذ علیکم الحجّة، وقدّم إلیکم بالوعید، أنذرکم بین یدی عذابٍ شدیدٍ»

فقد أشار الإمام علیه السلام إلی إنعدام العذر بفضل القرآن وسنة النبی الأکرم صلی الله علیه و آله وماتضمناه من تعالیم ومفاهیم، فلیس لأیفرد أن یتفوه ببعض الکلمات من قبیل

«لم أکن أعلم»

أو

«لم أقف علی هذه الامور»

أو ما بلغتنی الحجة، والحق أنّ هذه العبارة مصداق واضح لقوله سبحانه فی کتابه العزیز: «قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ البالِغَةُ»[۶۶۶].

تنطوی العبارة «و أنزل علیکم «الکتاب تبیاناً لکلّ شیءٍ»» المقتبسة من الآیة ۸۹ من سورة النحل علی حقیقة مهمة ینبغی أن یتوقف عندها الجمیع. طبعاً لیس المقصود بهذه العبارة أنّ القرآن کتاب موسوعی یضم کافة الفروع والتخصصات العلمیة کالریاضیات والجغرافیا والکیمیاء والفیزیاء إلی جانب العلوم الانسانیة وما انطوت علیه المدارس الفکریة والنزعات الفلسفیة، بل المراد أنّ القرآن یشتمل علی کل ما نزل من أجله وهدف إلیه هذا الکتاب السماوی والذی یخلص فی بلورة شخصیة الإنسان وسعادته فی جمیع الأصعدة والمیادین. فقد بین المعارف الدینیة والحقائق المرتبطة بالمبدأ والمعاد ووظائف الإنسان ومسؤولیاته تجاه خالقه وتجاه بنی جنسه، إضافة إلی تبیین المسائل الأخلاقیة والقضایا الجتماعیة والمتطلبات الاقتصادیة، وقد عمد أحیاناً إلی بیان کافة الجزئیات والتفاصیل (کبیانه للأحکام المتعلقة بالعقود المالیة ومعاملات الدیون التی إستعرضتها الآیة ۲۸۲ من سورة البقرة، بینما أشار أحیانا اخری إلی الاصول الکلیة والقواعد العامة من قبیل

«باب ینفتح منه

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۳۱۱

ألف باب».

فالآيـة القرآنيـة التى وردت ضـمن الخطبـة إلى جانب روايات أئمـة العصـمة عليهم السـلام تذكر المسـلمين بأن الهداية والسـعادة إنّما تكمن فى القرآن.

إجابة عن سؤال

يبرز هنا هذا السؤال: ما الحاجة إلى سنة النبى وأقوال المعصومين فى ظل وجود القرآن الكريم؟

والجواب على هـذا السؤال واضـح وهو أن أغلب الآيـات تحتـاج إلى شـرح وتفسـير وبيـان الشـرائط وذكر موارد الاسـتثناء، أو الآيـات المتشابهـة التى لاـ تفسـر الاـ من المعصومين عليهم السـلام بردهـا إلى المحكمـات. على سبيـل المثال ترد آيـة فى الزكاة وتتطرق إلى مسـتحقيها من الاصـناف الثمانيـة دون الإشارة إلى ما يجب فيه الزكاة وحـد النصاب والشـرائط المرتبطـة بمرور الحول والشـروط التى ينبغى توفرهـا فى المسـتحقين، وكيفيـة جمع الزكاة وإنفاقها التى تتطلب تفسـيراً من المعصومين عليهم السـلام. وناهيك عما سـبق فان هنالك بعض المسـتحدثات التى تستجد بفعل تقادم الزمان وا لتى ينبغى البحث عن جذورها واصولها فى كتاب اللّه من أجل إستنباط الأحكام، هنا لابـدّ من إرشادات المعصومين عليهم السـلام لتفادى الزلل. والجـدير بالذكر أنّ القرآن قد دعى الناس إلى الانفتاح على جميع العلوم وا لمعارف، وأمر بالرجوع إلى أهل الخبرة فى كل مسألة من المسائل.

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٣١٣

القسم الرابع: إغتنام الفرصة

اشارة

«فاسْـتَدْرِكُوا بَقِيَّةَ أَيَّامِكُمْ، واصْبِرُوا لَهـا أَنْفُسَـكُمْ، فَإِنَّهَا قَلِيـلٌ فِى كَثِيرِ الْأَيَّام الَّتِى تَكُونُ مِنْكُمْ فِيها الْغَفْلَـةُ، والتَّشاغُلُ عَنِ الْمَوْعِظَـةِ؛ ولا تُرَخِّصُوا لِأَنْفُسِكُمْ، فَتَذْهَبَ بِكُمُ الرُّخَصُ مَذاهِبَ الظَّلَمَةِ، ولا تُداهِنُوا فَيَهْجُمَ بِكُمُ الْإِدْهانُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ».

الشرح والتفسير

ما إن فرغ الإمام عليه السلام من الانذار والتحذير واتمام الحجة على الناس حتى خلص إلى هذه النتيجة المهمة

«فاستدركوا بقيّة أيّامكم، واصبروا لها أنفسكم»

ثم استدل عليه السلام على ذلك بالقول

«فإنّها قليلٌ فى كثير الْأيّام الّتى تكون منكم فيها الغفلة، التّشاغل عن الموعظة»

وحقـاً أنّ الأمر كـذلك فلو انتبه الإنسـان إلى ساعـات عمره وأيـامه ولياليه لرأها قصـيرة، وعليه فلابـد من اليقظـة فى ما بقى من عمره والاسـتناد إلى سـلاح الصبر والاستقامة، وذلك لأنّ الحيطة والحذر من الغفلة تستلزم الصبر، إلى جانب كون الطاعة واجتناب المعصية هى الاخرى بحاجة إلى الصبر، فقد صرحت بعض الروايات الإسلامية بأنّ نسبة الصبر إلى الإيمان كنسبة الرأس إلى الجسد.[۶۶۷]

والعبارة

«تكون منكم فيها الغفلة»

بالفعل المضارع إشارة إلى أنّ هـذه الغفلـة لم تصـدر منكم فى الماضـى، فهى كـذلك فى الحاضـر، فجـدوا واجتهـدوا فى المسـتقبل لتداراك ما فرط منكم فى السابق. ثم تطرق عليه السـلام إلى نقطتين مهمتين تمثلان فى الواقع سبيلين خطرين من سـبل نفوذ الشـيطان؛ الأول:

«و لا ترخّصوا لأنفسكم، فتذهب بكم الرّخص مذاهب الظّلمة»

فالتجارب

نفحات الولايۀ، ج٣، ص: ٣١۴

تفيد أنّ أولئك الذين جاوزوا الحد فى المباحات والرخص قد هوى آخر الأمر فى مستنقع المحرمات. فقد شبهت بعض الروايات والأخبار المحارم بالغرق والمنطقة المحظورة ذات الحدود المعينة ثم شبهت النفس البشرية بالشاة التى ترعى عند تلك الحدود، حتى يلوح لها العلف فتندفع نحوه. فالإنسان قد يندفع بأقصى ما لديه لممارسة المباحات حتى تخدعه نفسه فاذا هو يقارف الخطيئة والمعصية. فقد قال الإمام على عليه السلام:

«والمعاصى حمى اللّه، فمن يرتع حولها يوشک أن يدخلها»[۶۶۸]

. وقد وردت التعبيرات القرآنية الرائعة التى تحذر من الاقتراب من تلک الحمى كقوله: «وَلا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ»[۶۶۹] و «وَلا تَقْرَبُوا الزِّنا»[۶۷۰] و وَلا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ ماظَهَرَ مِنْها وَمابَطَنَ»[۶۷۱].

فأفضل سبيل لمجانبة الذنب تكمن فى عدم الاقتراب منه، فلايوغل فى المباح خشية من السقوط بما بعده. والسبيل الثانى:

«و لا تداهنوا[۶۷۲] فيهجم بكم الإدهان على المعصية»

. المراد بالمداهنة هنا مماشاة الإنسان ومرونته لأحل الذنوب والمعاصى واظهار حالة من النفاق، فانّ من شأن هذا النفاق أنّ يقود الإنسان إلى مقارفة الذنب. وأحد المصاديق التى يمكن الإشارة إليها هنا ما تعارف بالحيل الشرعية واللجوء إلى بعض الأساليب التى تعدّ من الحلول الكاذبة لبعض المشاكل، حيث تنتهى بالإنسان فى خاتمة المطاف إلى الوقوع فى المعصية علانية، وهذا بدوره يعد من سبل الشيطان لجر الإنسان إلى الذنب والخطيئة. وأحياناً يخدع الإنسان نفسه ليقارب الذنب، كما يخدع أحياناً من قبل الآخرين للإتيان بالمعصية، وكلا الأمرين من مصاديق المداهنة. ومن هنا حذر الإمام عليه السلام من هذين السبيلين بغية غلق الابواب بوجه الشيطان وعدم الوقوع فى حبائله.

نفحات الولايۀ، ج٣، ص: ٣١۵

طرق نفوذ الشيطان

أشار الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة إلى طرق نفوذ الشيطان فى قلوب الناس، ليؤكد على موضوعين مهمين بهذا الشأن. الأول المبالغة فى الاستفادة من الحرية وممارسة المباحات؛ وذلک لأن بعض المباحات تمثل الحد الأخير لحيز الذنب، بحيث يرد الإنسان هذا الحيز إذا ما اندفع أكثر من اللازم. فالإمام عليه السلام يحذر هنا من الاندفاع وراء هذه المباحات، حيث يخشى على مثل هذا الفرد أن يسلک سبيل الظلمة. ومن هنا نرى الدول والبلدان تعمد اليوم إلى تعيين حدودها لتشكل حزامها الامنى، ولايحق للأفراد أن يقتربوا لبضع كيلومترات من هذه الحدود، لأنّ الوصول إلى النقطة الحدودية قد يسول للإنسان إذا وصل حد الذنب، قد يبدو له سهلًا فتوسوس له نفسه لمقارفته. والطريق الثانى الذى ينفذ من خلاله الشيطان إلى الإنسان إنّما يكمن فى مداهنة أهل الذنوب والمعاصى ومجاملتهم على أعمالهم، إلى جانب حل بعض المعضلات من خلال الحيل الشرعية وما شابه ذلک. فعادة أهل المعاصى هى الاستخفاف بالذنب والمعصية وتصغيرها فى نظر الآخرين، كما أنّ الحيل الشرعية تقضى على فضاعة الذنب وشدته وتهتک الحجب المضروبة بينه وبين الإنسان، فقد جاء فى الخبر أنّ أميرَالمؤمنين على عليه السلام قال:

«من داهن نفسه هجمت به على المعاصى المحرمة».[۶۷۳]

نفحات الولايۀ، ج٣، ص: ٣١٧

القسم الخامس: من هو السعيد؟

اشارة

«عِبادَ اللَّهِ، إنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ؛ وإنَّ أَغَشَّهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصاهُمْ لِرَبِّهِ؛ والْمَغْبُونُ مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ، والْمَغْبُوطُ مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ، «وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ». والشَّقِيُّ مَنِ انْخَدَعَ لِهَواهُ وغُرُورِهِ».

الشرح والتفسير

واصل الإمام عليه السلام حديثه بالنذر والتطرق لسبل نفوذ الشيطان، ليورد هنا بست عبارات قصيرة عظيمة كيفية العمل والخلاص، فقال بادئ ذى بدء:

«عباد اللّه، إنّ أنصح النّاس لنفسه أطوعهم لربّه»

ومعنى هذه العبارة أن لا يخدع الإنسان نفسه ولايكذب عليها ولايجعل من نقاط ضعفه عناصر قوة فى شخصيته ولايسدل استار عيبه ونقصه أمام نفسه، بل يتهم نفسه بكل إخلاص، فمثل هذا الإنسان يتجه لا محالة نحو الطاعة.[۶۷۴] ثم أشار فى العبارة الثانية إلى عكس ذلك فقال:

«و إنّ أغشّهم ۶۷۵] لنفسه أعصاهم لربّه»

. ومن الطبيعى أنّ الإنسان إذا خدع نفسه وأخفى عنها عيبه، تراءى له الذنب مباحا، بل قد يبدو له أحياناً أمرا واجباً، وهكذا تتوفر لديه الأرضية الخصبة لمقارفة الاثم والمعصية. وقال فى العبارة الثالثة:

«والمغبون من غبن نفسه»

فى إشارة إلى أن بعض الأفراد قد يخدعون هذا الإنسان ويغبنه فيسلبوه ما لديه، كما قد يرتكب الإنسان مثل العمل بحق نفسه فيخدعها فيفقد عناصر القوة

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۱۸

التى كان من المفترض أن تقوده نحو الفوز بالآخرة ونيل سعادتها وفلاحها. وقال فى العبارة الرابعة:

«والمغبوط من سلم له دينه»

. فالغبطة أن يتمنى الإنسان مالغيره من النعم، وعليه فالمغبوط هو المستحق لتطلع النفوس إليه والرغبة فى نيل مثل نعمته، فان جد واجتهد الإنسان وتمكن من الحفاظ على دينه وإيمانه فى ظل هذه الدنيا وتقلباتها فقد أحرز أعظم النعم الإلهية التى يجدر بالآخرين أن يغبطوه عليها. وعلى ضوء القاعدة الأدبية فان تقديم الخبر على المبتدأ يفيد الحصر، فالعبارة تفيد أن الغبطة لا تكون سوى تجاه من حفظ دينه وإيمانه ازاء حوادث الدهر ومكاره الدنيا، لاتجاه من ينال بعض المقامات ويجبى الأموال والثروات وسائر الإمكانات المادية الآيلة إلى الفناء والزوال. وقال فى العبارة الخامسة:

«والسّعيد من وعظ بغيره».

فمما لاشك فيه أنّ الحوادث المريرة والتجارب القاسية تعد وسيلة لليقظة ومصدرا لنصيحة الإنسان ووعظه، ولكن ما أروع أن يستفيد من تجارب الآخرين ويتعظ بمصيرهم دون أن يرتكب بعض الاخطاء التى قد تلهمه بعض التجربة، فكأنى بهذا الفرد كذلك المنزل الذى جاور حديقة غناء وكان يعمل فيها الآخرين بينما يصله نسيمها ورائحتها الزاكية. ولما كان مصير الأفراد فى حياتهم متشابه فى الغالب، وبعبارة اخرى

«التأريخ يعيد نفسه»

فلكل فرد أن يرى جانبا من مصيره فى حياة الآخرين. وبناءاً على هذا فليس هنالك من يستثنى من هذه العبارة ولايعتبر بحياة الآخرين. هذا وقد ذهب بعض شرّاح نهج‌البلاغة إلى أن العبارة

«والسّعيد من وعظ بغيره»

تعد مثلًا من الأمثال المعروفة فی الأدب العربی ۶۷۶]. بینما عدها ابن أبی‌الحدید من الأمثال النبویة.[۶۷۷] ثم اختتم الخطبة بما یقابل العبارة السابقة قائلًا:

«والشّقیّ من انخدع لهواه وغروره»

. واضح أنّ الإنسان یلام إذا خدع من قبل الآخرین، إلّاأنّه یکون أکثر ملامة إذا انخدع بهوی نفسه، وذلک لأنّه أحرق سعادته بنفسه.

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۳۱۹

مواطن السعادة لدی الإنسان

من ضمن الأهداف التی تضمنتها الخطبة أنّ الإمام علیه السلام أشار إلی أنّ مقومات سعادة الإنسان وفلاحه کامنة فی باطنه، لا أن ترد علیه من الخارج. فهو الذی یخدع نفسه، وهو الذی یغبنها وهو الذی یسعه خلق سعادته، وأخیراً هو الذی یفوز بالآخرة بعد أن ینتصر علی نفسه ویتغلب علی أهوائها وشهواتها. والکلام یصدق علی الفرد، کما یصدق علی المجتمع؛ فأغلب الأفراد لاسیما فی عصرنا الراهن ینسبون عوامل البؤس والشقاء إلی الخارج، فیخدعون أنفسهم ویغلقون علیها سبل النجاة، والحال لابدّ من إقتفاء آثار هذه الأزمات فی الذات والروابط الاجتماعیة والأهواء النفسیة والفرقة والشقاق والنفاق والحسد وسائر الأمراض المقیتة. وکفی بهذه الخطبة سبیلًا لسعادة الإنسان حتی لو لم تتضن سوی هذا الهدف العظیم.

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۳۲۱

القسم السادس: الصفات والذمیمة

اشارة

«وَ اعْلَمُوا أَنَّ «یَسِیرَ الرِّیاءِ شِرْکٌ» ومُجالَسَةَ أَهْلِ الْهَوَی مَنْساةٌ لِلْإِیمانِ، ومَحْضَرَةٌ لِلشَّیْطانِ. جانِبُوا الْکَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلْإِیمَانِ. الصَّادِقُ عَلَی شَفَا مَنْجاةٍ وکَرامَةٍ، والْکاذِبُ عَلَی شَرَفِ مَهْواةٍ ومَهانَةٍ. لاتَحاسَدُوا، فَإِنَّ الْحَسَدَ یَأْکُلُ الْإِیمَانَ «کَمَا تَأْکُلُ النَّارُ الْحَطَبَ»؛ «وَ لا تَباغَضُوا فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ»؛ واعْلَمُوا أَنَّ الْأَمَلَ یُسْهِی الْعَقْلَ، ویُنْسِی الذِّکْرَ، فَأَکْذِبُوا الْأَمَلَ فَإِنَّهُ غُرُورٌ، وصَاحِبُهُ مَغْرُورٌ».

الشرح والتفسیر

یختتم الإمام علیه السلام خطبته بالتحذیر من ست رذائل (الریاء، مجالسة أهل الهوی الکذب، الحسد، التباغض وطول الأمل)، إلی جانب الإشارة لما تختزنه کل رذیلة من أضرار، فقال علیه السلام:

«و اعلموا أنّ یسیر الرّیاء شرکٌ»

لأنّ المرائی یقوم بالعمل رضا للعباد وتظاهراً بالاحسان من أجل لفت إنتباه الآخرین، لیطلب العزة من أقرانه الضعفاء العجزة بدلًا من طلبها من منبعها:

«وَتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ»[۶۷۸] وهذا شرک یتناقض وتوحید الأفعال. وقد تظافرت الروایات والأخبار التی صرحت بأنّ المرائی ینادی یوم القیامة:

«یا کافر! یا فاجر! یا غادر! یا خاسر! حبط عملک وبطل أجرک، فلا خالص لک الیوم، فالتمس أجرک ممن کنت تعمل له»[۶۷۹]

أضف إلی ذلک فانّ المرائی ولتناقض ظاهره وباطنه فهو فی زمرة المنافقین، ولهذا فانّ النفاق

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۳۲۲

یحیل أعماله إلی قشور لالب فیها. فقد ورد فی الحدیث عن النبی الأکرم صلی الله علیه و آله إنّه قال:

«سيأتى على النـاس زمان تخبث فيه سـرائرهم، وتحسن فيه علانيتهم، طمعاً فى الـدنيا، لايريـدون بها ما عنـد ربّهم، يكون دينهم ريـاءاً؛ «يخالطهم خوف، يعمهم اللّه بعقاب، فيدعونه دعا الغريق، فلايستجيب لهم»[۶۸۰]

وبالطبع فان أفضح الناس إذا وضعت موازين القيامة هم أهل الرياء. ثم أورد الرذيلة الثانية:

«ومجالسة أهل الهوى منساةٌ[۶۸۱] للإيمان، ومحضرةٌ[۶۸۲] للشّيطان»

لأنّ الهوى لايعرف الحـدود والقيود فيملأ كيان الإنسان ويسـتهلك فكره فلا يـدع من مجال للإيمان، ومن الطبيعى أن يكون مثل هذا المجلس محضرا الشياطين. ومخالطة الآخرين على درجة من الأهمية بحيث ورد عن رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«المرء على دين خليله وقرينه»[۶۸۳]

. وجاء فى المثل المعروف:

«قل لى من تعاشر، أقل لک من أنت»[۶۸۴]

. ثم حذر عليه السلام من رذيلة الكذب:

«جانبوا الكذب فإنّه مجانبٌ للْإيمان»

فـالمفردة جـانبوا تفيـد أنّ الكـذب على درجـة من الخطورة بحيث يجب على الإنسـان أن يبتعـد عنه ولا ـيقترب، حـذراً من أن تتفاذفه الوساوس فتلقيه فى الهاوية. والعبارة:

«مجانبٌ للإيمان»

لاتفيد أنّ الكذب لاينسجم والإيمان فحسب، بل هو شديد البعد عنه، لأن الكاذب إنما يكذب عادة لجلب منفعة أو دفع ضرر أو بدافع من هوى النفس، والحال يعلم المؤمن أنّ كل هـذه الامور بيـداللّه، كا يؤمن بانّ الهوى نوع من الوثنيـة. وشاهـد ذلک الجملـة اللاحقة التى بينها الإمام عليه السلام تأكيدا للعبارة السابقة فقال:

«الصّادق على شفا[۶۸۵] منجاةٍ وكرامةٍ، والكاذب على شرف مهواةٍ[۶۸۶] ومهانةٍ».

ثم قال محذراً من الرذيلة الرابعة:

«ولاتحاسدوا، فإنّ الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النّار الحطب»؛

لأنّ

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۲۳

الحسود فى الواقع يعترض على نظـام الخليقـة واغـداق اللّه لنعمه على العبـاد؛ الأـمر الـذى لا ـينجسم والإيمـان، أضف إلى ذلک فليس للحسود أن يرى سعادته فى سلب نعم الآخرين، ولو كان مؤمناً باللّه لسأل اللّه مثل هذه النعم. ثم حذر عليه السلام من البعض والعداء

«و لا تباغض وا فإنّها الحالقة»

. الحالقـة من مادة حلق (وبالنظر إلى حـذف متعلقها) تفيد أن الخصومة والتباغض إنّما تجتث أصول الخير والسـعادة من جذورها؛ ولا غرو لأنّ جـذور الخير تتمثل بالتعاون والتعاضـد بين أفراد المجتمع مع بعضـهم البعض الآخر. وأخيراً من الرذيلة السادسة المتمثلة بطول الأمل فقال عليه السلام:

«و اعلموا أنّ الأمل يسهى العقل، ينسى الذّكر، فأكذبوا الأمل فإنّه غرورٌ، وصاحبه مغرورٌ»

فالواقع هو أنّ طول الأمل يغرق الإنسان فى عالم من الوهم والخيال ويجعله يـدور حول محور الامور الماديـة، وهذا من أعظم العقبات التى تعترض سبيل السـعادة، وقـد دلت التجارب على أنّ أغلب الأفراد الـذين يرتكبون أبشع الجرائم إنما هم ممن ابتلوا بهـذه الرذيلة- طول الأمل- التى عدها رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله وأميرَالمؤمنين عليه السلام فى مصاف عبادة الهوى ومن أخطر عقبات السعادة.

المواعظ البالغة

لقد تضمنت هذه الخطبة وعلى الرغم من قلة عبارتها العديد من الامور المعنوية من قبيل مفهوم التوحيد وعبودية اللّه والاهتمام بالكتاب- القرآن الكريم- وما ورد فيه من تعاليم قيمة، إلى جانب التحذيرات التى تهدف إلى تنبيه الإنسان إلى مصيره وعاقبته. كما تطرقت إلى المسائل الأخلاقية المهمّة التى تعد الركن الركين لسعادة الإنسان المادية والمعنوية، كاجتناب الشرك والكذب والحسد والعداوة والبغضاء وطول الأمل، ثم أوورد الدليل والبرهان المنطقى الذى يكشف اللثام عن أضرار كل رذيلة من هذه الرذائل. الحق لو تأمل الإنسان هذه الخطبة كل يوم وفكر قليلًا فى عبارتها وعقد العزم على الالتزام بها لبلغ بنفسه شاطئ السلامة والأمان.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۲۵

الخطبة[۶۸۷] السابعة و الثمانون

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

وهى فى بيان صفات المتقين وصفات الفساق والتنبيه إلى مكان العترة الطيبة والظن الخاطىء لبعض الناس

نظرة إلى الخطبة

تتالف الخطبة فى الواقع من خمسة أقسام، أربعة منها متصلة، بينما ينفصل عنها الجزء الخامس بما له من مفهوم خاص، وهذا ما يفيد أنّ السيد الرضى (ره) قد حذف بعض الأقسام من الخطبة. والأقسام الخمسة هى:

القسم الأول: بيان صفات العلماء العاملين ممن شملتهم العناية الإلهية فاستشعروا التقوى والورع وابعدوا عن أنفسهم الأهواء والشهوات واهتدوا إلى ربّهم.

القسم الثانى: بيان صفات علماء السوء الذين اقتبسوا جهلًا من جهالّ وضلالا من ضلّال فضلوا وأضلوا.

القسم الثالث: تحذير الناس من الضلال والاتجاه نحو الجهال، والحال فيهم عترة النبى صلى الله عليه و آله منابع العلم ومعادن الحكمة.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۲۶

القسم الرابع: الاشارة إلى بعض كلمات النبى صلى الله عليه و آله بشأن أهل‌البيت عليه السلام، كما يستدل على كلامه بحديث الثقلين المتواتر المعروف لدى جميع المسلمين.

القسم الخامس: إشارة إلى الظن الباطل بأنّ الدنيا دائمة لبنى‌أمية، والأخبار عن سقوط دولتهم وزوال ملكهم، وكما أشرنا سابقاً فانّ هذا القسم لاعلاقة له بما سبقه من أقسام، ومن الواضح أنّه هناك بعض الأقسام التى حذفها السيد الرضى (ره) من الخطبة.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۲۷

القسم الأول: أحب العباد إلى اللّه

اشارة

«عِبادَ اللَّهِ! إنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبادِ اللَّهِ إلَيْهِ عَبْداً أَعانَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ، فاسْتَشْعَرَ الْحُزْنَ، وتَجَلْبَبَ الْخَوْفَ؛ فَزَهَرَ مِصْباحُ الْهُدَى فِي قَلْبِهِ، وأَعَدَّ الْقِرَى لِيَوْمِهِ النَّازِلِ بِهِ، فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ الْبَعِيدَ، وهَوَّنَ الشَّدِيدَ. نَظَرَ فَأَبْصَرَ، وذَكَرَ فَاسْتَكْثَرَ، وارْتَوَى مِنْ عَذْبٍ فُرَاتٍ سُهِّلَتْ لَهُ مَوَارِدُهُ، فَشَرِبَ نَهَلًا، وسَلَكَ سَبِيلًا جَدَداً، قَدْ خَلَعَ سَرابِيلَ الشَّهَواتِ، وتَخَلَّى مِنَ الْهُمُومِ، إلَّا هَمّاً واحِداً انْفَرَدَ بِهِ، فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ الْعَمَى،

ومُشارَكَةِ أَهْلِ الْهَوى، وصارَ مِنْ مَفاتِيحِ أَبْوابِ الْهُدَى، ومَغالِيقِ أَبْوابِ الرَّدَى، قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ، وسَلَكَ سَبِيلَهُ، وعَرَفَ مَنارَهُ، وقَطَعَ غِمارَهُ، واسْتَمْسَكَ مِنَ الْعُرَى بِأَوْثَقِها، ومِنَ الْحِبالِ بِأَمْتَنِها، فَهُوَ مِنَ الْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ».

الشرح والتفسير

إستهل الإمام عليه السلام خطبته- كما أشرنا إلى ذلك سابقا- بذكر صفات أولياء اللّه والسالكين إليه، بالشكل الذى جعل ابن أبى‌الحديد يصرح فى شرحه قائلًا:

«واعلم أن هذا الكلام منه أخذ أصحاب علم الطريقة والحقيقة علمهم، وهو تصريح بحال العارف ومكانته من اللّه تعالى»[۶۸۸]

. ويرى البعض أنّ الإمام عليه السلام قد عرف نفسه بهذه العبارات؛ لأنّ العرفان درجة حال رفيعة شريفة جداً، لاتناسب إلّاأمثاله عليه السلام، والأنسب أن يقال بأنّ بيان الإمام عليه السلام استهدف

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٣٢٨

شرح الصفات الكلية للكاملين من العرفاء وأصحاب السلوك إلى اللّه، حيث يتمثل مصداقهم به وزوجه والمعصومين من ولده عليه السلام. والجدير بالذكر أنّ الإمام عليه السلام لم يترك جانباً من الجوانب المهمّة لحال الإنسان الكامل حتى ذكر له أربعين صفة. فقد إستهل كلامه قائلًا:

«عباد اللّه! إنّ من أحبّ عباد اللّه إليه عبداً أعانه اللّه على نفسه»،

فالعبارة تشير إلى نقطة مهمة وهى أنّ إجتياز هذا الطريق ليس ميسراً لأحد- دون عناية اللّه- وذلك لعظم المخاطر والمطبات التى يتعذر على الإنسان عبورها بقوته المتواضعة، فليس أمامه سوى التوكل على اللّه وتسليم اموره إليه ليستلهم العون من مصدر فيضه ولطفه الذى لاينضب، وهذا ما أشار إليه القرآن بالقول: «وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ما زَكى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً»[۶۸۹]. ومن الواضح أنّ ألطاف اللّه سبحانه وتفضلاته ليست قائمة على العبث، بل لابدّ من نيلها بواسطة التسليم المطلق وحمل القلوب إليه وعدم إسكانها غيره. ثم خاض الإمام عليه السلام فى بيان نتيجة هذا اللطف قائلًا:

«فاستشعر الحزن، وتجلبب الخوف»

استشعر من مادة شعار مايلى البدن من اللباس، وجعل الحزن بمنزلة الشعار يعنى أنّ مثل هؤلاء الأفراد المؤمنين إنّما يعيشون الحزن فى باطنهم على ما مضى من أيام عمرهم ولم يجدوا فيها كما ينبغى لطاعة معبودهم، وبالطبع فانّه حزن بناء يسوقهم نحو العمل والحركة لتدارك مافاتهم. تجلبب من مادة جلباب ما يكون فوق جميع الثياب وتجلبب الخوف إشارة إلى أنّ هؤلاء الأفراد المخلصين يراقبون أنفسهم على الدوام، حذرين من صدور الزلل وما من شأنه أن يخرجهم من زمرة المخلصين والسعداء. كما يحتمل أن يكون حزنهم بسبب فراق المحبوب وخوفهم من عدم الوصال. ثم خاض الإمام عليه السلام فى نتيجة هذا الحزن والخوف البناء:

«فزهر مصباح الهدى فى قلبه، وأعدّ القرى ۶۹۰] ليومه النّازل به»

وزهور مصباح الهداية إشارة إلى تلألأ أنوار المعارف الإلهية فى قلوبهم يتذوقون بها حلاوة الإيمان: «وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ»[۶۹۱] والتعبير بالقرى الذى يعنى الوسيلة المعدة للضيوف يشير إلى أن يوم الأجل أو القيامة الذى يمثل ذروة الخشية والخوف لايعنى لهم سوى

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٣٢٩

ورود الضيف على المضيف الكريم، وكأنّهم كالشهداء ضيوف الرحمن الذين يرتزقون من فضل إحسانه: «بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ»[۶۹۲]. ثم قال عليه السلام:

«فقرّب على نفسه البعيد، وهوّن الشّديد»

أى يرى قرب الأجل والقيامة التى يحسبها الأعم الأغلب بعيدة، ولذلك سهل عليه تحمل الشدائد وصعوبات الطاعة وترك الذنوب

والمعاصى. ثم تطرق عليه السلام إلى خمسة امور يختزن كل واحد منها صفة من صفات هؤلاء العباد من أهل الاخلاص والعرفان فقال عليه السلام:

«نظر فأبصر، وذكر فاستذكر، وارتوى ۶۹۳] من عذبٍ فراتٍ ۶۹۴] سهّلت له موارده، فشرب نهلًا،[۶۹۵] وسلك سبيلًا جدداً»[۶۹۶]

فقد تضمنت هذه العبارات القصيرة البعيدة المعانى الإشارة من جانب إلى أهمية التفكر والنظر إلى عالم الوجود ومسائل الحياة التى تشكل أساس البصيرة الكاملة ومعرفة اللَّه، كما أشارت من جانب آخر إلى المداومة على ذكر اللَّه التى تؤدى إلى إحياء القلوب وإطمئنانها: «أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ»[۶۹۷] ثم أشار إلى الارتواء من منبع الوحى وكلمات المعصومين عليهم السلام ليتزودوا منهم فيسيروا على الطريق ويحثوا الخطى نحو قرب الحبيب والفوز بوصاله. ثم تطرق عليه السلام إلى ستة أوصاف لتهذيب نفس اولئك العباد المخلصين موضحاً معطياتها وآثارها فقال عليه السلام:

«قد خلع سرابيل الشّهوات، وتخلّى من الهموم، إلّا همّاً واحداً انفرد به، فخرج من صفة العمى، ومشاركة أهل الهوى، وصار من مفاتيح أبوابالهدى، ومغاليق أبواب الرّدى»

نعم فان هجر الشهوات وتصويب العين صوب مبدأ عالم الوجود وتنقية القلب إنّما يفتح بصيرة الإنسان، فلايصبح ذلك الإنسان سالكاً لسبيل الحق فحسب، بل يكون دليلًا ورائداً للطريق، ثم يودعه اللَّه مفاتيح الهداية أقفال الضلالة

نفحات الولايه، ج۳، ص: ۳۳۰

وأبواب النيران، فيفتح طريق الحق لسالكيه ويغلق باب جهنم بوجه العباد. ثم أشار عليه السلام إلى ست صفات اخرى فقال:

«قد أبصر طريقه، وسلك سبيله، وعرف مناره، وقطع غماره،[۶۹۸] استمسک من العرى ۶۹۹] بأوثقها، ومن الحبال بأمتنها، فهو من اليقين على مثل ضوءالشّمس»

فالواقع أنّ الصفات الست السابقة أكدت على الجوانب العمليه، بينما أضيفت لها هنا الجوانب العقائديه، فالخروج من صفة العمى وطرح حجب الهوى والظفر بسبيل الحق وطرق المعرفة وتجاوز بحار الشهوات والتمسک بعرى الهداية المتمثلة بالقرآن الكريم وكلمات المعصومين والراسخين فى العلم، إنّما تجعل هذا العبد المخلص يبلغ مقام حق اليقين، فيرى الحقائق بأم عينه، بل تمثل له كالشمس فى رابعة النهار، وهذه أعظم نعمة يصيبها العبد وأكرم ثواب يمنحه السالكين إلى اللَّه. وقد جرى الكلام سابقا عن سلوك السبل القويمة المحكمة:

«سلک سبيلًا جددا»

كما كان هناک الانفتاح على الحقائق:

«نظر فأبصر»

ثم تكرر هذا الأمران بعبارة أخرى فقال عليه السلام:

«قد أبصر طريقه وسلک سبيله»

، ولكن وكما ذكرنا آنفا فقد ورد الحديث فى السابق عن الجوانب العمليه، بينما جاء الكلام هنا عن الأبعاد العلميه؛ أى أنّ معرفة الطريق وسلوک السبيل المطمئن ضرورى فى المرحلتين.

أفضل النعم

أشار الإمام عليه السلام فى هذا القسم من خطبته إلى أساس مطلق السعادات ودافع الإنسان إلى كافة الصالحات، وما يسهل عليه تحمل الشدائد والصعاب، ويحيله بالتالى إلى كائن يأبى القهر والانهزام، وقد عبر عنه فى موضع:

«فظهر مصباح الهدى فى قلبه»،

وفى موضع آخر:

«فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس»

ألا ـ وهو مقام اليقين؛ وهو على مراتب، صنفها القرآن الكريم إلى علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين، وبالطبع فانّ حق اليقين تمثل المرحلة الأخيرة،

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۳۱

وهى مرحلة شهود الإنسان الكاملى لعالم الغيب على غرار مشاهدته لضوء الشمس، وهى المرحلة التى بلغها أميرالمؤمنين على عليه السلام حين قال:

«لو كشف لى الغطاء ما ازددت يقينا»[۷۰۰]

وقد جاء فى الحديث أن النبى صلى الله عليه و آله قال:

«ألا إنّ الناس لم يعطوا فى الدنيا شيئا خيراً من اليقين والعافية، فاسئلوهما اللّه»[۷۰۱].

وقال أميرالمؤمنين على عليه السلام:

«ما أعظم سعادة من بوشر قلبه ببرد اليقين»[۷۰۲]

. ومن الطبيعى أنّ الوصول إلى هذا المقام يتطلب من الإنسان إجتياز طريق صعب شائك بحيث لايغفل طرفة عين فيه عن اصلاح نفسه وتهذيبها، ويشفع أولياءاللّه فى نفسه ويلهج قلبه قبل لسانه ببعض ما ورد فى الأدعية الشعبانية:

«إلهى هب لى كمال الانقطاع إليك، ونر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك، حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور، فتصل إلى معدن العظمة، وتصير أرواحنا ملعقة بعز قدسك».

كثير وطويل هو الكلام فى اليقين. ونكتفى بحديث عن أميرالمؤمنين على عليه السلام فى كيفية الوصول إلى اليقين، فقد قال عليه السلام:

«أين الموقنون؟

الذين خلعوا سرابيل الهوى، وقطعوا عنهم علائق الدنيا».[۷۰۳]

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۳۳

القسم الثانى: خصائص المخلصين

اشارة

«قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ- سُبْحانَهُ- فِى أَرْفَعِ الْأُمُورِ، مِنْ إِصْدارِ كُلِّ وارِدٍ عَلَيْهِ، وتَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلَى أَصْلِهِ، مِصْباحُ ظُلُماتٍ، كَشَّافُ عَشَواتٍ خشوات مِفْتاحُ مُبْهَماتٍ، دَفَّاعُ مُعْضِلاتٍ، دَلِيلُ فَلَواتٍ، يَقُولُ فَيُفْهِمُ، يَسْكُتُ فَيَسْلَمُ، قَدْ أَخْلَصَ لِلَّهِ فاسْتَخْلَصَهُ، فَهُوَ مِنْ مَعادِنِ دِينِهِأَوْتادِ أَرْضِهِ، قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ، فَكانَ أَوَّلَ عَدْلِهِ نَفْيُ الْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ، يَصِفُ الْحَقَّ ويَعْمَلُ بِهِ، لا يَدَعُ لِلْخَيْرِ غايَةً إِلَّا أَمَّها، ولا مَظِنَّةً إِلَّا قَصَدَها، قَدْ أَمْكَنَ الْكِتابَ مِنْ زِمامِهِ، فَهُوَ قائِدُهُ وإِمامُهُ، يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقَلُهُ، وَيَنْزِلُ حَيْثُ كانَ مَنْزِلُهُ».

الشرح والتفسير

تطرق الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة إلى نقطة مهمة مكملة للقسم السابق، وهى أنّ العبد المخلص للّه- الذى دار الحديث عنه سابقاً- بعد أن يتم مرحلة تهذيبالنفس والوصول إلى المقامات العالية فى العلم والعمل والتقوى يهب لهداية الخلق ويصبح رائدا على الطريق لينجى الناس من ظلمات الجهل والوهم والضلال. فالواقع أنّ مثل هذا العبد ما إن يجتاز مرحلة السير إلى

الحق وفى الحق حتى يستأنف مرحلة السير إلى الخلق فينهض بعبئ تبليغ الرسالة التى حمل مشعلها الأنبياء. فقد قال عليه السلام:

«قد نصب نفسه للّه- سبحانه- فى أرفع الْأمور»،

آنذاك خاض الإمام عليه السلام فى شرح هذه الوظائف بعبارات قصيرة بعيدة المعانى فقال:

«من إصدار كلّ واردٍ عليه، وتصيير كلّ فرعٍ إلى أصله»،

فالعبارة تشير إلى نقطة مهمّة وهى أنّ هذا العبد العالم المخلص قد إنطوى على إحاطة بعلوم الدين وأحكامه إلى درجة

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٣٣۴

جعلته قادراً على الرد على كل ما يطرح من سؤال وإستفسار. كما تتضمن العبارة تلميحاً إلى عدم وجود سؤال فى الدين لايحمل جواباً، كما ليس هنالك من مشكلة فى المعارف الإلهية والأحكام الفرعية دون حلول؛ الأمر الذى أكده رسولاللّه صلى الله عليه و آله فى خطبته المعروفة فى حجةالوداع، إذا قال:

«يا أيها الناس! واللّه ما من شئ يقربكم من الجنّة، ويباعدكم من النار، إلا وقد أمرتكم به، وما من شئ يقربكم من النار، ويباعدكم من الجنّة، إلا وقد نهيتكم عنه»[٧٠۴]

، وهو ما تعارف فى فقه الإمامية بعنوان:

«ليس هنالك من واقعة إلّاوللّه فيها حكم».

والعبارة

«تصيير كل فرع إلى أصله»

تشير فى الواقع إلى التعريف الذى ذكره علماء الدين للاجتهاد والاستنباط، حيث صرحوا بأن حقيقة الاجتهاد هى:

«رد الفروع إلىالاصول»؛

أى الاجابة على كل فرع بالاستفادة من القواعد والاصول الكلية المستقاة من الكتاب والسنة ودليل العقل، والمجتهد من يعلم بأنّ الفرع لأىأصل يعود. كما تشير العبارة ضمنياً إلى فتح باب الاجتهاد فى كل مكان وزمان، وقد بينت شرائط المجتهد من حيث العلم والعمل فى الابحاث السابقة. ثم قال عليه السلام:

«مصباح ظلماتٍ، كشّاف عشواتٍ ٧٠۵] مفتاح مبهماتٍ، دفّاع معضلاتٍ، دليل فلواتٍ»[٧٠۶].

فقد كشف الإمام عليه السلام بهذه الصفات الخمس كيف يخترق هذا العبد المخلص الورع والمتقى حجب الجهل الظلمانية، فيكشف ما خفى من المعارف، ويفتح أقفال الغوامض والمبهمات ويحل مشاكل الناس، كما يهدى الناس إلى الحق والنجاة فى صحراء الحياة المليئة بالحيرة والضلالة وخشية الوقوع فى مخالب اللصوص وقطاع الطرق. ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه بالحديث عن خمس صفات اخرى لهذا العالم الربانى فقال:

«يقول فيفهم، ويسكت فيسلم»

. نعم كلامه هادف، وسكوته هو الآخر هادف أيضاً، فهو يتكلم حيث لابدّ من الكلام، بينما يسكت حين يخشى الذنب والمعصية من جراء الكلام، فكلامه وسكوته للّه ولايهدف فيها سوى رضاه. فالحق إننا نعرف بعض الأفراد الذين يسعون جاهدين لاحاطة

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٣٣۵

ما يقولون ويكتبون بهالة من التعقيد والابهام ليفهموا الآخرين بمستواهم العلمى، والحال لايجنى القارئ أو المستمع سوى المفاهيم المغلقة التى لاجدوى من ورائها؛ أمّا العلماء المخلصون فلا يصابون بهذه الأمراض، فهم لايرومون من كلامهم سوى هداية الطرف المقابل، أمّا سكوتهم فلا يستند إلى الهروب من المسؤولية والخلود إلى الراحة والدعة، بل لايرومون من سكوتهم سوى السلامة من الخطيئة والاثم ومجانبة الهوى ومعصية اللّه. ثم أشار عليه السلام إلى مقام هذا العارف الإلهى فقال:

«قد أخلص للّه فاستخلصه»،

يمكن أن تكون هـذه العبارة إشارة إلى نقطـة لطيفة وهى أنّ الشوائب الأخلاقية للإنسان على قسـمين: قسم قابل للرؤية ويمكن التغلب عليه من خلال الجهاد الأكبر وإصـلاح النفس، بينما يتعذر رؤية القسم الآخر. واللَّه سـبحانه فى عون من ينتصر فى المرحلة الاولى وقد صورت الروايات الإسلامية الشرك بأعظم صورة حيث قالت:

«إنّ الشرك أخفى من دبيب النمل، على صفاة سوداء، فى ليلة ظلماء»[٧٠٧]

. ومن الطبيعى أن تطهير القلب من هـذا الشـرك لايبـدو سـهلًا إلّـافى ظل العنايـة الإلهيـة. ثم أردف الإمام عليه السـلام تلك الصـفات الثلاث بصفتين فقال:

«فهو من معادن، دينه وأوتاد عرضه»،

نعم من خلص كيانه من كل الجوانب وكان عمله هو التربيـة والتعليم فهو بمنزلة المعدن الذى لايفنى والذى تسـتخرج منه المجوهرات والفلزات الثمينة، وهو كالجبل الراسخ الذى لاتزعزعه عواصف الشـرك ورياح الذنوب والمعاصى والوساوس والمكائد الشيطانية التى تتقـاذف الإنسان وتلقى به فى مهالك الردى وقـد عبر عنه القرآن الكريم بوتـد الأرض الـذى يحفظها من الزلازل: «ألم نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهاداً* وَالجِبالَ أَوْتاداً»[٧٠٨] وتشبيه هـذا العالم الربانى والعبـد المخلص بالجبل الى يمثل وتـد الأرض تفيد عظم بركته على المجتمع الإسلامى.

فمثل هـذا الفرد هو الذى يحفظ المجتمع الإسـلامى من عواصف الانحراف والفساد. ثم واصل الإمام عليه السـلام كلامه بالإشارة إلى أربع صفات اخرى من صفات هذا العالم الربانى فقال:

«قد ألزم نفسه العدل، فكان أوّل عدله نفى الهوى عن نفسه»

فنحن نعلم بأنّ حقيقة العدل الخلقى أن تكون كافة صفات ومميزات الفرد منسجمة وحد الاعتدال والاتزان، بحيث لاتنطوى

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٣٣۶

شخصـيته على الرغبات المفرطـة التى تسوقه إلى الهوى إلى جانب عدم الانزواء والتقوقع عن الدنيا، فلابد له أن يستسـيغ الحلال ويمج الحرام ويسلك خط الاعتدال. فالعبارة

«أول عدله ...»

تفيـد انطلاقه فى العـدل من ذاته، والحق أنّه مالم يكن كـذلك فليس لكلامه من أثر فى الآخرين فى الـدعوة إلى العدالـة. ثم قال فى الصفة الثانية

«يصف الحقّ ويعمل به»

فـان كان نصيرا للحق لم يقتصـر ذلك على لقلقـة اللسان، بل كانت دعوته ونصـرته للحق على مستوى السـلوك والأفعال قبل اللسان والأقوال، وذلك لأنّ كلامه النابع من إيمانه واعتقاده إنّما ينعكس مباشرة على سلوكه وتصرفه، ولولا ذلك الانعكاس لأفاد الأمر عدم إيمان ذلك الفرد بما يقول. ثم قال عليه السلام فى الصفة الثالثة:

«لا يدع للخير غايةً إلّا أمّها، ولا مظنّةً إلّا قصدها»

انه طـالب كـل خير وإحسـان وسـعادة، بـل يقتفى آثار حتى تلك الحالات التى يرتجى من وراءها خيراً، فهو عاشق للخير وكأنّه ذلك الفرد الذى يبحث عن ضالته النفيسه، فهو لاينفك عن مطاردتها هنا وهناك. وقال فى الصفة الرابعة

«قد أمكن الكتاب من زمامه، فهو قائده وإمامه، يحلّ حيث حلّ ثقله،[٧٠٩] وينزل حيث كان منزله»

وهكـذا يرى هـذا العبـد المخلص نفسه مكلّفـاً بهدايـة النـاس منطلقـاً قبل ذلك من إصـلاح نفسه واجتثاث جـذور الهوى من أعماقها؛ فلسانه يصـدع بالحق دائماً، كما يعمل بهـذا الحق إلى جانب سـعيه الـدؤوب خلف الصالحات وأعمال الخير، والأهم من كل ذلك أنّه

جعل القرآن إمامه الذى يقوده حيث شاء فقد فوض إليه كافة اموره، فكانت سكناته وحركاته مستندة إلى القرآن.

تأمّلان

١- فتح باب الاجتهاد

يرى أتباع مدرسة أهل‌البيت عليهم السلام أنّ باب الاجتهاد واستنباط الأحكام الشرعية من

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٣٣٧

أدلتها المعروفة (الكتاب والسنة والإجماع والعقل) مفتوح على الدوام؛ الأمر الذى رقى بالفقه الإسلامى وأخذ بيده نحو الكمال. بينما نعلم أنّ فريقاً من المسلمين قد ذهب إلى غلق باب الاجتهاد، ليحصره ويجعله حكراً على الأئمة الأربع! رغم عدم قلّة الأفراد الذين كانوا يفوقونهم علماً فى الأمة الإسلامية، فالواقع ليس هنالك من دليل يدعو إلى حصر الاجتهاد فى ذلك العدد المذكور. فى حين تحدث الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة عن خصائص المسلم المخلص العالم وفى مقدمتها إجتهاده فى أحكام الدين فقال:

«قد نصب نفسه للّه- سبحانه- فى أرفع الأمور، من إصدار كلّ واردٍ عليه، وتصيير كلّ فرعٍ إلى أصله، مصباح ظلماتٍ، كشّاف عشواتٍ مفتاح مبهماتٍ، دفّاع معضلاتٍ»

كما أشار ضمنياً فى عدة مواضع من هذه الخطبة إلى الشرائط التى ينبغى توفرها فى الفقيه المجتهد، والتى تدل على أن الفقيه لايتصدى لهذه المسؤولية الخطيرة مالم تكن له رابطة خالصة بالحق سبحانه وتعالى وهذا وقد تناولنا فى شرحنا للخطبة الثامنة عشرة فى المجلد الأول أهمية الاجتهاد وفتح بابه أمام العلماء، إلى جانب الحديث عن الاضرار الفادحة التى أفرزتها فكرة الاعتقاد بغلق باب الاجتهاد من قبل فقهاء العامة.

٢- شمولية القرآن

لقد أشار الإمام عليه السلام كراراً ومراراً فى أغلب خطب نهج‌البلاغة إلى أهمية القرآن الكريم، فكان يتناول أحد الأبعاد فى كل خطبة. وقد تحدث فى هذه الخطبة عن خصائص العبد المخلص، فكان من بينها تسليمه المطلق لكلام اللّه، بحيث جعل القرآن قائده وإمامه ليتبعه فى حركاته وسكناته، وبعبارة اخرى فهو ينظر إلى القرآن كمحور لكافة جوانب حياته، لاوسيلة لتوجيه عقائده وأفكاره، فهو على العكس من أولئك الذين يتشدقون بتبعتهم للقرآن، بينما يسعون لتكييف القرآن ومتطلباته وآرائهم، ليكونوا مصداقا لقوله: «وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ»[٧١٠]. فما لاينجسم ورغباتهم نسوه وهجروه، ولو كان ظاهره لايخدمهم عمدوا

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٣٣٨

إلى باطنه على ضوء نزعاتهم، والعكس صحيح فقد يتخلون عن باطن القرآن ويتمسكون بظاهره عله ينسجم وأهوائهم. فهم منحرفون لم يؤمنوا بالقرآن قط على أنّه دليلهم وإمامهم، بل هم فى الواقع ليسوا عبيد اللّه، بل عبدة الأهواء، والتفسير بالرأى الذى نهت عنه أغلب الروايات إنّما هو شعبة من شعب عبادة الهوى والشرك الخفى؛ فاين هؤلاء من العلماء المخلصين؟

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٣٣٩

القسم الثالث: العلماء المخلصون والعلماء المتشبهون

اشارة

«وَآخَرُ قَدْ تَسَمَّى عالِماً ولَيْسَ بِهِ، فاقْتَبَسَ جَهائِلَ مِنْ جُهَّالٍ، أَضالِيلَ مِنْ ضُلَّالٍ، ونَصَبَ لِلنَّاسِ أَشْراكاً مِنْ حَبائِلِ حبال غُرُورٍ، وقَوْلِ زُورٍ؛ قَدْ حَمَلَ الْكِتابَ عَلَى آرائِهِ رأيه؛ وعَطَفَ الْحَقَّ عَلَى أَهْوائِهِ، يُؤْمِنُ النَّاسَ مِنَ الْعَظائِمِ، ويُهَوِّنُ كَبِيرَ الْجَرائِمِ، يَقُولُ: أَقِفُ عِنْدَ الشُّبُهاتِ، وفِيها وَقَعَ، وَيَقُولُ: أَعْتَزِلُ الْبِدَعَ، وبَيْنَها اضْطَجَعَ، فالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسانٍ، والْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوانٍ. لا يَعْرِفُ بابَ الْهُدَى فَيَتَّبِعَهُ، ولا بابَ الْعَمَى فَيَصُدَّ عَنْهُ، ذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْياءِ».

الشرح والتفسير

كان الكلام فى الأبحاث السابقة عن العلماء المخلصين الذين كانوا هداة على الطريق، منهم مصباح ظلمات، وكشاف عشوات ومفتاح مبهمات ودفاع معضلات، وهو ملاذ الضعفاء ومفزع العباد، وقد بين الإمام عليه السلام صفاتهم على أكمل وجه، أمّا هنا فقد تحدث الإمام عليه السلام عن المتشبهين بالعلماء من أهل الضلال الذين كمنوا للخلق وصدوهم عن الحق بباطلهم ومكرهم واستغلال سذاجتهم من أجل تحقيق أطماعهم المادية. فقد عدّ الإمام عليه السلام عشر من صفاتهم فقال:

«و آخر قد تسمّى عالماً وليس به»

. فالتعبير بالفعل

«تسمى»

بصيغة المتعدى تفيد أن اليقظين من أبناء الامّة لايرونهم علماء، وهم ليسوا كذلك أيضاً عنداللّه، بل يزعم أحدهم أنّه عالم، إلى جانب شلة من الجهال المتأثرة بكذبهم ودجلهم. ثم قال فى الصفة الثانية:

«فاقتبس جهائل من جهّالٍ، وأضاليل من ضلّالٍ»

. فالمفردة

«إقتبس»

التى تعنى هنا التعلم، تفيد أن هذا

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٣٤٠

العالم المزيف إنّما أجاء هذا الفن فى الخداع والتضليل إثر تعلمه ممن سبقه، فوظف ما تعلم فى هذا الانحراف دون أن يجعل جهاده وسعيه للعلم والعمل فى خدمة الحق، وهذا لعمرى قمة البؤس والشقاء. ولعل الفارق بين

«جهائل» و «أضاليل»

أن جهائل (جمع جهالة) تعنى الجهل المركب؛ أى أنّه جاهل ولايدرى أنّه كذلك (ولايدرى أنّه لايدرى) أمّا أضاليل (جمع أضلولة) فهى تعنى الامور المضلة التى يتجه إليها عن علم. ثم قال فى الصفة الثالثة

«و نصبللنّاس أشراكاً[٧١١] من حبائل غرورٍ، وقول زورٍ»؛

ياله من تعبير رائع! نعم فهو كالصياد الذى ينشر الحبوب فيجعلها فخاً للطيور والحيوانات البلهاء، فيبيعها ويتغذى على لحومها، وهذا ما يفعله هذا العالم المزيف تجاه السذج من الناس فيجنى أطماعه المادية ومنافعه الشخصية. وما أبرز مصاديق هؤلاء على مر التأريخ فى كل عصر ومصر، الذين يسخرون الدين لخدمة دنياهم، فقد جاء فى الخبر أنّ الإمام عليه السلام وصف عبداللّه بن الزبير قائلًا:

«ينصب حبالة الدين لاصطياد الدنيا»[٧١٢]

(وقد قال الإمام عليه السلام ذلك حين لم تتضح شخصيته ويكشف عن مواقفه). ثم قال فى الصفة الرابعة:

«قد حمل الكتاب على آرائه وعطف الحقّ على أهوائه»،

بالضبط على عكس العالم الذى طالعتنا صفاته فى أنّه أمكن الكتاب من زمامه وجعله قائده وإمامه، يحل حيث حل ثقله، وينزل حيث كان منزله، فهو تابع للقرآن بكل كيانه. والحق ليس هنالك من وسيلة أفضل من هؤلاء المزيفين للتعرف على العلماء العاملين. فذاك

الذی جعل القرآن قائده وإمامه هو العالم المخلص، أمّا هذا الذی یفسر القرآن برأیه ویسعی لتطبیق القرآن علی متطلباته ورغباته. لهو عالم سوء مزیف. وقد جاء فی الحدیث عن رسول‌اللَّه صلی الله علیه و آله أنّه قال:

«من فسر القرآن برأیه فلیتبوء مقعده من النار»[۷۱۳]

. کما عنه صلی الله علیه و آله أنّ اللَّه سبحانه وتعالی قال:

«ما آمن بی من فسر برأیه کلامی»[۷۱۴]

والدلیل واضح فمن آمن باللَّه علم أنّ الحق ما کان من اللَّه، فان رأی غییره الحق فهو علی خطأ. کما ورد عن الإمام الصادق علیه السلام أنه قال:

«من فسرّ برأیه

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۳۴۱

آیة من کتاب اللّه فقد کفر»[۷۱۵]

. ثم قال فی الصفة الخامسة من صفات هذا الذی تشبه بالعلماء:

«یؤمن النّاس من العظائم، ویهوّن کبیر الجرائم»

وهکذا فانّ الآثمین من الأفراد- الذین یشکلون الأکثریة فی المجتمعات- یسعون لحشد الآراء لصالحهم، وبعبارة اخری فانّ هنالک الأغلبیة الساحقة فی المجتمع التی تسعی للتظاهر بالدین، أمّا فی داخلهم فهم یسعون من خلال ذلک لجمع الأفراد حولهم واستقطابهم بواسطة مماشاتهم وتصغیر الکبائر لدیهم. ثم قال فی الصفة السادسة واصفا حال هذا العالم المزیف:

«یقول: أقف عند الشّبهات، وفیها وقع»،

فهذا المرائی الماکر یتظاهر أمام الناس بالدین إلی درجة أنّه یزعم لهم: (لاـ أجتنب المحرمات فحسب، بل أنا محتاط حتی فی الشبهات) والحال تعج حیاته بالشبهات، وأبعد من ذلک المحرمات. وقیل فی تفسیر هذه العبارة أنّ اقتحامه للشبهات نابع من جهله، فمثل هؤلاء الأفراد إنّما یعانون عادة من الجهل المرکب، فیرون ضلالهم هدی ومعاصیهم تقوی. ومن الواضح أنّ هؤلاء الجهال یتحلون بهاتین الصفتین، فلا مانع من الجمع بین التفسیرین (لامکانیة استعمال اللفظ فی أکثر من معنی). أمّا الشبهات فتطلق عادة علی الامور التی لاتعرف بصورة تامة، فهل هی حرام أم حلال؟ بعبارة اخری فقد جاء فی الحدیث النبوی الشریف:

«حلال بین، وحرام بین، وشبهات بین ذلک»[۷۱۶]

؛ أی أن الشبهات هی حد الحرام. ومن هنا فمن أراد أن یصون نفسه عن الذنب وجب علیه عدم الاقتراب من هذا الحد، وإلّا هوی فی مستنقع الذنوب ووصل المعاصی. ولذلک جاء فی آخر الحدیث:

«فمن ترک الشبهات نجا من المحرمات، ومن أخذ بالشبهات ارتکب المحرمات، وهلک من حیث لایعلم».

ثم قال فی الصفة السابعة:

«و یقول: أعتزل البدع، وبینها اضطجع ۷۱۷]»،

یمکن أن یکون هذا

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۳۴۲

الادعاء ممّا یفرزه المکر والخداع أو الجهل المرکب، فاساس نشاط مثل هؤلاء الأفراد قائم علی التشبث بالبدع وهجر السنن إرضاءاً لاهواء العامة؛ الأمر الذی لایمکن تحقیقه إلّامن خلال البدع والأحداث فی الدین، وحقیقة البدعة إدخال ما لیس من الدین فیه، أو إخراج ما کان من الدین، وعلیه فالبدعة حرام، ولاـ یعنی هذا رفض أسالیب التجدد فی الحیاة فی کافة جوانبها العلمیة والادبیة والاجتماعیة. فالبدعة أن تحدث شیئا وتنسبه إلی الدین وهو لیس منه، والعکس صحیح. وما حالات الافراط والتفریط التی یمارسها

الجهال الا إفرازات طبيعية لعدم إدراك حقيقة البدعة. أمّا فى الصفة الثامنة والتاسعة العاشرة التى تعد بمثابة نتيجة الصفات السابقة حيث أوردها الإمام عليه السلام بفاء التفريع فقد قال:

«فالصّورة صورة إنسانٍ، والقلب قلب حيوانٍ. لا يعرف باب الهدى فيتّبعه، ولا باب العمى فيصدّ عنه، وذلك ميّت الأحياء»

. حقا ليس هنالك من تعبير يصور وضع هؤلاء العلماء المزيفون أبلغ وأدق من هذا التعبير. فصورتهم ومظهرهم صورة إنسان، بل إنسان كامل ورع وعالم، فى حين يسبح هذا الإنسان- بهذه الصفات- فى بحر من الجهل المركب، فاذا فكر يوما فى الهداية، ضل الطريق بسبب ذنوبه ومعاصيه، فهو لايعرف سبيل الحق والهدى ليهتدى إليه، ولا يعرف سبيل الباطل والضلال ليصد عنه، بالتالى فهو ميت يتحرك بين الأحياء، وقد ماتت فيه كل مقومات الحياة الانسانية. والواقع إنهم مصداق بارز للآية الشريفة: «إِنَّكَ لا تُسْمِعُ المَوْتى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إذا وَلَّوْا مُدْبِرينَ»[٧١٨]، أو الآية الكريمة «وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها وَلَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها أُولئِك كَالأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولئِك هُمُ الغافِلُونَ».[٧١٩]

تأمّلات

١- علماء الضلالة

لايخفى على أحد خطر علماء السوء والضلالة، فأغلب الجرائم البشعة ا لتى يرتكبها الجهال، إنّما تعود جذورها إلى ما يسمى بهؤلاء العلما، المتطفلين على الدين المفارقين لأحكامه وتعاليمه، أو الذين جعلوا الدين مطية لدنياهم. فقد وصفهم أميرَالمؤمنين على عليه السلام بأدق وصف، فهم جهال خلطوا الجهل بالضلال، فجعلوا أنفسهم أئمة للقرآن يفسرونه برأيهم ويحملون آياته

نفحات الولايه، ج٣، ص: ٣٤٣

على رغباتهم وأهوائهم، فاصبحت حياتهم قائمة على أساس البدع والشبهات والذنوب والمعاصى، إلى جانب تصغيرها فى أعين الناس وتزيينها لهم. فلم تبق لهم من الإنسانية سوى صورتها، أمّا السيرة فهى حيوانية تماماً. وقد تواترت الأخبار والروايات إلى جانب الآيات القرآنية التى لفتت إنتباه الأمّة إلى أخطارهم، لتحذر الناس من مغبة الاستجابه لهم والسقوط فى حبائلهم وشباكهم. فقد روى أميرالمؤمنين على عليه السلام عن النبى صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«وإن أهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه»،

بل إنّ الندم يصيبه وتعود مثل هذه الامور بالوبال عليه، ومن هنا ورد فى ذيل الحديث السابق:

«وإن أشد أهل النار ندامة وحسرة، رجل دعا عبدا إلى اللّه، فاستجاب له، وقبل منه، فأطاع اللّه، فأدخله اللّه الجنّة، وأدخل الداعى بترك علمه، واتباعه الهوى وطول الأمل»[٧٢٠]

. وقال الإمام الصادق عليه السلام أنّ اللّه أوحى إلى نبيّه داود عليه السلام:

«لاتجعل بينى وبينك عالما مفتونا بالدنيا، فيصدك عن طريق محبتى؛ فان أولئك قطاع طريق عبادى المريدين إلى، إنّ أدنى ما أنا صانع بهم، أن أنزع حلاوة مناجاتى من قلوبهم»[٧٢١]

. فمن بين العلامات التى صرحت بها الروايات والأخبار بشأن علماء السوء والضلالة، ترك العمل بعلمهم، حيث قال رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله:

«لايكون المرء عالماً حتى يكون بعلمه عاملا»[٧٢٢]

. أمّا العلّامة البارزة الاخرى فهى اندفاعهم نحو البدع وتوجيه الضلال والانحراف والانغماس فى الدنيا، وكثرة الزعم والادعاء.

٢- التفسير بالرأى، فخ الشيطان الأكبر

إنّ من أعظم آفات الدين وعقبات العبودية طلب الحق والحركة إليه إنّما تتمثل بمعضلة

«التفسير بالرأى»

؛ المعضلة التى تهدد الدين بخطرها العظيم وتقضى على روح أغلب الآيات القرآنية والروايات الإسلامية، فتحيلها إلى إلعوبة بيد هذا وذاك لتوجيه أهوائهم وسوء

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۴۴

مقاصدهم، بعبارة أخرى تحيل الآيات والروايات إلى عجينة يصنع منها هذا المفسر ما يشاء ولايهدف سوى إلى تبرير فساده وإنحرافه وضلاله. وأبسط تعريف للتفسير بالرأى هو إخلاء الآيات والروايات من معناها الحقيقى وصبغها بالطابع المطلوب ومن الواضح أن الآيات والروايات لا- تفقد حقيقتها فى الهداية على ضوء هذه المعضلة- التفسير بالرأى فحسب، بل تصبح وسيلة لتبرير الضلال والانحراف. ومن هنا أكدت الروايات والأخبار بشدة النهى عن التفسير بالرأى، وقد مرّت علينا طائفة من هذه الأخبار والروايات فى الأبحاث السابقة، ثم رأينا كيف أنّ أميرَالمؤمنين على عليه السلام يذكر هذه الصفة فى إطار وصفه لعلماء السوء والضلالة على أنّ أهم صفة من صفاتهم تكمن فى التفسير بالرأى. فالعبارة التى تضمنها الحديث المعروف

«من فسر برأيه آية من كتاب اللّه فقد كفر»[۷۲۳]

تفيد أنّ التفسير بالرأى أرضية خصبة للنزوع نحو الكفر، وكذلك ما ورد فى الحديث الآخر بهذا الشأن:

«من فسر القرآن برأيه، إن أصاب لم يؤجر، إنّ أخطأخر أبعد من السماء».[۷۲۴]

وزبدة الكلام فانّ أخطار التفسير بالرأى كثيرة نشير إلى جانب منها:

۱- ايجاد حالة من الفوضى والا رباك فى فهم الآيات والروايات.

۲- إحالة وسائل الهداية والصلاح إلى ادوات للضلال والفساد ومضاعفة الاخطاء.

۳- إيجاد الاختلاف والتشتت والنفاق واثارة التخريب فى القضايا العقائدية والدينية.

۴- الهبوط بالكتاب والسنة من مقام الزعامة والإمامة إلى مستوى التابع والمقلد.

۵- تكييف التعاليم السماوية على ضوء انحرافات الأوساط الموبوءة.

۶- إحالة المفاهيم السامية المطلقة المستندة إلى الوحى إلى أفكار الإنسان المحدودة الضيقة.

۷- تمهيد السبل والذرائع للأفراد الضالين المضلين.

طبعاً ليس هنالك من علاقة بين التفسير بالعقل للآيات والروايات وتفسيرها بالرأى.

والمراد بالتفسير بالعقل هو الاستفادة من الأدلة والقرائن العقلية من أجل فهم معنى الآيات

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۴۵

والروايات. على سبيل المثال فان القرائن العقلية القطعية تصرح بأن المراد باليد فى الآية الشريفة: «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ»[۷۲۵] القدرة والقوة، لاهذه اليد العضو من أعضاء بدن الإنسان المركبة من اللحم والعظم والجلد. أمّا المراد بالتفسير بالرأى فهو الاستعانة بالقرائن الظنية أو الوهمية الخالية دون القرائن لتفسير الآيات والروايات وفقا للأهواء والرغبات. على كل حال فانّ هذا العمل نابع من الجهل أو الأهواء الشيطانية. ويتضح مما مر معنا أنّ اولئك الذين حاولوا توجيه ضلالهم وانحرافهم بواسطة التفسير بالرأى، قد ضلوا حتى فى مسألة التفسير الرأى وفسروها بوحى من رأيهم، ومن هنا نقف على أهمية ما ورد فى الخبر الذى صرح بعدم إثابة من فسر برأيه وإن أصاب. فليس هنالك من ركن يستند إليه فى التفسير بالرأى سوى الفرضيات الجوفاء والآراء الظنية والوهمية، الأمر الذى يقضى على روح إصالة الوحى واشاعة جو الفوضى والاضطراب فى بيان المسائل الشرعية، كما يقدح فى نورية القرآن ويهدد بالغرق سفينة النجاة

المتمثلة بأئمة العصمة عليهم السلام. وإلّا لو كانت هنا لك الفرضيات العلمية المسلمة إلى جانب القرائن العقلية لتعذر تسمية هذا التفسير بالتفسير بالرأى، فهذا تفسير بالعقل. ومما يؤسف له أنّ المنحرفين قد فسروا حتى مسئلة التفسير بالرأى برأيهم ليتخذوا من الوحى وسيلة لتوجيه انحرافهم وتحقيق أطماعهم وأغراضهم.

۳- البدع مادة الانحراف

ذكر الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة البدع التى تعد من الصفات التى يتصف بها هذا الصنف ممن تسمى بالعلماء، والحال أنّهم يدعون أنّهم بعيدون كل البعد عن البدع، وهم يسبحون فى هالة منها. وكما أشرنا سابقاً فانّ البدعة أن تحدث فى الدين ما ليس منه، أو أن تخرج منه ما هو فيه، وعليه فهى لاتصدق على الابداع والتجديد والخلاقية فى الميادين السياسة والاجتماعية والاقتصادية وشؤون الحياة اليومية، أو بعبارة أخرى قد تكون البدعة فى الدين وقد تكون فى

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۴۶

غيره، فما كانت فى الدين فهى حرام ومضلة، وما كانت فى غيره فهى ممدوحة مطلوبة مالم تسيىء إلى الدين. على سبيل المثال فانّ رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله أتى بحج التمتع؛ أى خرج من الاحرام بعد أداء العمرة ثم أحرم للحج بعد فاصلة، كما أجاز الزواج المنقطع، فان انبرى من يقول لا أستسيغ حج التمتع، ولابدّ أن يكون الحج والعمرة معا، ولا أومن بالزواج المنقطع، فمثل هذا الشخص مبتدع فى دين اللَّه، وهو والأمر الذى ذمته الروايات بشدّة، حتى قال رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله:

«أهل البدع شر الخلق والخليقة»[۷۲۶]

كما قال صلى الله عليه و آله:

«من تبسم فى وجه مبتدع، فقد أعان على هدم دينه»[۷۲۷]

وما ذلك إلّاللأخطار العظيمة الناجمة عن البدع وفى مقدمتها القضاء على إصالة الدين، ولو فتح باب الدين بوجه البدع وتصرف الأفراد فى العقائد والمفاهيم كما يحلولهم فسوف لن يمر وقت طويل حتى تنعدم آثار الدين ولايبقى إلّاإسمه، وبالتالى سوف لن يكون إلّا أداة طيعة بيد المهووسين والمنحرفين المتطفلين على الدين. ومن هنا جاء فى الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام فى جوابه لمن سأله عن أقل ما يتعامل به ذلك الكافر قال

«أن يبتدع شيئا، فيتولى عليه، ويبرء ممن خالفه».[۷۲۸]

ولو تمعنا فى تاريخ الأديان الباطلة لرأينا أنّها إنّما استندت فى الغالب إلى البدع.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۴۷

القسم الرابع: لم الضلال، والعترة بين الاظهر؟

اشارة

«فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ»؟ «وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ»! والْأَعْلامُ قَائِمَةٌ، والْآيَاتُ وَاضِحَةٌ، والْمَنارُ مَنْصُوبَةٌ. فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ! وكَيْفَ تَعْمَهُونَ، وبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ! وهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ، وأَعْلامُ الدِّينِ، وأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ! فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ، ورِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ.

الشرح والتفسير

لقد وصف الإمام عليه السلام فى المقطع السابق من هذه الخطبة العالم المخلص والآخر المزيف، ثم واصل الكلام فى هذا الموضع من الخطبة بالحديث عن أهل‌بيت النبى صلى الله عليه و آله ومكانتهم فى المجتمع الإسلامى، بغية معرفة الفريق الأول وتمييزه عن

الثانى، إلى جانب الاقتداء به، إلّاأنّه أشار بصورة كلية إلى هذه المسألة فقال:

«فأين تذهبون، وأنّى تؤفكون ۷۲۹]، والأعلام قائمةٌ، والآيات واضحةٌ، والمنار منصوبةٌ».

فلا- يحق لكم القول إننا نعيش فى عصر تتقاذفنا فيه التيارات ولسنا لنا معرفة الحق من الباطل بعد أن إمتزجامعاً، كلا- ليس الأمر كذلك، فكل شئ واضح والموازين جلية بينه، وقد اعذر من انذر. فقد جرت العادة على نصب العلائم فى الطرقات بغية الاهتداء وعدم الضياع، فأحياناً توضع العلامات فى مفترقات الطرق المنعطفات، وأحياناً اخرى توضع المصابيح المضاءة على المرتفعات (ولا سيما فى الليالى الظلماء) ويكفى أى من هذه الطرق لمعرفة السبيل، فاذا إجتمعت هذه الطرق معا، بلغ الإنسان المطلوب وسارع فى خطاه نحو الهداية والصواب، فالذى أراد الإمام عليه السلام أنّ هذه الطرق قد سخرها اللَّه سبحانه لكم. ثم طبق الإمام عليه السلام هذا الكلى على مصداقه فانتقل من العام إلى الخاص، كيلا يقال أنّ هذه

نفحات الولايه، ج۳، ص: ۳۴۸

الكليات لاتحل مشكلتنا، فأعاد قوله عليه السلام مستنكراً عليهم الحيرة والضلال، وعترة النبى صلى الله عليه و آله بين أظهرهم:

«فأين يتاه ۷۳۰] بكم! وكيف تعمهون ۷۳۱]»

نعم لايرتجى منكم الضلال والحيرة وبين أظهركم عترة رسولاللَّه صلى الله عليه و آله مصابيح الهدى وأعلام الورى والعروة الوثقى التى من تمسك بها نجى

«و هم أزمّة الحقّ، وأعلام الدّين، وألسنة الصّدق»

فمن أقبل عليهم أخذوا بيده إلى الحق، من إقتدى بهم عن بعد هدى إلى الرشد، بالتالى كل يهتدى بهديهم حسب تبعيته لهم.

أما العبارة:

«و هم أزمّة الحقّ»

فتفيد أنّ الحق يتحرك حول محورهم؛ المضمون الذى ورد فى الحديث المعروف

«على مع الحق، والحق مع على يدور حيثما دار»[۷۳۲]

. والعبارة:

«وألسنة الصّدق»

تعنى أنّهم تراجمة الوحى. كما يمكن أن يكون المراد أنّ لسانهم عليهم السلام لاينطق سوى بالصدق؛ سواء تحدثوا عن اللَّه ورسوله صلى الله عليه و آله، أم حدثوا عن أنفسهم، فكل ذلك صدق محض.

وبالطبع ليس هنالك من تضاد بين هذين التفسيرين ويمكن الجمع بينهما. ثم إختتم عليه السلام كلامه بالقول:

«فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، وردوهم ورود الهيم ۷۳۳] العطاش»

فالقرآن قد يجرى على لسان الإنسان، كما قد يظهر على عمله، وأخيراً قد يشغل حيزاً فى عمق روح الإنسان، وأفضل موضع للقرآن هو الموضع الأخير من المواضع الثلاثة المذكورة. فالعبارة تصرح بحب أهل البيت النابع من أعماق القلب والروح، كما ينبغى أن يعيش القرآن فى هذه الأعماق. والواقع هو أنّ هذه العبارة تؤكد حديث الثقلين الذى قرن العترة بالقرآن ودعا الناس كافة إلى اتباعهما والتمسك بها بغية الأمان من الضلال والفرقة. كما قيل فى تفسير هذه العبارة أنزلوهم أفضل المواضع التى أنزلهم بها القرآن الكريم، ألا- وهو مقام الإمامة والولاية الذى أشار إليه القرآن بالقول: «إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ ...»[۷۳۴] والآية: «يا أَيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ ...»[۷۳۵] والآية: «قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلّا المَوَدَّةَ فِى القُرْبى [۷۳۶] وسائر الآيات القرآنية

نفحات الولايه، ج۳، ص: ۳۴۹

الواردة بهذا الشأن.[۷۳۷] ويبدو التفسير الأول أنسب. وأخيراً فالعبارة

«الهيم العطاش»

تفيد أنّهم عليه السلام منبع ماء الحياة، وأنّكم بأشدّ الحاجة إليهم، وعليه يجب عليكم المسارعة إليهم دون أدنى تريث أو ترديد.

منزلة أهل البيت عليهم السلام

يتضح بجلاء مما مر معنا فى هذا القسم من الخطبة أنّ وجود أهل البيت من عترة النبى صلى الله عليه و آله بين المسلمين، وتبعية الامّة لأقوالهم وأفعالهم إنّما تعصمهم من خطر الضلال، فهم أزمة الحق ومصابيح الهدى وأعلام الدين وألسنة الصدق وتراجمة الوحى. أمّا الروايات والأخبار الواردة من الفريقين فى التأكيد على حبهم فذلك لأن حبهم يبعث على إتباعهم، وبالتالى فانّ اتباعهم هو أساسا الهداية والحركة نحو الحق. ومن تلك الروايات ما اورده الفخر الرازى فى تفسيره المعروف عن الزمخشرى فى الكشاف أنّ رسولاللّه صلى الله عليه و آله قال:

«من مات على حب آل محمد مات شهيداً».

«ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له».

«ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً».

«ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الإيمان».

«ألا ومن مات على حب آل محمد، بشره ملك الموت بالجنّة».

«ألا ومن مات على بغض آل محمد، جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آئس من رحمة اللّه».[۷۳۸]

وورد فى حديث أنّه صلى الله عليه و آله قال:

«أنا أول وافد على العزيز الجبار يوم القيامة، وكتابه وأهلبيتى، ثم أمتى، ثم أسألهم: ما فعلتم بكتاب اللّه وبأهل بيتى؟»[۷۳۹]

هذا غيض من فيض الأحاديث والروايات التى صرحت بمنزلة أهل البيت وأكدت على حبهم والتمسك بهم.

نفحات الولاية ؛ ج۳ ؛ ص۳۴۹

نفحات الولايه، ج۳، ص: ۳۵۱

القسم الخامس: أعلام الهدى

«أَيُّهَا النَّاسُ! خُذُوها عَنْ خاتَمِ النَّبِيِّينَ صلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وآلِهِ وَسلَّم: «إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ ماتَ مِنَّا ولَيسَ بِمَيِّتٍ، ويَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا ولَيْسَ بِبالٍ» فَلا تَقُولُوا بِما لا تَعْرِفُونَ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيما تُنْكِرُونَ، واعْذِرُوا مَنْ لا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ- وهُوَ أَنا-، أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الْأَكْبَرِ! وأَتْرُكْ فِيكُمُ الثَّقَلَ الْأَصْغَرَ! قَدْ رَكَزْتُ فِيكُمْ رايَةَ الْإِيمانِ ووَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ الْحَلالِ الْحَرام، وَأَلْبَسْتُكُمُ الْعافِيَةَ مِنْ عَدْلِي، وفَرَشْتُكُمُ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وفِعْلِي، أَرَيْتُكُمْ كَرائِمَ الْأَخْلاقِ مِنْ نَفْسِي، فَلا تَسْتَعْمِلُوا الرَّأْيَ فِيما لا يُدْرِكُ قَعْرَهُ الْبَصَرُ، ولا تَتَغَلْغَلُ إِلَيْهِ الْفِكَرُ».

الشرح والتفسير

أكد الإمام عليه السلام ما ورد فى القسم السابق بشأن عترة النبى صلى الله عليه و آله فاضاف قائلًا:

«أيها النّاس! خذوها عن خاتم النّبيّين صلى اللّه عليه وآله وسلم: إنّه يموت من مات منّا وليس بميّتٍ، ويبلى من بلى منّا وليس ببالٍ»

هناك كلام وخلاف بين شرّاح نهجالبلاغة بشأن عودة الضمير فى

«خذوها»

ولكن يبدو أنّه يعد إلى الحقيقة أو الكلام الحق ويعلم ذلك من قرائن الكلام، وان لم ترد فى العبارات السابقة، فمفهوم العبارة: خذوا

هذا الکلام الحق بشأن أهل‌البیت عن النبی الأکرم صلی الله علیه و آله. أمّا قوله: إنّه یموت من مات منّا ولیس بمیت، ویبلی من بلی منّا ولیس ببال، فقد حمل علی المعنی الحقیقی فی أنّ أجساد أولیاءاللّه تبقی غضة طریة فی القبور وهم یتمتعون بنوع من الحیاة بحیث یسمعون کلام الآخرین ویردون سلامهم، ولهم حیاة

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۳۵۲

الشهداء الذین قال اللّه سبحانه وتعالی فیهم: «وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِینَ قُتِلُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْیاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ یُرْزَقُونَ».[۷۴۰] وعلیه فالعبارة

«یموت»

تعنی الموت الظاهری، والعبارة

«لیس بمیت»

تعنی عدم الموت الواقعی، وهکذا عبارتی

«یبلی» و «لیس ببال»

. وقال البعض أنّ المراد بعدم الموت والبلی هنا المعنی المجازی، أی أن آثارهم وتعالیمهم باقیة بین الناس إلی یوم القیامة، وکأنّهم أحیاء، ولعلنا نلمس هذا المعنی فی روایة کمیل فی آخر نهج‌البلاغة بشأن العلماء العاملین

«أعیانهم مفقودة، وأمثالهم فی القلوب موجودة»[۷۴۱]

. کما احتمل أن یکون المراد بالحیاة هنا تلک الحیاة البرزخیة التی تکون فیها الروح فی قوالب مثالیة لطیفة، إلّاأنّ هذا الاحتمال یبدو مستبعداً لأنّ مثل هذه الحیاة لاتختص بالأئمة والمقربین من أولیاء اللّه. ویبدو الاحتمال الأول هو الأصح، وبالطبع فأنّها حیاة أرفع من حیاة الشهداء، فاننا نادیهم فی الزیارة

«تسمع کلامی وترد سلامی»[۷۴۲]

. ثم أکد الإمام علیه السلام ذلک قائلًا:

«فلا تقولوا بما لا تعرفون، فإنّ أکثر الحقّ فیما تنکرون»

فی إشارة إلی أنّ معلومات الإنسان محدودة جدّاً وأنّ حقائق العالم عظیمة واسعة. والواقع أنّ العقل یقول فی مثل هذه الحالة

«لاینبغی للإنسان ان یتنکر لکل شئ لایعرفه»

. علی سبیل المثال لو لم یکن لدیه من علم بشأن حیاة أولیاءاللّه، فلاینبغی له أنّ ینکر ذلک. فلیس هذا الأمر الوحید الذی لایعلمه أغلب الناس، بل هناک آلاف الالوف وملایین الملیونات من الوقائع المتحققة فی الخارج والتی لا ندرکها، وحسب تعبیر أحد العلماء أنّ وقائع العالم بمنزلة کتاب ضخم بحیث لو جمعت کافة علوم البشریة من أولها إلی آخرها لما أصبحت ورقة فی ذلک الکتاب. ثم واصل الإمام علیه السلام کلامه لیکشف عن حقیقة مریرة صعبة وکذلک مفیده نافعة بعیدة المعنی فقال:

«و اعذروا من لا حجّة لکم علیه- هو أنا»

أی أنی نهضت بکافة وظائفی الملقاة علی عاتقی، فلم أقصر فی وظیفتی طرفة عین وقد أدیت تکلیفی أمام اللّه والعباد. وبناءاً علی هذا فلیس هنالک مایسی إلیّ، ومن تفوه علی فهو إمّا خاطئ أو مغرض. طبعاً هذا لایعنی أنّه لاتبدو آرائکم تجاهی وتبخلون

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۳۵۳

بالمشورة، إلّاأنّه یعنی لیس لکم حق الاعتراض علی؛ الأمر الذی نلمسه فی قوله لابن عباس:

«لک ان تشیر علیَّ وأری، فان عصیتک فأطعنی»[۷۴۳]

. ثم خاض الإمام علیه السلام فی شرح خدماته التی اسداها للُامّة بسبع عبارات، فقال بادئ ذی بدء

«ألم أعمل فيكم بالثّقل الأكبر»

فسيرة حياة الإمام عليه السلام ولا ـ سيما زمان حكومته تفيد أنّ القرآن كان محوره فى كافة أقواله وأفعاله؛ الأمر الذى أشار إليه رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله حين قال:

«على مع القرآن، والقرآن مع على»[۷۴۴]

. ثم قال عليه السلام:

«و أترك فيكم الثّقل الأصغر»

وشاهد ذلك الحوادث التى وقعت ابان حياته عليه السلام بحيث كثيراً ما كان يتعرض أبناء رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله وبقية الثقل الأصغر الإمام الحسن والحسين عليهما السلام إلى الاخطار، بينما كان يسعى الإمام عليه السلام جاهدا للحفاظ عليهما ومن ذلك أنّه شاهد الإمام الحسن عليه السلام وهو يسارع إلى الميدان فى معركة صفين فقال:

«أملكوا عنى هذا الغلام لايهدنى، فاننى أنفس بهذين يعنى الحسن والحسين عليهماالسلام- على الموت لئلا ـ ينقطع بهما نسل رسول‌اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم»[۷۴۵]

. ثم قال فى العبارة الثالثة:

«قد ركزت فيكم راية الإيمان».

فكلام على عليه السلام- ومن ذلك خطبه فى نهج‌البلاغة- بشأن المبدأ والمعاد وأدلة نبوة رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله تفيد أنّه كان ينتهز الفرص من أجل تقوية عرى الإيمان فى قلوب الامّة.

وقال فى العبارة الرابعة:

«ووقفتكم على حدود الحلال والحرام»

وقد بلغ من تأكيد الإمام عليه السلام على بيان مسائل الحلال والحرام بحيث أنّه لم يكن يقتصر على بيانها فى خطبه فى المساجد وسائر الحلقات، بل كان يقوم بذلك كل يوم حين يتفقد السوق ويخاطب التجار والكسبة ويوصيهم بالتفقه بالدين، بل لم يحفل التأريخ بمثل أميرَالمؤمنين عليه السلام فى بيانه لأحكام الشرع ومسائل الحلال والحرام. فقد جاء فى الخبر أنّه كان يطوف بالأسواق وينادى أهلها بالورع التقوى وعدم القسم فى المعاملة، فانها تذهب البركة والتاجر فاجر إلّاأنّ يأخذ حقاً ويعطى حقا، ثم يأتى ثانية ويخاطبهم بهذه الكلمات ۷۴۶]. كما كان يطوف فى أسواق القصابين ويناديهم من غشنا ليس منا.[۷۴۷]

نفحات الولايه، ج۳، ص: ۳۵۴

ثم قال عليه السلام فى العبارة الخامسة:

«و ألبستكم العافية من عدلى»

فعدالة أميرَالمؤمنين عليه السلام وتاثيرها فى إعادة روح الاستقرار والهدوء إلى المجتمع ليست بخافية على أحد، لم يكف لحظة إبان حكومته عن التأكيد على ضرورة بسط العدل والقسط، حتى صرح عليه السلام قائلًا:

«واللّه لو وجدته قد تزوج به النساء، وملك به الاماء، لرددته فان فى العدل سعة. ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيق».[۷۴۸]

ثم قال فى العبارة السادسة

«و فرشتكم المعروف من قولى وفعلى»

فأعمال الخير والاحسان قد تشيع وتتسع رقعتها فى المجتمع عن طريق الوصايا والمواعظ الخطب، كما يمكن أن تنتشر عن طريق عرض النماذج والقدوات العملية، والحق أن الإمام عليه السلام كان قدوة فى الأمرين، وقد شحنت كتب التواريخ ونهج‌البلاغة بسيرته العملية وأقواله بشأن أمر الناس بالمعروف والنهى عن المنكر. ثم قال عليه السلام:

«وأريتكم كرائم الأخلاق من نفسى».

ففضائله الأخلاقية عليه السلام وعدالته وايثاره وتضحيته وزهده وورعه وتقواه ونصرته للمظلومين واليتامى والضعفاء وشجاعته وبسالته ومبارزته للابطال الظلمة ليست بخافية على أحد، حتى إعترف بها الأعداء كمعاوية وعمرو بن العاص، فضلًا عن الأصدقاء. وقال البعض أن:

«كرائم الاخلاق»

أسمى من

«حسن الاخلاق»؛

فمثلا ـ حسن الخلق يوجب مقابلة الاحسان بالاحسان، أو الرد عليه بما يربو عليه، أما كرم الخلق فانه يوجب مقابلة الإساءة بالاحسان؛ العمل الذى قام به أميرَالمؤمنين على عليه السلام تجاه عبدالرحمن بن ملجم بعد أن ضربه. ثم اختتم كلامه عليه السلام قائلًا:

«فلا تستعملوا الرّأى فيما لا يدرك قعره البصر، ولا تتغلغل إليه الفكر»

فى إشارة إلى أن ما بينه من منزلة للثقل الاصغر (عترة النبى) إنّما هى من الامور التى اقرتها الارادة الإلهية، فاياكم والتشكيك فيها من خلال الوهم والظن والأفكار العاجزة. فهى منزلة حباهم بها العزيز الحكيم إلى جانب كونها نعمة عظيمة أنعمها اللّه على الامّة الإسلامية. والواقع هو أنّ هذه العبارة تاكيد للعبارة السابقة التى قال فيها عليه السلام:

«فلا تقولوا بما لاتعرفون، فان أكثر الحق فيما تنكرون».

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٣٥٥

القسم السادس: زوال حكومة بنىأمية

اشارة

ومنها:

«حَتَّى يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِى أُمَيَّةَ؛ تَمْنَحُهُمْ دَرَّها، وتُورِدُهُمْ صَفْوَها، ولا يُرْفَعُ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَوْطُها ولا سَيْفُها، كَذَبَ الظَّانُّ لِذَلِكَ، بَلْ هِىَ مَجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ يَتَطَعَّمُونَها بُرْهَةً، ثُمَّ يَلْفِظُونَها جُمْلَةً!».

الشرح والتفسير

هذا هو ختام الخطبة. ويرى البعض أنّه موضوع مستقل ليس له من إرتباط بالأبحاث السابقة. والواقع أنّ هناك عدة مطالب بين هذا القسم من الخطبة والأقسام السابقة لم يتعرض لها السيد الرضى (ره)، ومن هنا يبدو عدم وجود ارتباط بين هذا القسم وما سبقه من أقسام، مع ذلك لايستبعد أن تكون هناك رابطة معقولة بين هذين القسمين، أى أن ما حذف منها ليس بالشيئ الكثير. وكأنّ الإمام عليه السلام أشار إلى العبارة الأخيرة من البحث السابق حين قال فلا تقولوا بما لاتعرفون، فانّ أكثر الحق فيما تنكرون. ومن ذلك قوله لاتعتقدوا أنّ حكومة بنىأمية دائمة خالدة، لا ليس الأمر كذلك، فسرعان ما تؤول حكومتهم إلى زوال وإنهيار. وقد ابتدأ المرحوم السيد الرضى (ره) هذا القسم قائلًا أنّ القسم الآخر من هذه الخطبة:

«حتّى يظنّ الظّانّ أنّ الدّنيا معقولةٌ[٧٤٩] على بنىأميّة؛ تمنحهم درّها،[٧٥٠] توردهم صفوها، ولا ـ يرفع عن هذه الأمّة سوطها ولا سيفها»،

فالعبارة

«معقولة على بنىأمية»

كناية عن تسليم الشئ إلى

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٣٥٦

شخص، والعبارة

«تمنحهم درها»

جرياً على عادة العرب بتشبيه أغلب امور حياتهم بالناقة، حيث كان لها بالغ الأثر فى حياتهم وعليه فهذه التشبيهات محببة إليهم. على كل حال فانّ الأفراد السطحيين لايكادون يرون أحدهم متربعاً على عرش السلطة وقد صفت له الدنيا وقمع معارضيه حتى يظنون بخلود هذه السلطة، والحال لا يعلم ما يخبئ الغدو ليس هنالك من سبيل للتكهنات فى المسائل السياسية، نعم لأولياءاللَّه أن يزودوا الناس ببعض هذه الأخبار المستقبلية إستناداً لعلمهم المستقى من علم اللَّه سبحانه، ومن ذلك هذا الأخبار من الإمام عليه السلام حيث قال مواصلة لكلامه:

«و كذب الظّانّ لذلك، بل هى مجّةٌ[٧٥١] من لذيذ العيش يتطعّمونها برهةً، ثمّ يلفظونها جملةً»؛

أى سيستحوذن على الحكومة تدريجياً، ثم يفقدونها دفعة احدة.

فنحن نعلم أنّ حكومة بنى‌أمية لم تدم أكثر من ثمانين سنة، فكانت أعظم مدتهم على عهد حكومة معاوية بعد شهادة الإمام على عليه السلام وصلحه مع الإمام الحسن عليه السلام بعد أن أقبلت عليه الدنيا. ثم خلفه يزيد الذى اسود عهده بفعل قيام الإمام الحسين عليه السلام واستشهاده بتلك الطريقة البشعة فلم تدم حكومته أكثر من أربع سنوات، ثم تعاقبت الحكومات التى دام بعضها بضعة أشهر، بل كانت حكومة معاوية بن يزيد أربعين يوماً، ولم تشذ من ذلك سوى حكومة عبدالملك التى استغرقت عشرين سنة، ولعل السبب يعود إلى عدم استجابته لوصايا الحجاج وعدم إراقة دماء بنى‌هاشم على كل حال وكما أخبر الإمام على عليه السلام فقد كانت حكومتهم قصيرة مليئة بالأحداث المريرة- أمّا العبارة

«هى مجة»

فهى إشارة إلى أن بنى‌أمية سيذوقون لمدة عابرة نعم الدنيا، إلّاأنّ مثلهم كمثل الذى يضع طعاماً لذيذاً فى فمه ويتذوق طعمه إلّاأنّه لايقوى على إبتلاعه، فسرعان ما سيفقدون لذة الحكومة، والتاريخ أفضل شاهد على ذلك فى أنّ حكومتهم التى دامت ثمانين سنة- سوى بعضها- كانت مليئة بالمخاطر والنزاعات والحروب والبلابل والاضطرابات.

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٣٥٧

تأمّلان

حكومة بنى‌امية الفاشلة

اشارة

صحيح أنّ بنى‌أمية حكموا البلاد الإسلامية ما يقارب الثمانين سنة وقد تسلم زمام الامور أربعة عشر من آل أبى‌سفيان [٧٥٢] وآل مروان، حيث حكم بعضهم لشهر أو بضعة أشهر، وكانت أطولها حكومة هشام بن عبدالملك حيث دامت عشرين سنة، فكان متوسط حكومة أحدهم ستة أشهر، إلّاأنّ حكومتهم كانت ملئى بالنزاعات والخلافات؛ أمّا الحوادث التى وقعت خلال تلك المدة وأحالت عسل حكومتهم علقما فهى:

أ) قيام الخوارج ضد بنى أمية

شهدت حكومة بنى‌أمية عدة نهضات للخوارج وهى:

١- قامت طائفة من الخوارج يبلغ عددها خمسمئة بزعامة فروة بن نوفل بعد حركة الإمام الحسن عليه السلام من الكوفة إلى الحجاز وورود معاوية الكوفة.[٧٥٣]

٢- قيام عروة بن حدير المعروف بعروة بن أدية ضد معاوية وقتله من قبل زياد.

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٣٥٨

٣- نجدة بن عويم الحنفى أحد زعماء الخوارج الذى ثار ضد معاوية واستولى على اليمامة والطائف وعمان والبحرين ووادى تميم وعامر.

٤- قيام مستورد بن سعد الصميمى على المغيرة بن شعبة والى معاوية على الكوفة، فبعث له المغيرة بمعقل بن قيس وقد قتلا معاً.[٧٥٤]

٥- قيام حوثرة الأسدى ضد معاوية فجهز له معاوية جيشاً من الكوفة فخاطبهم حوثرة:

يا أعداءاللّه لقد قاتلتم بالام من أجل القضاء على حكومة معاوية واليوم من أجل تثبيت دعائهما، وقد قتل حوثرة فى هذه المعركة وتفرق أصحابه.

٦- قيام قريب بن مرة الأزدى وزحاف الطائى وهما من مجتهدى البصرة ضد زياد.[٧٥٥]

٧- قيام نافع بن الازرق الحنفى ونجدة بن عامر وهما من الخوارج وهجومهما على البصرة، وقد قتل فى هذه المعركة أمير البصرة ابن عبيس ونافع، وتعرف هذه المعركة بمعركة دولاب وهى من المعارك المشهورة للخوارج.

٨- عبيد اللّه بن بشير بن ماحوز اليربوعى الذى تزعم الخوارج بعد قتل نافع وواصل القتال.

٩- قيام الزبير بن على السليطى بعد أن نزل البصرة والتحق به أهالى البصرة والاهواز.

١٠- قيام قطرى بن الفجائة المازنى ضد معاوية بعد قتل الزبير بن على. حيث أراد الخوارج أن يتزعمهم عبيدة بن هلال إلّاأنّه قال أن قطرى بن الفجائة خير منّى فبايعوه.[٧٥٦]

١١- عبد ربه الصغير الذى بويع على عهد قطرى والذى قتل فى معركته ضد المهلب.[٧٥٧]

١٢- قيام شبيب بن يزيد الشيبانى فى الموصل والجزيرة فقاتله الحجاج ٧٥٨]، وقد تمكن من قتل عدد كثير من جيش الحجاج.

ب) قيام سائر الناس ضد بنى‌أمية

١- قيام حجر بن عدى على المغيرة بن شعبة والى معاوية على الكوفة، حيث خطب

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٣٥٩

الناس فذم على عليه السلام ومدح معاوية، فقام إليه حجر، ثم قتلوه فى مرج عذراء بعد أن منحوه الأمان.[٧٥٩]

٢- قيام الإمام الحسين عليه السلام ضد يزيد واستشهاده فى محرم الحرام عام ٦١ ه ق.[٧٦٠]

٣- قيام عبداللّه بن الزبير فى مكة فخلع يزيد ودعى الناس لبيعته، ثم أخرج والى يزيد من مكة.[٧٦١]

٤- قيام أهل المدينة بزعامة عبداللّه بن حنظلة والذى يعرف بواقعة الحرة، فورد جيش يزيد بزعامة مسلم بن عقبة المدينة فقتل أهلها.[٧٦٢]

٥- قيام التوابين بقيادة سليمان بن صرد الخزاعى عام ٦٥ فى عين الوردة تحت شعار يالثارات الحسين.[٧٦٣]

٦- قيام المختار بن أبى‌عبيدة الثقفى بعد سليمان بن صرد الخزاعى، حيث وجه ابراهيم بن مالك بن الحارث لقتال عبيداللّه بن زياد، فتمكن ابراهيم من قتله، ثم اقتص المختار من قتلة الإمام الحسين عليه السلام.[٧٦٤]

۷- قیام مصعب بن الزبیر ضد عبیداللّه بن زیاد، إلّاأنّه هزم بعد أن غدر به جمع من أهل العراق.[۷۶۵]

۸- قیام عبدالرحمن بن محمدالاشعث فی سیستان، حیث کان والی الحجاج علیها، إلّاأنّ الحجاج غضب علیه وهدده، فخلع الحجاج وقاتله فی الاهواز عام ۸۳ ه ق.[۷۶۶]

۹- قیام آل‌المهلب علی یزید بن عبدالملک عام ۱۰۲ حیث بایع یزید بن المهلب مائة وعشرین الف، فبعث یزید بن عبدالملک بأخیه مسلمة بن عبدالملک فنشبت بینهما معرکة

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۳۶۰

ضاریة هزم فی بدایتها أهل الشام.[۷۶۷]

۱۰- قیام سلیمان بن کثیر الخزاعی وصحبه عام ۱۱۱ فی خراسان وقد دعوا الناس لبیعة بنی‌هاشم فاستجاب لهم الکثیر.[۷۶۸]

۱۱- قیام زید بن علی بن الحسین علیه السلام علی هشام بن عبدالملک، هیث استشهد أوائل شهر صفر عام ۱۲۱، وقد بایعه بادئ الأمر جمع من قراء أهل العراق والاشراف، إلّاأنّهم انفرجوا عنه حین قاتل عامل العراق یوسف بن عمر الثقفی ثم استشهد زید، فاستخرجوا جسده بعد الدفن وحزوا رأسه ثم حرقوا جسده.[۷۶۹]

۱۲- قیام یحیی بن زید ضد نصر بن سیار فهزم جیشه وقتل قائده، ثم استشهد مع سائر أصحابه.[۷۷۰]

۱۳- قیام الضحاک بن قیس الحروری ضد عبداللّه بن عمر بن عبدالعزیز حیث استولی علی واسط والموصل ونصیبین وحران، وفی عام ۱۲۷ قتل الضحاک وتفرق أصحابه.[۷۷۱]

۱۴- قیام أبوحمزة المختار بن عوف الحروی الأزدی واستیلائه علی المدینة، ثم انطلق للشام، فاشتبک مع مروان الحمار ثم عاد إلی المدینة.[۷۷۲]

۱۵- قیام ابراهیم بن محمد الإمام وابومسلم الخراسانی عام ۱۲۹.[۷۷۳]

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۳۶۱

الخطبة[۷۷۴]: الثامنة والثمانون

اشارة

ومن خطبة له علیه السلام

وفیها بیان للأسباب التی تهلک الناس

نظرة إلی الخطبة

تتالف هذه الخطبة من قسمین؛ القسم الأول فی أنّ العذاب الإلهی لایأتی بغتة، بل إنّ اللّه لیمهل الجبابرة والظلمة والأقوام الطاغیة والمفسدة، وإنّه لایعجل فی المؤاخذة، علهم یعودون إلی أنفسهم وینیبون إلی اللّه. بعبارة اخری فان العذاب الإلهی لایحمل طابع الانتقام، بل یهدف إلی الاعتبار والتربیة، إلّاأنّ المؤسف هو کثرة العبر وقلّة الاعتبار فلا من أذن تسمع ولا من عین تبصر الحق ولا قلوب تنزع إلی الهدی أمّا القسم الثانی فیشیر إلی الأقوام المنحرفة التی تلجأ إلی أفکارها الناقصة وآرائها الباطلة لحل خلافاتها الدینیة بدلًا من الرجوع إلی الوحی والسنة النبویة المطهرة، فتکتفی بظنها؛ الأمر الذی یقودها إلی الهلاک.

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۳۶۳

القسم الأول: هل من عین باصرة واذن سامعة؟

اشارة

«أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْصِمْ يفصم جَبَّارِی دَهْرٍ قَطُّ إِلَّا بَعْدَ تَمْهِيلٍرَخَاءٍ، ولَمْ يَجْبُرْ عَظْمَ أَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا بَعْدَ أَزْلٍ وبَلاءٍ؛ وفِی دُونِ ما اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَتْبٍ وما اسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ مُعْتَبَرٌ وما كُلُّ ذی قَلْبٍ بِلَبِيبٍ، ولا كُلُّ ذی سَمْعٍ بِسَمِيعٍ، ولاَ كُلُّ ناظِرٍ بِبَصِيرٍ».

الشرح والتفسير

أشـار الإمـام عليه السـلام فی هـذا القسم من الخطبـة إلی أمرين مهمين: الأول أنّ اللّه يمهل الطواغيت والجبابرة بغيـة اليقظـة والعـدوة. الثانی لانصر دون صعوبات ومعضلات، فقد قال عليه السلام:

«أمّا بعدفإنّ اللّه لم يقصم [۷۷۵] جبّاری دهرٍ قطّ إلّا بعد تمهيلٍرخاءٍ»

نعم فاللَّه حكيم وحليم وغفور ورحيم، واسـتناداً لهذه الصفات الحسنی فانّه لايعجل بالعقوبة، بل يمهل الاثمين والمذنبين علهم يرغبون ويفيـدون علی اهـداء وصواب ويكفون أنّ الـذنوب يرعون والمعاصـی، بـل أحيانـاً يشـجعهم فيغرقهم بوابل نعمه وآلائه، كما مر علينا ذلك فی تأريخ نبیاللَّه نوح وموسی عليه السلام وكذلك فرعون وقوم بنیاسرائيل وقوم سبأ. ثم قال عليه السلام:

«و لم يجبر[۷۷۶] عظم أحدٍ من الأمم إلّا بعد أزلٍ [۷۷۷] وبلاءٍ»

ليقدروا النعم فيجدوا فی عدم نفارها وا لحفاظ عليها. ثم قال عليه السلام:

«و فی

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۶۴

دون ما استقبلتم من عتبٍ [۷۷۸] وما استدبرتم من خطبٍ معتبرٌ».

وكأنّ الإمام عليه السـلام أراد أنّ يطيب خواطر صحبه ويرد علی تساؤل قد تقتدح فی أذهانهم بشأن إنتصارات بنیأمية وانزعاجهم من ذلـك، فی عـدم الاسـتعجال، فلن يـدوم ظلم هؤلاـء الظلمـة، وهنالـك وقت معلوم للمهلـة الإلهيـة فاذا جاءت حلّ عليهم العـذاب. ولا تمتعظوا ممّا يحل بكم من خطوب، فتلك سـنة إلهيـة فی البلاء والاختبار وتحمل الشدائـد ومن ثم الفرج واليسر، حتی فی عهد انبثاق الـدعوة اللاسـلامية وفی الحروب والمعارك فلم يكتب اللَّه للمسـلمين النصـر فی موقعة الأحزاب حتی زلزلوا زلزالًا شديداً؛ الأمر الذی صوره القرآن بالقول: «وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَناجِرَ ... هُنالِكَ ابْتُلِیَ المُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزالًا شَدِيـداً»[۷۷۹]. أمّا قوم بنیإسرائيل فقد خاطبوا نبيّهم موسی عليه السلام حين إشتد عليهم الاذی

«أو ذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا»

فردّ عليهم موسی عليه السلام بالقول: «عَسی رَبُّكُمْ أنْ يُهْلِك عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِی الأَرضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ»[۷۸۰].

ونخلص ممّا سـبق ان هذه السنة الإلهية جارية علی الامّة الإسلامية كما جرت علی الامم من قبلها، ولم يستثن من ذلك أصحاب الإمام عليه السلام. نعم كل هذه الامور دروس وعبر، إلّاأنّها تنفع من كانت له عين باصرة وأذن سامعة وقلب واع!

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه قائلًا:

«و ما كلّ ذی قلبٍ بلبيبٍ، ولا كلّ ذی سمعٍ بسميعٍ، ولاكلّ ناظرٍ ببصيرٍ»

فتأريـخ البشـرية مفعم باللـدروس العبر، قصـر عمرنا هو الآخر- لو تأملنا ذلك بدقـة- ملئ بالحوادث المعبرة، بل قد ملأت العبر أركان كـل شـئ فی عـالم الوجود، إلّا أنّ المؤسف له أنه ينبغی أن يكون هنالـك من يسـمع ويبصـر ويعی ويعتبر، ومـا أقـل هؤلاء، ومن هنا يواصلون طريق الضلالة ويصابون بما أصاب من قبلهم من مصير أسود وعاقبة مريرة.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۶۵

مصير الجبابرة

يعتقـد كل من يؤمن باللّه وعدله أنّ أساس هذا العالم قائم على العدل والقسط، وأنّ الظلم والجور طارئ على طبيعة عالم الخليقة، ومن هنـا يراود البعض هـذا السؤال: إذا كان العـدل هو الأساس، فما تفسـير تسـلم الجبابرة لمقاليـد الامور ومنحهم فرصـة ممارسـة نشاطهم وفعاليتهم؟

وللإجابة على هذا السؤال لابدّ من القول بأنّ هنالك عدة دوافع تقف وراء ذلك منها: أولًا:

فسـاد النـاس ومثـل هـذه الحكومات هى عـذابهم الـدنيوى؛ الأمر الـذى نلمسه فى وصـيئة الإمام على عليه السـلام لمن ترك النهى عن المنكر:

«فيولى عليكم شراركم ثم تدعون فلايستجاب لكم».[۷۸۱]

ثانياً: قد يتحلى بعض الجبابرة ببعض الخصال الحسـنة التى تستلزم منحهم تلك المهلة التى يتقلبوا فيها فى البلاد، فقد جاء فى الخبر أنّ موسـى عليه السـلام قال: إلهى أمهلت فرعون أربعمائة سنة وقد إدعى الربوبيّة وكذب نبيك وآياتك! فجاءه الخطاب: إنّه حسن الخلق وسهل الحجاب، (أى لم تكن هناك من صعوبة لدى الناس فى الدخول عليه) وانى أحب أن أثيبه على هذه الصفات.[۷۸۲]

ثالثاً: ما ورد فى الخطبة حيث قال الإمام عليه السلام:

«أمّا بعد فان اللّه لم يقصم جبارى دهر قط إلا بعد تمهيل ورخاء»

لعلهم يفيقون من غفلتهم ويكفون عن ظلمهم وعدوانهم.

رابعـاً هو أن بعض الجبـابرة قـد أغلقوا جميع أبواب الهدايـة بوجوههم، فـاللّه يمهلهم إسـتدراجاً ليزدادوا ذنوبـاً وآثاماً فيضاعف عليهم العذاب، بالضـبط كالذى يصـعد شـجرة وعاقبته السـقوط، فكلما تسـلق أكثر كان أذاه ومصابه أشد وأعظم. أما القرآن فقد صـرح بهذا الشأن قائلًا: «وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ».[۷۸۳]

وبناءاً على ما تقدم فلاينبغى أن يتفر إلينا الشك فى مسـئلة العدل إذا ما رأينا ظالماً وقد تحكم بمصير أمة، وذلك لاختلاف الأسـباب المؤدية إلى ذلك والتى أشرنا إلى جانب منها سابقاً.

نفحات الولايئ، ج۳، ص: ۳۶۷

القسم الثانى: الاستبداد مادة الاختلاف

اشارة

«فَيـا عَجَبـاً! ومـا لِيَ لا أَعْجَبُ مِنْ خَطَإِ هَـذِهِ الْفِرَقِ عَلَى إِخْتِلافِ حُجَجِها فِى دِينِها! لا يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ، ولا يَقْتَـدُونَ بِعَمَلِ وَصِـيٍّ، ولا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ، ولا يَعِفُّونَ عَنْ عَيْبٍ، يَعْمَلُونَ فِى الشُّبُهاتِ، ويَسِـيرُونَ فِى الشَّهَواتِ. الْمَعْرُوفُ فِيهِمْ ما عَرَفُوا، والْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ ما أَنْكَرُوا، مَفْزَعُهُمْ فِى الْمُعْضِلاتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ، وتَعْوِيلُهُمْ فِى الْمُهِمَّاتِ المبهمات عَلَى آرائِهِمْ، كَأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ مِنْهُمْ إِمَامُ نَفْسِهِ، قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى بِعُرًى ثِقاتٍ وثيقات- وموثقات، وأَسْبابٍ مُحْكَماتٍ».

الشرح والتفسير

لمـا كـانت العبـارات الأـخيرة من القسم السابق من الخطبـة بشأن الـدروس والعبر فى حياة الناس، فانّ الإمام عليه السـلام أشار هنا إلى أحـدى الموارد المهمـة لهـذه العبر، ألا وهو اختلاف الأفراد والأقوام إثر هجرهم للأنبياء والأوصـياء والعوم فى وادى الحيرة والضـلال، فقال عليه السلام:

«فيـا عجبـاً! وما لى لا أعجب من خطإ هـذه الفرق على اختلاف حججها فى دينها! لا يقتصّون أثرن بيٍّ، ولا يقتـدون بعمل وصـيٍّ، ولا يؤمنون بغيبٍ، ولا يعفّون ۷۸۴] عن عيبٍ»،

فقد بان الشقاق والنفاق فی أوساط الامّة الإسلامية علی عهد أميرَالمؤمنين علی عليه السلام وقد ظهرت مختلف

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۶۸

المذاهب فی الاصول والفروع، إلی جانب إتساع رقعة البلاد الإسلامية التی أسهمت فی انبثاق مختلف الفرق. فالإمام عليه السلام يضم هـذا الاختلاف ويعزا ذلك إلی ثائر الاخباء زلات التی اشـير إلی عشـر منها فی هـذا الخطبـة، أربع منها وردت فی الخطبة: الاولی انهم لايتبعون تعاليم الوحی التی يبلغهم بها الأنبياء. الثانيـة انّهم لم يلتزموا ويقتـدو بالأوصـياء من بعد الأنبياء. الثالثة عدم الإيمان بالغيب. أمّا مـا المراد بالإيمان بالغيب فهنا لک خلاف بين مفسـری القرآن وشـرّاح نهـج البلاغـة. فقـد ذهـب البعض إلی أنّ المراد بالغيب الـذات الالهية المقدسة، وقيل القيامة وقيل متشابهات القرآن بينما توسع البعض آخر فذهب إلی أنّ المقصود بالغيب كافة الامور الخارجة عن دائرة حس الإنسـان. وعليه فقـد يراد بـالغيب جميع مـاذكر، ويبـدوا المعنی الأخير هو الأنسب. الرابعـة عـدم التورع عن العيوب وبعبارة اخری فانّ هؤلاء يرتكبون كل ذنب بسـهولة بسـبب افتقادهـم لملكـة الافاف التی تحجز الإنسان عن ذنب، وهكذا كانت مبانی إيمانهم ضعيفـة وأعمـالهم خاويـة، ومن الطبيعی أن يؤدی التزلزل فی الإيمـان إلی الفسـاد فی العمـل، كما يؤدی الفساد فی العمل إلی زعزعة دعائم الإيمان. ثم قال عليه السلام فی الصفة الخامسة العشرة:

«يعملون فی الشّبهات، ويسيرون فی الشّهوات»

العبارة

«فی الشهوات»

إشارة إلی نقطة لطيفة وهی أنّ هؤلاء يخفون أعمالهم السيئة تحت غطاء الشبهات حتی لايطلع الناس علی قبائحهم. أنّهم قلما يتجهون صوب محكمـات القرآن والأحاديث، بل بالعكس إنّما يسارعون إلی المتشابهات، وكـذلك فی الموضوعات الخارجيـة التی تعتبر من الموضوعات الواضـحة، حيث يبتعـدون عنها ويقتفون آثار الموضوعات المشـتبهة؛ ولا غرو فليس لهـم من سبيل القيام بأعمالهم الشائنة إلّامن هذا السبيل. والعبارة

«يسيرون فی الشهوات»

تثير إلی أنّ محور حيـاتهم إنّما يمر عبر الشـهوات، لا أنّ الشـهوات طارئـة عليهم، أضف إلی ذلك فانّ مقارفتهم لهـذه الشـهوات دائم متواصل، ويفهم ذلك من خلال العبارة التی تصدرتها الأفعال بصيغة المضارع

«يعملون ويسيرون»

. والجـدير بالـذكر أنّ أعمالهم إنعكاس لعقائـدهم الفاسـدة، كما يمكن أنّ تكون مقارفة الشـهوات تدفعهم لأن يتجهوا صوب العقائد التی تبرر أفعالهم.[۷۸۵] ثم خاض

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۶۹

الإمام عليه السلام فی إطار مواصلته لحديثه عن سائر صفات هؤلاء المضلين- الذين قد يكونون أحياناً من العلماء المزيفين- فقال عليه السلام:

«المعروف فيهم ما عرفوا، والمنكر عندهم ما أنكروا»

. نعم لما قطع هؤلاء رابطتهم باللّه والنبی لم يعد الوحی السـماوی والسـنة النبوية وكلمات المعصومين هی المعيار فی تميز الصالح من الطالـح والحسن من القبيـح، بـل المعيـار هـوی النفس والرغبـات الباطنيـة، أو الافكـار الفئويـة والتعصـبات القبلية والامـور الـتی تؤمن مصالحهم الماديـة، ولو كانوا حقاً من أهل الفكر فانّهم سيقعون فی وادی الضـلال أيضاً لعدم إنفتاحهم علی تعاليم السـماء وإرشادات الأنبياء والمعصومين، ففكر الإنسان عرضه للخطأ والانحراف. ثم قال عليه السلام فی صفتهم التاسعة والعاشرة:

«مفزعهم فی المعضلات إلی أنفسهم، وتعويلهم فی المهمّات علی آرائهم»

فاساس بؤسهم وشقائهم إنّما ينبع من هذه القضية، وهى أنّهم هجروا أولا تبعية الوحى وسنة النبى وتعاليم المعصومين، وعليه فكلما تقدموا أكثر إزداد انحرافهم وابتعادهم عن الحق. ومن هنا صرح الإمام عليه السلام كأن كل امرئ منهم إمام نفسه، قد أخذ منها فيما يرى بعرى ثقات وأسباب محكمات، والحال لاينطوون سوى على أفكار هزيلة وتصورات واهية «وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ»[٧٨٦]. نعم هذا هو المصير المحتوم الذى ينتظر الأفراد الذين يولون ظهورهم للمعايير الدينية الصحيحة فى حل خلافاتهم الفكرية والعقائدية وتمييز الحق من الباطل والصراط المستقيم من الطريق السقيم ويعولون على أفكارهم القاصرة وآرائهم الباطلة، ولذلك وقعوا فى أودية الشرك والوثنية المقيتة حتى جعلوا للّه جسماً ويداً ورجلًا وشعراً مجعداً، بينما خالفهم البعض الآخر تماماً حتى عطل صفاته سبحانه وهبطوا بالفكر إلى الحضيض فى أنّه لايستطيع إدراك صفاته والتطرق إلى ذاته، فذلك التجسيم الأبله وهذا التعطيل الأحمق هو الوليد الطبيعى للاستناد إلى الآراء الناقصة وهجر تعاليم أئمة الدين، فكان منهم الخوارج الذين يحسبون أنّهم عابدون وقد سلكوا سبيل النجاة، بينما أنكروا أبسط بديهات الإسلام وشرعة المقدس فى ضرورة الحكومة وحاجة الامة الماسة إليها.

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٣٧٠

المستبدون الظالون

استفاضت الأحاديث التى تؤكد على أنّ الهوى يصد الإنسان عن الحق؛ الأمر الذى أشارت إليه بصورة جامعة هذه الخطبة، فهؤلاء الذين عجنت حياتهم بالشهوات لايرون معروف اللّه معروفاً ولامنكره منكرا، فهم لايستندون إلى أدلة العقل، والمعروف ما انسجم وميولهم النفسانية، وما خالفها فهو المنكر. وإذا ما صادفتهم بعض المسائل المعظلة إنّما يلوذون بأفكارهم المنحطة بدلًا من الاستعانة بالعقل والفكر، وأبعد من ذلك الآيات القرآنية وتعاليم الأئمة ليحلوا مشاكلهم. والعجيب أن هؤلاء الأفراد لايقبل أحدهم الآخر، بل كل يرى أنّه إمام نفسه وأنّه مرجعها وملاذها. ومن الطبيعى أنّ لايقود هذا السلوك سوى إلى الحيرة والضلال والسقوط، والاسوأ من كل ذلك يرون أنفسهم مهتدين؛ الأمر الذى صوره القرآن الكريم: «قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالًا* الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً»[٧٨٧].

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٣٧١

الخطبة[٧٨٨] التاسعة والثمانون

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

فى الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله وبلاغ الإمام عنه

نظرة إلى الخطبة

تتحدث الخطبة عن ثلاثة أمور مرتبطة مع بعضها؛ الأول تصوير جامع ورائع عن أوضاع العرب فى الجاهلية تزامنا مع بعثة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله يفيد أنهم كانوا فى أسوأ حالة من الناحية المادية والمعنوية؛ الحالة التى لايمكن معها وصفهم بالحياة، بل تشير الخطبة إلى الاوضاع الوخيمة والظلام الدامس الذى كان سائداً حتى خارج الجزيرة العربية. ثم حذر صحبه ومن عاصره من الظن بانقطاع عصر الجاهلية، بل عليهم الاعتبار بحياتهم والحيطة والحذر من العودة إلى الجاهلية. أخيراً صرح بهذه الحقيقة وهى مقارعة الجاهلية وأفكارها المنحرفة، وبينت لكم ما بينه رسولاللّه صلى الله عليه و آله فى زمانه، حتى أتممت الحجة عليكم. ثم حذرهم عليه

السلام من الغرور والغفلة والتحلى باليقظة تجاه الأحداث والمخاطر التى تنتظرهم.

نفحات الولايهٔ، ج٣، ص: ٣٧٣

القسم الأول: العالم على أعتاب الدعوة

اشارة

«أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ، واعْتِزامٍ مِنَ الْفِتَنِ، وانْتِشارٍ مِنَ الْأُمُورِ، وتَلَظٍّ تلظى مِنَ الْحُرُوبِ، والدُّنْيا كاسِفَةُ النُّورِ، ظاهِرَةُ الْغُرُورِ، عَلَى حِينِ اصْفِرارٍ مِنْ وَرَقِها، وإِياسٍ مِنْ ثَمَرِها، اغْوِرارٍ مِنْ مائِها، قَدْ دَرَسَتْ مَنارُ الْهُدَى، وظَهَرَتْ أَعْلامُ الرَّدَى، فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لِأَهْلِها، عابِسَةٌ فِي وَجْهِ طالِبِها، ثَمَرُها الْفِتْنَةُ، وطَعامُها الْجِيفَةُ، شِعارُها الْخَوْفُ، ودِثارُها السَّيْفُ».

الشرح والتفسير

إن الهدف الغائى للإمام عليه السلام من هذه الخطبة هو إيقاظ الناس من سبات الغفلة والغررو، فقد إصطحبهم إلى عصر الجاهلية واستعرض لهم التأريخ، كيف كان الناس، والنقلة النوعية الكبرى التى أحدثتها نهضة النبى صلى الله عليه و آله، ثم حذر من عودة أوضاع الجاهلية، مؤكدا أنّه وعلى غرار النبى صلى الله عليه و آله ثار من أجل إجتثاث جذور الجاهلية بما تنطوى عليه من أفكار وأوهام، ليعودوا إلى أنفسهم قبل فوات الآوان. فقد رسم صورة واضحة للجاهلية بعبارات قصيرة عظيمة المعنى فى خمس عشرة. جملة بما يعجز الآخرون عن رسم مثل هذه الصورة. فقال عليه السلام

«أرسله على حين فترةٍ[٧٨٩] من الرّسل»،

وقيل إنّ هذه الفترة قد استغرقت خمسمائة سنة وقيل ستمئة سنة لم يبعث فيها نبى ٧٩٠] (وان كان أوصياؤهم بين الناس). ولذلك ساد الناس سبات

نفحات الولايهٔ، ج٣، ص: ٣٧۴

قاتل، وهذا ما أكده الإمام عليه السلام فى العبارة الثانية

«و طول هجعةٍ[٧٩١] من الأمم»،

ولعل هذه الفترة تستبطن امتحان اللَّه للعباد وللوقوف على قدر الأنبياء ونعمته عليهم. مع ذلك فقد كان هناك أثر مباشر لهذه الفترة فى تفعيل حركة شياطين الجن والانس؛ وذلك أن الميدان قد خلالهم فشددوا من حملاتهم على الامم والشعوب فجرعوها أنواع الانحرافات والأضاليل ثم قال عليه السلام فى العبارة الثالثة:

«و اعتزامٍ ٧٩٢] من الفتن»

فقد شبه الإمام عليه السلام الفتن بالإنسان الشرير أو الحيوان الضارى الذى يهجم على الإنسان الأمن دون مبرر؛ وهذا ما كانت عليه الإمام فى فترة الرسل.

ثم قال عليه السلام فى العبارة الرابعة:

«و انتشارٍ من الأمور»

يمكن أن يكون المراد بهذه العبارة تشتت فعاليات الجماعة البشرية وانشطتها، وبعبارة اخرى ظهور الفوضى والهرج والمرج والاضطراب والتشتت فى المجتمعات والذى يعد من الفتن والقلاقل. ثم قال عليه السلام:

«و تلظٍّ[٧٩٣] منالحروب»

يـاله من تشبيه رائع، حيث شبه الحرب بلهيب الانـار المحرقة التى تأتى على الأخضر واليابس فتحيله رماداً. كما شبه امتداد الحروب

بالسنة النيران. ولو رجعنا قليلا إلى الوراء لرأينا العالم برمته ولا سيما جزيرة العرب أنّه كان مسرحاً للحروب الدامية فقد كانت الحرب قائمة على قدم وساق بين القبائل العربية ولأتفه الأسباب، إلى جانب معارك الروم وايران، فكانت تسيل أودية من الدماء. وقال عليه السلام:

«والدّنيا كاسفة[۷۹۴] النّور، ظاهرة الغرور»

فالواقع أنّ نور البشرية ليس إلّانور الوحی ووجود الانبياء، فاذا كانت هناك ظلمة مطلقة تلقی بعتمتها علی كل شئ فتستفحل أمراض الخدع والمكر، وتتسع رقعة المذاهب الزائفة ويتلبس الدجالون لباس المسوح والاصلاح فيجدوا فی إستغلال الخلق من أجل تحقيق منافعهم المادية. ثم شبه الإمام عليه السلام الناس فی الجاهلية بمزرعة قد ذبلت جميع أشجارها

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۷۵

واصفرت أوراقها (فهی فی حال التساقط) وقد يأس المزارع من ثمرها بعد أنّ غار ماؤها وجفت عروقها:

«علی حين اصفرارٍ من ورقها، وإياسٍ ۷۹۵] من ثمرها، واغورارٍ[۷۹۶] من مائها»

وذلك لأنّ مزرعة المجتمع البشری إنّما تتزين بورود الأخلاق والفضائل، وثمارها العدالة والمروءة والمحبة، أمّا ماؤها فيكمن فی الإيمان والورع والتقوی المعانی التی كانت مغيبة تماماً فی العصر الجاهلی. حتی من الناحية المادية فقد شلت الزراعة والتجارة بسبب الحروب وعدم شياع الأمن والاستقرار فكان الفقر قد ساء العالم الجاهلی بالشكل الذی كان يدفعهم إلی قتل أولادهم، وهذا ما أشار إليه القرآن بالقول: «وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ»[۷۹۷] بغض النظر عن وأدهم البنات خشية الفضيحة والعار. ثم قال عليه السلام فی الصفة التاسعة والعاشرة:

«قددرست ۷۹۸] منار الهدی، وظهرت أعلام الرّدی»

فالمنار موضع النور، حيث كانوا يشعلون فی السابق سراجاً علی مرتفع حين الليل فيكون علامة للقری المدن يشاهدها القاصی والدانی فلايضل الطريق. فاذا تآلكت هذه المرتفعات وتهدمت لم يعد هناك من سراج فوقها، فالعبارة كناية رائعة إلی سراج الكتب السماوية وتعاليم الأنبياء التی تمثل نور الهداية للجماعة الإنسانية، وقد انطفئ هذا النور فی العصر الجاهلی اثر غلبة الاهواء، فكان من الطبيعی إذا اطفئ النور أن يعم الظلام الدامس بكل معانی الحيرة والظلال والكفر والنفاق وقال عليه السلام فی الصفة الحادية عشرة:

«فهی متجهّمةٌ[۷۹۹] لِأهلِها، عابِسةٌ[۸۰۰] فِی وجهِ طالِبِها»

فالعبارة كناية عن شدة العنف والنزاعات وصعوبة المعيش وتعقيد الحياة؛ كيف لا والحياة الوادعة الامنة لاتتحق الا فی ظل العدالة الاجتماعية والاخاء والمحبّة والمودة التی لم يكن لها من أثر فی العصر الجاهلی. ثم قال عليه السلام:

«ثمرها الفتنة، وطعامها الجيفة[۸۰۱]»

. حقاً ليست هنا لك من ثمرة لذلك الوسط بتلك

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۷۶

الصفات سوی الفتن وليس له من طعام سوی الميتة؛ والمفردة جيفة قد تكون إشارة إلی الوضع الذی كان عليه الناس فی عصر الجاهلية حيث كانت ا لعرب تأكل الميتة من شدة الاضطرار فالميتة متعفنة وتدعو إلی الاشمئزاز والنفرة، وقطعا فانّ الحياة فی مثل هذه البيئة إنّما تتسم بالتعفن والاشمئزاز، كما كان دخلهم عن طريق شن الغارات ولسراقات وما شابه ذلك من الامور التی يمجها العقل السليم؛ أمّا الدليل علی أكل أهل الجاهلية للميتة هو الآية القرآنية التی نهت عن ذلك: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ...»[۸۰۲] وبالطبع فانّ المراد بالثمرة والطعام فی العبارة الجانب الكنائی. فطعام الإنسان عادة أمّا أن يكون من الثمار أو اللحوم، ولم يكن نصيب الناس فی الجاهلية سوی الفتنة والأفكار المتعفنة التی تدعو إلی الاشمئزاز والتقزز؛ ثمراتهم ونعمهم المادية والمعنوية كانت معجونة بالتعفن والفساد والعار. ثم قال عليه السلام:

«وشعارها الخوف، ودثارها السّيف»

فبالالتفات إلى أنّ الشعار يعنى الثوب الذى يلى البدن والدثار الثوب الداخلى يتبين أنّ العبارة كناية رائعة ولطيفة مصعمة بالفصاحة والبلاغة لتصوير ظروف ذلك الزمان وسيادة الخوف والسيف من الداخل والخارج، فكل يخشى الآخر، وكل قبيلة تتوقع أن تحمل عليها اخرى فتقتل رجالها وتسبى نسائها وتنهب أموالها.

فكانت السيوف مشهورة على الدوام بسبب ذلك الخوف والخشبية، ولعمرى أنّ هذه العبارة قد أشارت إلى كافة أنواع البؤس والشقاء السائدة آنذاك. ومن الطبيعى أن يسود الخوف والرعب أوساط المجتمع الذى تغيب فيه أنوار الهدى وتشع فيه اعلام الضلال والردى ويبتعد فيه الافرد عن تعاليم السماء وإرشادات الأنبياء. أمّا الصورة التى رسمها أميرَالمؤمنين عليه السلام بهذه العبارة التى تعرض إلى خصائص العصر الجاهلى فانّها لاتقتصر على شبه الجزير العربية فحسب، بل تشمل كافة مناطق العالم آنذاك وإن بلغت ذروتها بين قبائل العرب. والحق لا يسع خطيب ولاكاتب مهما كانت قدرته على البيان أن يصور فجائع ذلك الزمان وانحرافاته كا صورها الإمام عليه السلام بهذه العبارات المعجزة وهذا ما سنتعرض إليه فى الحبث القادم والمؤسف أن هذه الخصائص إنّما تشاهد اليوم بوضوح فى عصرنا الراهن الذى تحكمه الجاهليات المعاصرة.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۷۷

ومن هنا نقف على عظم جهود النبى صلى الله عليه و آله فى إخراج تلك الجماعة الممزقة الميتة من الظلمات إلى النور وتبديل خوفها أمنا وفقرها غنى ونزاعها وقتالها إلى إخوة وصلح وسلام، كما جعلهم أمّة متحضرة متمدنة حتى إنتشر الإسلام ورفعت رايته خفاقة فى أغلب ربوع المعمورة، وقد استسلمت الملوك والسلاطين والجبابرة والطغاة لجيوش المسلمين الفاتحة التى حملت مشاعل الهداية والخير والصلاح. كما نهض المجتمع الإسلامى نهضات عظيمة ليشهد ذلك التطور والأزدهار فى كافة المجالات العلمية والاجتماعية والاقتصادية. وحقاً إن هذا لمن معجزات الدين الإسلامى الخالد وا لجهود المضنية التى بذلها الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله؛ ولا غرو فانّ كافة الحسابات المادية تشير إلى إنّ إنقاذ تلك الامّة مما كانت عليه والأخذ بيدها إلى حيث العزة والرفعة والسمو والكمال لايمكن تحقيقه فى ظل المعادلات الطبيعية والحسابات المادية! وكما أوردنا سالفا فانّ هدف الإمام عليه السلام يكمن فى تحذير الامّة من مغبة العودة إلى الجاهلية المقيتة بثيابها الجديدة وإنّ الإمام عليه السلام سيقف بوجهها كما وقف بوجهها رسولاللّه صلى الله عليه و آله واخمدها بجهاده.

الجاهلية المعاصرة

لقد وقفنا على الصورة الرائعة التى رسمها الإمام عليه السلام للعصر الجاهلى بتلك العبارات المشحوتة بالفصاحة والبلاغة. وبالطبع فقد أشرنا إلى جانب من مميزات ذلك العصر فى الخطبة الثانية من المجلد الأول والخطبة السادسة والعشرين من المجلد الثانى. غير أنّه لايمكن الوقوف على عظمة جهود النبى صلى الله عليه و آله فى هداية تلك الأقوام ما لم يتامل الإنسان بعض تفاصيل حياة العرب فى العصر الجاهلى من حيث الحروب والسلام والتقاليد والأعراف والخرافات والأباطيل التى كانت تنظم شؤون حياتهم. والمهم هنا هو أنّ هذه الجاهلية إنّما ترتدى اليوم حلة جديدة فى مجتمعاتنا المعاصرة بينما تشترك فى مميزاتها وخصائصها والجاهلية الاولى فقد كانت القيم الحقة مغيبة فى العصر الجاهلى، ودماء الأبرياء العزل تسفك بسهولة، وديدنه غارات الأموال والثروات ونهبها، ولايفرق هذا مع الجاهلية المعاصرة التى لاتفكر سوى فى الحصول على الأموال وبارخص الأساليب، أدناها بيع أسلحة الدمار الشامل والتجارة

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۷۸

بالمحدرات وشن الحروب من أجل الاستيلاء على مصادر الطاقة. وان شهد العصر الجاهلى وأد بعض البنات، فالقانون اليوم يبرر للناس حالة الإسقاط والإجهاض، كما شنت الحرب العالمية التى أودت بحياة الالاف المؤلفة من البنين والبنات، فقد ذكر أنّ عدد قتلى

الحرب العالمیـة الاولی والثانیة لیفوق بکثیر کافة ضحایاً الحروب التی شـهدتها البشـریة طیلة التأریخ، بل کان قتلی مدینتین فی الیابان من جراء قنبلتین نوویتین أکثر من کافـة قتلی العصـر الجـاهلی! وإن کـانت بعض النسـاء من ذوات الأعلام فی الجاهلیـة، فبعض النسوة الیوم تجاوزت تلک الأعلام لتعلن عن فجورها وفسادها فی أغلب صـحف العالم وتنظم لنفسـها بعض الاعلانات داعیـة الآخرین إلیها؛ الأمر الـذی دفع بالـدول والحکومات إلی فرض بعض الضـرائب علیهن، وهـذا ما أدی بالتالی إلی توفیر الدعم القانونی لهن. بیع البنین والبنات ما زال متواصـلًا حیث یقـدم الأوربیون والأمریکان علی شـراء الصبیة من المناطق المعدمة ویبیعونهم إلی الغرب؛ وهذا ما ینشـر فی الصـحف والمجلات. أمّا الأخلاق فحـدث ولاـحرج فقـد محتهـا أمـواج الفسـاد والبغی والـدعارة، ولـو إستعرضـنا بعض الجرائم والانحرافات لأدرکنـا أنّ الجاهلیـة المعاصـرة أرهب وأرعب بکثیر من تلک الجاهلیـة. ولعل الآیـة ۳۳ من سورة الأـحزاب نـاظرة إلی الجاهلیة المعاصرة حین خاطبت نساء النبی صلی الله علیه و آله بالقول: «وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهِلِیَّةِ الْأُولی .

فالتعبیر بالجاهلیة الاولی یفید أنّ هناک جاهلیة أخری

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۳۷۹

القسم الثانی: کلکم مسؤول

«فـاعْتَبِرُوا عِبـادَ اللَّهِ واذْکُرُوا تِیکَ الَّتِی آباؤُکُمْ وإِخْوانُکُمْ بِها مُرْتَهَنُونَ، وعَلَیْها مُحاسَـبُونَ ولَعَمْری ما تَقادَمَتْ بِکُمْ ولا بِهِمُ الْعُهُودُ، ولا خَلَتْ فِیما بَیْنَکُمْ وبَیْنَهُمُ الْأَحْقابُ والْقُرُونُ الـدهور، وما أَنْتُمُ الْیَوْمَ مِنْ یَوْمَ کُنْتُمْ فِی أَصْـلابِهِمْ بِبَعِیـدٍ. واللَّهِ ما أَسْـمَعَکُمُ الرَّسُولُ شَـیْئاً إِلَّا وها أَنا ذا مُسْمِعُکُمُوهُ، وما أَسْماعُکُمُ الْیَوْمَ بِدُونِ أَسْماعِکُمْ بِالْأَمْسِ، ولا شُقَّتْ لَهُمُ الْأَبْصارُ، ولا جُعِلَتْ لَهُمُ الْأَفْئِدَةُ فِی ذَلِکَ الزَّمانِ، إِلَّا وقَـدْ أُعْطِیتُمْ مِثْلَهـا فِی هَـذا الزَّمـانِ الأـوان. و وَاللَّهِ ما بُصِّرْتُمْ بَعْـدَهُمْ شَـیْئاً جَهِلُوهُ ولا أُصْـفِیتُمْ بِهِ وحُرِمُوهُ، ولَقَـدْ نَزَلَـتْ بِکُمُ الْبَلِیَّةُ جائِلًا خِطامُها، رِخْواً بِطانُها فَلا یَغُرَّنَّکُمْ ما أَصْبَحَ فِیهِ أَهْلُ الْغُرُورِ، فَإِنَّما هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ إِلَی أَجَلٍ مَعْدُودٍ».

الشرح والتفسیر

خاطب الإمام علیه السـلام الناس فی زمانه محـذرهم من إمکانیـة تکرار أوضاع الجاهلیـة فتعمکم ما کانت علیه من الفساد والانحراف فعلیکم بالیقظة والحذر:

«فاعتبروا عباد اللّه واذکروا تیک الّتی آباؤکم وإخوانکم بها مرت هنون، وعلیها محاسبون».

تیک التی تعنی تلک إشارة شاملة إلی کافة ذنوب وآثام أقوام الجاهلیة، وانّ اللَّه سیحاسبهم علیها، ولم یذکر هنا المشار إلیه حیث بین فی القسم السابق، وعلیه لم تعد هناک من حاجة إلی التکرار. هذا وقد ذهب بعض شرّاح نهجالبلاغة إلی أنّ المراد باسم الإشارة الدنیا والحیاة الدنیویة أو الامّانة الإلهیة

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۳۸۰

التی أشارت إلیها الآیة القرآنیة: «إِنّا عَرَضْـنا الأَمانَةَ ...»[۸۰۳] إلّاأنّ هذا التفسیر لایبدو مسـتقیماً بالالتفات إلی صدر الخطبة وذیلها. ثم قال علیه السلام:

«و لعمری مـا تقـادمت بکم ولاـ بهم العهـود، ولاـخلت فیمـا بینکم وبینهم الأحقـاب ۸۰۴] والقرون، ومـا أنتـم الْیـوم من یـوم کنتم فی أصلابهم ببعیدٍ».

بناءاً علی التفسیر المـذکور فانّ العهود هی المواثیق، والعبارة إشارة لما ورد فی القرآن الکریم «قُلْ أَتَّخَـذتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً فَلَنْ یُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَی اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ»[۸۰۵] أمّا البعض من الشراح فقد ذهب إلی أنّ المراد بالعهود هنا العصور وعلی هذا الضوء سیکون المفهوم واحدا مع العبارة القادمة:

«و لا خلت فیما بینکم بینهم الأحقاب والقرون»

، ثم أشار الإمام عليه السلام إلى مكانته آنذاك والتى تصاف مكانة النبى صلى الله عليه و آله ازاء فجائع زمان الجاهلية فقال:

«واللّه ما أسمعكم ۸۰۶] الرّسول شيئاً إلّاوها أنا ذا مسمعكموه، وما أسماعكم اليوم بدون أسماع كم بالأمس، ولا شقّت لهم الأبصار، ولا جعلت لهم الأفئدة فى ذلك الزّمان، إلّاوقد أعطيتم مثلها فى هذا الزّمان»

وعليه فانكم تشبهونهم فى كل شئ، والحال إنّكم تلوون رؤوسكم عن الحق الذى كانوا عليه. فالواقع هو أنّ الإمام عليه السلام أشار ضمنياً إلى حقيقة مريرة فى عصره- بسبب سوء تدبير سابق الخلفاء والانغماس فى الثروات التى ملأت الجزيرة العربية من خلال الفتوحات الإسلامية التى جرت عليهم هذه الغنائم- وهى بداية جاهلية اخرى قد أصيب بها الناس. فقد ظهرت الأصنام بصور اخرى، بحيث أصبح الدينار والدرهم صنماً، كما أصبح المنصب والمقام صنماً. فقد أوضح الإمام عليه السلام أنّ رسالته فى هذا العصر والزمان هى ذات رسالة رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله، فهو يبين كل ما بينه النبى صلى الله عليه و آله، ثم قال عليه السلام أنّ أسماعكم

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۸۱

وابصاركم وأفئدتكم ليست باقل من أسماع وأبصار وأفئدة الناس فى عصر الجاهلية الذى نهض فيه رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله وصدع بالأمر، فلديكم ذات الحس والشعور والإدراك (بل إنّكم لتفوقونهم فى ذلك فقد انبثقت الدعوة وانتشرت، فكيف لاتكفون عن سوء الأعمال، ولم ترعوون عن الضلال وتعودن إلى الهدى ولم لاتفيقون من نوم الغفلة». ثم حذرهم الإمام قائلًا:

«و لقد نزلت بكم البليّة جائلًا[۸۰۷] خطامها،[۸۰۸] رخواً بطانها[۸۰۹]»

ذهب أغلب الشرّاح إلى أنّ المراد بهذه البلية فتنة بنى‌أمية التى أحرقت الاخضر واليابس وطالت أموال الناس وأعراضهم. والجدير بالذكر هو أن الإمام عليه السلام قد شبه هذا البلاء الكاسر بالناقة الجامحة التى إسترخى لجامها فهى تنذر بسقوط راكبها. وعليه فالراكب لايتمكن من حفظ نفسه فضلًا عن السيطرة على الناقة وصدها عن الجموح. نعم هكذا كان بلاء بنى‌أمية حيث لم يسلم أحد منهم.

وأخيراً إختتم الإمام عليه السلام خطبته قائلًا:

«فلا يغرّنّكم ما أصبح فيه أهل الغرور، فإنّما هو ظلّ ممدودٌ إلى أجلٍ معدودٍ».

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۸۳

الخطبة[۸۱۰] التسعون

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

وتشتمل على قدم الخالق وعظم مخلوقاته، ويختمها بالوعظ

نظرة إلى الخطبة

تتالف الخطبة من أربعة أقسام:

القسم الأول: الحديث عن إحاطة اللّه بالعباد وعلمه بخفايا الإنسان.

القسم الثانى: ازلية الحق سبحانه وشرحها بعبارات رائعة واضحة.

القسم الثالث: تهديد أعداءاللّه بالعذاب الاليم وبشارة أولياءاللّه بجزيل الأجر والثواب.

القسم الرابع: وعظ عباداللّه والنصح لهم، وكأن الاقسام الثلاث كانت مقدمة لهذا الوعظ المؤثر فى الإنسان.

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٣٨٥

القسم الأول: كان ولم يكن أحد سواه

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، والْخالِقِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ، الَّذِى لَمْ يَزَلْ قائِماً قادِماً: إِذْ لا سَماءٌ ذاتُ أَبْراجٍ، ولا حُجُبٌ ذاتُ إِرْتاجٍ، ولا لَيْلٌ داجٍ، وَلا بَحْرٌ ساجٍ، ولا جَبَلٌ ذُو فِجاجٍ، ولا فَجٌّ ذُو اعْوِجاجٍ، ولا أَرْضٌ ذاتُ مِهادٍ، وَلا خَلْقٌ ذُو اعْتِمادٍ: ذَلِكَ مُبْتَدِعُ الْخَلْقِ ووارِثُهُ، وإِلَهُ الْخَلْقِ ورازِقُهُ، الشَّمْسُ والْقَمَرُ دائِبانِ فِى مَرْضاتِهِ: يُبْلِيانِ كُلَّ جَدِيدٍ، ويُقَرِّبانِ كُلَّ بَعِيدٍ».

الشرح والتفسير

استهل الإمام عليه السلام خطبته بالإشارة إلى ثلاث من صفات اللّه فقال:

«الحمد للّه المعروف من غير رؤيةٍ»

نعم فهو ليس بجسم ولايحده زمان أو مكان يرى بالعين؛ فالجسمية دليل النقص والحاجة إلى الزمان والمكان، بينما اللّه منزه عن هذا النقض والحاجة فهو كمال مطلق، مع ذلك فقد ملأت آثاره الآفاق بما يدل على وجود ذاته المقدسة، بما فيها الآيات الآفاقية والنفسية. فالرؤية محالة عليه، إلّاأنّه أوضح الواضحات، فكافة ذرات العالم تسبحه وتقدسه وتشهد له بالوجود. وقال عليه السلام فى الصفة الثانية:

«و الخالق من غير رويّةٍ»[٨١١]

فانّما يحتاج إلى الفكر من كان هناك أشياء مجهولة لديه، أما من لم يكن له من شئ مجهول فالفكر محال عليه. كما يحتمل أن يكون المراد يقوله

«غير رويّةٍ»

بأنّ سابقة لم تكن لهذا الخلق الذى خلقه اللّه، خلافاً لخلاقية الإنسان التى تحتذى بالتجارب. ثم قال فى الصفة الثالثة:

«الّذى لم يزل قائماً دائماً»

فالازلية والأبدية من مختصات الذات المقدسة التى تعد من لوازم تلك الذات المطلقة

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٣٨٦

اللامحدودة. فلو كانت هناك من بداية لشئ كانت له نهاية فهو محدود قطعاً. أمّا الذات اللامحدودة واللامتناهية فهى لاتعرف البداية ولا النهاية. فهو الوجود الذى كان وكائن إلى الأبد. ثم وضح عليه السلام أزليته سبحانه بالقول:

«إذ لا سماءٌ ذات أبراجٍ، ولا حجبٌ ذات إرتاجٍ،[٨١٢] ولا ليلٌ داجٍ،[٨١٣] ولا بحرٌ ساجٍ،[٨١٤] ولا جبلٌ ذو فجاجٍ،[٨١٥] ولا فجٌّ ذو اعوجاجٍ، ولا أرضٌ ذات مهادٍ، ولا خلقٌ ذو اعتمادٍ»

يمكن أن تكون العبارة

«حجب ذات ارتاج»

اشارة إلى ما صرحت به الروايات والأخبار من حجب النور تحت العرش التى لايسع مخلوق الاقتراب منها، فشدة نورها التى تخبف الأبصار وتحول دون إجتيازها هى بعض مخلوقات اللّه التى يحتمل أنّها وجدت بعد خلق العرش وقد فصلت العرش عن السموات. فقد جاء فى الخبر عن الإمام الكاظم عليه السلام فى فلسفة التكبيرات السبع فى بداية الصلاة أنّه قال:

«يا هشام إن اللّه خلق السماوت سبعا والأرضين سبعا والحجب سبعا ...»[٨١٦]

ثم ورد فى ذيل الحديث أن هذه الحجب كانت تطرح الواحد بعد الآخر أمام رسولاللّه صلى الله عليه و آله حين المعراج، فكان يكبر اللّه عند رفع كل حجاب وهذه هى فلسفة التكبيرات السبع (فالمصلى حين يقف بين يدى ربّه للصلاة التى تعتبر معراج المؤمن يكبر

سبعاً من أجل رفع تلك الحجب عنه. كما تفيد المناجاة الشعبانية أنّ هذه الحجب النورانية قد رفعت عن بعض أولياءاللَّه

«إلهى هب لى كمال الانقطاع اليك وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمة ...»

وبالطبع ليس لدينا من إطلاع عن ماهية هذه الحجب، أمّا الذى يستفاد من عبارات المناجاة الشعبانية أنّ تلك الحجب تشير إلى سلسلة من المفاهيم الوراء الطبيعة.

وقد تعرض المرحوم العلّامة المجلسى فى بحارالأنوار بعد الإشارة إلى موضوع الحجب النورية الواردة فى الروايات إلى بيان وتفسير الحجب فى أبعادها الجسمانية والروحانية أو المادية والمعنوية.[٨١٧] العبارة:

«و لا ليلٌ داجٍ، ولا بحرٌ ساجٍ»

فى الوقت الذى تشير فيه إلى أزلية اللَّه

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٣٨٧

ووجوده المقدس قبل الخلق العالم، فهى تلمح إلى نعمه سبحانه على الخلق، وذلك لأنّ ظلمة الليل وسكون البحر من نعمه سبحانه، فالاولى تدعو إلى النوم والراحة التى تلعب دورا بالغاً فى بناء البدن والروح، والثانية فى الملاحة والصيد واستخراج ما فى أعماق البحر من لؤلؤ ومرجان. والعبارة:

«جبل ذوفجاج»

أى أنّ الجبال لو كانت كالجدران متصلة لانفصلت بقاع الأرض عن بعضها واختلت الحركة عليها، بينما إقتضت حكمة اللَّه فصلها لتيسير الحركة والمشيى.

«فج ذو اعوجاج»

يمكن أن يكون المراد بها لو لا انعطاف واعوجاج الأودية لأتت السيول بحركتها السريعة فجرفت كل شئ، حيث حال ذلك الاعوجاج دون طغيان السيول وسيطر عليها.

«أرض ذات مهاد»

إشارة إلى الأراضى الواسعة الساكنة.

«خلق ذواعتماد»

إشارة إلى القدرة الروحية والجسمية التى منحها اللَّه للإنسان. ثم قال عليه السلام:

«ذلك مبتدع الخلق ووارثه»،

فكل شئ زائل ولايبقى سواه

«و إله الخلق ورازقه»،

وكيف لايكون إله الخلق ومعبودهم وهو بهذه الصفات والكمالات. أضف إلى ذلك فالرزق بيده وهو يفيضه على العباد.

فهو جدير بالعبادة لعظمته وهو أولى بها شكراً لنعمه. ثم اختتم كلامه بالإشارة إلى نعمتين تفيدان قدرته وعظمته فقال:

«و الشّمس والقمر دائبان ٨١٨] فى مرضاته: يبليان كلّ جديدٍ، ويقرّبان كلّ بعيدٍ»

فقد سمى الشمس والقمر دائبين لتعاقبهما على حال واحدة دائما لايفترقان ولايسكنان. فالقمر فى حالة حركة دائما، إلّاأنّ نسب الحركة للشمس يمكن أن يكون إشارة إلى حركتها الظاهرية (وان كانت فى الواقع ثابته والأرض تدور حولها) أو إشارة إلى سائر حركات الشمس، بل جميع المنظومة الشمسية فى المجرات.

والجدير بالذكر أنّ أغلب عبارات الإمام عليه السلام قد اقتبست من آيات القرآن الكريم، ومنها الآية:

«وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ بِساطاً* لِتَسْلُكُوا مِنْها سُبُلًا فِجاجاً»[٨١٩] والآيـة «أَلَمْ نَجْعَلِ الأرْضَ مِهاداً»[٨٢٠] والآية «وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ دائِبَيْنِ»[٨٢١].

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٣٨٩

القسم الثانى: العالم بالخفايا والأسرار

«قَسَمَ أَرْزاقَهُمْ، وأَحْصَى آثارَهُمْ وأَعْمالَهُمْ، وعَدَدَ أَنْفُسِهِمْ، وخائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ، وما تُخْفِى صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّمِيرِ، ومُسْتَقَرَّهُمْ ومُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ الْأَرْحامِ والظُّهُورِ، إِلَى أَنْ تَتَناهَى بِهِمُ الْغاياتُ».

الشرح والتفسير

يتحدث الإمام عليه السلام هنا أيضاً عن صفات اللَّه ذات الصلة بأوضاع الناس ومصائرهم كمقدمة للوعظ والنصح فقال عليه السلام:

«قسم أرزاقهم»،

طبعا المراد بتقسيم الارزاق تقيسمها على ضوء السعى والعمل والاجتهاد، لا أنّ اللَّه ضمن ايصال رزق كل فرد إلى باب بيته دون حساب، وان حصل الإنسان أحياناً على رزق

«مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ»

إلّاأنّ هذا ليس أصلًا وقانوناً، والأصل والقانون هو السعى والجد والاجتهاد والعمل والابداع. بعبارة اخرى فانّ الرزق رزقان؛ يتوقف أحدهما على السعى والعمل وبدونهما يحرم منه، والآخر حتمى يصل إلى الإنسان سعى إليه أم لم يسع. والأساس هو القسم الأول. وقد أشارت بعض الروايات إلى القسمين كقول أميرالمؤمنين عليه السلام:

«إن الرزق رزقان: رزق تطلبه، ورزق يطلبك»[٨٢٢]

والجدير بالذكر أنّ الأرزاق لاتفسر بالماء والغذاء فقط، بل تشمل كافة النعم المادية والمعنوية. فقد قسم اللَّه سبحانه العلم والإيمان والمقام والجاه والموقع الاجتماعى وما إلى ذلك على ضوء الجهود والحركة، مع ذلك هنالك بعض الحالات التى تتجاوز عالم الأسباب لتشير إلى قدرة

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٣٩٠

مسبب الأسباب فتخيب نتيجة هذا السعى وتنجح تلك دون سعى وجهد، إلّاأنّ هذه امور استثنائية مختصة به سبحانه ثم قال عليه السلام:

«و أحصى آثارهم وأعمالهم، وعدد أنفسهم، وخائنة أعينهم، وما تخفى صدورهم من الضّمير»

وليس هذا فقط فحسب بل

«ومست قرّهم ومس تودعهم من الأرحام والظّهور، إلى أن تتناهى بهم الغايات»

ذهب بعض شرّاح نهج‌البلاغة إلى أنّ المراد بالاثار يعنى آثار وطئهم فى الأرض، كما فسرها البعض الآخر بما يبقى من الإنسان فى العالم. وفسروا عدد الأنفس بعدد الناس فى كل زمان ومكان، كما فسرت بعدد الأنفاس (و يصح هذا التفسير إذا كانت العبارة فى النسخة أنفاس، كما نقل ذلك بعض شرّاح نهج‌البلاغة وهو الانسب لما قبل هذه العبارة وما بعدها). أمّا المراد بخيانة العين النظر الحرام، أو غمز الآخرين من أهل العفة والحياء. وأمّا العبارة

«وما تخفى صدورهم»

فهى إشارة إلى النيات الحسنة والقبيحة والطاهرة والفاجرة والعقائد المختلفة. والمستقر رحم المرأة الذى تستقر فيه نطفة الرجل والمستودع صلب الرجل الذى يضم النطفة قبل إنتقالها إلى الرحم.

والعبارة:

«إلى ان تتناهى بهم الغايات»

أى إلى أن يحشروا فى القيامة، ولايصح ما ذهب إليه بعض الشرّاح من تفسيرها بالجنّة والنار لعدم انسجامها والعبارات السابقة. عل كل حال فالعبارات تشير إلى علمه سبحانه بسبعة امور عن الإنسان، من قبيل الأعمال والحركات والعين والأنفاس والعقائد والنيات ومنذ ظهور النطفة فى صلب الرجل إلى إنتقالها إلى رحم الامُ مروراً بالولادة ومراحل الحياة وأخيرا الموت، ليعلم الإنسان بأنّه فى عين اللَّه على كل حال فيلتفت إلى أعماله وحركاته وسكناته. والحق أنّ كلماته عليه السلام إنّما تستد إلى الآيات القرآنية الكريمة، كالاية:

«وَنَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وَآثارَهُمْ وَكُلَّ شَيءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إمامٍ مُبِينٍ»[۸۲۳] والآية:

«يَعْلَمُ خائِنَةَ الأَعْيُنِ وَما تُخْفِي الصُّدُورُ»[۸۲۴] والآية: «وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَمُسْتَوْدَعَها كُلٌّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ»[۸۲۵].

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۹۱

القسم الثالث: ليس كمثله شئ

«هُوَ الَّذِي اشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ عَلَى أَعْدائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ، واتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لِأَوْلِيائِهِ فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ، قاهِرُ مَنْ عازَّهُ، ومُدَمِّرُ مَنْ شاقَّهُ، ومُذِلُّ مَنْ ناواهُ، وغالِبُ مَنْ عاداهُ، مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفاهُ، ومَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ، ومَنْ أَقْرَضَهُ قَضاهُ، ومَنْ شَكَرَهُ جَزاهُ».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام إلى قدرة اللَّه وشدة نقمته فى ذات رحمته فقال عليه السلام:

«هو الّذى اشتدّت نقمته على أعدائه فى سعة رحمته»،

ثم قال فى الصفة الثانية:

«و اتّسعت رحمته لأوليائه فى شدّة نقمته»

فالعبارتان تشيران إلى حقيقة واحدة من زاويتين، وهى أنّ الرحمة الإلهية الواسعة لاتمنع من شدة العذاب، كما أن العذاب الشديد لايحول دون سعة الرحمة. فالواقع هو أنّ الخوف والرجاء العاملان الرئيسان فى الحركة نحو الكمال قد تجسداً باروع صورة فى هاتين العبارتين، لنظر العباد بعين إلى رحمته وبالاخرى إلى نقمته، فلا يغفلون ولا ييأسون، بل يعملوا بين الخوف والرجاء. ثم قال عليه السلام:

«قاهر من عازّه،[۸۲۶] ومدمّر[۸۲۷] من شاقّه،[۸۲۸] ومذلّ من ناواه،[۸۲۹] وغالب من عاداه»

فالعبارات اشارة إلى حاكميته المطلقة سبحانه لعالم الوجود. وقد

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۹۲

تكررت رحمته الواسعة فى العبارة، مع ذلك فهى لاتعنى سعة الجبابرة والظلمة على مقاومة إرادته سبحانه، وأما إمهاله لهم فانّ ذلك يستند إلى بعض الأسباب، من قبيل امتحان العباد، أو تسليط بعضهم على البعض الآخر. وبالطبع فانّ عبارات الإمام عليه السلام إنّما تستند إلى آيات القرآن، كالآية الواردة بشأن فرعون: «فَقالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكالَ الآخِرَةِ وَالْأُولى [۸۳۰] ثم استنتج الإمام عليه السلام بعد ذكر هذه الصفات:

«من توكّل عليه كفاه، ومن سأله أعطاه، ومن أقرضه قضاه، ومن شكره جزاه»

فهذه النتائج الأربع المترتبة على الأوصاف السابقة فى أنّ الشخص الذى حصل على قدرة وأصبح صاحب نعمة وفيرة لابدّ أنّ يكون ملاذا للمتوكلين ومانحاً للسائلين ومثيباً للمنفقين والشاكرين. وعليه فمن حرم من الرحمة والعطاء والثواب فهو المقصر حيث لم يطرق بابه سبحانه ولم يقرضه ولم يشكر نعمه. ومرة اخرى نقول أنّ أغلب عبارات الإمام عليه السلام مملوءة بالمضامين الدينية المستوحاة

من الآيات القرآنيـة، كالاية: «وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ»[۸۳۱] والآية الشـريفة: «مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَـناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثِيرَةً»[۸۳۲] والآية: «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ»[۸۳۳].

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۹۳

القسم الرابع: محاسبة النفس

اشارة

«عِبادَ اللَّهِ زِنُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ قَبْلِ أنْ تُوزَنُوا، وحاسِبُوها مِنْ قَبْلِ أنْ تُحاسَبُوا، وتَنَفَّسُوا قَبْلَ ضِيقِ الْخِناقِ، وانْقادُوا قَبْلَ عُنْفِ السِّياقِ، اعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعَنْ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنْها واعِظٌ زاجِرٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِها لا زاجِرٌ ولا واعِظٌ».

الشرح والتفسير

إختتم الإمام عليه السـلام خطبته بهذه العبارات التى تمثل الكلام الفصـيح النادر اللطيف حسبما ذكر ذلك ابن أبى‌الحديد[۸۳۴]. فقال عليه السلام:

«عباد اللّه زنوا أنفسكم من قبل أن توزنوا، وحاسبوها من قبل أن تحاسبوا»

فقـد درج الإنسـان فى حياته حين المعاملات على زنـة المتاع ثم حساب قيمته، وأنّه ليفقـد رأس ماله إذا التبس عليه الوزن أو الحساب ويصـاب بالضـرر والخسـران، وهـذا مـا ينبغى أن يكـون عليـه فى الامـور المعنويـة، فعليه أن يزن نفسه ويرى مـاهى عليه من الأخلاـق والإيمان ثم يحاسبها، فان رأى نقصاً هب لاصلاحه قبل أن يرد حساب الآخرة حيث لاسبيل للاصلاح وتدراك الافراط سوى الحسرة والنـدم. فممـا لاشـك فيه أن وزن الأعمال فى القيامـة حق، الأمر الـذى أشار إليه القرآن الكريم: «وَالوَزْنُ يَوْمَئِـذٍ الحَقُّ»[۸۳۵] كما أنّ الحساب من المسـلمات، ومن هنان كان أحد أسـماء يوم القيامة هو يوم الحساب: «وَقالَ مُوسـى إِنِّى عُذتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لايُؤْمِنُ بِيَوْمِ الحِسابِ»[۸۳۶]. ثم قال عليه السلام:

«و تنفّسوا قبل

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۹۴

ضيق الخناق».[۸۳۷]

فـالتنفس هنا كنايـة عن مبادرة العمل الصالـح والعلم وتهـذيب النفس والورع والتقوى. أمّا ضـيق الخناق فيراد به الموت. فقـد جاء فى القرآن: «وَأَنْفِقُوا مِمّـا رَزَقْنـاكُمْ مِـنْ قَبْـلِ أنْ يَأْتِىَ أَحَـدَكُمُ المَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاـ أَخَّرْتَنِى إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصّالِحِينَ»[۸۳۸] ثم قال عليه السلام:

«و انقادوا قبل عنف السّياق ۸۳۹]»

فاذا جاء الموت استسلم أعتى الأفراد كفرعون وهامان ونمرود ومن على شاكلتهم ليصرخ

«آمنت لا إله الا اللّه»

ولم ينفعهم ذلك الإيمان. كما صرح القرآن بشأن الآثمين الذى يرون ملائكة الموت أنّهم ينادون: «رَبِّ ارْجِعُون* لَعَلِّى أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ كَلّا إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها»[۸۴۰]. ثم إختتم عليه السلام خطبته قائلًا:

«و اعلموا أنّه من لم يعن على نفسه حتّى يكون له منها واعظٌ وزاجرٌ لم يكن له من غيرها لا زاجرٌ ولا واعظٌ»

فالهدايـة لابـدّ أن تنبع من بـاطن الإنسـان، ومـادام باطن الإنسان ليس مسـتعداً فليس هنالك من تأثير للواعظ الخارجى. وعليه فالإنسان يجب أن يعزم بادى ذى بـدء على إحياء ضـميره ووجـدانه لتحفه العنايـة الإلهية، وهنا يسـتعد الإنسان لاقتفاء آثار الأنبياء والأولياء ويعر

آذانه لسماع الحق.

تأمّلان

١- الوزن والحساب فى المحشر

تفيد أغلب الآيات والروايات أنّ يوم القيامة هو يوم وزن جميع الأشـياء والحساب عليها، ولايقتصـر هذا الوزن على الأعمال فحسب بل يخضع الإنسان للاختبار لمعرفة عقائده ونياته

نفحات الولايه، ج٣، ص: ٣٩٥

وأخلاقه. أمّا البعض فقـد تصوروا أنّ موازين يوم القيامة كموازين الدنيا، إلّاأنّها أدق، فاضـطروا للاعتقاد بوزن الأعمال المعنوية، إلّاأنّ الأمر ليس كذلك، فميزان كل شئ بمايناسبه.

فاليوم تسـتعمل كلمـة الميزان ليقال ميزان الهواء وميزان الحرارة، والحال ليس هنالك مثل هـذا الميزان. بل تسـتعمل الميزان بكثرة فى الأعمال المعنويـة ولايراد بها هـذا الميزان. والحق أنّ عالم الاخرة آخر واسع يتجاوز حـدود هـذا العالم بحيث يتعذر علينا تصور ابعاده وحدوده وجزئياته وان كان لنا علم إجمالى به. وقد أوصـى الإمام عليه السـلام بزنة الأعمال قبل وزنها هناك ومحاسبتها قبل الحساب؛ الأمر الذى أكده سائر المعصومين عليهم السلام. فقد ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام أنّه قال:

«ليس منا من لم يحاسب نفسه فى كل يوم، فان عمل خيرا استزاد اللّه منه، وحمداللّه عليه، وإن عمل شرا استغفراللّه وتاب عليه»[٨٤١]

. وجاء فى الحديث أنّ رسولاللَّه صلى الله عليه و آله قال لأبى‌ذر:

«يا أباذر! حاسب نفسك قبل ان تحاسب، فانه أهون لحسابك غدا، وزن نفسك قبل أن توزن»[٨٤٢]

. كما قال صلى الله عليه و آله لأبى ذر:

«يا أباذر لايكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك شريكه، فيعلم من أين مطعمه، ومن أين مشربه، ومن أين ملسبه، أمن حل ذلك، أم من حرام».[٨٤٣]

٢- الواعظ الباطنى

إن النتيجة المطلوبة تتطلب أمرين؛ الموضع المناسب والتربية الصحيحة، وبعبارة اخرى

قابليـة القابـل وفاعليـة الفاعـل. فالفلاـح مهمـا كـان مـاهراً والمـاء مهما كان وافراً، والبـذر مهما كان صالحاً، لايجنى أى ثمر إذا كانت الأـرض الزراعيـة مالحـة غير صالحـة للزراعـة، وذلـك لأـنّ إفتقـار الموضع لقابليته يبـدد جميع الجهود. ويصـدق هـذا الأمر على تربية النفوس البشرية، فما لم يكن للإنسان واعظ من نفسه ونزوعا نحو الحق والانصاف لم تؤثر فيه أقوى المواعظ من الخارج.

ومن هنـا شـرب أبوجهـل وابولهب الصـدى وهمـا يجلسان على ساحل منبع الوحى الفياض، بينما ارتوى أمثال أويس القرنى من ذلك المنبع رغم البعد الشاسع عنه. وبالطبع لايفهم الجبر من هذا الكلام، لأنّ الواعظ الباطنى يتبلور أيضاً عن طريق تهذيب النفس وتزكيتها، فشعلته

نفحات الولايه، ج٣، ص: ٣٩٦

تنطفئ فى ظل الأهواء والشهوات، بينما تتقد إثر العفاف والطهارات.

إلى هنا انتهينا بحمداللَّه من المجلد الثالث ويليه المجلد الرابع إن شاءاللّه. ولا يسـعنى هنا إلّا أن أتضرع إلى البارئ سبحانه بفائق الشكر والامتنـان على مـا وفقنى إليه، كما أسأله أن يمن على بمواصـلة هـذا الجهـد الزهيـد. وما توفيقى إلّاباللَّه عليه توكلت وإليه أنيب وآخر

دعوانا أن الحمدللّه ربّ العالمين.

۱۵ جمادی‌الثانیهٔ ۱۴۲۱

---

[۱] (۱) سند الخطبة: جاء هذا الكلام فی المحاسن للبیهقی ومروج الذهب للمسعودی وعلل الشرائع للصدوق والتهذیب للشیخ الطوسی(مصادر نهج‌البلاغهٔ ۲/ ۴۰).

[۲] (۱) شرح نهج‌البلاغهٔ للعلّامهٔ الخوئی ۴/ ۳۸۳؛ الکامل للمبرد ۲/ ۱۱۶۴.

[۳] (۱) العلامهٔ المجلسی فی« بحارالانور» فی معرض شرحه لهذا الموضوع، وهو لماذا کان معاویهٔ بن أبی سفیان‌یدعو الرسول الاکرم صلی الله علیه و آله بابن أبی کبشهٔ، عند ذکره إیاه، فیقول: إن مشرکی العرب کانو أیضا یدعون الرسول بهذا الاسم، وذلک لان« ابن أبی کبشهٔ» هو من قبیلهٔ« خزاعهٔ» والتی کانت علی اختلاف مع قبیلهٔ قریش، حول مسألهٔ عبادهٔ الاصنام، فابن أبی کبشهٔ کان من مخالفی عبادهٔ الاوثان.« بحارالانوار ۱۸/ ۲۱۳».

[۴] (۲) شرح نهج البلاغهٔ لابن أبی الحدید ۵/ ۱۲۹.

[۵] (۱) سند الخطبهٔ: روی مقدمهٔ هذا الکلام ابن‌کثیر فی البدایهٔ والنهایهٔ نقلا عن کتاب أبی داود، وتوفی أبی داود لمئهٔ وثلاثین سنهٔ قبل السید الرضی(ره)، ورواها الزمخشری فی ربیع الابرار مع إختلاف یفید أنّه نقلها من مصدر آخر غیر نهج‌البلاغهٔ. ورواها الآمدی فی غرر الحکم فی حرف الالف(مصادر نهج‌البلاغهٔ ۲/ ۴۲). کما وردت فی کتاب صفین لنصربن مزاحم الذی عاش فی القرن الهجری الثانی(نهج‌البلاغهٔ طبعهٔ. جماعهٔ مدرسی الحوزهٔ العلمیهٔ).

[۶] (۲)« غیلهٔ» علی غرهٔ بغیر شعور من المقتول کیف یأتیه القاتل، کما ورد« الاغتیال» بمعنی القتل الحیلهٔ، ومن مصادیقه أیضاً بعض الأذی الذی یتعرض له البدن دون القتل.

[۷] (۱) مصادر نهج‌البلاغهٔ ۲/ ۴۲- ۴۳، کما رواه المرحوم ابن میثم فی شرحه لنهج‌البلاغهٔ ۲/ ۱۵۷.

[۸] (۲)« یطیش» من مادهٔ« طیش» علی وزن عیش بمعنی خفهٔ العقل وتستعمل للسهم حین یخطئ الهدف وکأن‌السهم لم یعمل علی ضوء العقل، وفسره البعض بکل خفهٔ(کتاب العین ومقاییس اللغهٔ ولسان العرب).

[۹] (۳)« سهم»، وهو فی الأصل واحد النبل، والمرکب من النصل والنبل، والجمع، أسهم وسهام، ومن هنا یستعمل أحیاناً لتعیین النصیب والقائدهٔ، ویستعمل للقرعهٔ.

ویطلق اصطلاح السهم علی النصیب والحظ والفائدهٔ،« والمساهمهٔ» تأتی بمعنی القرعهٔ، ومن هنا وفی حال إجراء القرعهٔ فان أسماء المقترعین تکتب علی نصل السهم، ثم تخلط فیما بینها، ثم تتم عملیهٔ انتخاب احد السهام، فیکون الاسم المکتوب علیه هو الفائز بالقرعهٔ.

[۱۰] (۴)« یبرأ» من مادهٔ« برء» علی وزن قرب بمعنی التحسن من المرض« وبرء» بمعنی الخلق، ومنه« الباریٔ» بمعنی الخالق.

[۱۱] (۵)« الکلم» بالفتح علی وزن نظم بمعنی الجرح. ومن هنا یقال للحدیث الذی یترک أثراً علی القلوب بالکلام.

[۱۲] (۶) نهج‌البلاغهٔ، الکلمات القصار، ۲۰۲.

[۱۳] (۷) نهج‌البلاغهٔ، الکلمات قصار، ۶- ۳.

[۱۴] (۸) تفسیر البرهان ۲/ ۲۸۳.

[١۵] (١) سورة الاعراف/ ٣۴.

[١۶] (٢) سورة المنافقون/ ١١.

[١٧] (١) لقد ورودت هذه الأقسام بالتفصيل فى التفسير نمونه ١٨/ ٢٠٧ فى ذيل الآية ١١ من سورة فاطر.

[١٨] (١) سند الخطبة: كتب صاحب مصادر نهج‌البلاغة فى سند هذه الخطبة: لا ترديد فى أنّ ما ورد فى هذه الخطبة قسم من خطبة طويلة إختار السيد الرضى(ره) بعضها، وأضاف لقد أوردت هنا ما أورده الآمدى فى غرر الحكم فى حرف الالف، أما التفاوت فى بعض العبارات والاضافات فى نقل الآمدى تفيد أنّه استقى هذه الخطبة من مصدر آخر غير نهج‌البلاغة(لابد من الالتفات هنا إلى أنّ الآمدى صاحب غررالحكم من علماء القرن الهجرى السادس، بينما عاش السيد الرضى فى القرن الهجرى الرابع ٢/ ۴۴.

[١٩] (١) سورة العنكبوت/ ٢- ٣.

[٢٠] (٢)« سابغ» من مادة« سبوغ» بمعنى الامتداد، ونعمة سابغة تطلق على النعم الدائمة الممتدة، واسباغ الوضوءمواصلته بالماء دون الاسراف.

[٢١] (٣)« قلص» من مادة« قلوص» على وزن خلوص بمعنى إنقبض وارتفع، وفى الخطبة بمعنى زوال الظل بحلول عتمة الليل.

[٢٢] (١) سند الخطبة: ورد بعض هذه الخطبة فى كتاب الغرر والدرر للآمدى مع بعض الاختلاف عما ورد فى نهج‌البلاغة، مما يشير إلى أنّه إقتبسها من غير مصدر نهج‌البلاغة، كما نقل بعضها السبطبن الجوزى فى تذكرة الخواص بالاضافة إلى ما ورد فى نهج‌البلاغة، وهذا يعنى أنّه استقاه من مصدر آخر غير نهج‌البلاغة، وصرح فى كتابه بأنّه يذكر عبارات أميرالمؤمنين عليه السلام المتصلة السند(مصادر نهج‌البلاغة ٢/ ۴٧- ۴٨).

[٢٣] (٢)« يحدو» من مادة« حدو» على وزن ضرب، و« حدا» على وزن دعا، وفى الاصل بمعنى الغناء للابل أثناءسوقها بصوت خاص، وذلك عندما يريد سائق الابل الاسراع فى السير، والصحيح« حُدا» وفى لسان عامة الناس يُقال« حُدى .

[٢۴] (١) سورة الحجرات/ ١٣.

[٢۵] (٢) سورة البقرة/ ١٩٧.

[٢۶] (١) سوره المنافقون/ ١٠.

[٢٧] (٢) سورة التوبة/ ١١١.

[٢٨] (٣)« ترحلوا» من مادة« رحلة» بمعنى السفر والرحيل من مكان إلى آخر.

[٢٩] (۴)« جد بكم» من مادة« جد» بمعنى حثثتم وازعجتم إلى الرحيل، كما تأتى بمعنى الأهمية، ويراد بها أيضاًالأسفار السريعة.

[٣٠] (١) تفيد القرائن الواردة فى الخطبة ان« فاستبدلوا» وردت بصيغة الماضى كالمفردة« فاتبهوا» لأنّ كليهما نتيجة للعبارة السابقة، فالانتباه نتيجة صراخ اليقظة وتبدل الدنيا بالآخرة نتيجه العلم بموضعيهما، والعجيب أن أغلب شرّاح نهج‌البلاغة صرحوا بأن« فاستبدلوا» فعل أمر؛ الأمر الذى يغير مفهوم هذه العبارة والعبارات اللاحقة.

[٣١] (٢) منهاج البراعة للعلّامة الخوئى ۴/ ٣٣٩؛ وقد ورد هذا المعنى فى الكلمة ١٣٢ من قصار كلمات نهج‌البلاغة حيث قال عليه السلام:« إن للّه ملكاً ينادى فى كل يوم: لدوا للموت، واجمعوا للفناء وابنوا للخراب».

[٣٢] (١) منهاج البراعة ۴/ ٣٩٩.

[٣٣] (٢)« سدى» من مادة« سدو» على وزن سرو بمعنى الاهمال والعبث، ومن هنا تطلق العرب« سدى على الابل‌التى لاراعى لها وترعى كيفما تشاء، والعبارة بمعنى تعنى أن اللّه لم يخلقكم عبثاً دون هدف.

[٣۴] (١) سورة القمر/ ١.

[٣۵] (٢) سورة المعارج/ ۶.

[۳۶] (۱) الكافى ۳/ ۲۴۲.

[۳۷] (۲) نهج‌البلاغة، الكلمات القصار/ ۷۴.

[۳۸] (۱) أوبة له معنى مصدرى واياب بمعنى الرجوع والإنابة.

[۳۹] (۲) سورة البقرة/ ۲۸.

[۴۰] (۳) نهج‌البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ۲۸.

[۴۱] (۴) سورة البقرة/ ۱۵۶.

[۴۲] (۵) نهج‌البلاغة، الرسالة ۳۱.

[۴۳] (۱) سورة البقرة/ ۱۹۷.

[۴۴] (۲) غرر الحكم، ح ۱۱۲۸.

[۴۵] (۳) غررالحكم، ح ۱۵۵۸.

[۴۶] (۴) غررالحكم، ح ۲۵۵۳.

[۴۷] (۱) إنّ الأفعال وإن وردت بصيغ الماضى إلّاأنّها تفيد معنى الأمر. وكأن السامع على درجة من الطاعة بحيث‌يمتثل الاوامر قبل سماعها.

[۴۸] (۱)« يسوفها» من« التسويف» بمعنى التأخير فى العمل واصل العبارة« سوف أفعل كذا».

[۴۹] (۲)« تبطر» من مادة« بطر» على وزن نظر بمعنى بقر الشئ ومنه« البيطار» الذى يبقر بطن الحيوان، ثم أطلق على كل طغيان وتجاوز للحد فى السرور عند إقبال النعم، ويمكن القول بان البطر السكر والغرور الذى تفرزه النعمة، فالعبارة تعنى لاتطغيه ولا تسدل على بصيرته حجاب الغفلة عما هو صائر إليه.

[۵۰] (۳)« كآبة» على وزن خرابة لها معنى المصدر وإسم المصدر وتعنى الامتعاظ والانكسار من الهم والحزن، وقيل تطلق على الامتعاظ من الحزن الظاهر على الوجه.

[۵۱] (۱) بحارالأنوار ۳/ ۸۳- ۸۴(ح توحيد مفضل).

[۵۲] (۱) سورة الحجر/ ۳۹- ۴۰.

[۵۳] (۲) سورة الحجر/ ۳۹- ۴۰.

[۵۴] (۱) سورة فاطر/ ۳۷.

[۵۵] (۱) غرر الحكم، ح ۱۰۹۴۸.

[۵۶] (۱) سند الخطبة: نقل الصدوق(ره) هذه الخطبة مع بعض الاختلاف فى كتابه التوحيد وأضاف: أنّ الإمام عليه السلام خطبها حين جهز الجيش ثانية لقتال معاوية. ومن بين المحدثين الذين نقلوا هذه الخطبة المرحوم الآمدى فى غرر الحكم، وإن عاش بعد السيد الرضى. إلّاأنّ اختلاف عباراته مع عبارات السيد الرضى(ره) يفيد أنه رواها من مصدر آخر غير نهج‌البلاغة(مصادر نهج‌البلاغة ۲/ ۵۰).

[۵۷] (۱) سورة الحديد/ ۳.

[۵۸] (۲) سورة القصص/ ۸۸.

[۵۹] (۱) توحيد الصدوق، بحسب ما نقله عن بحارالانوار ۳/ ۲۰۶، ح ۱.

ومن أجل التوضيح أكثر حول حقيقة التوحيد، ووحدانية الله سبحانه وتعالى، يرجى مراجعة كتاب« نفحات القرآن ۳/ ۲۶۰ و ما بعد».

[۶۰] (۲) سورة النساء/ ۱۳۹.

[٦١] (١) سورة الاعراف/ ١٨٨.

[٦٢] (٢) سورة النحل/ ٧٨.

[٦٣] (١) بحارالانوار، ۴/ ١۴٣ ح ١٠، وورد مثل هذا المعنى عن الإمام الصادق عليه السلام فى الكافى، ١/ ٧٩ ح ۴، كما جاءفى بحارالانوار أنّ الشيطان سأل المسيح عيسى عليه السلام هذا الجواب فأجابه بهذا السؤال(بحارالانوار، ١۴/ ٢٧١ ح ٣).

[٦۴] (١) سورة الأنبياء/ ۴.

[٦٥] (٢) سورة الشورى/ ١١.

[٦٦] (١) لقد وردت العبارة المذكورة فى أغلب نسخ نهج‌البلاغة بهذه الصورة« وكل ظاهر غيره غير باطن وكل باطن‌غيره غير ظاهر» وذهب أغلب شرّاح نهج‌البلاغة إلى وجوب إشتمال العبارة على غير» فى العبارة« ... غير باطن ... غير ظاهر» أو حذفها، حتى زعم البعض خطأ نسخة صبحى الصالح التى لم تتضمن غير فى العبارة الاولى بينما وردت فى العبارة الثانية، وبالطبع فان هذا ما يقتضيه سياق العبارة، ولكن وما ورد سابقاً لايمكن الزعم بان هذه النسخة خاطئة، ويمكن توجيه العبارة بما أوردناه من تفسير.

[٦٧] (١)« ند» على وزن ضد بكسر النون النظير والمثيل ولا يكون إلّامخالفاً، ومن هنا فسر« بالضد» أحياناً.

[٦٨] (٢)« مشاور» من مادة« ثور» جاءت بمعنى الحركة والانبعات والاثارة، ومن هنا فان« إثارة» تعنى تفرق الشيء، و« مثاورة» تأتى بمعنى وثوب شخصين ليقف أحدهما فى وجه الآخر، ويقال أيضا لكل ضدين، ومن هنا يأتى معناها بمعنى المحاربة.

[٦٩] (٣)« مكاثر» من مادة« كثرة» بمعنى الزيادة، ويطلق على الشخص الذى لديه رغبة فى الزيادة، والذى يتفاخر بالمال والسلطة والجاه بالمكاثر.

[٧٠] (۴)« منافر» من مادة« النفرة» بمعنى الابتعاد والامتعاظ من الشئ.

[٧١] (١)« داخرون» من مادة« دخور» على وزن حضور بمعنى الذلة والصغر، تستعمل فى الامور السلبية كما تستعمل فى الامور الايجابية حينما يوصف عبادالله بصفة« داخر» فيعنى ذلك التسليم والتواضع أمام الحق.

[٧٢] (٢) فى الكثير من نسخ نهج البلاغة التى تعرض لشرحها الشارحون جاءت هذه الجملة والتى وردت أعلاه بهذه الصورة« فيقال: هو فيها كائن» ولا ريب فى أن مفهوم هذه الجملة التى جائت فى هذه النسخة هى أوضح، وفى النسخة التى دون النص منها، فان كلمة« فيها» جائت مقدره.

[٧٣] (٣)« ينْأَ» من مادة« نَأْى» على وزن رأى بمعنى ابتعد، والبعض فسرها بمعنى الابتعاد عن الشيء والاتجاه إلى نقطة بعيدة.

[٧۴] (١) سورة الحديد/ ۴.

[٧٥] (٢) سورة ق/ ١٦.

[٧٦] (٣) سورة البقرة/ ١١٥.

[٧٧] (۴) سورة يس/ ٨٢.

[٧٨] (١) سورة الانشراح/ ٥- ٦.

[٧٩] (٢) سورة الاعراف/ ٩٧- ٩٨.

[٨٠] (١) سند الخطبة: رواها جمع كثير من المؤرخين والمحدثين قبل السيد الرضى وبعده ومنهم نصربن مزاحم فى كتاب صفين والحافظ فى البيان والتبيين وفرات بن ابراهيم الذى عاش على عهد الإمام الرضا عليه السلام فى تفسيره المعروف والمسعودى فى مروج الذهب(مصادر نهج‌البلاغة ٢/ ٥٢).

[٨١] (٢)« ليلة الهرير»: والمقصود به نباح وعواء الكلاب ليلًا من شدة البرد.

و« هرير»: وتعنى فى الأصل صوت الكلب المنخفض، وهو دون النباح، والذى يطلقه من قلة صبره على البرد.

وليلة الهرير هنا، هى الليلة المعروفة، من ليالى حرب صفين المملوءة بالحوادث، حيث استمرت فيها الحرب من النهار إلى طوال الليل، وكانت ليلة قارصة البرد مملوءة بالخوف والمخاطر، حيث هلك فى هذه الليلة عدد كبير من جيش معاوية على يد ابطال جيش الإمام اميرالمؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام.

[٨٢] (١) مصادر نهج‌البلاغة ٢/ ٥٣.(مع تلخيص)

[٨٣] (١) سورة الفتح/ ۴.

[٨۴] (٢)« أنبى» من مادة« نبو» على وزن نبض بمعنى ارتقاع شىء عن شىء آخر والابتعاد عنه، وبهذا الدليل يستعمل هذا الاصطلاح عندما تعجز السيوف عن أداء دورها، حيث تبتعد السيوف عن تحقيق الهدف.

[٨۵] (٣)« الهام» جمع« الهامة» بمعنى مطلق الرأس وهو كائن ذاروح، واحيانا يستفاد من هذا الاصطلاح بشكل مطلق.

[٨۶] (۴)« لأمة» على وزن رحمة، وهى فى الأصل بمعنى الاجتماع والاتفاق، ومن هنا، فعندما يلتحم الجرح ويشفى فيقال له« التيام» و« لأمة» تأتى بمعنى الدرع، ولعل تسميتها بهذا الاسم جاء من قرب حلقاتها واجتماعها وارتباطها، وأحيانا يطلق هذا الاصطلاح على أى سلاح.

[٨٧] (۵)« قلقوا» السيوف من مادة« قلقلة» على وزن مرحمة بمعنى حركوا السيوف.

[٨٨] (۶)« أغماد» جمع« غمد» على وزن رند بمعنى بيت السيف، ومن هنا تطلق على بعض النباتات التى تختفى أشواكها فى حواف أوراقها.

[٨٩] (١) سورة هود/ ٣٧.

[٩٠] (١) سورة طه/ ۴٨.

[٩١] (٢) لابدّ من الالتفات هنا إلى أنّ هذا التفسير على أساس أنّ« أعقاب» جمع« عقب» على وزن نسب بمعنى‌الأولاد، وان كان عقب على وزن قفل بمعنى العاقبة وما يؤول إليه الأمر فانّ مفهوم العبارة سيكون« إنّ الفرار من الجهاد عار فى عاقبة أمركم» إلّا أنّ التفسير الأول أنسب.

[٩٢] (٣) سورة الانفال/ ١۵- ١۶.

[٩٣] (۴) جملة« طيبوا نفساً»، تستعمل كتعبير عندما يستقبل الانسان شيئاً بالرضا وطيب الخاطر، وفى هذه المواردتأتى بعنوان تمييز منصوب.

[٩۴] (١) للوقوف بصورة أعمق على هذا الموضوع راجع الخطبة الخامسة من المجلد الأول.

[٩۵] (٢)« كسر» على وزن مصر شقه الأسفل، كناية عن الجوانب التى يفر إليها المنهزمون.

[٩۶] (٣)« وثبة» من مادة« وثب» على وزن نصر بمعنى الظفر والنصر، كما تعنى القفز للاستيلاء على الشئ.

[٩٧] (۴)« نكوص» بمعنى الانسحاب والتراجع عن القيام بعمل، وعادة ما تستعمل بشأن التراجع عن اعمال الخير.

[٩٨] (١) سورة الانفال/ ۴٨.

[٩٩] (٢)« صمد» على وزن حمد، وجاء على معنيين، أحدهما« القصد» والثانى« الاستحكام والصلابة» وليس مستبعد ان يكون يرجع أصل المعنيين إلى أصل واحد، لان القصد يحصل اذا كان هناك استحكام وصلابة خاصة.

و« صمد» على وزن سبب، بمعنى الشخص الذى يقصده المحتاجون، وتعنى: المكان الرفيع والسامى، وكذلك يأتى بمعنى الشىء المحلوء، وكل هذه المعانى لها تناسب مع المعنى الاصلى لهذا الاصطلاح.

وقد ورد فى الجملة اعلاه كتعبير عن المقاومة والصمودُ البصر والتحمل فى مواجهة العدو.

[١٠٠] (٣) شرح نهج البلاغة للمرحوم تسترى ١٣/ ۵۴٣.

[۱۰۱] (۱) سند الخطبة: تعتبر هذه الخطبة من الخطب المعروفة لأميرالمؤمنين على عليه السلام والتى روتها عدة مصادر من قبيل نهاية الارب للتويرى وتأريخ الطبرى وتأريخ ابن الأثير فى حوادث سنة ۱۱ ه وكتاب السقيفة لأبى‌بكر الجوهرى، كما ورد بعضها فى صحيح البخارى وصحيح مسلم، مصادر نهج‌البلاغة ۲/ ۵۸- ۶۰.

[۱۰۲] (۱) روى هذا الحديث فى صحيح مسلم فى كتاب فضائل الصحابة باب فضائل الأنصار، أنّ النبى صلى الله عليه و آله قال:« إن الأنصار كرشى وعيبتى... فاقبلوا من محسنهم واعفوا عن مسيئهم». صحيح مسلم، ۴/ ۱۹۴۹ طبع دار إحياء التراث العربى.

[۱۰۳] (۱) تاريخ الطبرى ۲/ ۴۵۵(بتلخيص).

[۱۰۴] (۲) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ۶/ ۱۰.

[۱۰۵] (۳) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ۱۷/ ۲۲۳(ذكر ذلك على أنه أحد اعتراضات الشيعة على ابى بكر حيث يعتقد البعض أنه أمر بقتل سعدا».

[۱۰۶] (۴) الغدير ۹/ ۳۷۹(لهام بمعنى الجيش العظيم).

[۱۰۷] (۵) يبدو المقصود هو على عليه السلام(شرح البخارى للقسطلانى ۱۱/ ۳۵۲، نقلا عن البلاذرى فى أنساب الاشراف).

[۱۰۸] (۱) روى هذا الحديث ثلاثة وعشرين صحابيا على الأقل عن رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله. وللوقوف على أسمائهم و العبارات المختلفة التى وردت فى رواياتهم يمكن الرجوع إلى المجلد التاسع من رسالة القرآن/ ۶۲- ۷۹ أو خلاصة عبقات الانوار ۲/ ۱۰۵- ۲۴۲ وإحقاق الحق ۴/ ۴۳۸ والسيرة الحلبية ومستدرك الحاكم والصواعق واسد الغابة وسنن البيهقى.

[۱۰۹] (۱) حديث« القلم والدواة» أو« القلم والقرطاس» من الأحاديث العجيبة فى أمر الخلافة، وقد روته أشهر مصادر العامة صحيح البخارى. فقد ورد فى هذا الكتاب فى باب مرض النبى صلى الله عليه و آله عن سعيد بن الجبير عن ابن عباس قال: لما حضرت رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله الوفاة قال: هلموا أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده. فقال بعضهم: إنّ رسول‌اللَّه قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب اللَّه. فاختلف من فى البيت واختصموا فمن قائل يقول: القول ما قال رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله ومن قائل يقول: القول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغط واللغو والاختلاف، غضب رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله فقال: قوموا، إنّه لاينبغى لنبى أن يختلف عنده هكذا فقاموا، فمات رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله فى ذلك اليوم. فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله، يعنى الاختلاف واللغط.(صحيح مسلم ۳/ ۱۲۵۱ كتاب الوصية، باب ۵ طبع دار إحياء التراث العربى). كما نقل هذا الحديث صحيح البخارى بطرق مختلفة(صحيح البخارى، المجلد السادس، باب مرض النبى صلى الله عليه و آله ووفاته، ص ۱۲ دارالجيل بيروت).

[۱۱۰] (۱) مصادر نهج‌البلاغة ۲/ ۶۱.

[۱۱۱] (۱)« عرصة» من مادة« عرص» على وزن غرس كل بقعة واسعة بين الدور، والمراد ما جعل لهم مجالًا للمغالبة، وأراد بالعرصة عرصة مصر، وكان محمد قد فر من عدوه ظنا منه أنّه ينجو بنفسه، فأدركوه وقتلوه.

[۱۱۲] (۲)« انهز» من مادة« نهز» على وزن نبض بمعنى القيام والحركة وانتهاز الفرصة إغتنامها.

[۱۱۳] (۱) شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد ۲/ ۹۳.

[۱۱۴] (۱) مصادر نهج البلاغة ۲/ ۶۱ بتصرف.

[۱۱۵] (۲) سفينة البحار ومصادر نهج البلاغة ۲/ ۶۱ فما بعد ومصادر اخرى

[۱۱۶] (۱) الغارات ۱/ ۲۵۲.

[۱۱۷] (۱) سند الخطبة: نقلها بعض المحدثين قبل السيد الرضى(ره) كالبلاذرى(المتوفى عام ۲۷۹ ه) فى أنساب الاشراف واليعقوبى(المتوفى عام ۲۸۴) فى تأريخه. ويفهم من رواية اليعقوبى أنّ الإمام عليه السلام خطبها بعد غارة النعمان بن بشير على عين

التمر(مصادر نهج‌البلاغة ٢/ ٦٠).

[١١٨] (١)« البكـار» جمع« بكر» على وزن مكر من مـادة« بكور»، الفتى من الابـل، ولابـدّ من لالتفـات إلى أنّها تسـتعمل‌بشأن الإنسان أيضاً وجمعها أبكار. و« بكر» على وزن مكر، ويطلق على الصغير من أُنثى الابل وجمعها« أبكار».

[١١٩] (٢)« عمدة» من مادة« عمد» على وزن حمد بمعنى إقامة الشيـئ بالعمود، وتطلق على الدابة التى انفتح داخل سنامها من الركوب وظاهره سليم.

[١٢٠] (٣)« متداعية» من مادة« دعوت»، وهذا الاصـطلاح يسـتعمل للاشـخاص يدعون بعضـهم الآخر إلى شـيء معين، ومن هنا يطلق على قطعـة القماش الباليـة والتى عنـدما تتمزق أحـدى زواياها كأنما تـدعوا لزاويـة الاخرى لتكون مثلها، يطلق على هذه القطعة البالية« المتداعية».

[١٢١] (٤)« حيصت» من مادة« حيص» على وزن حوض بمعنى خيطت.

[١٢٢] (١)« أطل» من مادة« طل» على وزن حل بمعنى الاشراف على شئ وهى هنا إشارة إلى إقتراب جيش الشام.

[١٢٣] (٢)« منسر» على وزن منزل من مادة« نسر» القطعة من الجيش البالغ عددها مئة إلى مئتين والتى تمر أمام جيش كثير.

[١٢٤] (٣)« انجحر» من مادة« جحر» على وزن جهل بمعنى دخل الجحر.

[١٢٥] (٤).« ضـبه» على وزن دبه بمعنى أُنثى الضب، وفى الاصـل جاءت من مادة« ضـبّت» بمعنى إنسـياب الماء بشـكل بطىء وأمثال ذلك.

[١٢٦] (٥)« ضَبُع»، يطلق على نوع من السباع.

[١٢٧] (٦)« وجار» من مادة« وجر» على وزن فجر بمعنى صب الـدواء فى الحلق، ومن هنا فان زحف الضبع فى‌حجره له شـبه بـذلك، ويقال لجحر الضب والحيوانات الاخرى وجار».

[١٢٨] (٧) وهنا فان الفعل« رُمى» جاء بصورة فعل مجهول، فى حين إن هـذا الفعل تكرر فى الخطبـة ٢٩ بهذا التعبيرولكن جاء بصيغة فعل معلوم، وبما انهما يعطيان معنىً واحداً فى كلا الحالتين، لذا فلا مانع من الاستفادة من التعبيرين فى الترجمة.

[١٢٩] (٨)« باحـات» من مادة« بوح» بمعنى الاتساع والظهور، ويراد بها ساحـة الـدار. ومن هنا فانه يطلق على الساحةالواسـعة والظاهرة للعيان، ب« الباحة».

[١٣٠] (١)« أوَد» من ماة« أود» على وزن قول بمعنى العوج. و« اوَد» على وزن سند، ويطلق على الاعوجاج ب« الاوَد».

[١٣١] (٢) الغارات ١/ ٤٢.

[١٣٢] (١)« أضرع» من مادة« ضرع» بمعنى الرضاع« وضع الثدى فى الفم»، ويأتى معناها أيضا بمعنى المناسب فى‌الاشياء، ومن هنا فان هذا المصطلح يستعمل للتعبير عن الدولة.

[١٣٣] (٢)« أتعس» من مادة« تعس» على وزن« ترس» بمعنى الهفوة والسـهو والزلة وكذلك يأتى بمعنى السـقوط، و« اتعاس» من باب افعال بمعنى الهلكة.

[١٣٤] (٣)« جـدود» جمع« جـد» وفى الأصـل بمعنى أب الأب أو أب الام، وتأتى بمعنى الرزق والموفقيـة الاجتماعيـة، وأحيانا بمعنى الفائدة، حيث أتت هنا بهذا المعنى

[١٣٥] (١) سـند الخطبة: نقله كثير من المحدثين قبل السيد الرضى(ره) ومنهم ابن سعد فى الطبقات وأبو الفرج الاصفهانى فى مقاتل الطالبين وابن عبد ربه فى العقد الفريد وابن قتيبة فى الإمامة والسـياسة والمرحوم السـيد المرتضـى فى الغرر والدرر والشـيخ المفيد فى الإرشاد. مصادر نهج‌البلاغة ٢/ ٦٤.

[١٣٦] (٢)« سنح» من مـادة« سـنوح» على وزن حضور، بمعنى العبور السـريع لشـىء فى مقابـل الانسان، وكـذلك تأتى‌بمعنى عرض

الشيء أمام الانسان.

وقد فسر عدد من أرباب اللغة لفظ« سانح»، بحركة الشىء من اليسار إلى اليمين وفى مقابل الانسان، وعلى القاعدة فان ذلك يعتبر طالعٌ أو فأل خيرٍ، ويقابل ذلك اصطلاح« بارح» وهى الحركة من اليمين إلى اليسار، وهو طالع غير مبارك وغير حسن.

[١٣٧] (١) سورة نوح/ ٢۶.

[١٣٨] (١) بحارالأنوار ١٨/ ۵٩.

[١٣٩] (٢) بحارالأنوار ١٨/ ۵٧.

[١۴٠] (٣) بحارالأنوار ١٧/ ٢٣٠.

[١۴١] (۴) بحارالأنوار ١٧/ ٢٣٠.

[١۴٢] (۵) بحارالأنوار ٢٠/ ٧۶.

[١۴٣] (١) بحارالأنوار ١٩/ ٢۵٧.

[١۴۴] (١) سند الخطبة: قال صاحب مصادر نهج‌البلاغة هذا مختار من خطبة خطب بها عليه السلام بعد صفين وقد روى طرفا منها ابن دأب المعاصر لموسى الهادى الخليفة العباسى فى كتابه الاختصاص. ورواها المفيد فى الارشاد. وقال ابن أبى‌الحديد: وقد روى هذا الكلام« ما أتيتكم إختياراً ..» على وجه آخر« ما أتيتكم إختياراً ولا جئتكم سوقاً»، والظاهر من كلامه أنها رواية غير النهج وأنّها خطبة واحدة مع الخطبة ٩٧ التى فصلها السيد الرضى(ره). مصادر نهج‌البلاغة ٢/ ۶۶.

[١۴۵] (١)« أملصت» من مادة« ملص»، أسقطت وألقت ولدها ميتاً، كما تعنى فقد ان الشئ سريعاً.

[١۴۶] (٢)« تأيم» من مادة« ايم» على وزن زيد فقدان الزوج وتستعمل بشأن الزوج والزوجة.

[١۴٧] (١) شرح نهج‌البلاغة لابن أبى الحديد ۶/ ١٢٩.

[١۴٨] (٢)« لهجة» من مادة« لهج» على وزن فلج، ويأتى معنى هذا اللفظ أحيانا بمعنى الملازمة وأحيانا بمعنى‌الاختلاط والمعاشرة وأحيانا بمعنى العلاقة الشديدة بالشىء، وكذلك فان اللهجة ملازمة للغة الانسان، وتطلق على مجموعة مختلطة من الامور، أما فى الجملة أعلاه فالاصطلاح جاء بمعنى الاسرار والمفاهيم الخاصة.

[١۴٩] (٣)« ويل امه»: عبارة مركبة من(ويل) التى تأتى للدعاء أو التعجب وأمه مضافة إلى ويل إن كان مبتدأ، كما يمكن أن تكون مبتدأ وخبرها محذوف وتقدير العبارة« ويل أمه ثابت أو كائن» فان قرأت منصوبة فهى منادى وأصلها(يا ويل أمه) وقد وردت بكلمة واحدة فى بعض النسخ ولا يفرق ذلك فى المعنى.

[١۵٠] (١) رواه الحاكم فى المستدرك ٣/ ١٣۶ والخطيب البغدادى فى تأريخه ٢/ ٨١، كما رواه آخرون.

[١۵١] (٢) رواه عدد كثير من كبار علماء العامة باسناد معتبرة ومنهم: النسائى فى الخصائص ص ٣ والحاكم فى المستدرك ٣/ ١١٢ وابن ماجة فى السنن ١/ ۵٧ والطبرى فى تأريخه ٢/ ٢١٣، وجمع آخرن المحدثين.

[١۵٢] (٣) ورد هذا لاحديث فى الباب ۴٧ من فرائد السمطين بأربعة طرق.

[١۵٣] (۴) أورده ابن أبى الحديد فى المجلد الثانى ص ١٠١.

[١۵۴] (١) رواه الترمذى فى الجامع ٢/ ٢١۴ والحاكم فى المستدرك ٣/ ١١٢ كما نقله آخرون.

[١۵۵] (٢) بحارالأنوار ٣٧/ ٢۶٨.

[١۵۶] (٣) مسند أحمد ١/ ٩٩ طبع دار الصادق.

[١۵٧] (۴) شرح نهج‌البلاغة لابن أبى الحديد ۴/ ١١۶.

[١۵٨] (١) العقد الفريد ٣/ ۴٣ بتصرف.

[۱۵۹] (۲) الغدير ۳/ ۲۳۷.

[۱۶۰] (۱) ذكرنا اسناد هذه الرواية بالتفصيل ذيل حديث يوم الدار فى رسالة القرآن ۹/ ۳۲۶.

[۱۶۱] (۲) سورة مريم/ ۱۲.

[۱۶۲] (۳) سورة مريم/ ۳۰.

[۱۶۳] (۱) سند الخطبة: رواها الكثير ممن عاش قبل السيد الرضى(ره)، فقد وردت فى الصحيفة العلوية والتذكرة لابن الجوزى والامالى للبغدادى وغريب الحديث لابن قتيبة والغارات للثقفى، كما فسر عبارتها ابن أثير فى النهاية والزمخشرى فى الفائق وابن منظور فى لسان العرب(مصادر نهج‌البلاغة ۲/ ۷۰).

[۱۶۴] (۱)« داحى» من مادة« دحو» بمعنى البسط، و« دحو الأرض» إشارة إلى الزمان الذى خرجت فيه اليابسةتدريجياً من الماء وانتشرت.

[۱۶۵] (۲)« داعم» من مادة« دعم» على وزن فهم بمعنى تسوية الاعوجاج، ومنه« الدعامة» بمعنى العمود.

[۱۶۶] (۳)« المسموكات» من مادة« سمک» على وزن سقف بعنى رفع، والمسموكات المرفوعات وهى السماوات.

[۱۶۷] (۴)« جابل» من مادة« جبل» على وزن جبر بمعنى خالق.

[۱۶۸] (۵) سورة الذاريات/ ۴۷- ۴۸.

[۱۶۹] (۱) سورة فاطر/ ۴۱.

[۱۷۰] (۲) ورد مضمون هذا الحديث فى عدة روايات تناهز العشرين، رواها المرحوم العلّامة المجلسى فى‌بحارالأنوار ۳/ ۲۷۶- ۲۸۱، كتاب التوحيد.

[۱۷۱] (۳) سورة الدهر/ ۳.

[۱۷۲] (۴) سورة الشمس/ ۷- ۸.

[۱۷۳] (۱)« شرائف» جمع« شريفة» بمعنى ذاقيمة.

[۱۷۴] (۲)« نوامى» جمع« نامية» من مادة« نمو» بمعنى التوسعة والزيادة والتطور.

[۱۷۵] (۱) بحارالأنوار ۷۴/ ۴۰۰.

[۱۷۶] (۲)« جيشات» جمع« جيشة» من مادة« جيش» على وزن عيش من جاشت القدر إذ إرتفع غليانها، ومنه الجيش‌لحركته.

[۱۷۷] (۳)« دامغ» من مادة« دمغ» على وزن ضرب إذا شجه حتى بلغت الشجة دماغه.

[۱۷۸] (۴)« صولات» جمع« صوله» بمعنى الحملة من أجل الغلبة. ويستعمل هذا الاصطلاح أيضا فى التعبير عن عضة البعير.

[۱۷۹] (۵)« اضطلع» من مادة« اضطلاع» بمعنى القوة والقدرة على القيام بالعمل. وفى الأصل من مادة« ضلع» على‌وزن جسم، بمعنى الضلع، وهو العظم المقاوم فى مقابل الحوادث، وكذلک يطلق على اصطلاح« ضلع» وهو على وزن« منع» بمعنى القوة والقدرة.

[۱۸۰] (۱)« مستوفز» من مادة« استيفاز» بمعنى المسادع المستعجل.

[۱۸۱] (۲)« ناكل» من مادة« نكول» بمعنى الناكص والمتأخر.

[۱۸۲] (۳)« القدم» بضمتين المشيى إلى الحرب ومضى قدما سار ولم يخرج.

[۱۸۳] (۴) الكامل لابن اثير ۱/ ۴۸۹(كما ورد هذا الكلام فى سيرة ابن‌هشام وتأريخ الطبرى).

[۱۸۴] (۵)« واعيا» أى حافظا وفاهما، وعيت الحديث فهمته وحفظته.

[۱۸۵] (۶)« أورى» من مادة« ورى» على وزن نفى بمعنى اشعال النيران وعليه فان(اورى) فعل متعدى.

[۱۸۶] (۷)« القبس» على وزن قفص بمعنى شعلة من النار.

[١٨٧] (٨)« خابط» من مادة« خبط» على وزن ضبط بمعنى الحركة فى طريق غير صحيح، وكذلك تأتى بمعنى عدم التعادل أثناء المسير أو القيام.

[١٨٨] (٩)« خوضات» جمع« خوضة» من مادة« خوض» على وزن حوض، وفى الاصل يأتى بمعنى الدخول التدريجى فى الماء، والسير والسباحة فى الماء، وكذلك يأتى كناية عن معنى الدخول أو البدء بعمل أو خطاب سيء وغير مطلوب.

[١٨٩] (١) سورة الجن/ ٢۶- ٢٨.

[١٩٠] (١)« افسح» من مادة« فسح» على وزن فسخ بمعنى المكان الواسع. ومن هنا فان هذه المادة تأتى بمعنىالتوسعة.

[١٩١] (٢) مجمع البيان، ١٠- ٩/ ٢١٨ ذيل الآية ٣٠ من سورة الواقعة.

[١٩٢] (١) سورة الاسراء/ ٧٩.

[١٩٣] (٢)« دعة» من مادة« وداع» بمعنى الانفصال والترك وتخلية السبيل، ومن هنا يطلق هذا الاصطلاح على كلشيء يتركه الانسان، ويبقى بدون حركة وبحالة من الهدوء. وهذا الاصطلاح يأتى أحيانا بمعنى الهدوء، وقد جاء فى الخطبة اعلاه بهذا المعنى

[١٩۴] (١) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق/ ١٨۵.

[١٩۵] (٢) بحارالأنوار ١٧/ ٣٠.

[١٩۶] (٣) كنزالعمال ١/ ۴٩٠، ح ٢١۵٣.

[١٩٧] (۴) كنزالعمال ١/ ۴٩٠، ح ٢١۴٩.

[١٩٨] (۵) وسائل الشيعة ۴/ ١٢١٠ الباب ٣۴ من ابواب الذكر.

[١٩٩] (۶) كنزالعمال ١/ ح ٢١٧٧.

[٢٠٠] (٧) كنزالعمال ١/ ۴٩۴، ح ٢١٨٢.

[٢٠١] (١) شرح نهجالبلاغة للعلّامة الخوئى ۵/ ٢١۴- ٢١۵.

[٢٠٢] (٢) كنزالعمال ١/ ۴٩۴، ح ٢١٨١.

[٢٠٣] (٣) وسائل الشيعة ۴/ ١٢١٣(الباب ٣۴ من أبواب الذكر).

[٢٠۴] (۴) كنزالعمال ١/ ۵٠٧، ح ٢٢۴٣.

[٢٠۵] (۵) كنزالعمال ١/ ۵٠۴، ح ٢٢٢٩.

[٢٠۶] (١) زيارة الجامعة الكبيرة.

[٢٠٧] (١) وسائل الشيعة ۴/ ٩٨٩ باب كيفية التشهد.

[٢٠٨] (٢) سورة الأحزاب/ ۵۶.

[٢٠٩] (٣) تفسير الدرالمنثور ۵/ ٢١۶ ذيل الآية ۵۶ من سورة الأحزاب.

[٢١٠] (۴) صحيح البخارى ۶/ ١۵١ فى تفسير سورة الأحزاب.

[٢١١] (١) صحيح مسلم ١/ ٣٠۵ باب الصلاة على النبى صلى الله عليه و آله.

[٢١٢] (٢) الصواعق لابن حجر/ ١۴۴.

[٢١٣] (٣) المغنى ١/ ۵٧٩.

[٢١۴] (١) التاج الجامع للاصول ۵/ ١۴٣.

[٢١۵] (٢) تفسير نورالثقلين ۴/ ٣٠٢، رقم ٢١١(ذيل الآية ۵۶ من سورة الأحزاب).

[٢١۶] (٣) التحقيق فى كلمات القرآن الكريم، مادة صلو(باقتباس ونقل بالمعنى).

[۲۱۷] (۱) سند الخطبة روى طرفا من هذا الكلام قبل الرضى ابن سعد فى الطبقات ج ۱ فى ترجمة مروان، والبلاذرى فى أنساب الاشراف بترجمة أميرالمؤمنين، ورواه بعد الزمخشرى فى ربيع الأبرار والسبط ابن‌الجوزى فى تذكرة الخواص باختلاف يسير، وجاء فى النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير. وقال ابن أبى الحديد فى ۶/ ۱۴۶ من شرحه لنهج‌البلاغة: وقد روى هذا الخبر من طرق كثيرة ورويت فيه زيادة لم يذكرها صاحب نهج‌البلاغة، فترى ابن أبى الحديد هنا ينص على تواتر هذا الخبر وكثرة طرقه.

مصادر نهج‌البلاغة ۲/ ۷۲.

[۲۱۸] (۱)« سبة» على وزن غدة تعنى الطعنة فى موضع واصلها من سب كما ترد كناية عن مخرج الإنسان، وقد وردت بهذا المعنى فى العبارة المذكورة، ومعنى الكلام محمول على وجهين: أحدهما أن يكون ذكر السبة إهانة له وغلظة عليه، والعرب تسلك مثل ذلك فى خطبها وكلامها، والثانى أن يريد بالكلام حقيقة لامجازاً، وذلك لأنّ الغادر من العرب كان إذا عزم على الغدر بعد عهد قد عاهده أو عقد قد عقده، قبل إستهزاء بما كان قد أظهره من اليمين والعهد، وسخرية وتهكماً.(شرح نهج‌البلاغة لابن أبى الحديد ۶/ ۱۴۷).

[۲۱۹] (۱)« لعقة» من مادة« لعق» على وزن لعب بمعنى لَحسه و« العقة» اسم مرة» يعنى لعق أو لحس مرة واحدة».

[۲۲۰] (۲)« أكبش» جمع« كبش» بمعنى مذكر الغنم أو الخروف بأى عمر كان تطلق العرب هذه المفردة على رئيس‌القوم وزعيمهم فيقال: كبش القوم وكبش الكتيبة.

[۲۲۱] (۱) اقتطفنا سيرة حياة مروان من تاريخ الطبرى وسفينة البحار وشرح النهج لابن أبى‌الحديد.

[۲۲۲] (۱) سند الخطبة: لقد استفاد بعض شرّاح نهج‌البلاغة من كلام ابن أبى الحديد أنّ لديه خطبة طويلة لأميرالمؤمنين على عليه السلام بعد بيعة عبدالرحمن بن عوف لعثمان وما ورد فى هذه الخطبة طرفا منها، حيث أشار الإمام عليه السلام إلى فضائله وسوابقه ثم قال:« إنّى أحق بها من غيرى وواللّه لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا علىّ خاصة»(شرح نهج‌البلاغة للعلّامة الخوئى ۵/ ۲۲۳).

[۲۲۳] (۱) اقتباس من شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۶/ ۱۶۷، وللاطلاع أكثر حول المؤامرة التى حدثت فى قضية الشورى من أجل اقصاء الإمام على عليه السلام من الخلافة وماذا عمل هؤلاء من اجل تأمين مصالحهم المادية، فما عليك الا الرجوع إلى« شرح نهج البلاغة» تأليف« محمد عبده» أحد علماء مصر، وقد أورد ذلك فى ذيل الخطبة التى يدور بحثنا حولها.

[۲۲۴] (۱)« تنافستموه» من مادة« منافسة» للحصول على شىء يعد نفيساً(وإن لم يكن فى الواقع كذلك) ومن هنا يصطلح« بالنفيس» على الأشياء المرغوبة التى يخاطر الإنسان بنفسه من أجلها.

[۲۲۵] (۱)« زخرفه» و« زبرجه» أصل الزخرف الذهب وكذلك الزبرج، ثم أطلق على كل ممّوه مزور، وأغلب ما يقال‌الزبرج على الزينة من وشى أو جوهر.

[۲۲۶] (۱) شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد ۲/ ۱۲۹.

[۲۲۷] (۱) سند الخطبة: لم يذكر الرواة سندا خاصا لهذا الكلام سوى ماورد فى نهج‌البلاغة، إلّاانّ صاحب مصادر نهج‌البلاغة نقل بعض هذا الكلام فى مادة قرف عن ابن أثير فى النهاية والطريحى فى مجمع‌البحرين. مصادر نهج‌البلاغة ۲/ ۷۶.

[۲۲۸] (۱)« قرف» على وزن حرف تعنى فى الأصل فصل قشرة الشئ كقشرة الشجرة، ولما كان تحرى العيوب يؤدى إلى ضياع شخصية الأفراد، فانّ هذه الكلمة تستعمل بمعنى الاتهام.

[۲۲۹] (۲)« وزع» من مادة« وزع» على وزن وضع بمعنى المنع، كما وردت بمعنى الجمع. لأنّ جمع الشئ يتطلب منع تشتت افراده، ولعل« التوزيع» بمعنى التقسيم، لأنّ تقسيم الشئ يتطلب جمعه ثم تقسيمه.

[۲۳۰] (۳)« تهمة» من مادة« وهم» تعنى فى الأصل الظن السيئ(وقد وردت هذه المفردة بفتح الهاء وضمها)، كما تعنى التهمة البهتان،

وهذا هو معناها فى العبارة الواردة فى الخطبة.

[۲۳۱] (۴) سورة الحجرات/ ۱۲.

[۲۳۲] (۵) سورة النساء/ ۱۱۲.

[۲۳۳] (۶)« حجيج» من مادة« حج» بمعنى قصد الشيء، ومنه« المحاجة» لمن يحاور العدو بقصد التغلب عليه، وحجيج المارقين خصيمهم، والمارقون هم الخارجون من الدين.

[۲۳۴] (۷) شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد ۶/ ۱۷۰.

[۲۳۵] (۱)« الامثال» جمع« مثل» يراد بها هنا متشابهات الأعمال والحوادث تعرض على القرآن فما وافقه فهو الحق‌وما خالفه فهو الباطل، وقد جرى عليه السلام على حكم اللَّه فى أعماله فليس للغامز أن يشير بمطعن.

[۲۳۶] (۱) سند الخطبة: هذه الخطبة رواها قبل الرضى الحرانى فى التحف والكراجكى فى كنز الفوائد مع تفاوت يسير يفيد أنّه لم ينقل عن نهج‌البلاغة. ورواها من بعد السيد الرضى الزمخشرى فى ربيع الأبرار والسبط بن الجوزى فى تذكرة الخواص ومحمد بن طلحة الشافعى فى مطالب السؤل(مصادر نهج‌البلاغة ۲/ ۷۷).

[۲۳۷] (۲) مصادر نهج‌البلاغة ۲/ ۷۸.

[۲۳۸] (۳) بحارالأنوار ۶۶/ ۴۰۸.

[۲۳۹] (۱)« حكم» هنا بمعنى الحكمة.

[۲۴۰] (۲)« وعى» من مادة« وعى» على وزن سعى بمعنى الحفظ وفهم المراد و« أذن واعية» كناية عن سماع الشخص للمطالب وفهمها بصورة جيدة.

[۲۴۱] (۳)« الحجزة» بالضم معقد الازار والمراد بها هنا الاقتداء والتمسك.

[۲۴۲] (۱)« غرض» على وزن مرض بمعنى الهدف الذى يسدد نحوه السهم، كما يعنى المقصود والحاجة، إلّاأنّه وردفى رواية« عرض» بمعنى المتاع الدنيوى الزائل.

[۲۴۳] (۲)« كابر» من مادة« مكابرة» بمعنى المنازعة والمبارزة، كما يطلق على المنازعات العلمية التى تهدف الغلبة على الطرف المقابل لاتحقيق الحق، وقد ارد بها هنا المعنى الأول.

[۲۴۴] (۳) الكافى ۲/ ۱۶.

[۲۴۵] (۴) سورة البينة/ ۵.

[۲۴۶] (۵) بحارالأنوار ۶۹/ ۲۷۸.

[۲۴۷] (۱) الكافى ۲/ ۳۳۵.

[۲۴۸] (۲)« مطية» المركب السريع الذى لايجمع بصاحبه.

[۲۴۹] (۳)« غراء» مؤنث« أغر» كل شيىء أبيض والطريقة الغراء النيرة الواضحة.

[۲۵۰] (۴)« المحجة» من مادة« حج» تعنى فى الأصل القصد، ثم اطلقت على جادة الطريق التى توصل الإنسان إلى‌مقصوده.

[۲۵۱] (۵)« مهل» جاء بصيغة اسم المصدر وبمعنى الرفق والمداراة، ومن هنا فان الفرص تمثل الارضية للرفق والمداراة، وهذا الاصطلاح أستعمل بمعنى الفرصة وفى الخطبة أعلاه، جاء بعنوان الاشارة إلى الفرص التى اعطاها الله سبحانه وتعالى لعباده من اجل اصلاح اعمالهم والاتيان بالاعمال الصالحة، والتى يجب أن يغتنمها الناس.

[۲۵۲] (۱) كلمات القصار/ ۸۲.

[۲۵۳] (۲) اصول الكافى ۲/ ۹۱.

[۲۵۴] (۱) اصول الكافى ۲/ ۱۴۲.

[۲۵۵] (۲) اصول الكافى ۲/ ۱۴۳.

[۲۵۶] (۱) سند الخطبة: روى هذا الكلام أبوالفرج الاصبهانى فى كتاب الاغانى باسناد رفعه إلى الحارث بن جيش قال: بعثنى سعيد بن العاص بهدايا إلى المدينة، وبعثنى إلى على عليه السلام وكتب إليه: إنّى لم أبعث إلى أحد بأكثر مما بعثت به إليك. قال فأتيت علياً عليه السلام فأخبرته فقال: الخطبه(طبعا هناك تفاوت بين ما أورده أبوالفرج وما جاء فى نهج‌البلاغة إلّاأنّ المضمون واحد). وقد روى هذا الكلام الأزهرى فى تهذيب اللغة وأبوعبيد القاسم بن سلام فى غريب الحديث وابن دريد فى المؤتلف والمختلف وأبوموسى محمد بن أبى المدينى الاصبهانى فى مستدركاتى على الجمع بين الغريبين(مصادر نهج‌البلاغة ۲/ ۷۹- ۸۰).

[۲۵۷] (۱)« ليفوقوننى» من مادة« فواق» على وزن رواق المدة المتخلله بين رضعتين حسب قول أغلب أرباب اللغة، بينما ذهب البعض إلى أنّها تعنى المدة المتخللة بين فتح الضرع وغلقه حين الحلب، ولما كان الثدى يخلد إلى الراحة بعد الحلب فقد استعملت بمعنى الهدوء والراحة ومنها إفاقة المريض وإفاقة المجنون. وجاءت فى العبارة بمعنى المال الزهيد الذى كان يعطيه بنى‌أمية الإمام عليه السلام من بيت مال المسلمين.

[۲۵۸] (۱)« لأنفضنهم» من« مادة» نفض على وزن نبض تحريك الشى لتخليصه ممّا علق به ومن هنا يصطلح‌بالنفوض على المرأة الولود، كما تستعمل هذه المفردة فى طرح الثمرة من الشجرة.

[۲۵۹] (۱) الاعلام للزركلى ۳/ ۹۶.

[۲۶۰] (۲) سيد مصطفى الحسينى الدشتى، المعارف والمعاريف، ج ۳ ذيل المفردة بنى‌أمية.

[۲۶۱] (۳) سورة الاسراء/ ۶۰.

[۲۶۲] (۴) تفسير الفخر الرازى ۲۰/ ۲۳۷.

[۲۶۳] (۵) راجع تفسير الأمثل للمؤلف ۱۰/ ۳۴۱ و ۱۲/ ۱۷۲.

[۲۶۴] (۱) كنزالعمال ۱/ ۲۹۹.

[۲۶۵] (۲) كنزالعمال، ح ۳۱۰۶۲.

[۲۶۶] (۳) كنزالعمال، ح ۳۱۰۷۴.

[۲۶۷] (۴) كنزالعمال، ح ۳۱۷۵۵.

[۲۶۸] (۱) العقدالفريد ۴/ ۸۱- ۸۲.

[۲۶۹] (۲) رسالة الجاحظ فى بنى‌أمية/ ۱۲۴ تم نقله من التاريخ السياسى للاسلام ۲/ ۳۹۶.

[۲۷۰] (۳) مختصر تاريخ دمشق ۸/ ۲۱۰ وتاريخ اليعقوبى ۲/ ۲۱۷.

[۲۷۱] (۴) تاريخ الخلفاء/ ۲۲۲.

[۲۷۲] (۵) شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد ۴/ ۵۷.

[۲۷۳] (۶) أنساب الاشراف ۱/ ۱۸۴ نقلا عن التأريخ السياسى للإسلام ۲/ ۴۰۹.

[۲۷۴] (۷) شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد ۴/ ۶۳.

[۲۷۵] (۸) حياة الصحابة ۳/ ۵۲۹ نقلًا عن التأريخ السياسى للإسلام ۲/ ۴۱۰.

[۲۷۶] (۹) مختصر تأريخ دمشق ۹/ ۸۵.

[۲۷۷] (۱) تأريخ الطبرى ۵/ ۲۲۰ نقلا عن التأريخ السياسى للإسلام ۲/ ۴۱۰.

[۲۷۸] (۲) نقلا عن: الحسين النفس المطمئنة، ص ۱۰.

[٢٧٩] (٣) المصدر السابق.

[٢٨٠] (١) سند الخطبة: السند الوحيد لهذا الدعاء ما أورده قبل السيد الرضى(ره) الجاحظ فى كتاب المائة المختارة، والذى يرتبط بالعبارات التى اختتم بها الدعاء:« اللهم إغفرلى رمزات الألحاظ ...».

[٢٨١] (١) سورة المجادلة/ ۶.

[٢٨٢] (٢) سورة البقرة/ ٢٨٧.

[٢٨٣] (٣)« وأيت» من مادة و« أى» على وزن رأى بمعنى العزم على الشى مع قصد الوفاء به، وبعبارة اخرى الموعودالتى يقطعها الإنسان على نفسه، وقد يعنى الوأى والوعد بشأن الذات والآخرين.

[٢٨٤] (١) وتقدير العبارة:« وأيت من نفسى مع ربى».

[٢٨٥] (٢) سورة التوبة/ ٧۵- ٧۶.

[٢٨۶] (٣) سورة الصف/ ٢- ٣.

[٢٨٧] (١)« رمزات» جمع« رمزة» على وزن غمزة الإشارة بالعين والحجاب وأحياناً بالشفة، وقال البعض الرمز فى‌الأصل بمعنى حركة الشفاه لبيان مطلب دون أن يتخلله الصوت، كما تأتى بمعنى الإشارة بالعين والحاجب.

[٢٨٨] (٢)« الالحاظ» جمع« لحظ» على وزن محض بمعنى النظر بطرف العين الذى يكون أحياناً بقصد الازدراء والتحقير، كما يراد به الاستهزاء والسخرية أيضاً.

[٢٨٩] (٣)« سقطات» جمع« سقط» على وزن فقط كل وضيع لاقيمة له من متاع او كلام او فعل وقيل سقطات جمع سقطة بمعنى الزلة وسقطات الالفاظ لغوها.

[٢٩٠] (۴)« هفوات» جمع« هفوة» على وزن دفعة بمعنى الزلة فى الكلام أو العمل، كما وردت هذه المفردة بمعنى السرعة، ولما كانت السرعة تقود إلى الزلة فالمعنيان يعدان إلى مادة واحدة.

[٢٩١] (١) العبارة سقطات الألفاظ من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف، تعنى الألفاظ الساقطة، أمّا العبارة« هفوات اللسان» ليست كذلك.

[٢٩٢] (٢) بحارالأنوار ٩٠/ ٣٠٠.

[٢٩٣] (٣) سورة الفرقان/ ٧٧.

[٢٩۴] (١) سند الخطبة: نقل ذلك قبل الرضى جماعة منهم: إبراهيم بن الحسن بن ديزيل المحدث فى كتاب صفين والشيخ الصدوق فى عيون أخبار الرضا نقله بثلاثة أسانيد، ونقله أيضاً فى الامالى فى المجلس الرابع والستين، ونقله أيضاً فى عيون الجواهر. وأضاف صاحب مصادر نهج‌البلاغة بعد أن نقل هذا الكلام قائلًا: ولسنا بحاجة إلى ذكر من رواه بعد السيد الرضى فانّه كلام مشتهر دونته الخاصة والعامة بطرق مختلفة وصور شتى لاتختلف عما رواه الرضى إلّافى بعض الالفاظ(مصادر نهج‌البلاغة ٢/ ٨٢).

[٢٩۵] (١)« حاق» من مادة« حيق» على وزن حيف بمعنى احاط ونزل وعَمَّ، ويستفاد من هذا الاصطلاح فى الاشارةإلى تأثير ضربات السيف ونزول العذاب وذلك بسبب وجود نوع من الاحاطة والعمومية فى نزول العذاب.

و« حاق» فى الاصل من مادة« حق» بمعنى التحقق وقد أشتقت من كلمة« حق» حيث بُدلت القاف الاولى بواو وبعد ذلك بُدلت بألف.

[٢٩۶] (١) سورة النحل/ ١۶.

[٢٩٧] (٢) سورة الانعام/ ٩٧.

[٢٩٨] (١) سورة آل‌عمران/ ١٩٠.

[٢٩٩] (١) سورة الاسراء/ ٣۶.

[٣٠٠] (٢) سورة يونس/ ٦٨.

[٣٠١] (٣) سورة النجم/ ٢٨.

[٣٠٢] (١) سند الخطبة: أنّ هذا الكلام من جملة كتاب له عليه السلام كتبه بعد احتلال عمرو بن العاص لمصر وقتل محمد بن أبي‌بكر، استعرض فيه الأحداث من أيام رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله إلي اليوم الذى حرر فيه ذلك الكتاب وأمر أن يقرأ على الناس، وأنّه ليس من البعيد أنّه عليه السلام قال هذا الكلام بالخصوص أكثر من مرة، منها فى ذلك الكتاب ومنها بعد حرب الجمل كما ذكر السيد الشريف فى هذا الموضع. وإنّما قلت ذلك إعتماداً على نص الشريف هنا وما ذكره السبط بن الجوزى فى التذكرة حيث قال: ذكر علماء السير: أنّ علياً عليه السلام لما فرغ من حرب الجمل صعد المنبر البصرة فخطب الناس وقال: إنّ النساء ... بأدنى تفاوت عما ذكر الرضى. ومن نقلها قبل السيد الرضى أبوطالب المكى فى قوت القلوب والشيخ الكلينى فى الكافى المجلد الخامس وابراهيم بن هلال الثقفى فى الغارات وابن قتيبة فى الإمامة والسياسة والطبرى فى المسترشد.(مصادر نهج‌البلاغة ٢/ ٨٦).

[٣٠٣] (١) سورة المعارج/ ١٩- ٢١.

[٣٠٤] (٢) سورة الاحزاب/ ٧٢.

[٣٠٥] (٣) سورة الزخرف/ ١٥.

[٣٠٦] (٤) سورة العلق/ ٦- ٧.

[٣٠٧] (١) سورة الاسراء/ ٧٠.

[٣٠٨] (١) سورة البقرة/ ٢٣٣.

[٣٠٩] (١) سورة النحل/ ٩٧.

[٣١٠] (٢) سورة الاحزاب/ ٣٥.

[٣١١] (٣) سورة الحجرات/ ١٣.

[٣١٢] (٤) بحارالأنوار ٤٨/ ٧٣.

[٣١٣] (٥) الكافى ٢/ ١٦٢.

[٣١٤] (١) سفينة البحار، مادة نسب.

[٣١٥] (٢) ان رواية« طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» وردت فى كتاب بحارالانوار للعلامة المجلسى، نقلها من كتاب« عوالى اللئالى» منقولة عن الرسول الكريم صلى الله عليه و آله وكذلك وردت فى كتاب ميزان الحكمة منقولة من مجموعة ورام.

[٣١٦] (١) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ٤/ ٢١٥(بتلخيص).

[٣١٧] (٢) تاريخ الطبرى ٣/ ٤٧٧(دار الاعلمى للنشر).

[٣١٨] (٣) الكامل لابن اثير ٣/ ٢٠٦(دار صادر للنشر).

[٣١٩] (١) صحيح البخارى ٥/ ٤٧، ورد هذا الحديث فى باب تزويج خديجة وفضائلها.

[٣٢٠] (٢) ذكره ابن أبى الحديد ٦/ ٢٢٥ والعلامة الامينى فى الغدير ٣/ ١٨٨ عن كتب العامة.

[٣٢١] (١) سند الخطبة: روى صدر هذا الكلام- قبل الرضى- الصدوق فى معانى الأخبار وفى الخصال، وروى آخر الكلام البرقى فى المحاسن بتفاوت، ورواه بعد الرضى صاحب غررالحكم بتفاوت يسير جداً، والقتال فى روضة الواعظين ونقله عنه الطبرسى فى مشكاة الانوار.(مصادر نهج‌البلاغة ٢/ ٨٨- ٨٩).

[٣٢٢] (١)« زهادة» على وزن شهادة تعنى عدم الاعتناء بزخارف الدنيا؛ كما تستعمل هذه المفردة بشأن الأفراد ضيقى‌النظر أو سيئى الخلق، إلّاأنّ المعنى الأول هو الأشهر ومن لوازمه قصر الأمل وترك الذنوب وما شابه ذلك.

[۳۲۳] (۱) نهج‌البلاغة، الکلمات القصار/ ۴۳۹.

[۳۲۴] (۲) الکافی ۲/ ۱۳۱، ح ۱۱.

[۳۲۵] (۳)« عزب» من مادة« عزوب» علی وزن غروب بمعنی بعد، ومن هنا وردت بمعنی ترک الزواج، حیث یطلق‌علیه صاحبه إسم الأعزاب.

[۳۲۶] (۴)« مسفرة» من مادة« سفور» علی وزن قبور بمعنی الکشف وخلع الحجاب، وعلیه فالعبارة تعنی الأدلة التی‌تکشف النقاب عن الحقیقة.

[۳۲۷] (۱) کنزالعمال ۳/ ۱۸۱، ح ۶۰۵۹.

[۳۲۸] (۲) بحارالأنوار ۷۰/ ۱۱۴.

[۳۲۹] (۱) نهج‌البلاغة، الکلمات القصار/ ۱۰۳.

[۳۳۰] (۲) إقتباس من کتاب سیر فی نهج‌البلاغة للشهید المطهری/ ۲۱۱.

[۳۳۱] (۳) بحارالأنوار ۴۰/ ۳۳۰، ح ۱۳.

[۳۳۲] (۴) بحارالأنوار ۴۱/ ۳۲.

[۳۳۳] (۱) سند الخطبة: صرح صاحب مصادر نهج‌البلاغة قائلًا: قد تواترت عنه علیه السلام صفة الدنیا هذه، ومن الکتب التی رویت فیها قبل النهج، الکامل للمبرد والامالی للصدوق والمجتنی لابن درید وتحف‌العقول لابن شعبة الحرانی والعقد الفرید لابن عبد ربه وبعد النهج الامالی للمرتضی وتذکرة الخواص للسبط بن الجوزی ومشکاة الانوار الطبرسی وغررالحکم للآمدی وکنز الفوائد للکراجکی بتفاوت.(مصادر نهج‌البلاغة ۲/ ۹۰).

[۳۳۴] (۱)« عناء» بمعنی المشقة ومنها« العانی» یطلق علی الأسیر لمای واجه من مشقة.

[۳۳۵] (۱) سورة البلد/ ۴.

[۳۳۶] (۲) بحارالأنوار ۶۹/ ۴۸.

[۳۳۷] (۱) وسائل الشیعة ۱۲/ ۲۹۷- ۲۹۸.

[۳۳۸] (۱)« ساعی» من مادة« سعی» تعنی فی الأصل الجری ومنه السعی بمعنی الجهد وکأنّ الإنسان یجری نحو الشئ وقد وردت فی العبارة بشأن من یجری خلف الدنیا وکأنه یتسابق مع الآخرین، کما یمکن أن تکون إشارة إلی أولئک الذین یلهثون وراء الدنیا، والدنیا تهرب منهم. أما بعض أرباب اللغة فقد فسروا هذه المفردة بمعنی دعوة الاماء إلی الأعمال المنافیة للعفة. وعلیه فالعبارة الواردة فی الخطبة تشبه الدنیا بالامة التی یلهث وراءها أهل الدنیا.

[۳۳۹] (۲)« واتته» من مادة« مؤاتاة» بمعنی طاوعته واستجابت له.

[۳۴۰] (۱) بحارالأنوار ۱۴/ ۳۹.

[۳۴۱] (۲) غررالحکم، ح ۷۳۶۳.

[۳۴۲] (۱) سورة ص/ ۱۶، ۲۶، ۵۳؛ سورة غافر/ ۲۷.

[۳۴۳] (۲) تفسیر نورالثقلین ۴/ ۵۰۷.

[۳۴۴] (۳) مجمع‌البیان ۱/ ۲۹۷.

[۳۴۵] (۱) سورة الانشقاق/ ۷- ۹.

[۳۴۶] (۲) تفسیر نورالثقلین ۵/ ۵۷۳.

[۳۴۷] (۱) الکافی ۲/ ۱۲۶.

[٣٤٨] (٢) بحارالأنوار ٧٩/ ١٣٨.

[٣٤٩] (٣) كنزالعمال، ح ٣١- ٣.

[٣٥٠] (٤) خصال الصدوق/ ٨٠ الباب ٣، ح ١.

[٣٥١] (١) سند الخطبة: هذه الخطبة من خطبه عليه السلام المعروفة وفيها من اللطائف والدقائق ما عده ابن أبي‌الحديد من معجزاته التي فات بها البلغاء وأخرس الفصحاء، وفي قول الرضي(ره):« ومن الناس من يسمي هذه الخطبة بالغراء» دليل على أنّها كانت معروفة بين الناس. رواها الجاحظ، كما رواها حسن بن شعبة في كتاب تحف العقول والآمدي وابونعيم الإصفهاني وابن أثير على كل حال فانّ هذه الخطبة أشهر من حاجتها إلى مناقشة الاسناد.(مصادر نهج‌البلاغة ٢/ ١٠٧).

[٣٥٢] (٢) لابدّ من الالتفات هنا إلى ان الخطبة تنقسم على أساس تقسيم كلي إلى إثني‌عشر قسماً، كما أنّ بعض‌أقسامها تنقسم فرعياً إلى عدّة أقسام، ومن هنا فانا قسمنا هذه الخطبة في شرحها، وتفسيرها إلى ثمانية عشر قسماً.

[٣٥٣] (١)« حول» بمعنى تغيير الشيئ وفصله عن آخر، ومن هنا يطلق« الحائل» على ما يفصل بين شيئين، وإذاإستعملت هذه المفردة على اللَّه فانه تعني قدرته على دفع ا لخطر عن عباده ومن القول: لاحول ولا قوة إلّاباللَّه.

[٣٥٤] (٢)« طول» على وزن« قول» بمعنى النعمة ومن مادة« طول» على وزن نور ما يبين امتداد الشيئ، ولما كانت النعم امتداد وجود المنعم فقد اطلقت عليها هذه المفردة.

[٣٥٥] (٣)« مانح» من مادة« منح» على وزن منع تعني في الأصل إعطاء ا للبن والصوف وولد الحيوان لشخص، ثم اطلقت على كل عطاء، حتى صرح أرباب اللغة بأن منح تعني أعطى.

[٣٥٦] (٤)« الأزل» تعني الضيق والشدة، ثم اطلقت على كل بلاء ومصيبة، كما يصطلح بالأزل على الكذب، وقدوردت في الخطبة بمعنى المصيبة.

[٣٥٧] (١) سورة النحل/ ٥٣.

[٣٥٨] (٢)« سوابغ» جمع« سابغة» بمعنى الواسع والكامل وقد ورد تفسير هذا الاصطلاح في شرح الخطبة ٦٣.

[٣٥٩] (٣) بادياً أي سابقاً كل شيئ من الوجود، ظاهراً بذاته مظهرا لغيره، والبادي من بدو بمعنى الظهور والبداية، فاللَّهباديءالوجود، كما أنّ آثاره ظاهرة عمت السموات والأرض.

[٣٦٠] (٤)« نذر» جمع« نذير»، وردت هنا بمعنى الايات والأخبار التي تحذر من معصية اللَّه.

[٣٦١] (١) سورة الاعراف/ ٣٤.

[٣٦٢] (٢) سورة الرحمن/ ٢٦.

[٣٦٣] (٣)« الرياش» من مادة« ريش» ظاهر اللباس، كما اطلق على كل نعمة موفورة. وقال بعض شرّاح نهج‌البلاغة أنّ‌الريش لايعني ظاهر اللباس فقط، فقد ورد في الآية ٢٦ من سورة الأعراف:« يا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً يُوارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً» ولكن يبدو أنّ الآية تدل على عكس مراده لأنّ اللباس على نوعين: لباس يغطي بدن الإنسان مصداق(يواري سواتكم) ولباس الزينة. وقد أشار القرآن إلى الأمرين، ثم اتبعه بالحديث عن لباس التقوى« ولباس التقوى ذلك خير».

[٣٦٤] (٤)« أرفغ» من مادة« رفغ» على وزن هدف بمعنى أوسع، أوسع عليكم النعم.

[٣٦٥] (٥) سورة الأعراف/ ٢٦.

[٣٦٦] (١) هنالك خلاف بين مفسري القرآن وشرّاح نهج‌البلاغة بشأن محل إعراب(ريشا) فعدها البعض عطفاً على‌لباساً ومن هنا فسروها بشيئ أوسع أو مغاير للباس، بينما اعتبرها البعض الآخر(مفعول له) تبين هدف نزول اللباس على الإنسان وهو ستر العيوب ثم الزينة، ويبدو المعنى الأخير أكثر إنسجاماً مع الآية الشريفة.

[٣٦٧] (٢) سورة الجن/ ٢٨.

[٣٦٨] (٣)« رفد» جمع« رفد» على وزن دفع بمعنى نصيب، وعطاء وجائزة.

[٣٦٩] (٤)« روافغ» جمع« رافغة» من مادة« رفغ» وكما أشرنا سابقاً فانها تعنى السعة والرفعة.

وعلى هذا الاساس فان« الرفد» و« الروافغ» تأتى بمعنى عطايا الله سبحانه وتعالى.

[٣٧٠] (٥) جاء فى مقاييس اللغة أنّ أصل هذه المفردة يعنى تقديم الشئ هذا ما صرح به الراغب فى مفرداته. وقالفى كتاب التحقيق فى كلمات القرآن الكريم:« حقيقة الايثار إثبات الفضيلة وتقديم صاحب الفضل».

[٣٧١] (٦) سورة الاسراء/ ٧٠.

[٣٧٢] (١)« مدد» جمع« مدة»، أى عين لكم أزمنة تحيون فيها، فالمدّة جزء من الزمان، كما تأتى بمعنى انتهاء زمانمعين.

[٣٧٣] (٢)« خبرة» تفيد معنى المصدر واسم المصدر تعنى العلم والاطلاع، ومن هنا يقال« أهل الخبرة» لمن كان لهم العلم الكافى بالشيئ، كما تعنى الإمتحان وقد وردت هنا بهذا المعنى؛ أى فى دار ابتلاء واختبار وهى دار الدنيا.

[٣٧٤] (٣) سورة مريم/ ٩٣- ٩٤.

[٣٧٥] (٤) سورة العنكبوت/ ٢- ٣.

[٣٧٦] (١)« رنق» صفة مشبهة بمعنى الكدر. وعليه فانّ العبارة(رنق مشربها) إشارة إلى كدر شرب الدنيا، أمّا رونقفتعنى الجمال، وذلك لأنّ اللغة العربية تتضمن أحياناً مادة واحدة لمعنيين متضادين.

[٣٧٧] (٢)« ردغ» من مادة« ردغ» على وزن فتق كثير الطين والوحل. وفى التشبيه الذى ورد أعلاه فى الخطبة حيث وصفت الدنيا بمثابة نهر كبير ينتهى جريانه بماء مملوء بالطين والوحل.

[٣٧٨] (١)« يونق» من مادة« آنق» على وزن شفق يعجب، وقوله عليه السلام« يونق منظرها» إشارة إلى المنظر العجيب للدنيا.

[٣٧٩] (٢)« يوبق» من مادة« وبوق» يهلك« وموبق» بمعنى مهلك.

[٣٨٠] (٣) نهج‌البلاغة، الرسالة ٦٨.

[٣٨١] (٤)« حائل» من مادة« حال» بمعنى التحول والانتقال واطلاق« الحول» على السنة لتحولها. وعليه فالحائل‌المتغير.

[٣٨٢] (٥)« آفل» من مادة« افول» بمعنى الغياب ومنه افول الشمس والقمر غروبهما.

[٣٨٣] (٦)« سناد» بالكسر ما يستند إليه وهو الدعامة، ولما كانت الدنيا دعامة معوجة ولا يمكن الاستناد إليها عبرت عنها خطبة« سناد مائل».

[٣٨٤] (١)« قمصت» من مادة« قمص» على وزن شمس بمعنى رفع اليدين وطرحهما معاً ومنه قمص الفرس، كماتستعمل هذه المفردة كناية عن الذل بعد العز.

[٣٨٥] (٢)« قنصت» من مادة« قنص» بمعنى الصيد والقانص الصياد.

[٣٨٦] (٣)« أحبل» جمع حبل.

[٣٨٧] (٤)« أسهم» جمع سهم وجمعه الآخر سهام.

[٣٨٨] (٥)« أوهاق» جمع« وهق» على وزن شفق بمعنى الحبل الذى يربط به عنق الإنسان أو الحيوان.

[٣٨٩] (٦)« ضنك المضجع»، ضنك يعنى ضيق ومضجع الموضع الذى يضع الإنسان عليه ضلعه، والمراد به فى العبارة القبر.

[٣٩٠] (١)« أاخترام» من مادة« خرم» بمعنى اشق و هى تشير هنا الى الحوادث التى تستأصل عمر الانسان.

[٣٩١] (٢)« يرعوى» من مادة« رعوة» على وزن سهو بمعنى الرجوع و العودة من الجهل إلى العلم و اصلاح النفس و الجملة أعلاه« لا يرعوى الباقون احتراماً» اشارة إلى أن البعض لا- يعتبرون من دروس العبرة التى تمربهم و لا- يتراجعون و لا-يتوبون من الذنوب التى

اقترفوها و بالاخير فانهم لا يقدمون على اصلاح انفسهم.

[۳۹۲] (۳)« إجترام» من مادة« جرم» الذنب و اقتراف السيئات.

[۳۹۳] (۴)« يحتـذون» من مادة« حـذو» على وزن حذف بمعنى القيام بالأعمال المشابهة، و من هنا وردت بمعنى الاقتداء فى الأعمال، وريد بها فى العبارة يشاكلون بأعمالهم صور أعمال من سبقهم و يقتدون بهم.

[۳۹۴] (۵)« ارسال» جمع« رسل» على وزن عسل القطيع من الابل و الغنم والخيل، اريد بها فى العبارة من يتبع الآخرين دون أدنى فكر و مطالعه.

[۳۹۵] (۶)« صـيور» على وزن قيوم من مادة« صـير» على وزن سيل بمعنى الانتقال من حالة إلى اخرى، و هى هنا صيغة مبالغه اريد بها مصيره و ما يؤول إليه أمره.

[۳۹۶] (۱) شرح نهج‌البلاغة لابن ميثم البحرانى ۲/ ۲۳۶.

[۳۹۷] (۲) سورة الكهف/ ۴۵.

[۳۹۸] (۱)« أزف» من مادة« ازف» على وزن شرف بمعنى الاقتراب.

[۳۹۹] (۱)« ضرائح» جمع« ضريح» بمعنى القبر، أو الشق وسط القبر.

[۴۰۰] (۲)« أوكار» جمع« وكر» على وزن مكر بمعنى عش الطيور.

[۴۰۱] (۳)« أوجرة» جمع« وجار» الحفر التى تظهر إثر السيول فى الأودية، كما تطلق على كهف الوحوش.

[۴۰۲] (۴)« مطارح» جمع« طرح» الموضع الذى تطرح فيه الأشياء.

[۴۰۳] (۵) سورة لقمان/ ۳۴.

[۴۰۴] (۶)« مهطعين» مادة« هطع» على وزن منع بمعنى الرعة المصحوبة بالخوف.

[۴۰۵] (۷)« رعيل» القطيع من الخيل أو الطيور.

[۴۰۶] (۸) سورة المعارج/ ۴۳.

[۴۰۷] (۹) سورة يس/ ۵۱.

[۴۰۸] (۱۰) سورة المعارج/ ۴۳.

[۴۰۹] (۱) سورة النبأ/ ۱۸.

[۴۱۰] (۲)« ضرع» على وزن طمع الضعف والخضوع والذل.

[۴۱۱] (۳)« مهيمنة» من مادة« هيمنة» متخافية، الصوت الخفى.

[۴۱۲] (۴)« شفق» تعنى فى الأصل إختلاط ضياء النهار بظلمة الليل، كما تطلق على خصوص الخوف وبهذا المعنى وردت فى العبارة.

[۴۱۳] (۵) سورة ابراهيم/ ۴۳.

[۴۱۴] (۶) سورة طه/ ۱۰۸.

[۴۱۵] (۱)« زبره» الكلام الشديد و لايقال زبرة إلا إذا كان فيها زجر.

[۴۱۶] (۲)« مقايضة» من مادة« قيض» على وزن فيض بمعين المعاوضة.

[۴۱۷] (۳)« نكال» بمعنى العذاب.

[۴۱۸] (۴) و نوال بمعنى النعمة.

[۴۱۹] (۵) أشرنا فى البحث السابق إلى الآيات ذات الصلةبهذا الموضوع.

[۴۲۰] (۶) راجع نفحات القرآن ۵/ ۳۰۷- ۳۵۳.

[۴۲۱] (۱) للوقوف على التفاصيل راجع، نفحات القرآن ۵/ ۳۴۰- ۳۴۷.

[۴۲۲] (۱) سورة الحج/ ۱.

[۴۲۳] (۱)« اقتسار» من مادة« قسر» على وزن نصر الغلبة والقهر.

[۴۲۴] (۲)« أجداث» جمع« جدث» على وزن عبث القبر.

[۴۲۵] (۳)« رفات» جمع رفت الحطام.

[۴۲۶] (۱) سورة النبأ/ ۱۸.

[۴۲۷] (۲) سورة فاطر/ ۱۸.

[۴۲۸] (۳)« مستعتب» من مادة« عتب» على وزن تبت بمعنى الرضى. وذهب بعض أرباب اللغة إلى أنّ أصل هذه‌المفردة(عتاب) وإعتاب نفى ذلك والاستعتاب طلب نفى العتاب التى وردت بمعنى طلب الرضى.

[۴۲۹] (۴)« سدف» جمع« سدفة» على وزن غرفة بمعنى الظلمة.

[۴۳۰] (۵)« جياد» جمع« جواد»، والجياد من الخيل كرامها.

[۴۳۱] (۶)« ارتياد» من مادة« رود» على وزن صوت، طلب ما يراد.

[۴۳۲] (۷)« أناة» الهدوء والطمأنينة والوقار والحلم، كما وردت بمعنى الانتظار.

[۴۳۳] (۱) سورة فاطر/ ۳۷.

[۴۳۴] (۱)« حازم» من مادة« حزم» على وزن جزم بمعنى التفكر العميق والصائب، ويطلق الحازم على الشخص‌الواسع الافق، ومنه الحزام الذى يفيد الاستحكام.

[۴۳۵] (۱)« إقترف» من مادة« قرف» على وزن حرف بمعنى إكتسب وتستعمل إقتراف فى إكتساب الاثم.

[۴۳۶] (۲)« إحتذى من مادة« حذو» على وزن حذف بمعنى فصال الحذاء حسب النموذج والقياس المعين، ثم اطلق‌الحذو والاحتذاء على مطابقة الشئ لآخر، وقد وردت فى الخطبة بمعنى المتابعة والتبعية للاسُوة فى كل شئ.

[۴۳۷] (۱)« استظهر» من مادة« ظهر» على وزن دهر، بمعنى حمل الزاد والمتاع على الظهر أو على ظهر مركب.

[۴۳۸] (۲) قيل جملة(جهة ما خلقكم له) ظرف وقيل مفعول به لفعل مقدر وقيل مفعول لأجله ولعل الاحتمال الأول أنسب الجميع.

[۴۳۹] (۳) سورة القيامة/ ۳۶.

[۴۴۰] (۴)« كنه»، الحقيقة وباطن الشئ، كما تأتى بمعنى العاقبة وأجل الشئ واريد بها المعنى الأول فى العبارة.

[۴۴۱] (۵)« تنجز» من مادة« نجز» على وزن عجز، تستعمل فى الوفاء بالعهد، وتنجز الوعد طلب وفائه على عجل.

[۴۴۲] (۱)« عنا» من مادة« عناية» بمعنى الاهتمام بالشئ، والضمير فى عناها يمكن أن يرجع إلى اللَّه فيشير إلى‌الأهداف الإلهية التى تبلغ الإنسان عن طريق أذنه، أو يرجع إلى الإنسان ليعنى الأهداف التى ينالها الإنسان عن طريق الاذان، أو يعود إلى الحرف ما ليعنى المطالب المهمة السماع للاذن.

[۴۴۳] (۲)« تجلو» من مادة« جلاء» بمعنى تكشف.

[۴۴۴] (۳)« عشا» من مادة« عشو» أو« عشى» ضعف البصر وعجزه عن الرؤية وقيل عدم الابصار ليلًا.

[۴۴۵] (۴)« أشلاء» جمع« شل» على وزن شكل العضو والجسد، وهنا تعنى الجسد، حيث أردفها بالعبارة(جامعة لأعضائها) وقيل قطعة اللحم وهى العضلات ويصدق هذا المعنى على الخطبة المذكورة.

[۴۴۶] (۵)« أحناء» جمع« حنو» على وزن حلم ما اعوج من البدن، كأغلب العظام.

[۴۴۷] (۱)« أرفاق» جمع« رفق» على وزن فكر المنفعة أو ما يستعان به عليها، وهذا هو المعنى المراد فى عبارة‌الخطبة.

[۴۴۸] (۲)« رائـدة» من مـادة« رود» على وزن شوق طلب المـاء والمرتع، ثم اطلقت على كـل بحث وطلب، كما وردت بمعنى الهادى وذلك لأنّ القوافل كانت تبعث بشخص ليبحث عن مكان مناسب لتوقف القافلة حيث يسمى هذا الشخص الرائد.

[۴۴۹] (۱)« مجللات» مـن مـادة« جلال». ومجللات نعمـه غـامرات نعمه، النعم الـتى تغطى جميع كيـان الانسـان، فهى تفيـد السـعة والشمولية.

[۴۵۰] (۲)« حواجز» جمع« حاجز» المانع والرادع وحواجز العافية موانع السلامة.

[۴۵۱] (۳)« خلاق» من مادة« خلق» بمعنى تعيين المقـدار ومن هنا أطلق الخلاق على السـهم والنصـيب، والمرادبمسـتمتع خلاقهم التى وردت فى الخطبة النصيب الوافر من الخير واللذات التى تمتعوا بها فى الدنيا.

[۴۵۲] (۴)« خناق» من مادة« خنق» حبل يخنق به، وخناق بالكسـر على وزن كتاب بمعنى الحبل ومسـتفسح خناقهم النعم التى يتمتع بها الإنسان قبل الموت.

[۴۵۳] (۵)« أرهق» من مادة« إرهاق» أخذ الشئ باستعجال، واصلها رهق على وزن شفق بمعنى الظلم.

[۴۵۴] (۶) هناك خلاف بين شـرّاح نهجالبلاغـة فى أن« شـذبهم» كلمـة واحـدة أم كلمتان. فمن عدها كلمة واحدة« شذب» من مادة تشذيب بمعنى التقشير ومنه تشذيب الشجرة، ويناسب هذا المعنى ما ورد فى الخطبة، ومن ذهب إلى أنّها كلمتان« شذ+ بهم»، شذ من مادة شذوذ بمعنى الانفصال والانفراد وهو المعنى الذى يتناسب وما ورد فى الخطبة أيضاً.

[۴۵۵] (۷)« تخرم» من مادة« خرم» بمعنى الاستصال والاقتطاع.

[۴۵۶] (۸)« أنـف» بضـمتين مفرد بمعنى بدايـة كـل شـئ، ومن هنـا يطلـق على المرعى الـذى لم يرع فيه الحيوان حـتى ذلـكالوقت وكذلك الظرف الذى لم يشرب به الماء.

[۴۵۷] (۱) بحارالأنوار ٣/ ٨٣(بتصرف).

[۴۵۸] (۱) سورة يوسف/ ١١١.

[۴۵۹] (۱)« البضاعة» مصدر الرقة والحيوية والنشاط.

[۴۶۰] (۲)« حوانى» تعنى فى الأصل أحوال أضـلاع الإنسان وهى اثنان فى كل جانب ومفردها حانيـة، وهى هنا كناية عن الهرم الذى يحدودب فيه الإنسان.

[۴۶۱] (۳)« هرم» بمعنى ذروة الضعف والعجز.

[۴۶۲] (۴)« غضارة» النعمة والسعة والخصب.

[۴۶۳] (۵)« آونة» جمع« آوان» بمعنى الزمان.

[۴۶۴] (۶)« الزيال» مصدر زايله مزايلة وزيال بمعنى المفارقة.

[۴۶۵] (۷)« أزوف» على وزن خضوع بمعنى الدنو والقرب وتطلق الازفة على القيامة لأنّها ليست بعيدة عن العباد.

[۴۶۶] (۸)« العلز» على وزن المرض قلق وخفة وهلع يصيب المريض المحتضر.

[۴۶۷] (۹)« مضض» من مادة« مض» على وزن سد بلوغ الحزن من القلب.

[۴۶۸] (۱)« جرض» على وزن« خرج» ابتلاع الريق بمشقة إثر الهم والحزن.

[۴۶۹] (۲)« تلفت» من مادة« لفت» الانصراف عن الشئ.

[۴۷۰] (۳)« حفـدة» من مادة« حفـد» على وزن صـفد السـرعة فى العمل، كما تطلق على بنات الولد لسـرعتهم فى أعمال بيت والدهم ووالدتهم.

[۴۷۱] (۴) تأريخ بغداد ١٠/ ٤٩.

[۴۷۲] (۵) سورة یونس/ ۲۴.

[۴۷۳] (۱)« نواحب» جمع« ناحبة» من مادة« نحب» على وزن نذر والنحيب فى الأصل الجد فى العمل ثم اطلق على رفع الصوت بالبكاء، وعليه فالنواحب الأفراد الذين يرتفع صوتهم بالبكاء والعويل.

[۴۷۴] (۲)« غودر» من مادة« غدر» على وزن مكر نقض العهد، كما وردت بمعنى الترك، وهذا هو المراد بها فى العبارة.

[۴۷۵] (۱)« هوام» جمع« هامة» الحشرات المؤذية وتطلق أحياناً على خاصة الحشرات السامة.

[۴۷۶] (۲)« نواهك» جمع« ناهكة» ماينهك البدن، وتطلق على من يلبس الثوب حتى يبلى فيقال نهك الثوب.

[۴۷۷] (۳)« جده» من مادة« جديد»، الحديث.

[۴۷۸] (۴)« عفت» من مادة« عفو» درست وأزالت ومحت، ومنه العفو الذى يزيل الذنب، وقد وردت فى الخطبة بمعنى محو آثار الإنسان بعد الموت بواسطة الرياح والحدثان تثنيه بكسر النون وتجمع بضمها بمعنى الحوادث الاليمة.

[۴۷۹] (۵)« الحدثان» من مادة« حدوث»، تعاقب الليل والنهار.

[۴۸۰] (۶)« شحبة» من مادة« شحوب» تغير الجسم وضعفه، تقابل بضة بمعنى النشاط والغضاضة.

[۴۸۱] (۷)« نخرة» صفة مشبهة من مادة« نخر» على وزن ضرر بمعنى البالية، وقد وردت فى الخطبة كاشارة إلى العظام بصفتها ممزقة خاوية.

[۴۸۲] (۸)« أعباء» جمع« عب» بمعنى الثقل، والأعباء فى الخطبة تعنى المسؤوليات الثقيلة.

[۴۸۳] (۱)« قدة» من مادة« قد» على وزن سد بمعنى الشق الطولى، وتطلق على الجادة التى تشق المرتفعات و المنخفضات وتسير قدما، وتطلق على الطائفة التى تنفصل عن جماعة، لأنّ طريقتها تختلف عن تلك الجماعة.

[۴۸۴] (۲) نهج‌البلاغة، الكلمات قصار ۱۲۲.

[۴۸۵] (۳) سورة البقرة/ ۷۴.

[۴۸۶] (۱)« مجاز» من مادة« جواز» مصدر ميمى من جاز يجوز، أى قطع المكان و اجتازه.

[۴۸۷] (۲)« مزالق» جمع« مزاق» موضع الزلل والانزلاق، من مادة« زلق» على وزن دلو.

[۴۸۸] (۳)« دحض» ورد هنا كمصدر أو إسم مصدر هو الانزلاق والسقوط، كما تستعمل أحياناً بشأن زوال الشمس من دائرة نصف النهار نحو المغرب.

[۴۸۹] (۴)« أهاويل» جمع« أهوال»، وأهوال جمع هول، وعليه فالأهاويل جمع الجمع و« هول» بمعنى الخوف والخشية.

[۴۹۰] (۵)« تارات» جمع« تاره» بمعنى الدفعة من مادة« تأر» على وزن طرد بمعنى النظر لشخص بحدة، كما تعنى الضرب بالعصا.

[۴۹۱] (۱) بحارالأنوار ۸/ ۶۵.

[۴۹۲] (۲)« أنصب» من مادة« نصب» على وزن سبب التعب، وعليه فانصب من باب الأفعال بمعنى أتعب.

[۴۹۳] (۳)« أسهر» من مادة« سهر» على وزن سفر اليقظة فى الليل، ولما كانت الحوادث الأليمة تسلب العين نومها وهول المحشر فقد اطلق على الاثنين الساهرة.

[۴۹۴] (۴)« غرار» مصدر واسم مصدر القليل من النوم وغيره، والمراد بالعبارة الواردة فى الخطبة أزال قيام الليل نومه القليل.

[۴۹۵] (۵)« هواجر» جمع« هاجرة» نصف النهار عند اشتداد الحرارة، وأصلها من مادة هجر وهجران بمعنى الترك والمفارقة.

[۴۹۶] (۶)« ظلف» من مادة« ظلف» بفتح وسكون المنع،« وظلف» على وزن« علف» المكان المرتفع، وكأنّه يمنع الإنسان من الوصول إليه.

[۴۹۷] (۱)« أوجف» من مادة« ايجاف» السرعة فى العمل، وأوجف الذكر بلسانه أسرع، كأن الذكر لشدة تحريكه‌اللسان موجف به

كما توجف الناقة براكبها.

[۴۹۸] (۲)« تنكب» من مادة« نكب» و« نكوب» بمعنى الميل عن الشئ والعدول عنه، ومن هنا يقال للدنيا نكبت أنأدبرت عن الشخص.

[۴۹۹] (۳)« مخالج» جمع« مخلج» من مادة« خلج» على وزن حرج الامور المختلجة الجاذبة.

[۵۰۰] (۴)« وضح» من مادة« وضوح» بمعنى الظهور ووضح السبيل وسط الجادة.

[۵۰۱] (۵)« تفتله» من مادة« فتل» على وزن قتل الانصراف عن الشئ، كما وردت بمعنى الشروق ومنه الفتيلة.

[۵۰۲] (۶)« نعمى» بالضم سعة العيش ونعيمه، وللنعمى مفهوم كالنعمة، حيث هو من المفاهيم الواسعة.

[۵۰۳] (۱)« أكمش» من مادة« كمش» على وزن عطش أسرع، والمراد بها في العبارة جد السير في مهلة الحياة.

[۵۰۴] (۱) هذا الكلام مضمون حديث عن الإمام الصادق عليه السلام في كتاب آمالي الصدوق المجلس ۳۳.

[۵۰۵] (۲) ورد الصراط بدل الجسر في حديث الإمام الصادق عليه السلام، بحارالأنوار ۸/ ۶۴ كما روى هذا الحديث عنرسولاللّه صلى الله عليه و آله في كنز العمال ۱۴/ ۳۸۶ ح ۳۹۳۶.

[۵۰۶] (۳) سورة الفجر/ ۱۴.

[۵۰۷] (۴) بحارالأنوار ۸/ ۶۶ ح ۶.

[۵۰۸] (۵) كنزالعمال، السابق.

[۵۰۹] (۶) بحارالأنوار ۸۹/ ۱۹۷ ح ۳.

[۵۱۰] (۷) الغدير ۲/ ۳۲۳.

[۵۱۱] (۸) الغدير ۲/ ۳۲۳(نقل هذه الروايات العلّامة الأميني من مصادر العامه مع ذكر صفحاتها، وورد في شرحالشعر المعروف للعبدي:

وإليك الجواز تدخل من شئتجناناً ومن تشاء جحيماً [۵۱۲] (۱)

[۵۱۳] (۲) سورة الاسراء/ ۷۹.

[۵۱۴] (۳) بحارالأنوار ۶۶/ ۳۹۲ ح ۶۸.

[۵۱۵] (۴) بحارالأنوار ۷۱/ ۳۵۲ ح ۲۲.

[۵۱۶] (۵) بحارالأنوار ۸۴/ ۱۴۴ ح ۱۸.

[۵۱۷] (۶) بحارالأنوار ۸۰/ ۱۲۷.

[۵۱۸] (۱) سورة القصص/ ۵۹.

[۵۱۹] (۲) سورة طه/ ۱۱۷.

[۵۲۰] (۳) سورة يس/ ۶۰.

[۵۲۱] (۱) سورة البقرة/ ۱۶۸ و ۲۰۸؛ سورة الانعام/ ۱۴۲؛ سورة النور/ ۲۱.

[۵۲۲] (۲) سورة الزخرف/ ۳۶، كما ورد مثل هذا التعبير في سورة فصلت/ ۲۴.

[۵۲۳] (۱) بهجالصباغة ۱۴/ ۳۵۰، كما ورد شبه هذا المضمون في بحارالأنوار باختلاف طفيف كأحد الوصايا الأربعةلموسى عليه السلام(بحارالأنوار ۱۳/ ۲۴۴)(مادمت لاترى الشيطان ميتا فلاتأ من مكره).

[۵۲۴] (۲) نفحات الولاية ۱/ ۴۶۰- ۴۶۷.

[۵۲۵] (۱) هنالك خلاف بين شرّاح نهجالبلاغة بشأن(أم) هل هي إستفهامية ومتصلة أو منقطعة؟ ويبدو من الصعبالحكم في ذلك،

لأنّ ظاهر عبارة المرحوم السيد الرضى(ره) قد اختار كلاما من هذه الخطبة الطويلة ويمكن أن تكون العلاقة بين العبارات خافية هذه القطوف، وقد فسرناها منقطعه وتقديره العبارة« بل أذكركم بحال الإنسان ...».

[٥٢٦] (٢)« شغف» من مادة« شغاف» على وزن جواب يعنى فى الأصل غلاف‌القلب، والمفردة هنا بمعنى الاغلفة المتعددة.

[٥٢٧] (١)« دهاق» من مادة« دهق» على وزن دهر بمعنى متتابعا وشدة الضغط، ثم استعملت بمعنى الصب بالقوةوالضغط، واشارت هنا إلى صب النطفة فى الرحم.

[٥٢٨] (٢)« محاق» من مادة« محق» على وزن محو النقص التدريجي والمحو، ومن هنا يطلق المحاق على القمر فى أخره، ووصف العلقة بالمحاق بمعنى خفيت فيها ومحقت حتى زالت صورتها وتبدلت إلى جنين، أو لأنّ لها شكل ممحو وغير معين ولم تتخذ لها صورة.

[٥٢٩] (٣)« يافع» من مادة« يفع» على وزن نفع الغلام راهق العشرين.

[٥٣٠] (٤)« سادر» من مادة« سدر» المتحير والمتخبط.

[٥٣١] (١)- ماتح تعنى من ينزل البئر إذا قل ماؤها فيملأ الدلو، و« الغرب» بمعنى الدلو العظيمة، فتفسير العبارةالتى وردت فى الخطبة هو أنّ بعض الأفراد الذين يسعون لاشباع أهوائهم ورغباتهم وما يحلمون به من أمانى.

[٥٣٢] (٢)- ماتح تعنى من ينزل البئر إذا قل ماؤها فيملأ الدلو، و« الغرب» بمعنى الدلو العظيمة، فتفسير العبارةالتى وردت فى الخطبة هو أنّ بعض الأفراد الذين يسعون لاشباع أهوائهم ورغباتهم وما يحلمون به من أمانى.

[٥٣٣] (٣)« كادح» من مادة« كدح» على وزن مدح شدة السعى، كما تعنى الحرص أيضاً.

[٥٣٤] (٤)-« بدوات» جمع بدأة على وزن« غفلة» من مادة« بدو» على وزن دلو بمعنى الظهور، وأدب بمعنى الحاجة والسرور، فالعبارة« بدوات أربه» تعنى الحاجات واللذات التى تخطر على ذهن الإنسان.

[٥٣٥] (٥)-« بدوات» جمع بدأة على وزن« غفلة» من مادة« بدو» على وزن دلو بمعنى الظهور، وأدب بمعنى الحاجة والسرور، فالعبارة« بدوات أربه» تعنى الحاجات واللذات التى تخطر على ذهن الإنسان.

[٥٣٦] (٦)« رزية» من مادة« رزأ» على وزن عضو بمعنى النقص فى الأصل، كما وردت بمعنى المصيبة.

[٥٣٧] (٧)« تقية» وردت هنا بمعنى التقوى ومفهوم الجملة أنّ خشوعه إلى اللَّه لايستند إلى التقوى، وذهب بعض شرّاح نهج‌البلاغة إلى أنّ تقية هنا مفعول مطلق للنوع، وقيل مفعول له، وليس هنالك من فارق فى المفهوم.

[٥٣٨] (٨)« غرير» بمعنى المغرور.

[٥٣٩] (٩)« هفوة» من مادة« هفو» رفع القدم بسرعة، ولما كانت السرعة فى المشى تدعو إلى الزلل فى أغلب الأحيان‌ولعلها تؤدى إلى الوقوع فان الهفوة تعنى الخطأ والزلل والوقوع على الأرض.

[٥٤٠] (١)« دهمته» من مادة« دهم» على وزن فهم بمعنى الغشاوة وتغطية الشئ.

[٥٤١] (٢)« غبر» جمع« غابر» يعنى الباقى.

[٥٤٢] (٣)« جماح» من مادة« جمح» على وزن جمع التعنت عن الحق، ومن هنا يطلق الجموح على الحيوان الطائش.

[٥٤٣] (٤)« سنن» مفرد بمعنى الطريقة وسنن بالضم جمع سنة.

[٥٤٤] (٥)« مراح» من مادة« مرح» على وزن فرح شدة السرور المقرونة بالطغوى واستثمار نعم اللَّه فى الباطل.

[٥٤٥] (٦)« سادرا» تعنى الحيرة كما تعنى الصلافة، والمعنى الأول أنسب للعبارة، بينما المعنى الثانى أنسب للعبارة الاولى التى مرت فى المقطع السابق.

[٥٤٦] (٧)« لادمة» من مادة« لدم» على وزن هدم تعنى فى الأصل الضاربة، ومن هنا تطلق اللادمة على المرأة التى‌تلطمه وجهها

ورأسها حين المصاب.

[۵۴۷] (۱)« مبلس» من مادة« ابلاس» تعنی فی الأصل الغم إثر شدة اليأس، ومن هنا فسرت بمعنى اليأس، وهی هنابمعنى يأس الأحياء من عودة الاموات.

[۵۴۸] (۲)« سلس» من مادة« سلس» على وزن قصص بمعنى السهل.

[۵۴۹] (۳)« رجيع»، الرجيع من الدواب ما رجع به من سفر الى سفر فكل ثم استعملت للإنسان التعب.

[۵۵۰] (۴)« وصب» الالم الدائمی والمرض والتعب.

[۵۵۱] (۵)« نضو» الناقة أو الحيوان المهزول، ثم اطلقت على الضعيف من الناس.

[۵۵۲] (۱)« مبلس» من مادة« ابلاس» تعنی فی الأصل الغم إثر شدة اليأس، ومن هنا فسرت بمعنى اليأس، وهی هنابمعنى يأس الأحياء من عودة الاموات.

[۵۵۳] (۲)« سلس» من مادة« سلس» على وزن قصص بمعنى السهل.

[۵۵۴] (۳)« رجيع»، الرجيع من الدواب ما رجع به من سفر الى سفر فكل ثم استعملت للإنسان التعب.

[۵۵۵] (۴)« وصب» الالم الدائمی والمرض والتعب.

[۵۵۶] (۵)« نضو» الناقة أو الحيوان المهزول، ثم اطلقت على الضعيف من الناس.

[۵۵۷] (۶)« حشده» جمع حاشد المسارعون فی التعاون.

[۵۵۸] (۱)« زوره» مصدر بمعين الزيارة واللقاء.

[۵۵۹] (۲)« بهتة» من مادة بهت الحيرة والاضطراب.

[۵۶۰] (۱) اقتباس من الخطبة ۱۸۸ من نهج‌البلاغة.

[۵۶۱] (۱) منهاج البراعة ۶/ ۴۰- ۴۱.

[۵۶۲] (۲) منهاج البراعة ۶/ ۴۲.

[۵۶۳] (۱) بحارالأنوار ۶/ ۲۷۱.

[۵۶۴] (۲) سوره غافر/ ۱۱.

[۵۶۵] (۱) رواه الترمذی فی صحيحه عن النبی صلى الله عليه و آله(ج ۴، كتاب صفة القيامة، ح ۲۴۶۰) والعلّامة المجلسی فی‌بحارالأنوار(۶/ ۲۱۴- ۲۱۸).

[۵۶۶] (۲)« حميم» من مادة« حم» على وزن غم فی الأصل الماء الحار وهو المعنى المراد فی العبارة. فقد جاء فی‌القرآن« فَشارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الحَمِيم» سورة الواقعة/ ۵۴.

[۵۶۷] (۳)« تصلية» من مادة« صلی» على وزن سعی ويعنی الاحراق، كما تعنی دخول جهنم، أمّا التصلية فية متعدية وهی تعنی الاحراق فقط.

[۵۶۸] (۴)« فورات» من مادة« فورة» الغليان.

[۵۶۹] (۵)« سورات» جمع سوره الغضب.

[۵۷۰] (۱)« زفير» صوت النار عند توقدها.

[۵۷۱] (۲) سورة غافر/ ۴۶.

[۵۷۲] (۳)« دعة» من مادة« ودع» على وزن منع الراحة.

[۵۷۳] (۴)« مزيحة» من مادة« ازاحة» تزيح ما أصابه من التعب.

[٥٧٤] (٥)« ناجزة» من مادة« نجز» منتهية.

[٥٧٥] (٦)« سنة» بالكسر والتخفيف أوائل النوم.

[٥٧٦] (٧)« مسلية» من مادة« تسلية» النسيان، تشغله عما هو فيه.

[٥٧٧] (١) سورة التوبة/ ٦٩.

[٥٧٨] (١)« مناص» من مادة« نوص» على وزن قوس الابتعاد والانصال عن الشئ، وقال البعض تعنى الملجأ والمفر.

[٥٧٩] (٢)« ملاذ» من مادة« لوذ» على وزن موز بمعنى الاختفاء واللجوء إلى القلعة، ومن هنا يطلق على الملجأ اسم الملاذ، وتختلف قليلًا عن المعاذ من مادة العوذ على وزن الحوض التى تعنى الالتجاء دون مفهوم الاستتار.

[٥٨٠] (٣)« محار» اسم مكان من مادة« حور» على وزن جور النقص ثم وردت بمعنى المرجع إلى الدنيا بعد فراقها.

[٥٨١] (١)« تؤفكون» من مادة« إفك» على وزن فكر بمعنى الانحراف والانقلاب، ثم اريد بها الرجوع.

[٥٨٢] (٢)« قيد» بكسر وفتح القاف تأتى بمعنى المقدار، ومن هنا يقال للحبل الذى يربط برجل الانسان أو الحيوانوالذى يحد من حركته فى حد معين، يقال له« قيد» و« قدّ» بمعنى الطول.

[٥٨٣] (١)« خناق» من مادة« خنق» الحبل الذى به وضيق الخناق كناية عن شدة المصاب وعظم الضيق.

[٥٨٤] (٢)« فينة» بالفتح الزمان والوقت.

[٥٨٥] (٣)« باحة» من مادة« بوح» على وزن قول الظهور والشهرة وباحة بمعنى صحن الدار وساحتها وهذا هوالمعنى المراد فى العبارة.

[٥٨٦] (۴)« إحتشاد» الاجتماع من أجل القيام بعمل مشترك.

[٥٨٧] (٥)« حوبة» على وزن توبة تعنى فى الأصل الحاجة التى تقود الإنسان إلى الذنب ومن هنا وردت فى القرآنوسائر الاستعمالات بمعنى الذنب والمعصية.

[٥٨٨] (٦)« ضنك»، الشدة ومعيشة ضنك العيش الصعب.

[٥٨٩] (٧)« زهوق» على وزن حقوق، بمعنى الابادة والمحو.

[٥٩٠] (١) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۶/ ٢٧٨.

[٥٩١] (١) سند الخطبة: رواها جمع من مشاهير علماء الإسلام قبل السيد الرضى(ره) ومنهم ابنقتيبة فى عيون الأخبار وأبوحيان التوحيدى فى الامتاع والمؤانسة والبيهقى فى المحاسن والمساوئ والبلاذرى فى أنساب الاشراف. ورواها بعد السيد الرضى(ره) ا لشيخ الطوسى فى الامالى عن محمد بن عمران المرزبانى الذى عاش قبل صدور النهج بستة عشر عاماً وابن عقدة والزبير بن بكار وابن أثير فى النهاية(مصادر نهجالبلاغة ٢/ ١١٩).

[٥٩٢] (١)« نابغة» من مادة« نبوغ» الظهور والشهورة وتصطلح العرب بالنابغة على المرأة المشهورة بالفساد، كماتطلق على الافذاذ من الأفراد.

[٥٩٣] (٢)« دعابة» بالضم المزاح واللعب.

[٥٩۴] (٣)« تلعابة» بكسر التاء كثير اللعب الذى يشغل الناس بكلامه وأفعاله.

[٥٩٥] (۴)« أعافس» من مادة« معافسة» شدة المزاح.

[٥٩٦] (٥)« أمارس» من مادة« ممارسة» الانهماك بالمزاح.

[٥٩٧] (١) ربيع الأبرار للزمخشرى، نقلا عن ابن أبى الحديد فى شرحه لنهجالبلاغة ۶/ ٢٨٣.

[٥٩٨] (١)« يلحف» من مادة« الحاف» بمعنى الاصرار والالحاح واصلها من اللحاف وهو الغطاء المعروف، ولما كانالشخص المصر يلف من حوله فقد اطلقت عليه هذ المفردة.

[۵۹۹] (۲)« الإل»، العهد، والميثاق، كما تعنى القرابة، والمراد من قطع الال أن يقطع الرحم.

[۶۰۰] (۳) تأريخ اليعقوبى(طبق نقل الغدير ۲/ ۱۷۵).

[۶۰۱] (۱)« قرم» الـذكر من الجنس، كمـا وردت بمعنى الشـخص العظيم والسـيد، وهـذا هو المعنى المراد فى العبـارة، لأـن عمرو بن العاص كان يعلم ان أميرَالمؤمنين على عليه السلام يصرف وجهه عنه اذا ما كشف عورته.

[۶۰۲] (۲)« سبة» من مادة« سب» على وزن شق الشتم وكل شئ يكره ذكره، وهى هنا إشارة إلى العورة.

[۶۰۳] (۳) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۶/ ۳۱۲.

[۶۰۴] (۴) كتاب« صفين» لنصر بن مزاحم/ ۲۲۴« بحسب ما نقله الغدير، فى ۲/ ۱۵۸.

[۶۰۵] (۱) روى ابن ابى الحديد ذلك عن المؤرخ المشهور الواقدى(شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ۶/ ۳۱۷.

[۶۰۶] (۲)« الاتية» بمعنى العطية من الايتاء بمعنى الاعطاء.

[۶۰۷] (۳)« رضـيخة» من مـادة رضـخ،« رضـخ» له رضـيحة أعطـاه قليلا، والمراد بالعبارة أنّ عمرو بن العاص باع آخرتهودينه بـذلك المتاع الزهيد من الدنيا، ولاسيما أنّه لم يتمتع بذلك المقام سوى بضع سنوات.

[۶۰۸] (۱) شرح نهجالبلاغة لابن أبىالحديد ۲/ ۶۱(بتخليص).

[۶۰۹] (۲) هناك كلام بين المؤرخين بشأن موت عمرو، غير أنّ العلّامـة الأمينى ذكر فى غديره وابن أبى الحديد فى شـرحه ۶/ ۳۲۱: والصحيح أنّه مات فى سنة ثلاث واربعين، فلم تدم حكومته لمصر أكثر من خمس سنوات.

[۶۱۰] (۳) سورة الكوثر/ ۳.

[۶۱۱] (۱) الغدير ۲/ ۱۲۶؛ شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ۶/ ۲۸۲.

[۶۱۲] (۲) الغدير ۲/ ۱۲۶.

[۶۱۳] (۳) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ۶/ ۳۲۲.

[۶۱۴] (۴) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ۶/ ۲۸۲.

[۶۱۵] (۱) اصول الكافى ۲/ ۶۶۳.

[۶۱۶] (۲) تحفالعقول/ ۴۱ باب مواعظ النبى.

[۶۱۷] (۳) اصول الكافى ۲/ ۶۶۳.

[۶۱۸] (۱) شرح نهجالبلاغة لابن أبىالحديد ۶/ ۳۳۰.

[۶۱۹] (۲) سورة الواقعة/ ۳۵- ۳۶.

[۶۲۰] (۳) تحف العقول/ ۸۶.

[۶۲۱] (۴) ميزان الحكمة/ ۴، ح ۱۸۸۶۹.

[۶۲۲] (۵) ميزان الحكمة ۴/ باب ذم المزاح.

[۶۲۳] (۶) ميزان الحكمة ۴/ ح ۱۸۸۷۷.

[۶۲۴] (۷) شرح نهجالبلاغة لابن أبىالحديد ۶/ ۳۲۰.

[۶۲۵] (۸) غرر الحكم.

[۶۲۶] (۱) شرح نهجالبلاغة لابن أبىالحديد ۶/ ۳۳۳.

[۶۲۷] (۱) سـند الخطبة: رواها أبو نعيم الإصـفهانى فى كتاب حلية الأولياء والسبط بن الجوزى الذى عاش بعد السيد الرضى(ره) فى كتاب تذكرة الخواص ومحمد بن طلحة الشافعى فى مطالب السؤل(مصادر نهجالبلاغة ۲/ ۱۲۲).

[۶۲۸] (۱)« أوهام» جمع« وهم» على وزن فهم تعنى لغويا ما يخطر على القلب، وقد وردت فى الخطبة بمعنى إجالةالفكر التى لاتبلغ كنه الذات الإلهية المقدسة وصفاته سبحانه، وبعبارة أخرى لاتبلغ كنه ذاته حتى ذروة حركة العقل التى عبر عنها هنا بالوهم.

[۶۲۹] (۱) راجع بهذا الشأن(نفى رؤية اللّه) المجلد الأول من هذا الكتاب، وكتاب رسالة القرآن ۴/ ۲۳۲- ۲۵۱.

[۶۳۰] (۲) نهج‌البلاغة، الخطبة ۱۷۹.

[۶۳۱] (۳) ميزان الحكمة ۳/ ۱۸۹۳، ح ۱۲۳۱۶.

[۶۳۲] (۱) شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد ۶/ ۳۴۶.

[۶۳۳] (۱) اصول الكافى ۱/ ۹۳.

[۶۳۴] (۲) توحيد الصدوق/ ۶۶.

[۶۳۵] (۱)« سواطع» جمع« ساطعة» النور الواسع الظاهر الدلالة، كما تستعمل هذه المفردة فى الامور المعنوية كآياتالقرآن المجيد الظاهرة أو الشخصيات الإسلامية البارزة.

[۶۳۶] (۱)« علقتكم» من مادة« علق» على وزن فلق تعنى فى الأصل الرابطة الشديدة والتعلق بالشئ، كما تستعمل هذهالمفردة فى الحيوان المفترس الذى يمسك فريسته بأسنانه ويمتص دمائها، أو أن يفترسها بمخالبه. وقد شبهت العبارة الموت بهذا الحيوان.

[۶۳۷] (۲)« مخالب» جمع« مخلب» على وزن محور ومادته« خلب».

[۶۳۸] (۳)« دهمتكم» من مادة« دهم» على وزن فهم بمعنى الغشاوة، وتستعمل هذه المفردة حين غلبة شئ على آخروإحاطته به، هذا هو المراد بها فى العبارة، كما تستعمل فى الظلمة التى تحيط بالأشياء، كما تطلق على الأخضر الفاتح، من قبيل مدهامتان التى وردت فى سورة الرحمن.

[۶۳۹] (۴)« مفظعات» من مادة« فظع» على وزن جزع بمعنى الاخافة ومفظعات الأمر شدته، وتطلق على الحوادث العظيمة التى تخيف الإنسان.

[۶۴۰] (۱) سورة الانعام/ ۱۳۲.

[۶۴۱] (۲) سورة الانعام/ ۸۳.

[۶۴۲] (۳) سورة الواقعة/ ۱۰- ۱۲.

[۶۴۳] (۱) سورة الواقعة/ ۲۷.

[۶۴۴] (۲) سورة الواقعة/ ۸۸- ۹۱.

[۶۴۵] (۳) انظر نفحات القرآن ۶/ ۳۴۵« مقامات الجنّة».

[۶۴۶] (۴) بحارالأنوار ۸/ ۸۹.

[۶۴۷] (۵) منهاج البراعة ۶/ ۱۱۹.

[۶۴۸] (۶) سورة طه/ ۷۵.

[۶۴۹] (۷) بحارالأنوار ۸/ ۱۳۳.

[۶۵۰] (۸)« يظعن» من مادة« ظعن» على وزن طعن بمعنى السفر.

[۶۵۱] (۹)« يبأس» من مادة« بأس» بمعنى الفقر وشدة الحاجة.

[۶۵۲] (۱) سند الخطبة: رويت هذه الخطبة متفرقة فى الكتب الآتية وكلها سابق نهج البلاغة لأن كل واحد من مؤلفيها أخذ غرضه منها: الأخبار الطوال لأبى‌حنيفة الدينورى وتحف‌العقول لابن شعبة الحرانى والمحاسن للبرقى، ما رويت فقرات منها فى المجالس للمفيد والمشكاة للطبرسى والغرر للآمدى(مصادر نهج‌البلاغة ۲/ ۱۲۷).

[٦٥٣] (٢) ورد فى نسخ نهج‌البلاغة لصبحى الصالح التى اقتبست منها متون هذا الكتاب وهى النسخة الصحيحة نسبيا، ان عنوان الخطبة هو عظة الناس بالتقوى والمشورة، ويبدو أنّه هو الذى ذكر لها هذا العنوان، فى حين لم يرد فى الخطبة شيئاً بشأن المشورة، فلايستبعد أن يكون الأمر قد اشتبه عليه حيث خلطها باحدى سائر خطب نهج‌البلاغة.

[٦٥۴] (١) نهج‌البلاغة، الرسالة ٣١.

[٦٥٥] (١)« مهل» على وزن اجل بمعنى المداراة والمهلة.

[٦٥٦] (٢)« إرهاق» من مادة« رَهَقْ» على وزن شفق بمعنى الغشية والتغطية والسيطرة، ومن هنا فان الأجل اذا جاء للانسان فانه يسيطر على كافة وجوده، وقد استفيد من هذا التعبير فى الخطبة أعلاه بمعنى الأجل.

[٦٥٧] (٣)« متنفس» من مادة« تنفس» زمان الاتساع والراحة.

[٦٥٨] (۴)« كَظَم» على وزن قلم بمعنى المضيق ومجرى التنفس.

و« كَظْم» على وزن هضم، وله معنى مصدرى بمعنى حبس النفس، ويستعمل كناية عن ضبط النفس عند الغضب، وما شابه ذلك.

[٦٥٩] (١) يعود الضمير فى كتابه وحقوقه إلى اللَّه، ولايتناسب ارجاع الضمير فى حقوقه إلى كتابه وسياق الكلام.

[٦٦٠] (٢)« سُدى على وزن شما بمعنى المهمل والذى لا هدف ولا معنى له، وقد استفيد من هذا الاصطلاح هناللتعبير عن البعير الذى لا راعى له، وقد هام فى الصحراء على وجهه، فيرعى من كل مكان يصل اليه.

[٦٦١] (٣) سورة المؤمنون/ ١١٥.

[٦٦٢] (۴) سورة الانعام/ ١٠۴.

[٦٦٣] (۵) سورة الاعراف/ ٣۴.

[٦٦۴] (١)« أنهى» من مادة« إنهاء» الاعلام والابلاغ وهذا هو المراد بها فى العبارة؛ أى أنّ اللَّه ابلغكم ما يلزم على لسان‌نبيه.

[٦٦۵] (٢)« محاب» جمع« محب» اسم مكان مصدر ميمى مواضع حبه وتقابل المكاره.

[٦٦٦] (٣) سورة الانعام/ ١۴٩.

[٦٦٧] (١) قال على عليه السلام:« وعليكم بالصبر فان الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد». نهج‌البلاغة، الكلمات القصار ٨٢.

[٦٦٨] (١) وسائل الشيعة ١٨/ ١١٨ ح ٢٢ الباب ١٢ من أبواب صفات القاضى.

[٦٦٩] (٢) سورة الانعام/ ١۵٢.

[٦٧٠] (٣) سورة الاسراء/ ٣٢.

[٦٧١] (۴) سورة الانعام/ ١۵١.

[٦٧٢] (۵)« تداهنوا» من مادة« مداهنة» وقد اشتقت من مادة« دهن» التى تعنى المرونة المذمومة والنفاق والمماشاة، كما تعنى إظهار خلاف ما فى الطوية.

[٦٧٣] (١) غرر الحكم، ح ٩٠٢٢.

[٦٧۴] (١) لابد من الالتفات هنا إلى أنصح» من مادة« نصح» تعنى فى الأصل الاخلاص، وهذا هو مفهوم النصيحة.

[٦٧۵] (٢)« أغش» من مادة« غش» تعنى فى الأصل الضعف والعجز، ومن هنا يصطلح بالمغوش على الشى غيرالخالص.

[٦٧٦] (١) شرح نهج‌البلاغة لابن ميثم ٢/ ٢٨۵.

[٦٧٧] (٢) شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد ۶/ ٣۶۵، المرحوم العلّامة المجلسى فى بحارالأنوار ٢١/ ٢١١ حيث‌أوردها فى تأريخ النبى صلى الله عليه و آله فى باب حوادث غزوة تبوك ضمن خطبة صلى الله عليه و آله.

[٦٧٨] (١) سورة آل‌عمران/ ٢۶.

[۶۷۹] (۲) وسائل الشیعهٔ، ج ۱، الباب ۱۱ من ابواب مقدمات العبادهٔ، ح ۱۶.

[۶۸۰] (۱) وسائل الشیعهٔ، ۱/ ۱۱، ح ۴.

[۶۸۱] (۲)« منساهٔ» من مادهٔ« نسأ» علی وزن نصب بمعنی الترک والتأخیر.

[۶۸۲] (۳)« محضرهٔ» اسم مکان من مادهٔ« حضور» الموضع الذی یحضره الإنسان أو الشئ.

[۶۸۳] (۴) شرح نهج‌البلاغهٔ للخوئی ۶/ ۱۳۶.

[۶۸۴] (۵) فی ظلال نهج‌البلاغهٔ ۱/ ۴۲۷.

[۶۸۵] (۶)« شفا» بمعنی حافهٔ الشئ، وتطلق فی الأصل علی حافهٔ البئر أو الخندق، ولعل ذلک هو السبب فی تسمیهٔ‌الشفهٔ.

[۶۸۶] (۷)« مهواهٔ» من مادهٔ« هوی» لمیل الی الشیئ، ومهواهٔ اسم مکان المسافهٔ بین جبلین التی شوق الانسان احیاناً الی السقوط.

[۶۸۷] (۱) سند الخطبهٔ: من الأدلهٔ التی تفید أنّ الخطبهٔ نقلت من مصادر اخری غیر نهج‌البلاغهٔ ما قاله ابن ابی‌الحدید بعد أنّ أکمل شرح هذه الخطبهٔ: وهذه خطبهٔ طویلهٔ وقد حذف الرضی(ره) منها کثیرا(ثم نقل أبی الحدید بعض أقسامها)، ورواها الزمخشری فی باب العز والشرف من ربیع الابرار بتفاوت یسیر نعرف منه أنه لم ینقلها عن النهج(مصادر نهج البلاغهٔ ۲/ ۱۳۳).

[۶۸۸] (۱) شرح نهج‌البلاغهٔ لابن أبی‌الحدید ۶/ ۳۶۵.

[۶۸۹] (۱) سورهٔ النور/ ۲۱.

[۶۹۰] (۲)« قری» مصدر واسم مصدر ما یهیأ للضیف، والمراد به هنا العمل الصالح یهیئه للقاء الموت وحلول الأجل، ومنه« المقراهٔ» التی تطلق علی الظرف الکبیر الذی یوضع فیه الطعام.

[۶۹۱] (۳) سورهٔ البقرهٔ/ ۲۸۲.

[۶۹۲] (۱) سورهٔ آل‌عمران/ ۱۶۹.

[۶۹۳] (۲)« ارتوی» من مادهٔ« ری» علی وزن طی شرب الماء.

[۶۹۴] (۳)« فرات»، الماء العذب.

[۶۹۵] (۴)« نَهَل» بمعنی السقی أو الشراب الأول، ومن عادهٔ العرب، أخذ الابل إلی مکان شُرب الماء، وعندما تشرب‌وترتوی ترجع إلی مکانها، فیقال لها نهلت الابل أو إبلٌ نواهل. وفی المرهٔ الثانیهٔ تُعرض علی الماء فعندما تشرب، فتسمی الطِّل»، وبعد ذلک تذهب الابل للرعی فی المرعی فاصطلاح« النهل» یستعمل عندما تشرب الابل الشربهٔ الاولی، وهذا الاصطلاح یستعمل دائماً فی الشرب الاول.

[۶۹۶] (۵)« الجدد» من جد، الأرض الغلیظهٔ الصلبهٔ المستویهٔ.

[۶۹۷] (۶) سورهٔ الرعد/ ۲۸.

[۶۹۸] (۱)« غمار» من مادهٔ« غمر» علی وزن أمر بمعنی التغطیهٔ، ولما کانت المیاه الکثیرهٔ تغطی الأرض، اطلق علیه‌الغمار.

[۶۹۹] (۲)« عری» جمع عروه المقبض.

[۷۰۰] (۱) بحارالأنوار ۴۰/ ۱۵۲.

[۷۰۱] (۲) کنزالعمال ۳/ ۴۸۳، ح ۷۳۳۴.

[۷۰۲] (۳) بحارالأنوار ۴۰/ ۱۵۳.

[۷۰۳] (۴) غرر الحکم، ح ۳۹۱.

[۷۰۴] (۱) اصول للکافی ۲/ ۷۴ ح ۲.

[۷۰۵] (۲)« عشوات» جمع« عشوهٔ» مایقدم علیه الإنسان من عمل جهلا، ومن الواضح أنّ نتیجهٔ مثل هذا العمل هی‌الندامهٔ، وکشاف عشوات من یطرح حجب الجهل وینجی أهل الضلالهٔ.

[٧٠۶] (٣)« فلوات» جمع« فلاة» وهى الصحراء الواسعة، مجاز عن مجالات العقول فى الوصول إلى الحقائق، ودليل‌الفلوات العالم بها.

[٧٠٧] (١) بحارالأنوار ۶٩/ ٩٣.

[٧٠٨] (٢) سورة النبأ/ ۶- ٧.

[٧٠٩] (١)« ثَقَل» على وزن أجل، وله معان مختلفة، ففى بعض الأحيان يأتى بمعنى أمتعة المسافر واحيانا بمعنى‌الاشياء الثمينة.

و« حل» بمعنى نزل فى منزل جديد وحل الرحال فيه، والجملة الواردة اعلاه، كناية عن أن المؤمن المخلص والسائر على هدى القرآن الكريم، فان حاله كحال المسافر الذى سار وراء قافلة كلما نزلت القافلة فى مكان وحلت رحالها، فانه يتبع هذه القافلة فينزل معها ويحل رحاله معها.

[٧١٠] (١) سورة النساء/ ١۵٠.

[٧١١] (١)« اشراك» جمع« شرك» بمعنى اشباك الصياد.

[٧١٢] (٢) الكنى والألقاب ١/ ٢٩۴.

[٧١٣] (٣) عوالى اللئالى ۴/ ١٠۴.

[٧١۴] (۴) بحارالأنوار ٨٩/ ١٠٧، ح ١.

[٧١۵] (١) تفسير البرهان ١/ ١٩.

[٧١۶] (٢) الكافى ١/ ۶٨.

[٧١٧] (٣)« اضطجع» من مادة« ضجع» على وزن زجر بمعنى نام ووضع جنبه على الارض.

[٧١٨] (١) سورة النمل/ ٨٠.

[٧١٩] (٢) سورة الاعراف/ ١٧٩.

[٧٢٠] (١) الكافى ١/ ۴۴، باب استعمال العلم، ح ١.

[٧٢١] (٢) علل الشرايع/ ٣٩۴.

[٧٢٢] (٣) منهاج البراعة ۶/ ١٨۵.

[٧٢٣] (١) تفسير البرهان ١/ ١٩.

[٧٢۴] (٢) وسائل الشيعة ١٨/ ١۴٩، ح ۶۶ الباب ١٣، أبواب صفات القاضى.

[٧٢۵] (١) سورة الفتح/ ١٠.

[٧٢۶] (١) كنزالعمال ١/ ٢١٨، ح ١٠٩۵.

[٧٢٧] (٢) بحارالأنوار ۴٧/ ٢١٧، ح ۴.

[٧٢٨] (٣) سفينة البحار، مادة« بدع»؛ بحارالأنوار ۶٩/ ٢٢٠.

[٧٢٩] (١)« تؤفكون» من مادة« إفك» على وزن فكر، الانحراف والميل، ومن هنا يطلق الافك على الكذب والتهمة.

[٧٣٠] (١)« يتاه» من مادة« تيه» على وزن شئ الضلال والحيرة.

[٧٣١] (٢)« تعمهون» من مادة« عمه» على وزن فرح الحيرة والتخبط، وقيل: أنّ العمى فى العربية عمى العين الظاهرة والعمه العين الباطنة.

[٧٣٢] (٣) نقل هذا الحديث العلّامة الأمينى باسانيد مختلفة من مصادر العامة(الغدير ٣/ ١٧۶).

[٧٣٣] (۴)« هيم» جمع« أهيم» الابل العطشى وكذلك يقال للرمال تبتلع الماء، وأحيانا يستعمل هذا الاصطلاح‌للتعبير عن العطش.

[٧٣۴] (۵) سورة المائدة/ ۵۵.

[۷۳۵] (۶) سورة المائدة/ ۷۶.

[۷۳۶] (۷) سورة الشورى/ ۲۳.

[۷۳۷] (۱) للوقوف بصورة أعمق على هذه الآيات واقوال مفسرى الشيعة والسنة راجع كتاب رسالة القرآن، ج ۹.

[۷۳۸] (۲) تفسير الفخر الرازى ۲۷/ ۱۶۵، الآية ۳۳ من سورة الشورى.

[۷۳۹] (۳) اصول الكافى ۲/ ۶۰۰، ح ۴.

[۷۴۰] (۱) سورة آل‌عمران/ ۱۶۹.

[۷۴۱] (۲) نهج‌البلاغة، الكلمات القصار ۱۴۷،« من حسن المصادفات انه كتب هذا القسم من الخطبة فى الذكرى‌الحادية عشرة لرحيل الإمام الخمينى(ره)».

[۷۴۲] (۳) بحارالأنوار ۶۷/ ۲۹۵.

[۷۴۳] (۱) نهج‌البلاغة، الكلمات القصار ۳۲۱.

[۷۴۴] (۲) ينابيع المودة طبقا لنقل إحقاق الحق ۹/ ۳۵۴، وقد نقل هذا الحديث فى عدّة مصادر أخرى من المصادرالمعروفة للعامة، وللوقوف أكثر راجع ۵/ ۶۳۹، من إحقاق الحق.

[۷۴۵] (۳) نهج‌البلاغة، خطبة ۲۰۷.

[۷۴۶] (۴) الغارات، سيرة على عليه السلام فى نفسه.

[۷۴۷] (۵) المصدر السابق.

[۷۴۸] (۱) نهج‌البلاغة، الخطبة ۱۵.

[۷۴۹] (۱)« معقولة» من مادة« عقال» الحبل الذى تربط به رجل الناقة بعد الانحناء لكى لايستطيع القيام فتبقى فى‌مكانها، ثم اطلقت كناية على الامور المستقرة.

[۷۵۰] (۲)« در» تعنى فى الأصل ترشح اللبن من الثدى، ثم اطلقت على سائر السوائل كالمطر وأمثاله، كما اطلقت كناية على مختلف النعم المادية.

[۷۵۱] (۱)« مَجَّة» من مادة« مج» على وزن حج، وفى الاصل تعنى قذف الماء أو اللعاب من الضم بعيداً أو قريباً. ويقال‌لعصير العنب وما يشابهه« مجاج»، على وزن عُقاب، وأيضاً يقال للعسل« مجاج النحل».

وهنا جاء هذا الاصطلاح تعبيراً عن النصر والنجاح والموفقية التى يحصل عليها الانسان ثم يفقدها بسرعة.

[۷۵۲] (۱) الاربعة عشر هم:

۱- معاوية ۴۰- ۶۱ ه ق

۲- يزيد بن معاوية ۶۱- ۶۴

۳- معاوية بن يزيد ۶۴- اربعين يوما أو شهرين

۴- مروان بن الحكم تسعة أشهر من عام ۶۵

۵- عبدالملك بن مروان ۶۵- ۸۶

۶- الوليد بن عبدالملك ۸۶- ۹۶

۷- سليمان بن عبدالملك ۹۶- ۹۹

۸- عمر بن عبدالملك ۹۹- ۱۰۱

۹- يزيد بن عبدالملك ۱۰۱- ۱۰۵

١٠- هشام بن عبدالملك ١٠۵- ١٢۵

١١- الوليد بن يزيد ١٢۵- ١٢۶

١٢- يزيد بن الوليد شهرين وعشرة أيام من عام ١٢۶

١٣- ابراهيم بن الوليد سبعين يوما من عام ١٢۶

١۴- مروان بن محمد المعروف بمروان الحمار ١٢۶- ١٣٢

[٧۵٣] (٢) البداية والنهاية ٨/ ٢۴.

[٧۵۴] (١) شرح نهج‌البلاغة لابن أبي‌الحديد ۴/ ١٣٢- ١٣۴.

[٧۵۵] (٢) المصدر السابق/ ١٣۵.

[٧۵۶] (٣) المصدر السابق/ ١۴۴.

[٧۵٧] (۴) المصدر السابق/ ١۶٧.

[٧۵٨] (۵) البداية والنهاية ٩/ ١٧.

[٧۵٩] (١) البداية والنهاية ٨/ ۵۴.

[٧۶٠] (٢) تاريخ اليعقوبى ٢/ ٢۴۵.

[٧۶١] (٣) تاريخ اليعقوبى ٢/ ٢۴٧.

[٧۶٢] (۴) تتمة المنتهى/ ۵٨.

[٧۶٣] (۵) البداية والنهاية ٨/ ٢٧۶.

[٧۶۴] (۶) تاريخ اليعقوبى ٢/ ٢۵٩.

[٧۶۵] (٧) البداية والنهاية ٢/ ٢۵٩.

[٧۶۶] (٨) تاريخ اليعقوبى ٢/ ٢٧٧.

[٧۶٧] (١) البداية والنهاية ٩/ ٢۴۶.

[٧۶٨] (٢) تاريخ اليعقوبى ٢/ ٣١٩.

[٧۶٩] (٣) تتمة المنتهى/ ١٢۴- ١٢٧.

[٧٧٠] (۴) البداية والنهاية ١٠/ ٧.

[٧٧١] (۵) تاريخ اليعقوبى ٢/ ٣٣٨.

[٧٧٢] (۶) تاريخ اليعقوبى ٢/ ٣٣٩.

[٧٧٣] (٧) البداية والنهاية ١٠/ ٣٢.

[٧٧۴] (١) سند الخطبة: نقل هذه الخطبة بفارق قليل المرحوم الكلينى فى كتاب روضة الكافى والشيخ المفيد فى الإرشاد، كما نقلها ابن كثير فى كتاب النهاية فى ١/ ۴۶ عن كتاب اللغة مادة« أزل».

[٧٧۵] (١)« يقصم» من مادة« قصم» على وزن غضب تعنى فى الأصل الكسر بشدة وتستعمل كناية بمعنى الهلاك.

[٧٧۶] (٢)« يجبر» من مادة« جبر» تعنى فى الأصل إصلاح الشئ، وجبر العظم طيبه بعد الكسر حتى يعود صحيحاً، كما تطلق على كل قهر وغلبة ولما كان القهر والغلبة ممزوج بالظلم عادة فقد يستعمل الجبار بمعنى الظالم، وأحد أسماء اللّه الحسنى جابر العظم الكسير.

[٧٧٧] (٣)« الأزل» بفتح الهمزة وسكون الزاى الضيق والشدة ومادتها الأصلية أزل على وزن فضل بمعنى الحبس.

[٧٧٨] (١)« عتب» على وزن حتم تعنى الامتعاظ الباطنى اريد به هنا عتب الزمان، وعتب عليه إذا وجد عليه.

[٧٧٩] (٢) سورة الأحزاب/ ١٠- ١١.

[٧٨٠] (٣) سورة الأعراف/ ١٢٩.

[٧٨١] (١) نهج‌البلاغة، الرسالة ۴٧.

[٧٨٢] (٢) بحارالأنوار ١٣/ ١٢٩.

[٧٨٣] (٣) سورة آل‌عمران/ ١٧٨.

[٧٨۴] (١)« يعفون» من مادة« عفاف» على وزن ثواب، وفى الاصل تأتى بمعنى الامتناع عن الاعمال الشائنة والقبيحة، ويقال للشخص الذى يجتنب الاعمال القبيحة« العفيف»، وقد جرى العرف على اطلاق هذا الاصطلاح على الذين يجتنبون القيام بالاعمال الجنسية الغير شرعية.

[٧٨۵] (١) راجع ذيل الخطبة ٣٨ فى المجلد الثانى من هذا الشرح بخصوص الشبهة ومعناها وتأثيرها فى تحريف‌الحقائق.(٢/ ۴٠۵)

[٧٨۶] (١) سورة العنكبوت/ ۴١.

[٧٨٧] (١) سورة الكهف/ ١٠٣- ١٠۴.

[٧٨٨] (١) سند الخطبة: ورود هذه الخطبة أو بعضها فى كلمات جمع من العلماء ممن عاشوا قبل السيد الرضى(ره)، فقد جاءت فى تفسير على بن إبراهيم الذى عاش لقرن قبل السيد الرضى، ورواها الكلينى فى أصول الكافى(١/ ۶٠)، وقد ذكر ابن أبى‌الحديد فى شرحه اختلاف الروايات فى بعض ألفاظ الخطبة مما يدل على أنّها نقلت فى مصادر اخرى غير نهج‌البلاغة(مصادر نهج‌البلاغة ٢/ ١٣٨).

[٧٨٩] (١)« فترة» تعنى فى الأصل الهدوء والسكنية، كما تعنى الضعف، كما تطلق على الزمان بين حركتين أوحدثين، ومن هنا يصطلح بالفترة على الزمان الفاصل بين ظهور الأنبياء.

[٧٩٠] (٢) ذكر البعض أن الفترة بين ولادة السيد المسيح عليه السلام هجرة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله استغرقت ۶٢١ سنة و ١٩۵ يوماً(تفسير ابوالفتوح الرازى ۴/ ١۵۴، هوامش المرحوم العلّامة العشرانى) كما قيل أنّ النبى صلى الله عليه و آله ولد عام ۵٧٠ م وبعث عام ۶١٠ م(بينات خالدة ١/ ١٢١).

[٧٩١] (١)« هجعة» من مادة« هجوع» نوم الليل شبه به وضع الأقوام الجاهلية بالنسبة للهداية لعمقه.

[٧٩٢] (٢)« اعتزام» من مادة« عزم» العزم والقرار وهو هنا فاعل فتنة.

[٧٩٣] (٣)« تلظ» من مادة« لظى بمعنى لهب النار، و« تلظى» بمعنى النار المشتعلة.

[٧٩۴] (۴)« كاسفة» من مادة« كسوف(ومنه الكسوف والخسوف الذى تتعرض له الشمس والقمر) وهى هنا كنايةعن إنطفاء أنوار الهداية فى العصر الجاهلى.

[٧٩۵] (١)« إياس» على وزن قياس عدم الأصل.

[٧٩۶] (٢)« اغورار» من مادة« غور» الغوص فى الأرض، وعادة ما يطلق على الماء داخل الأرض وهو هنا كناية عن انقطاع الهداية.

[٧٩٧] (٣) سورة الاسراء/ ٣١.

[٧٩٨] (۴)« درست» من مادة« دروس» زوال الاثار وانعدامها.

[٧٩٩] (۵)« متجهمة» من مادة« جهم» على وزن فهم العنف والغلظة، ويقال متجهم لمن يستقبل الآخرين وينظر إليهم‌بوجه كريه.

[٨٠٠] (۶)« عابسة» من مادة« عبوس» على وزن مجوس كناية عن الاسى الشديد للناس فى العصر الجاهلى.

[٨٠١] (٧)« جيفة» من مادة« جوف»، وتطلق عادة على الميت الذى يفسد جوفه فتهب منه ريح نتنة.

[٨٠٢] (١) سورة المائدة/ ٣.

[۸۰۳] (۱) سورة الاحزاب/ ۷۲.

[۸۰۴] (۲)« أحقاب» جمع« حقب» على وزن عنق قيل ثمانون سنة وقيل أكثر وقيل هو الدهر.

[۸۰۵] (۳) سورة البقرة/ ۸۰.

[۸۰۶] (۴) من الواضح أن الضمائر هنا لاينبغى أن تكون بصيغة المخاطب(كم) بل لابدّ أن تكون بصيغة الغائب(هم) لأنّها إشارة إلى من عاش فى عصر النبى صلى الله عليه و آله. ويبدو أنّ الاشتباه من النساخ، ولذلك قبله الشراح بهذا الشكل.

[۸۰۷] (۱)« جائل» من مادة« جولان»، وفى الاصل بمعنى زوال الشيء من مكانه، لذا فيقال للحيوان الذى يتحرر من مكانه الموجود فيه بحيث يستطيع أن يذهب إلى أى مكان، يقال له« جائل».

[۸۰۸] (۲)« خطام» ما جعل فى أنف البعير لينقادبه وجولان الخطام، حركته وعدم إستقراره، لأنّه غير مشدود.

[۸۰۹] (۳)« بطان» البعير حزام يجعل تحت بطنه، ومتى استرخى كان الراكب على خطر السقوط.

[۸۱۰] (۱) سند الخطبة: جاء فى مصادر نهج‌البلاغة أنّه رواها على بن محمد الواسطى فى عيون الحكم والمواعظ، وورد ذيلها فى غررالحكم مما يدل عد انها نقلت من مصدر آخر غير نهج‌البلاغة، ونقلها ابن أثير فى النهاية(مصادر نهج‌البلاغة ۲/ ۱۴۱).

[۸۱۱] (۱)« روية» من مادة« رى» على وزن حى الفكر وإمعان النظر إذا وردت من باب التفعيل، ولما كان الإنسان‌يأخذ بنظر الاعتبار سوابق كل الأشياء والأعمال حين التفكير فانّ هذه المفردة تطلق كناية على الامور التى لاسابقة لها.

[۸۱۲] (۱)« ارتاج» مصدر باب إفعال من مادة« رتج» على وزن خرج بمعنى الاغلاق وإذا جاء من باب الأفعال عنى‌الغلق المحكم.

[۸۱۳] (۲)« داج» اسم فاعل من مادة« دجو» على وزن هجو بمعنى المظلم.

[۸۱۴] (۳)« ساج» اسم فاعل من مادة« سجو» الساكن.

[۸۱۵] (۴)« فجاج» جمع« فجع» الطريق الواسع بين جبلين.

[۸۱۶] (۵) وسائل الشيعة ۴/ ۷۲۳ ح ۷ من الباب السابع، أبواب تكبيرة الإحرام.

[۸۱۷] (۶) راجع بحارالأنوار ۵۵/ ۴۶.

[۸۱۸] (۱)« دائبان» مثنى دائب» من مادة« دأب» و« دؤوب» على وزن قلب وقلوب بمعنى الاستمرار على عمل معين‌وفق عادة وسنة ثابتة.

وعلى هذا الاساس، يطلق على الشخص أو الشيء الذى يقوم بعمل أو برنامج معين بصورة مستمرة ودائمة وعلى حالة وسنة معينة بالدائب.

[۸۱۹] (۲) سورة نوح/ ۱۹- ۲۰.

[۸۲۰] (۳) سورة النبأ/ ۶.

[۸۲۱] (۴) سورة ابراهيم/ ۳۳.

[۸۲۲] (۱) نهج‌البلاغة، الرسالة ۳۱.

[۸۲۳] (۱) سورة يس/ ۱۲.

[۸۲۴] (۲) سورة غافر/ ۱۹.

[۸۲۵] (۳) سورة هود/ ۶.

[۸۲۶] (۱)« عاز» من مادة« معازه» اصلها عزة بمعنى الغلبة والعزيز من يغلب أعدائه، وقد اريد بها هنا من رام مشاركةاللّه فى شئ من عزته.

[۸۲۷] (۲)« دمر» من مادة« تدمير» واصلها الدمار بمعنى الهلاك.

[۸۲۸] (۳)« شاق» من مادة« مشاقة» العداء والمراد بها هنا المنازعة.

[۸۲۹] (۴)« ناوأه» خالفه من« نوء» على وزن نوع وتعنى القيام مع المشقة واريد بها هنا من يقف بوجه الارادة الإلهية فتذله.

[۸۳۰] (۱) سورة النازعات/ ۲۴- ۲۵.

[۸۳۱] (۲) سورة الطلاق/ ۳.

[۸۳۲] (۳) سورة البقرة/ ۲۴۵.

[۸۳۳] (۴) سورة إبراهيم/ ۷.

[۸۳۴] (۱) شرح نهج‌البلاغة لابن أبی‌الحديد ۶/ ۳۹۶.

[۸۳۵] (۲) سورة الاعراف/ ۸.

[۸۳۶] (۳) سورة غافر/ ۲۷.

[۸۳۷] (۱)« خناق» على وزن نفاق بمعنى العنق، ويقال للحبل أو ما يشابهة والذى يُشد على العنق من أجل خنق‌الشیء« الخَنَّاق».

[۸۳۸] (۲) سورة المنافقون/ ۱۰.

[۸۳۹] (۳)« سياق» من مادة« سوق» إشارة إلى الموت الذى يسوق الإنسان من هذه الدنيا إلى الآخرة.

[۸۴۰] (۴) سورة المؤمنون/ ۹۹- ۱۰۰.

[۸۴۱] (۱) ميزان الحكمة ۱/ ح ۳۸۴۵(مادة حساب).

[۸۴۲] (۲) المصدر السابق، ح ۳۸۴۱.

[۸۴۳] (۳) بحارالأنوار ۷۴/ ۸۶.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذی" – "رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابِذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة "للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأَدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البيت

–عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، علی أنه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فی آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی" القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّی بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فی هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفيق.


مركز القائمية اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩